

الموسوعة الشامية في تاريخ الحزب والصليبيّة

رحلات غربية
(١١٨٧ — ١٣٥٠)

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

الجزء السابع والثلاثون

الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

- ١ — بيد المزيف (حجاج مجهولون) ١١٨٧ م
- ٢ — أرنول ١١٢٢٠ م
- ٣ — بورتشارد ١٢٨٠ م
- ٤ — لودولف ١٣٥٠ م

- ٣٨٢٩ -

١

بيد المزيف (حجاج مجهولون) ١١٨٧ م
حجاج مجهولون

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

لم يتوقف الارتحال إلى فلسطين منذ انتشار المسيحية في العالم، وغالباً ما جاء الارتحال إليها لأسباب دينية، وازداد الاقبال على الحج إلى فلسطين بعد انتصار عبادة الايقونات، مع الارتحال لزيارة الآثار المقدسة، وقد رأى الفرنجة الذين شاركوا في الحروب الصليبية، أنهم أنفسهم حجاجاً، وليسوا غزاةً.

ونتيجة لهذا قام عدد كبير من الحجاج بتدوين أخبار رحلاتهم، وتركز اهتمامهم على مدينة القدس، واهتموا بالأماكن الأخرى في فلسطين مثل بيت لحم، والخليل، وسبسطيه ونهر الأردن، وما دونه الرحالة من أوروبا هام جداً، ووثائقي، أفسده فقط محاولات المطابقة مع أخبار العهد القديم.

ومن كتب الرحلات، يمكن التعرف إلى خطط القدس وأهم الكنائس والبيع فيها، والأسواق واختصاصاتها وأصحابها، ومن هذه الكتب نرى أن القدس في القرن الصليبي الأول كانت — على الرغم من إبادة سكانها من قبل الحملة الأولى — عربية من جميع الجوانب، إنما تحت الاحتلال الفرنجي، وأن الفرنجة ظلوا دوماً يشعرون في قرارة أنفسهم أنهم غرباء، ولذلك لم يقاوموا صلاح الدين سنة ١١٨٧ م إلا قليلاً، ونشدوا سلامتهم، وسلموا القدس إلى المحرر المسلم.

وصحيح أن مدينة القدس حظيت من كتابات الرحالة بالنصيب الأكبر، لكن الأوصاف التي وصلتنا عن بقية أجزاء فلسطين والشام الجنوبي هامة جداً من الجوانب السكانية الاجتماعية، والزراعية والمائية والاقتصادية.

وأقدم في المجلد الحالي اثنتي عشرة رحلة تمت ما بين ١١٨٧ - ١٣٥٠، أجمعتها تحت أربعة عناوين، وهذه الرحلات فيها مواد هامة جداً من الممكن ادراك قيمتها لدى التعامل معها، وهناك في هذه الرحلات مشكلة ضبط الأسماء، وتدقيق المعلومات حيث لا شك أن بعض الرحالة نقل عن بعضهم الآخر، فضلاً عن هذا لم تكن ثقافة الرحالة كلها على مستوى واحد، بل تفاوتت خاصة فيما يتعلق بمحتويات العهدين القديم والجديد، وهنا نجد شيئاً كثيراً من التفاوت بمواد الأوصاف من حيث الحجم والدقة، وضبط الأسماء، لكن هذا لا يقلل كثيراً من قيمة المواد الأساسية وأهميتها للباحثين والقراء المهتمين.

ولفت الانتباه أن الرحالة جميعاً على كثرتهم، لم يشيروا إلى وجود أحد من اليهود في فلسطين في القرون: الثاني عشر والثالث والرابع عشر، ونستخلص من كل الرحالة بأنهم شعروا بأنفسهم غرباء عن سكان فلسطين والشام الجنوبي من عرب مسلمين ومسيحيين، كما أنهم لم يشيروا إلى وجود تناقضات أو صراعات بين الفئات العربية، وكما سلف في القول نظروا إليهم نظرة واحدة، وحملوا نحوهم مشاعر واحدة، فالمسيحيين العرب كانوا في أبسط الحالات بالنسبة إليهم هراطقة، أما المسلمين العرب فكانوا بالنسبة إليهم غير مؤمنين، وطبعاً الفوارق بين الهرطقة وانعدام الايمان ليست كبيرة.

وبرحلات هذا الجزء أكون قد قدمت جل الرحلات المعروفة خلال قرني الحروب الصليبية مع نصف القرن الرابع عشر، والمتبقي لدي، هو ثلاث رحلات، اثنتان قصيرتان نسبياً، وواحدة طويلة جداً، جاءت في أربعة أجزاء، وهي رحلة كتاب عجائب، وقد حملت اسم فيلكس فابري، وقد أبدأ بتقديم نص هذه الرحلة بعد هذا الجزء مباشرة، أو بعد جزء تاريخي، يحوي ما نسب إلى متى الباريسي، ذلك أنني ما برحت

أسعى للحصول على نسخة من هذا الكتاب منذ ثلاث سنوات، وبذلت في سبيل ذلك جهوداً مضيئة، أثمرت مؤخراً في بشائر بالحصول على صورة لأول طبعة لهذا الكتاب صدرت في منتصف القرن الماضي، وعلى طبعة جديدة صدرت عام ١٩٨٤، وطبعة أحدث، أعاد ناشرها النظر في عنوان الكتاب وحجمه ونسبته إلى مؤلفه.

وأعترف أن الحصول على المصدر مرهق مادياً ومعنوياً، لكن مع المثابرة والاحلاص يأتي التيسير من عند الله، ولولا تيسير الله وعونه ما كان بالامكان انجاز ما أنجز من مشروع هذه الموسوعة وتأمين مصادرها من مختلف أرجاء الأرض.

فلله الحمد دائماً وأبداً، ومنه أستمد العون والسداد، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم.

دمشق ٢٠ شعبان ١٤٢٠ هـ — ٢٨ تشرين ثاني ١٩٩٩ م

سهيل زكار

١ - حاج مجهول

(الشطر المبكر من القرن الحادي عشر)

هنا بداية وصف الأماكن المقدسة

١ - الذي هو من الأجزاء الغربية من العالم، ويرغب بالذهاب إلى القدس، عليه أن يديم توجهه نحو الشرق، من حيث تشرق الشمس، ولسوف يجد أماكن الصلوات في القدس كما هي موصوفة فيما يلي:

٢ - في القدس حجرة مغطاة بحجر واحد، حيث المكان الذي كتب فيه سليمان كتابه بالحكمة، وهناك أيضاً جرى سفك دم زكريا، فيما بين المعبد والمذبح، وليس بعيداً عن هذا المكان، توجد الصخرة، التي يقدم إليها اليهود في كل عام، فيدهنوها، وينوحون، ثم يعودون وهم ينوحون، وهناك بيت حزقيال، ملك اليهودية، الذي إليه منح الرب ثلاث مرات، إطالة عمره خمس سنوات، وهناك أيضاً بيت كيفاس، والعمود الذي ربط إليه المسيح، ومن ثم جلد، وعلى مقربة من باب نابلس (باب دمشق الآن) توجد قاعة محكمة بيلاطس، حيث جرى الحكم على المسيح من قبل كبار الكهنة، وليس بعيداً عن هناك توجد الجلجلة، أو مكان أكر (الجمجمة) حيث جرى صلب المسيح ابن الرب، وحيث أيضاً دفن آدم، الذي هو الإنسان الأول، وحيث قدم إبراهيم ضحية إلى الرب، وعلى بعد رمية حجر طويلة من هناك، باتجاه الغرب، يوجد المكان الذي فيه دفن يوسف الرامي الجسد المقدس للمولى يسوع، وهناك كنيسة جميلة البناء، شيدت من قبل الامبراطور قسطنطين، ومن جبل أكر، وعلى بعد ثلاثة عشر قدماً باتجاه الغرب، يوجد وسط العالم: وعلى جهة اليسار، يوجد السجن الذي يقال بأن المسيح قد سجن فيه، وعلى جهة اليمين (اليسار) يوجد الضريح، ويجواره تماماً، هناك دير

لاتيني مكرس للقديسة مريم العذراء، وقد بني حيث كان بيتها يقوم، ويوجد في هذا المكان نفسه مذبح، قائم فوق المكان الذي وقفت فيه مريم أم الرب، ومريم كليفاس، ومريم المجدلية معها، وقفن يبكين وينحن، لأنهن رأين المولى فوق الصليب، وهنا قال يسوع لأمه «انتبهي أيها المرأة إلى ابنك»، وقال لحواريه: «انتبه لأمي»، وعلى بعد رميتي سهم من هذا المكان، باتجاه الشرق، يوجد هيكل الرب، الذي كان قد بني من قبل سليمان، والذي جرى تقديم المسيح فيه من قبل سمعان العدل، فعلى جهة اليمين لهذا الهيكل، بنى سليمان هيكله، وبنى فيما بين الهيكلين رواقاً جميلاً بأعمدة رخامية، وإلى اليسار من هناك توجد بركة الضأن.

٣ — وعلى بعد حوالي الميل من هناك، باتجاه الشرق، من الممكن رؤية جبل الزيتون، حيث صلى الرب يسوع إلى أبيه قائلاً: «أبي، إذا كان ذلك ممكناً» إلخ، وكتب دعاء الرب فوق صخرة، ومن هناك صعد إلى السماء، قائلاً لحواريه: «اذهبوا، وعلموا جميع الأمم» إلخ، ويوجد فيما بين هيكل الرب وجبل الزيتون، وادي شعفاط، حيث جرى دفن مريم العذراء من قبل الحواريين، وهو الوادي الذي سوف يحكم فيه الرب بين الناس يوم الدينونة، وعلى مقربة منه هناك قرية اسمها جيسماني، وهناك، خلف بركة قدرون، توجد الحديقة التي جرت فيها خيانة يسوع من قبل يهوذا، وعلى مقربة من هذا المكان يوجد ضريح النبي إشعيا، وعلى بعد ميل من هناك توجد قرية بيت عنيا، حيث أقام المولى العازر بعدما مضى على موته أربعة أيام، وفي المنطقة نفسها، وعلى بعد ثلاثة عشر أو ثمانية عشر ميلاً على الطريق إلى أريحا، توجد شجرة الجميز، التي تسلقها زكريا علّه يرى المولى يسوع، وفي الجهة الأخرى، وعلى بعد ميل من أريحا، يوجد نبع إيليا، الذي تولى مباركته، ورش فيه الملح، وعلى مسافة خمسة أميال من هناك يوجد نهر الأردن، حيث جرى تعميد الرب، وذلك على بعد ثمانية فراسخ عن القدس، وليس بعيداً عن هناك

يوجد الجبل، الذي حمل منه إيليا إلى السماء.

٤ — وتستغرق الرحلة من الأردن إلى جبل سيناء ثمانية أيام، حيث تجلى الرب لموسى داخل العليقة وأعطاه الشريعة، ويوجد في هذا المكان إبريق ماء عظيم، يتدفق بالزيت بدون توقف، وعلى مسافة سفر ثلاثة أيام من القدس، يوجد جبل الطور، حيث تحول شكل الرب، ويقال إنه يوجد عند سفح هذا الجبل: الجليل وبحر طبرية، الذي ليس بحراً، بل بحيرة، يتدفق منها نهر الأردن.

٥ — وعلى جهة اليمين لمدينة القدس، وعلى بعد رميتي سهم، يقوم جبل صهيون، حيث بنيت فوقه كنيسة من قبل سليمان، وهناك تعيش المولى يسوع مع حواريه، وهناك أيضاً أنزل عليهم الروح القدس، وهناك أيضاً انتقلت مريم العذراء من هذا العالم، وأسلمت الروح، وحمل الحواريون جسدها الأعظم قداسة، من هناك إلى وادي شعفاط، وعند سفح هذا الجبل توجد بركة نبع سليمان، التي يتدفق الماء منها وينبع من الأرض.

٦ — وليس بعيداً عن هناك توجد شكيم، حيث بحث يوسف عن إخوته عندما جاء من وادي الخليل، وتوجد هناك الأرض التي أعطاه يعقوب إلى ابنه يوسف، وهناك دفن جسده، وعلى بعد ميل من هناك تقوم شيكار Sichar، حيث تحدث الرب مع المرأة السامرية، وليس بعيداً عن هناك المكان الذي تصارع فيه يعقوب مع الملاك.

٧ — وعلى بعد أربعة أميال عن القدس، باتجاه الجنوب، تقوم بيت لحم، وفي بيت لحم كنيسة بنيت بأعمدة من الرخام، وذلك في المكان الذي ولد فيه المسيح، وليس بعيداً من هناك، وعلى جهة اليمين، يوجد معلف الرب، وعلى بعد اثني عشر ميلاً من هناك توجد قلعة إبراهيم، التي تدعى باسم قلعة تقوع حيث دفن إبراهيم نفسه، وإسحق،

ويعقوب، مع زوجاتهم، ويوجد على جهة اليسار جبل يدعى Dom-
inus Vidit ، حيث تحدث الرب مع إبراهيم، وحيث أراد إبراهيم أن
يضحي بابنه اسحق.

٢ — حاج مجهول (قرن ثاني عشر)

١ — الذين يذهبون عبر الطريق العالي من عكا إلى المدينة المقدسة،
يصلون إلى مدينة الناصرة، وعلى فرسخين من هناك يوجد جبل الطور،
حيث تحول شكل المسيح، وقرب هذا المكان نفسه تقوم مدينة طبرية،
التي يجاورها بحر الجليل، حيث صنع الرب كثيراً من المعجزات، وعلى
بعد حوالي الفرسخين فوقها توجد المائدة، حيث أشبع الرب خمسة آلاف
رجل بخمسة أرغفة وسمكتين، ويأتي بعد ذلك مدينة سبسطية، التي
ينبغي احترامها، بسبب آثار القديس يوحنا المعمدان، ويذهب الانسان
من هناك إلى البئر، حيث جلس الرب، عندما تحدث مع المرأة السامرية.

٢ — ويذهب الانسان من هناك إلى المدينة المقدسة، فيدخلها، وأول
ما يدخل إلى كنيسة القديس اسطفان، وهي قائمة فوق المكان الذي
رجم فيه، ومن هناك يذهب الانسان إلى كنيسة الضريح المقدس، وأولاً
إلى مكان الجمجمة (أكرا)، حيث عانى المسيح وتألم، وهناك يقوم
الحجاج بعد تعبد لهم مع صلبانهم، برمي صلبانهم على الأرض ثانية،
إشارة إلى أنهم قد أكملوا تعبدتهم ووفوا بنذرهم، ويذهب الانسان من
هناك إلى مذبح، من المعتقد أنه مبني فوق قطعة من العمود، الذي ربط
المسيح إليه وجلد، وهناك في الجوار، مكان منخفض، وجد فيه الصليب
المقدس، وهو عبارة عن كهف تحت صخرة معلقة، والمذبح قائم في
الوسط، وهو مكرس للقديسة حنة، أما المذبح الموجود على اليسار
فمكرس للقديس قرياقوس Quiriacus ، الذي كان اسمه أيضاً يهوذا،

وهو الذي أرى الصليب إلى الرجل الميت، ولدى رؤيته له، حدثت المعجزة فعاد إلى الحياة ثانية، واهتدى، وأقيم أسقفاً للقدس، وفي وسط شرفة الكهنة، هناك مكان يستحق احتراماً خاصاً، لأن المسيح، بعد إنزاله من على الصليب مدد هناك، وذلك قبل حمله إلى الضريح، ويوجد هنا مصباح دائم الاشتعال، أما المذبح العالي فمكرس إلى القديسة مريم، ويصل الإنسان بعد هذا إلى الضريح المقدس، ولهذا الضريح مذبح موجود في جهة الجنوب (جهة الشمال)، وكنيسة جميلة، مكرسة للصليب المقدس، حيث جرى حفظ الصليب المقدس، وإلى جانب هذه الكنيسة هناك كنيسة أخرى، عائدة إلى السريان، يحتفظون هم بداخلها بصليب مقدس أيضاً، وفي نهاية هذه الكنيسة تقريباً، على الجانب الجنوبي (الشالي) يوجد المكان الذي يدعى باسم «السجن»، حيث جرى سجن المسيح، في الوقت الذي جرى فيه إعداد مكان الصليب فوق الجبل، وتحت الأعمدة الخمسة للكنيسة جرى دفن الأربعين شهيداً، الذين نعرفهم من خلال عيدهم الذي يكون يوم الثامن من آذار، وعلى مقربة من مكان الجمجمة، يوجد مكان مغلق الباب، يقول القديس جيروم بأن آدم قد دفن فيه، ويقول بعضهم بأن آدم تلقى (من الصليب) في فمه نقاطاً من الدم، الذي سال نحو الأسفل، وبفعل ذلك قام من بين الأموات، ويوجد هناك ثلاث بيع صغيرة ملاصقة للكنيسة من جهة الجنوب، أقربها إلى الكنيسة مكرس للثالوث المقدس، أما أقصاها، وهي التي تطل على الطريق، فمكرسة للقديس جيمس الكبير، ويقال بأن الرب قد جلس في المكان الذي يقوم فيه المذبح الأوسط، وأن القديس يوحنا جلس على يمينه، والقديس جيمس على يساره، ولذلك تمنت أمهم ورجت أن يجلس أحدهم على يمينه، والآخر على يساره في ملكوته، ولقد قيل أيضاً بأن القديس يوحنا وقف فوق البقعة القائم عليها مذبحه، عندما أوكّل المسيح إليه أمر العناية بأمه، ووقفت هذه العذراء الأعظم مباركة نفسها، تراقب آلام ابنها، فوق البقعة، التي

يوجد عليها المذبح العالي، وخارج الكنيسة الكبيرة، وإلى جانب الجمجمة، هناك بيعة صغيرة، مكرسة لمريم المجدلية، وهي قائمة فوق المكان الذي وقفت فيه المريمات الثلاث، وقت آلام الصليب.

٣ — وتقوم كنيسة القديس يوحنا المعمدان في المواجهة تقريباً، وهي تقابل الكنيسة الكبيرة، وهي جديرة بالاحترام والتشريف لأمرين هما: بسبب آثارها الأكثر قداسة، وبسبب فضائلها المتفوقة الشهرة، حيث من الممكن أن يرى الانسان هناك تنفيذ ستة (سبعة؟) أعمال مساعدة ورحمة (هي إطعام الجائع، وسقي العطشان، وإلباس العريان، وإيواء من لا مأوى له، وعيادة المريض، وزيارة السجين، ودفن الموتى)، وعلى مقربة منها يوجد كنيسة القديسة مريم للاتين، المتميزة بسبب قدمها، وللقيمة الجديرة بآثارها، ففيها يوجد رأس القديس فيليب، مع شيء من شعر القديسة مريم.

٤ — ويوجد على جبل صهيون المكان الذي ظهر فيه الروح القدس للحواريين على شكل ألسنة نارية، وأنار قلوبهم، وهناك غسل (المسيح) أقدام حوارييه، وجعل توماس يلمس طرفه، وهناك تعشى المسيح أيضاً، وهناك المائدة نفسها التي تعشى عليها، وأمام الباب يوجد المكان الذي يعرف باسم: «مكان الروح القدس»، وهناك على الجانب الجنوبي المكان الذي يعرف باسم الجليل، وهو حيث قال: «إنني سأذهب قبلكم إلى الجليل»، وفي مقابل هذا المكان وفوقه، في الجانب الشمالي، يوجد المكان الذي فارقت فيه مريم المباركة هذا العالم، وفي نهاية هذا القسم، باتجاه الشرق، يوجد مذبح، جرى تحته دفن القديسين: اسطفان، وجماليل، وأبيباس، ونيقوديموس، وخارج ساحة الكنيسة في جهة الشمال هناك كنيسة مكرسة إلى القديس بطرس، وذلك فوق المكان الذي قيل بأن المحاكمة قد جرت فيه، وفي خارج المدينة توجد كنيسة تدعى «كنيسة القديس بطرس عند نداء الديك»، وذلك فوق المكان الذي بكى فيه

القديس بطرس بحرقه ومرارة بعد الانكار الثالث للمسيح ونداء الديك، ذلك أنه أخفى نفسه هناك، وفي داخل الأسوار، هناك أيضاً كنيسة هي «كنيسة القديس بطرس في الأغلال» ، وذلك في المكان الذي احتفظ به هيرود مريبوطاً بسلسلتين.

٥- وفي عودة الانسان إلى معبد الرب، فإن المكان الأول الذي يواجهه هو مكان الحضور المقدس، وإلى جواره يوجد المكان الذي نام فيه يعقوب ورأى السلم، وتصارع مع الملاك، وأقام صخرة لتكون عموداً، ويوجد تحت السدة، في الجانب الجنوبي، قبو منحوت بالصخر، وهو يعرف باسم «مكان الاعتراف»، لأنه هناك قابل المسيح المرأة التي قال لها: «ما من إنسان قد أدانك» إلخ، وعند رأس الهيكل توجد بيعة القديس جيمس، القائمة فوق المكان الذي ألقى من عاليه، ومن ثم قتل بعضا القصار، وكان جيمس هذا هو ابن ألفاكوس Alphacus ، وهو قد كان الأسقف الأول للقدس، وليس بعيداً عن هناك من الممكن رؤية الأبواب الذهبية، التي دخل منها الرب إلى القدس، عندما جاء من جبل الزيتون يركب على ظهر أتان، ووقتها صرخ الأطفال: «المجد لابن داود»، وتفتح هذه الأبواب يوم أحد السعف فقط، وفي يوم تمجيد الصليب المقدس، ويرى الانسان بعد هذا المهد، والحمام، وقبر سمعان، في مكان يقال بأن المسيح قد سكن فيه مع سمعان لمدة سنة ونصف السنة.

٦- وعلى مقربة من باب المدينة، الذي يطل على وادي شعفاط، توجد كنيسة القديسة حنة أم القديسة مريم، التي ولدتها هناك وربتها ورعتها عندما كانت تسكن هناك، وعلى مقربة منها توجد بركة الضأن، التي لها خمسة أعمدة، وهذا هو المكان الذي شكل فيه خشب الصليب لمدة طويلة ممراً للذين ذهبوا إلى البركة، ومهما يكن الأمر فإن الداوية يعرضون بركة أخرى، يقولون بأنها بركة الضأن، ويذهب الانسان من

هناك إلى وادي شعفاط، حيث يوجد ضريح القديسة مريم، ويوجد هنا، أمام باب الدير مباشرة، مكان يعرف باسم جيسماني، حيث خانه يهوذا، وهناك صخرة قيل بأنها استسلمت ولانت أمام ضغط أصابعه، ويوجد في هذه البيعة نفسها أربعة أماكن منفصلة، حيث وجد حواريه نيام، كل ثلاثة في مكان، وفي خارج ساحة الكنيسة، وعلى بعد حوالي رمية سهم، هناك كنيسة مكرسة للمخلص، بنيت فوق المكان، حيث صلى ثلاث مرات، وبدأ تعرقه الدموي يتقاطر منه، وعلى مقربة من دير شعفاط تجري مياه نبع قدرون، ويوجد هناك في هذا المكان، حيث عاش النساك، كنيسة مكرسة للقديس جيمس، ويوجد عند نهاية وادي شعفاط حقل الدم، وهو الحقل الذي شري بمبلغ الثلاثين قطعة فضية، لدفن الغرباء فيه، لأنه لا ينكر على أحد الدفن هناك.

٧ - ولدى صعود الحجاج لجبل الزيتون يصلون أولاً إلى الكنيسة التي تعرف باسم كنيسة الصلاة الربانية، لأنها تقوم حيث تولى المسيح تعليم حواريه الصلاة الربانية، وهناك صخرة تحت المذبح كتب عليها بإصبعه شخصياً الصلاة الربانية، يلي هذه الكنيسة كنيسة القديسة بليجيا، ومن الممكن رؤية مكان الصعود إلى السماء في الكنيسة التي بنيت فوق قمة الجبل، وعلى مقربة منها تقع قرية بيت فاجي (بيت الفك)، ويذهب الانسان من هناك إلى بيت عنيا، ومن بيت عنيا يذهب الانسان إلى نهر الأردن، وأولاً إلى أريحا، حيث توجد حديقة إبراهيم، ويجري هنا النهر الذي تتدفق مياهه من نبع إلياس... في المكان الذي كان فيه اثني عشر بئراً وسبعين شجرة نخيل، وعندما يصل الانسان إلى هناك، يجد على جهة اليسار، مكاناً جرى تحصينه من قبل رجال الدين، وهو المكان الذي يعرف باسم القرنطل، لأن المسيح صام هناك لمدة أربعين يوماً، ويوجد عند قمة الجبل الذي حاول الشيطان أن يغويه فيه، ومن هناك يذهب الانسان إلى الأردن.

٨ — وهناك أيضاً مكان خارج مدينة القدس، يدعى «مقبرة الأسد»، حيث جرى دفن عدد كبير من القديسين، وبعد هذا هناك دير للجورجيين يدعى (عند الجذل) أو «عند بقية الجذع»، لأنه كما يحكى، جرى قطع خشبة الصليب المقدس في ذلك المكان، ويقوم المذبح حيث كان الجذل، ويوجد على الطريق الذي يقود إلى بيت لحم قبر راحيل، والمكان الذي يبجل فيه إلياس، وهناك كنيسة مكرسة له قد بنيت هناك، وهناك المكان الذي ولد فيه الرب.... وهناك دفن جيروم، وهناك آثار كثيرة للأبرياء المقدسين، وليس بعيداً عن هناك يوجد المكان الذي يدعى باسم «المجد في الأعالي»، لأنه عندما ولد الرب سمعت الملائكة وهي تغني «المجد للرب في الأعالي»، ولدى ذهاب الإنسان نحو القديس إبراهيم في الخليل يواجه جذور البلوطة، بلوطة (جبل) ممرا، ويوجد في هذا المكان أيضاً كنيسة مكرسة للثالوث المقدس، وفي الخليل يوجد المكان الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وهناك أيضاً الجبل الذي قدم عليه كل واحد منهما تقديماً إلى الرب فيها أول ثماره، وكذلك من الممكن رؤية الأرض التي صُنع منها آدم، وفي العودة لابد للإنسان من أن يمر من خلال كنيسة القديس يوحنا المعمدان، وذلك فوق البقعة التي بشر فيها بالقفار، بالتعميد والتوبة، ويوجد في ذلك المكان نبع ماء لا يتوقف عن التدفق، وهو قد اندفع من الأرض أثناء صلاته، وقت القيام بتبشيريه، ويمضي الإنسان من هناك إلى القديس زكريا، أي إلى المكان الذي اعتاد على العيش فيه مع القديسة ايزابل، وذلك عندما كان يؤدي واجبه ككاهن، وفي ذلك المكان قامت مريم المباركة بتحية ايزابل، فقفز الطفل وتحرك داخل رحمها، ويذهب الإنسان من هناك من قلعة تدعى عمواس إلى المدينة المقدسة.

٩ — وعلى مقربة من المدينة يوجد موقع صهيون، حيث يقوم الآن دير إغريقي، وعلى جهة اليسار، على مقربة من جبل الزيتون هناك دير

للسريان، وفي الوادي فيما بين جبل الزيتون وجبل صهيون....، ومن الممكن للانسان أن يرى من على جبل الزيتون البحيرة التي تدعى باسم البحر الميت، حيث دفنت المدن الأربع، أي: سدوم، وعامورة، وبقيتهم، وتم ابتلاعها، ويدخل الأردن إلى البحيرة، وهناك يضيع.

١٠ — ويوجد في المدينة هناك دير لليعاقبة، حيث يوجد رأس القديس جيمس، وذراع القديس اسطفان، اللذان كانا أول الشهداء، ويمتلك اليعاقبة أيضاً كنيسة القديسة مريم المجدلية، حيث يعرضون هناك بعضاً من شعرها، وبالنسبة لكنيسة الضريح المقدس إن الباب الذي يطل على البيعة ملك للسريان، حيث يحتفظون بالصليب المقدس، وفي ذلك الباب بالذات وقفت القديسة مريم المصرية، ولم يكن بإمكانها الدخول إلا بعد توبة حقيقية.

٣ — حاج مجهول

(القرن الثاني عشر)

هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة

١ — يعبر الانسان البحر أولاً من ميناء برنديزي، وبرنديزي هي مدينة في مملكة أبوليا، وبعد سفر ثلاثة أيام، وثلاث ليال يصل الانسان إلى مدينة كلارنس Clarence التي تقوم في جزيرة رومانيا، ويوجد هناك خمر صافية ورائعة، وهضاب معشوشبة، ووفرة من الهواء العليل، ويوجد في تلك الجزيرة مائة وثلاث وعشرين مدينة جيدة، ونساء جميلات، ويرتحل الانسان من كلارنس مسافة مائة ميل في البحر إلى قلعة مدينة ثورون Thoron حيث هناك جزيرة جيدة، وكثيراً من البلدات، والحدائق.

٢ — ويمضي الانسان من ثورون بوساطة البحر إلى مدينة الخندق [في كريت]، التي هي جزيرة يمتلكها الاغريق، وهي تبعد عن ثورون مسافة ثلاثمائة ميل، ويوجد في هذه الجزيرة اثني عشرة مدينة رائعة، وكروم جيدة، وأشجار مثمرة تحمل صمغاً ثميناً، ومختلف أنواع الأعشاب الطبية، والعقاقير العطرية وكثيراً من الجواهر الثمينة، والثياب الفاخرة، ويسافر الانسان من الخندق بوساطة البحر مسافة ستمائة ميل إلى قبرص، التي هي مدينة فوق جبل مرتفع جداً، مع جزيرة صغيرة فيها تسع مدن، وكروم جيدة، ونباتات متنوعة، ويمضي الانسان من قبرص بوساطة البحر، ويسافر مسافة مائة ميل إلى ميناء مدينة بافا Baf-fa، التي تمتلك السلطة على أكثر من مائة واثنين عشرة جزيرة في البحر، ويوجد هناك كروم رائعة، وأعشاب عطرية، وأحجار ثمينة، ومختلف الأنواع من البضائع التجارية، والرجال الحرفيين البارعين

والنساء الجميلات، البارعات في شغل الابرّة، والتقيّات المخلصات جداً، وبشر في هذا المكان القديس مرقص الانجيلي، وعمل كثيراً من المعجزات، زد على هذا تستغرق الرحلة إلى بافا Bapha (كذا) إلى ليماتزو Lymatzu (ليماسول) مدة يومين برأ، التي هي مدينة مقر طائفة فرسان (الاستيارية) القديس يوحنا المعمدان (كذا والصحيح يوحنا المعطاء) وأيضاً مركزاً لفرسان الداوية (١)، وكذلك تستغرق الرحلة من ليماسول إلى فيماغوستا يوماً واحداً بالبحر، ويوجد هناك مركز طائفة فرسان القديس ألعازر، والروح القدس، ويذهب الانسان أيضاً من نيقوسيا، ويرتحل بحراً مسافة مائة ميل إلى مدينة قبرص، ويوجد في تلك الجزيرة مائة وثلاثين مدينة، مع قلاع جيدة، ونبذ حلو رائع، ورجال عليهم مسحة من الجمل والرشاقة، وهم أقوىاء ورجال شجعان، وهي مملكة عظيمة، وعلى درجة كبيرة من الثراء، وصنع هناك القديس باتريك Patrick كثيراً من المعجزات خلال حياته، وهناك مدفون أيضاً القديس يوحنا الذي ذهب مع المسيح إلى صلبه، ويذهب الانسان أيضاً من جزيرة قبرص إلى قلعة أساريموم Asar-imum (؟)، ويرتحل بوساطة البحر نحو مملكة أرمينيا، هذا ويبلغ محيط منطقة قبرص كلها ستائة ميل.

٣ — وإذا ما رغب الانسان بالسفر أبعد نحو مدينة القدس، عليه أن يغادر ميناء مدينة فاموم Phamum (فيماغوستا؟)، وأن يرحل بوساطة البحر مسافة ثلاثمائة ميل إلى مدينة يافا، فهناك بداية البلاد

١ — يفيد هذا أن هذه الرحلة قد كتبت بعد طرد الصليبيين من الأرض المقدسة، أو كما يرى بعض الكتاب، كان ذلك أيام رتشارد قلب الأسد، الذي احتل قبرص لدى قدومه للمشاركة في الحملة الثالثة، ذلك أنه باع هذه الجزيرة إلى طائفة فرسان الداوية، ثم أعاد بيعها إلى غي لوزغان، ملك القدس، الذي وقع بالأسر أيام حطين، ثم أطلق سراحه صلاح الدين، وحرره من الأسر.

الأساسية، أي أن تقول أرض الميعاد، ويسافر الانسان من يافا إلى القدس براً، فيمر بالرملة، التي تبعد مسافة اثني عشر ميلاً، وهي مدينة جميلة.

٤ — وكذلك إن المسافة من الرملة إلى القدس — المدينة المقدسة — هي ثمانية وثلاثين ميلاً، وذلك عبر البر، ويوجد في القدس ضريح المسيح، وهناك كنيسة عظيمة مستديرة، لها ثلاثة أبواب فائقة الجمال من الرخام، ويوجد في هذه الكنيسة الآن موضع الجمجمة، وهي صخرة عظيمة يبلغ طولها طول رجل، ويوجد في هذه الصخرة فتحة، قيل بأنها هي وسط الأرض، وفي هذه الفتحة كان صليب الرب قد وضع، وقد دفن المسيح بجوار الجمجمة، والصخرة التي وضعت على فم قبره هي صخرة كبيرة حمراء، ويوجد فوق ضريح الرب مصباح دائم الاشتعال والإضاءة، وهو مزين بشكل رائع، ويشتعل من قبل نفسه كل سنة في الساعة التاسعة من يوم الجمعة الحزينة، ويشتعل من قبل نفسه ثانية يوم عيد الفصح، في ساعة قيام المسيح، ويقال بأن هذا المصباح قد وضعه هناك، تشریفاً للضريح المقدس، كل من مرثاً مع أخيها العازر.

٥ — ومن القدس أيضاً مسافة سفر يوم واحد، أو أربعة أميال، إلى مدينة بيت لحم، وكان المسيح قد ولد في بيت لحم، لكن خارج المدينة، وقد بني في ذلك المكان كنيسة، جرى تكريسها للعدراء الرائعة، وهذه الكنيسة موجودة الآن داخل المدينة، ويوضع في هذه الكنيسة الذين تلبسهم الشيطان، وجميع الذين وقعوا مرضى، حيث يحظون بالشفاء أمام أعين الناس جميعاً، كما ويتم صنع عدد آخر من المعجزات هناك يومياً، فضلاً عن هذا، يحدث سنوياً في منتصف الليل، وفي الساعة التي ولد فيها المسيح، أن تقوم جميع الأشجار الموجودة حول مدينة بيت لحم ببطأطة أغصانها وانحنائها نحو الأرض باتجاه المكان الذي ولد فيه المسيح، وعندما تشرق الشمس تقوم برفعهم بشكل تدريجي، وتعيدهم

إلى وضعهم الطبيعي ثانية.

٦ — وكذلك تحتاج الرحلة من بيت لحم إلى نهر الأردن، إلى سفر يوم واحد، وذلك إلى حيث جرى تعميد المسيح من قبل يوحنا، وكذلك تستغرق الرحلة من الأردن ميلاً واحداً..... إلى جبل الزيتون، وبين جبل الزيتون وجبل صهيون، وادي شعفاط، وهو مكان فائق الجمال.

٧ — وكذلك تستغرق الرحلة من القدس إلى الناصرة مدة يومين، وفي الناصرة بشر الملاك جبرائيل العذراء مريم بالمسيح، ويوجد هنا أيضاً كنيسة جميلة تدعى كنيسة البشارة إلى مريم، مبنية هناك، وفيها جرى صنع عدد كبير من المعجزات، وما برحت هذه المعجزات تظهر هناك حتى في هذه الأيام.

٨ — ومثل هذا يوجد في وادي شعفاط كنيسة عظيمة بنيت من الحجارة، يوجد فيها ضريح المعبودة العذراء مريم، وكذلك مذبحاً عالياً، منحوتاً كله من صخرة واحدة، حيث يقال بأنه قد صنع بأيدي الملائكة، وفي تلك الكنيسة رائحة قديمة لا مثيل لها بالطيبة، علماً أنه ليس بإمكان جميع الرجال شمها، بل يستطيع ذلك فقط العذراوات المخلصات والتقيات، ولقد قيل يوجد في هذه الكنيسة غفران عظيم، يمنح لكل واحد مؤمن بالمسيحية، سوف يأتي إلى هناك أثناء حجه، وذلك في يوم عيد رفع العذراء الرائعة، على أن يكون قد اعترف وأعلن التوبة من جميع ذنوبه، يضاف إلى هذا هو سوف يحلل من ذنوبه ومن العقوبة التي يستحقها بسببها.

٩ — أيضاً تستغرق الرحلة من الناصرة إلى مدينة أريحا مدة خمسة أيام، وأريحا مكان جميل، فيه وفرة من الكروم، والتربة هناك خصبة، وهناك أعاد الرب البصر إلى عيني رجل أعمى كان يصرخ على جانب

الطريق، وبني على هذه البقعة كنيسة تدعى باسم كنيسة معجزات المسيح.

١٠ — وأيضاً تستغرق الرحلة من أريحا إلى مدينة السامرة أربعة أيام، وهناك يوجد جب يعقوب، وإلى جانب هذا الجب حدث أن عطش الرب وهو على طريقه، فطلب الماء من امرأة كانت مذنبة. وكذلك من السامرة...

٤ — حاج مجهول

(ليس أبكر من القرن الثاني عشر)

١ — يصل الانسان على الطريق الأقصر من فيماغوستا إلى الأرض المقدسة، في: اليوم الثالث إلى عكا، وإلى يافا في ثلاثة أيام وثلاث ليال، وتقع عكا في منطقة أدنى، ويذهب الانسان أول ما يذهب من قبرص عبر البحر إلى مدينة يافا، في خلال ثلاثة أيام وثلاث ليال، والمسافة من يافا إلى الرملة ثلاثة أميال ألمانية.

٢ — ويستغرق السفر أيضاً من الرملة إلى مدينة القدس المقدسة يوماً واحداً، وقد بنيت مدينة القدس فوق جبل صهيون، ويوجد في القدس الضريح المقدس للرب، كما ويوجد خارج المدينة ثلاثة أماكن، صلي فيهم المسيح للرب، وهناك مكان مرئي هناك، تحت جبل الزيتون نفسه، حيث جلس حواريوه وهم نائمين نوماً عميقاً، كما يمكن هناك رؤية المكان الذي اعتقل فيه المسيح داخل الحديقة، كما يمكن أن يرى هناك بيت حنة، الذي جلب إليه المسيح أولاً، وهو موجود داخل المدينة، كما يوجد هناك بيت كيفاس، كما وهناك أيضاً بيت بيلاطس، وكذلك بيت هيرود، وأيضاً هناك المكان الذي جرى فيه جلد الرب، وكذلك المكان الذي وجد فيه مجرمًا وحكم عليه بالاعدام، يضاف إلى هذا حمل الرب صليبه من خلال الباب الحديدي، عندما ذهب إلى موته، وهناك أيضاً المكان الذي قابلت فيه العذراء الأم ابنها، ولم تكد تعرفه بسبب الاعياء الشديد والاضطراب، ويوجد هناك الخمس عشرة درجة التي مضى عليها الرب إلى موضع الجمجمة، ويوجد هناك أيضاً المكان الذي صلب فيه، والمكان الذي ثبت فيه الصليب في الصخرة، كما وهناك المكان الذي مُدّد فيه الرب بعد إنزاله من على الصليب، وهناك أيضاً

المكان الذي لفت فيه الرب بقماش كتاني جيد، ومن ثم مدد في الضريح الأكثر قداسة، وهناك أيضاً المكان الذي ظهر فيه الرب أولاً إلى مريم المجدلية، وكان ذلك بعد قيامته، وهناك أيضاً المكان الذي وجدت فيه القديسة حنة (هيلانة) الصليب المقدس للرب، وأيضاً هناك المكان الذي مدد فيه صليب الرب، فوق رجل ميت فعاد إلى الحياة من جديد.

٣ — وهناك أيضاً المكان الذي ظهر فيه الرب لحوارييه، عندما كانوا جالسين فوق جبل صهيون في مكان منعزل والأبواب مغلقة عليهم، وكان ذلك بعد القيامة، ويوجد أيضاً فوق ذلك الجبل نفسه المكان الذي حدث فيه أن وضع توماس إصبعه على جنب المخلص، ويوجد على ذلك الجبل نفسه المكان الذي أرسل الرب فيه وأنزل الروح القدس على حوارييه، ويوجد أيضاً على ذلك الجبل نفسه المكان الذي تعشى فيه الرب مع حوارييه يوم خميس الغسل، وقد دفن على ذلك الجبل نفسه الملك داود، كما يوجد على ذلك الجبل نفسه بيت القديسة مريم، الذي عاشت فيه بعد قيامة ابنها المحبوب، وهناك أيضاً المكان الذي مرضت فيه تلك العذراء الممجدة نفسها وماتت.

٤ — ويوجد هناك أيضاً بيت القديسة حنة أم (جدة) الرب حيث هناك حملت بالعذراء الرائعة، وهناك أيضاً بيت سمعان المجذوم، حيث غفر لمريم المجدلية ذنوبها الكثيرة، وأيضاً هناك التماثيل الأربعة التي تعرقت دماً، وما زالت تفعل ذلك حتى هذا اليوم، وذلك تعاطفاً مع الرب، وأيضاً دخل الرب إلى المدينة يوم أحد السعف من خلال الباب الذهبي.

٥ — وهناك أيضاً خارج المدينة وادي شعفاط، حيث يوجد فيه ضريح مريم العذراء، وهناك أيضاً بركة سليمان، التي استحجم فيها الرجل الذي ولد أعمى، وهو الذي رد الرب البصر إليه، كذلك يوجد في داخل المدينة هيكل سليمان، وبركة الضأن، كما أنه يوجد خارج

المدينة حقل الفاخوري، أي حقل الدم.

٦ — كذلك ظهر الرب على جبل الزيتون لحوارييه، بعد قيامته، وأيضاً صعد الرب من على ذلك الجبل نفسه إلى السماء، ويوجد كذلك في ذلك المكان نفسه ضريح القديسة مريم المصرية.

٧ — وهناك أيضاً يافا، التي ولد فيها كل من الرسولين المقدسين: جيمس، ويوحنا الانجيلي، وهي تبعد مسافة رحلة يومين عن القدس، باتجاه الشمال.

٨ — وهناك أيضاً جبل القرنطل، حيث صام الرب، وحاول الشيطان إغواءه، وهو يبعد عن القدس مسافة خمسة أميال ألمانية وافية، ويوجد في ذلك المكان نفسه أيضاً، حديقة إبراهيم، وذلك حيث دفن هذا النبي المقدس، وهناك نهر الأردن حيث جرى تعميد الرب فيه، وهو على بعد حوالي الاثني عشر ميلاً ألمانياً عن القدس.

٩ — وهناك أيضاً الناصرة، التي جرى التبشير بالرب فيها، وفيها تمّ الحمل به، وهي تبعد حوالي سفر ثلاثة أيام عن القدس، وهناك أيضاً عكا، حيث يوجد حقل الرب، وهي تبعد عن القدس مسافة رحلة ثلاثة أيام، وذلك على الطريق نفسه إلى الناصرة.

١٠ — وهناك أيضاً وادي الخليل، حيث يقال بأن آدم دفن فيه... على ميل واحد عن القدس، والخليل أبعد بأربعة أميال.

١١ — وهناك أيضاً بيت عنيا، حيث أقام الرب ألعازر من الموت، وهي على مسافة خمس عشرة غلوة عن القدس، وعلى بعد رمية حجر من أمام واجهة قلعة بيت عنيا، يوجد المكان الذي التقت فيه مرثا ومريم بالرب، لترجوانه لإقامة ألعازر من الموت، ويوجد في بيت لحم (بيت عنيا) بيت سمعان، الذي دعا إليه الرب، وهناك أيضاً البيت، الذي جرى استضافة الرب به، وعمل هذا البيت كنيسة تشریفاً

للأختين، وهناك أيضاً ليس بعيداً عن ذلك البيت نفسه تقوم بيعة مبنية من الرخام، فوق البقعة التي قام العازر فيها.

١٢ — وقد رأينا الممر المنحدر من جبل الزيتون حيث صرخ أطفال العبرانيين وهتفوا إلى الرب قائلين: «المجد في الأعالي»، وحيث بكى الرب على المدينة، ويذهب الانسان من هناك ويسير بين مكان صلاة يسوع، والمكان الذي اسمه جيسماني، حيث جرى اعتقاله، وأخذه إلى الجلجلة.

١٣ — ويحمي وادي شعفاط، الذي يوجد فيه ضريح سيدتنا، المدينة من جانب واحد، ويوجد في ذلك المكان الآن كنيسة، غير أنها قائمة على عمق ستين درجة تحت الأرض، وهناك بيعة الضريح، وذلك أمام حجر المذبح، وتحت هذه البيعة، يوجد نهر قدرون الصغير، وهي كنيسة رطبة، وليس بعيداً عن هناك، على بعد خمسين قدماً من باب تلك البيعة، يوجد باب كنيسة أخرى، تدعى جيسماني.

١٤ — وعند سفح جبل صهيون هناك نبع سليمان، يليه بركة استحمام سليمان، وعلى رمية حجر من هذين الموضعين هناك حقل الدم، وهو مقبرة الغرباء، التي يوجد فيها كثيراً من القبور المشهورة، وهناك جرى دفن اشعيا، وكان قد شطر إلى نصفين قرب نبع سليمان، ويقوم ضريحه على مسافة أبعد قليلاً من رمية حجر من نبع سليمان هذا.

١٥ — وكنيسة الضريح المقدس، ولها التفوق والمكانة السامية، قطرها أربعة وسبعين قدماً بين الأعمدة، دون أن نحسب التواءات التي طولها اثنتان وثلاثين قدماً على طول الدائرة، وقائمة خلف الجدار الخارجي للكنيسة، ويوجد فوق ضريح الرب، القائم في منتصف الكنيسة، فتحة مستديرة، والضريح مغلف من كل مكان في الخارج بالرخام، لكنه من الداخل صخرة عارية، مثلما كانت أيام محنة الآلام.

ويدخل الانسان إلى الضريح من خلال باب منخفض وصغير، موجود على الجانب الشرقي، والقبر موجود في الضريح على جهة اليمين بالنسبة إلى الانسان لدى دخوله، وذلك في مواجهة الجدار، وهو معمول من الرخام الرمادي، وطوله ثمانية أقدام، وهو مغلق من جميع الجوانب، ولا يمكن لضوء النهار أن يدخل إليه، لأنه لا يوجد فيه نافذة، لكن هناك فيه تسعة مصابيح معلقة، وهي تتولى إضاءة الضريح، وهناك كهف آخر، قبل أن يأتي الانسان إلى كهف الرب، وله الطول نفسه والعرض، والترتيبات نفسها في الداخل وفي الخارج، وعندما يخرج الانسان من هذين الكهفين، يبدو أن له من الخارج، وكأنهما كهف واحد، لكن عندما تدخل ترى أنهما منفصلان أحدهما عن الآخر، بوساطة جدار، ويدخل الانسان في البداية إلى الأول، ثم يدخل إلى الآخر الذي هو الضريح، وإلى الكهف الخارجي دخلت النسوة، عندما قلن: «من يدحرج الصخرة ويزيحها لنا»، وهذا ما حدث، ودحرجت هذه الصخرة وأزيحت حتى باب الكهف الداخلي، وإلى هذا اليوم جزء كبير منها ممدد أمام الباب نفسه، وحمل الجزء الآخر إلى جبل صهيون ليكون مذبحاً، ويبعد جبل الجمجمة مائة وثمانية أقدام من الضريح، ومكان الصليب عبارة عن فتحة عمقها شبرين، وعرضها الشيء نفسه، ويمكن أن تستوعب رأس إنسان.

ه(١) حاج مجهول

(ووفقاً لـ و.نيومان W.Neumann الرحلة المعروضة في ه(١) وه(٢) هي أقدم من سنة ١١٨٧، ولكن الكتاب لم يكتب قبل سنة ١١٩٨، أو قبل بداية القرن الثالث عشر، أي أبكر قليلاً من ثيتمار (Theletmar).

١ — ذهبت من عكا إلى حيفا، القائمة عند سفح جبل الكرمل، حيث عاش النبي إيليا، ومضيت من هناك إلى قيسارية، ومن ثم إلى أرسوف، ومن هناك إلى يافا، ومنها إلى الرملة، ومن هناك إلى بيت نوبة، ومنها إلى القدس، حيث يدخلها الانسان من باب اسطفان، حيث جرى رجه بالحجارة.

٢ — ويدخل الانسان من هناك إلى ضريح الرب، حيث هناك دائرة، قال الرب عنها بأنها وسط العالم، ويقع على يمين السدة جبل أكر (الجمجمة) حيث تألم الرب وعانى فوق الصليب، ودون ذلك الجلجلة، حيث شق دم الرب الصخرة، وسقط فوق رأس آدم، وقيل موقع الجلجلة كان ملوك القدس قد دفنوا، وخلف (قبر) المذبح العالي هناك عمود ربط إليه الرب، وجلد، وإلى جوار ذلك، بعد أن ينزل الانسان أربعين درجة، هناك المكان الذي وجدت فيه القديسة حنة (هيلانة) الصليب المقدس، وعلى جهة اليمين من السدة هناك سجن الرب وسلسلته، وعند المدخل إلى الضريح المقدس، وبعد النزول أربعين درجة، هناك بيعة للاغريق، فيها تمثال لمريم العذراء المباركة، وهو الذي تكلم مع القديسة مريم المصرية، وحوّلها إلى المسيحية، وعلى مقربة من ذلك المكان هناك طريقاً واحداً إلى بيعة السجن المقدس، وفوق هناك، في مقابل الضريح المقدس، في جهة الجنوب، هناك مشفى القديس

يوحنا، وإلى جانبه من جهة اليمين، هناك دير للراهبات. ويجوار هذا هناك دير آخر، يدعى دير القديسة مريم للاتين: ففي هذا المكان مزقت مريم المباركة مع المريميتين الأخرتين شعورهن، عندما كان الرب يموت فوق الصليب.

٣ — وعلى رميتي سهم من هذا المكان، هناك هيكل الرب، الذي يمتلك أربعة مداخل، واثنين وعشرين باباً، وفي وسط هذا المعبد هناك صخرة عظيمة مقدسة، فهناك جرى تقديمه (في الهيكل)، وهنا من الممكن رؤية آثار طبعات قدم يعقوب، وهنا رأى يعقوب الملائكة يصعدون وينزلون، وهنا قدم إبراهيم أضحية إلى الرب عن ابنه اسحق، وتحت الصخرة المكان الذي يدعى باسم قدس الأقداس، حيث كتب الرب باصبعه فوق الأرض، وحيث غفر للمرأة ذنوبها، وهي التي اعتقلت لممارستها البغاء، ويوجد على جهة اليمين المكان الذي ظهر فيه الملاك للنبي زكريا، ويدعى الباب الذي يطل نحو الغرب باسم الباب الجميل، والذي يطل نحو الشرق باسم باب الفردوس، وهو الذي تكلم النبي عنه بقوله: «رأيت ماء» [حزقيال: ٤٧ / ١]. الخ.

٤ — وعلى الطريق خروجاً، من قرب الساحة الداخلية للهيكل، توجد بركة الضأن، التي نزل إلى مائها ملاك الرب عدة مرات، وعلى مقربة من هذا المكان توجد كنيسة القديسة حنة وضريحها، وبركة ضأن ثانية، وفي طريق صعود الانسان نحو الضريح هناك قاعة قضاء بيلاطس التي وقفت في مقابلها العذراء المباركة، في مكان خفي في الشارع، وقفت تبكي، وهي تنظر ما الذي سيحصل لابنها.

٥ — وفي عودة نحو الهيكل، فإن الباب الذي يطل نحو الشرق، يدعى باب القدس، وعلى طول هذا الممر من الممكن رؤية طبعات حافر الأتان التي امتطأها الرب، ودون ذلك هناك الأبواب الذهبية، ويوجد أمام هيكل الرب، من جهة الجنوب هيكل سليمان، وهناك عند زاوية

المدينة عمود الرب، وحمّامه.

٦ — ويوجد على مقربة من برج داود بيعة هي ملك للاغريق، حيث تضم آثار القديسين: يوحنا كريسوستوم Chrysostom ، وديمترىوس، ومارتن، وإلى جوار هذه البيعة بيعة هي ملك للأرمن، حيث جرى قطع رأس القديس جيمس بن زبدي.

٧ — ومن هناك يتخذ الانسان طريقه إلى جبل صهيون، ففي الكنيسة الموجودة في هذا المكان انتقلت العذراء المباركة من هذا العالم، وهناك بيعة فوق المكان الذي حكم فيه على الرب، وجلد، وتوج بتاج من شوك، وكان هذا فيما مضى بيت كيفاس وقاعة القضاء، وفوق الكنيسة العظمى العائدة لجبل صهيون هناك بيعة الروح القدس، التي نزلت على الحواريين في يوم عيد الحصاد، ويقوم المذبح فوق البقعة التي تعشى الرب فيها مع حواريه، وفي الأسفل يوجد المكان الذي غسل الرب فيه أقدام حواريه، وإلى هذا المكان قدم الرب إلى حواريه، بينما كانوا جالسين داخل باب مغلق عليهم، وقال لهم «سلام لكم».

٨ — ويوجد في الوادي عند سفح جبل صهيون بيعة تعرف باسم «الجليلية» وهي قائمة فوق المكان الذي كان القديس بطرس فيه عندما صاح الديك، وبجوارها هناك بركة استحمام سليمان، حيث أعاد الرب البصر إلى رجل كان أعمى منذ ولادته، وفي هذا المكان جرى دفن النبي إشعيا، وخلف بركة استحمام سليمان يوجد حقل الدم، وهو مكان دفن الغرباء.

٩ — ويجري دون الباب الذهبي نهر قدرون الصغير، حيث التقط داود خمس حجرات، وقتل جالوت بهن، وعلى مقربة منه مكان شعفاط وضريح مريم العذراء المباركة، الذي رفعت منه إلى السماء، وعلى مقربة من هذا المكان توجد جيساني، حيث جرى اعتقال الرب، وهناك

يمكن رؤية آثار أصابعه فوق الجدار، وعلى بعد رمية حجر تقوم كنيسة المخلص، حيث صلى لأبيه، وكان عرقه يتصبب مثل... وفي أسفل وهو حاد... دفن الملك شعفاط، ولهذا دعي المكان باسم وادي شعفاط، ويقوم إلى جانب هذا الوادي جبل الزيتون، الذي صعد الرب منه إلى السماء، وهناك صخرة من الممكن أن يرى عليها آثار قدميه حتى هذا اليوم، وعلى مقربة منها بيعة للاغريق فيها يستريح جسد القديسة بيليجيا، وهناك أيضاً بيعة أخرى قائمة فوق المكان الذي أدى الرب فيه الصلاة الربانية.

١٠ — وهناك مسافة ميل واحد من جبل الزيتون إلى بيت عنيا، حيث أقام الرب العازر من الموت، وغفر لمريم ذنوبها، ومن هناك مسافة اثني عشر ميلاً إلى القرنفل، حيث صام الرب لمدة أربعين يوماً وأغوي من قبل الشيطان، وعند سفح الجبل توجد حديقة إبراهيم، وتقوم هذه قرب أريحا، التي تبعد أربعة أميال عن نهر الأردن، ومن هناك إلى سيناء رحلة تستغرق سفر ثمانية أيام.

١١ — ويقوم دير القديس إلياس على بعد ميلين إلى الجنوب من القدس، وعلى مقربة منه يقوم «حقل الزهور»، وهناك إلى جانب الطريق قبر راحيل، وعلى بعد ميل واحد من ذلك المكان توجد بيت لحم، وعلى جهة اليمين من السدة هناك بئر، يحكى بأن نجماً قد سقط فيه، وعلى جهة اليسار هناك [قبور] الأبرياء المقدسين، وتحت الحرم الداخلي، يوجد ضريح القديس جيروم، والمسافة من هناك إلى المكان الذي أقام فيه الرعاة خلال الليل، مسافة ميلين، وحيث الملائكة غنت «المجد للرب في الأعالي»، والمسافة اثني عشر ميلاً من بيت لحم إلى موضع القديس إبراهيم (الخليل)، فهناك صنع الرب آدم، وبكى آدم على ابنه هابيل لمدة مائة سنة، وهناك أيضاً مدفن أجساد البطارقة المقدسين، والمسافة هي ميل واحد فيما بين القدس وبين المكان الذي نمت فيه [شجرة] الصليب

المقدس، والمسافة من القدس إلى عمواس ستة أميال.

١٢ — المسافة أربعة وعشرين ميلاً من القدس إلى السامرة، التي تعرف الآن باسم نابلس، وفي هذا المكان يوجد جب يعقوب، حيث تحدث الرب مع المرأة، وبعد أربعة أميال من هناك يصل الانسان إلى سبسطية، وهو المكان الذي أعدم فيه يوحنا المعمدان وقطع رأسه، ومن هذا الموقع إلى جبل الطور المسافة ثلاثة وعشرين ميلاً، والمسافة من هناك إلى الناصرة ستة أميال، والمسافة من الناصرة إلى الصفورية تساوي ميلاً واحداً، وهناك ولدت القديسة حنة، ومن هناك مسافة ستة أميال إلى قانا الجليل، حيث حول الرب الماء إلى نبيذ، ومن الصفورية المسافة ستة أميال إلى شفا عمرو، حيث ولد القديس يوحنا، والقديس جيمس ابنا زبدي، والمسافة من عكا إلى طرطوس تستغرق رحلة ستة أيام، حيث بنى الخواريون بيعة على شرف العذراء المباركة.

٥(٢) حاج مجهول

(قبل سنة ١١٨٧)

١ — تقوم منطقة القدس في وسط الأرض، وهي منطقة جبلية بشكل رئيسي، ومع ذلك هي ليست جرداء بدون نتاج، ويحدها من الشرق العربية، ومن الجنوب مصر، أما من الغرب فيحدها البحر الكبير، ويحدها في الشمال سورية وبحر قبرص، وقد كانت هذه المنطقة منذ أقدم العصور أرض عموم آباء جميع الأمم، وهي تشهد قدوم الناس إلى هناك للعبادة في الأماكن المقدسة من كل جزء من أجزاء العالم، وذلك حسبما نقرأ في أعمال الرسل حول إرسال الروح القدس، لشعوب من «فرثيين، وميديين، وعيلاميين» الخ، غير أن الناس يسكنون الآن فيها، ويمتلكون بيوتاً وأماكن للعبادة فيها.

٢ — وبعض هؤلاء مسيحيين، وبعضهم ليسوا كذلك، وهناك

أجناس من مختلف الشعوب المسيحية، وهم منقسمون إلى طوائف متنوعة، ويتصدر هؤلاء الفرنجة، الذين يصح أكثر دعوتهم باللاتين، وهم رجال حرب، ممارسون لأعمال القتال، وهم عراة الرؤوس، ووحدهم من بين جميع الشعوب هناك، هم الذين يخلقون لحاهم، وهم يدعون جميعاً باسم اللاتين، لأنهم يستخدمون اللسان اللاتيني، وهم جميعاً كاثوليك بلا استثناء.

٣ - وآخرون هم من الاغريق (الروم الأرثوذكس)، الذين هم منفصلون عن روما، وهم بارعون جداً، وليسوا ماهرين كثيراً في استخدام السلاح، وهم مذنبون بالابتعاد عن الايمان الحقيقي، وعن قواعده وأركانه، لاسيما وأنهم يقولون بأن الروح القدس ليس من الأب والابن، بل من الأب وحده، وهم يستخدمون الخبز المخمر في القربان المقدس، وهم أيضاً مذنبون في كثير آخر من المسائل، ولهم ألفبائية خاصة بهم.

٤ - وآخرون هم السريان، وهؤلاء بلا فائدة في الحرب، ولا يدعون في معظم الحالات لحاهم تطول مثلما يفعل الاغريق، بل يتولون قصها بعض الشيء، وهم لا يمارسون الطقوس اللااتينية ولا الاغريقية، وهم موجودون في كل مكان، يدفعون الجزية إلى الأمم الأخرى، وبالنسبة لإيمانهم ولقداساتهم يتوافقون في جميع المجالات مع الاغريق، وهم يستخدمون الأبجدية العربية، وهم في جميع المسائل الروحية والدينية مثلهم مثل الاغريق.

٥ - والآخرون هم الأرمن، وهم يمتلكون بعض البراعة في استخدام السلاح، ويختلفون في كثير من المجالات عن اللاتين والياغريق، وهم يصومون مدة أربعين يوماً، في أيام ميلاد المسيح، وهم يحتفلون بعيد ميلاد المسيح في يوم التجلي (٦ - كانون ثاني)، ويعملون أشياء كثيرة أخرى مضادة لأحكام الكنيسة، وهم يمتلكون

لغة خاصة بهم، وهناك كراهية لا يمكن إزالتها بينهم وبين الاغريق، وقد وعدوا مؤخراً بتقديم الطاعة لكنيسة روما، بسبب أن ملكهم قد تسلم التاج من يدي رئيس أساقفة مينز Mainz ، نائب الكرسي المقدس.

٦ — وآخرون هم من الكرج (الجورجيون)، وهم يعبدون القديس جورج وفق طقوس مهينة، وهم يدعون شعورهم وشعور لحاهم دونما حلاقة، ويلبسون قبعات ارتفاع كل منها ذراع، وهم جميعاً من رجال دين وعلمانيين يتركون قسماً حليقاً من رؤوسهم، أما لدى رجال الدين فشكل هذا القسم دائري، أما لدى ما سواهم من العلمانيين فالشكل مربع، وهم يستخدمون الخبز المخمر في القداسات، ويقلدون الاغريق في جميع المجالات تقريباً، لكنهم يمتلكون أبجديتهم الخاصة.

٧ — وآخرون هم اليعاقبة، الذين تولى تضليلهم واحد اسمه جيمس، وأخذهم إلى الهرطقة النسطورية، وهم يذنبون كثيراً، ويستخدمون الأبجدية الكلدانية (السريانية).

٨ — وآخرون هم النساطرة الذين هم هراطقة في إيمانهم، ذلك أنهم يقولون بأن مريم المباركة كانت مجرد أم إنسان، ويذنبون في كثير من المسائل الأخرى، ويستخدمون الأبجدية الكلدانية (السريانية).

٩ — فضلاً عن هذا، اللاتين منقسمون إلى عدة أمم، منها: الألمان، والاسبان، والغاليين، والطيالان، والأمم الأخرى التي أنجبتها أوروبا، وثلاثة من الشعوب الإيطالية هي قوية وفعالة بشكل خاص ومفيدة في بلاد القدس، وهم: الجنويون، والبنادقة، والبيازنة، وهم بارعون في استخدام السلاح متفوقون في البحر، ويمارسون كل نوع من أنواع القتال، وبارعون في فن التجارة، وهم جميعاً يمارسون شرائع خاصة بهم يطبقوها على أنفسهم، غير أنهم فيما بينهم يغارون من

بعضهم بعضاً ويتخاصمون بشدة، إلى حد أن المسلم أسلم لديهم أكثر من سلامة أحدهم لدى الآخر، أو معه.

١٠ — ويوجد في هذه البلاد بيتان دينيان، ونعني بذلك: الداوية والاسبتارية، وهما يمتلكان أموالاً وثرواتاً هائلة جداً، لأن لديهما ممتلكات يحصلان منها على موارد مالية في كل جزء من أجزاء أوربا، ولدى الذهاب إلى الحرب، يقاتل الداوية في الجناح الأيمن، ويقا تل الاسبتارية في الجناح الأيسر.

١١ — والداوية هم الأفضل بين جميع الجنود والأكثر روعة، ويرتدون أردية بيضاء وصلبان حمراء، وعندما يذهبون إلى الحرب، يحملون فوق رؤوسهم راية ذات لونين اسمها بالزوس Balzaus، ويلتزمون الصمت أثناء زحفهم، وحملتهم الأولى هي الأكثر إرعاباً وفتكاً، وهم لدى الهجوم الأوائل، ولدى الرجوع الأواخر، وهم ينتظرون أوامر مقدمهم ويتقيدون بها، وعندما يرون من الموائم الحملة، ويصدق البوق، ينشدون معاً مزمور داود الذي يقول: «ليس لنا يا رب» [المزمور: ١١٥] ويعملون بإصرار على سفك دماء الأعداء وقطع رقابهم، إلا إذا أرغموا عساكر الأعداء على الانسحاب جميعاً، أو تمكنوا من تمزيقهم إرباً إرباً، وإذا حدث وأدار أي واحد منهم ظهره للعدو، أو عاد حياً من هزيمة من الهزائم، أو شهر سلاحه ضد المسيحيين، فإنه يتعرض إلى عقوبة شديدة: حيث ينتزع منه الرداء الأبيض مع الصليب الأحمر، اللذان هما علامة فروسيته، وحين ينتزعان منه يكون ذلك بشكل مهين، ويطرد من طائفته، ويتناول طعامه على الأرض، دون صدرية أو منديل مائدة، ويكون ذلك لمدة سنة، وإذا ما حاولت الكلاب إزعاجه أو مضايقته، هو لا يتجرأ على طردها أو إبعادها، ومع إنتهاء السنة إذا ما رأى المقدم وأخوانه بأن عقوبته باتت كافية، يردون إليه نطاق فروسيته السابقة، ويعيش هؤلاء الداوية في ظل نظام ديني

دقيق، يطيعونه بكل تواضع، وبما أن ما من واحد منهم يمتلك ممتلكات خاصة، تراهم يأكلون أقل الطعام وأخشنه، ويلبسون الملابس الرديئة، ويسكنون في الخيم.

١٢ — ويحمل الاستارية صليباً أبيض فوق أرديتهم، وهم فرسان جيدون، ويقومون بالاضافة إلى أعمالهم في ميادين القتال بالعناية بالمرضى والمحتاجين، وهم يعيشون تحت قانون ونظام خاص بهم.

١٣ — فضلاً عن هذا، تمتلك بلاد القدس، بطريكاً خاصاً بها، مسؤول عن الايمان وعن المسيحيين، وهو نائب يسوع المسيح، ولديه أربعة رؤساء أساقفة: واحد في مقاطعة Pale- Tine ، والمعني بهذا رئيس أساقفة قيسارية، وآخر في مقاطعة فينيقية، أي رئيس أساقفة صور، والثالث في مقاطعة الجليل، والمقصود بذلك رئيس أساقفة الناصرة، وأما الرابع ففي مقاطعة مآب، أي رئيس أساقفة البتراء، يعني الكرك، ولرئيس أساقفة قيسارية أسقف مساعد واحد، والمعني بذلك أسقف سبسطية، وهو المكان الذي عاش فيه كل من يوحنا المعمدان، وإيليا، ودفن فيه النبي عوبيديا، أما رئيس أساقفة صور فلهذه أربعة أساقفة مساعدين هم: أسقف عكا، وأسقف صيدا، وأسقف بيروت، وأسقف بانياس، التي هي قيسارية فيليب، ولرئيس أساقفة الناصرة أسقف مساعد واحد، هو أسقف طبرية، في حين ليس لرئيس أساقفة البتراء أسقف لاتيني مساعد، بل واحد اغريقي فوق جبل سيناء.

١٤ — ويمتلك البطريرك تحت رئاسته المباشرة أساقفة: بيت لحم، واللد، والخليل، حيث جرى دفن آدم وحواء والآباء (البطارقة) الثلاثة.

١٥ — وفي كنيسة الضريح المقدس للرب هناك كهنة أوستنيين Austin، ولهم مقدمهم، غير أنهم قد تعهدوا بالطاعة للبطريرك وحده، ويوجد في هيكل الرب راعي دير وكهنة نظاميون يخضعون

لنظام القديس أوستن، وينبغي ان نعرف الآن أن هيكل الرب شيء، وهيكـل فرسان الداوية شيء آخر، فالهيكل الأول هيكل رجال دين، والهيكل الثاني هيكل عساكر، ويوجد في كنيسة جبل صهيون راعي دير، وكهنة نظاميون، وكذلك يوجد في كنيسة جبل الزيتون هناك راعي دير وكهنة نظاميون، ويوجد في كنيسة وادي شعفاط راعي دير، ورهبان سود، ويعاون جميع الذين تقدم ذكرهم مع الأساقفة البطريرك في القدا سات.

١٦- فضلاً على ما تقدم هناك المدن التالية، التي ليس فيها أساقفة: عسقلان، الخاضعة إلى أسقف بيت لحم، ويافا، الخاضعة إلى كهنة الضريح المقدس، ونابلس الخاضعة لراعي دير الهيكل، وحيفا التي هي خاضعة لرئيس أساقفة قيسارية.

١٧- وفي جميع الأحوال، إن بلاد القدس كلها مقدسة ومبجلة، ذلك أنها شهدت الأنبياء، والرسـل، كما شهدت الرب يمـشي فيها، ومع ذلك هناك بقاع خاصة يتعبد بها الناس ويجـلونـها أكثر من سواها ويحيطونها بقدسية متميزة، ولـسوف نأتي على ذكرها، وتبيان أسماؤها وفضائلها:

١٨- وفي الناصرة، ولدت العذراء الأم المباركة، وفيها تماشياً مع رسالة الملاك، جرى الحمل برحمها بابن العلي الأعلى، وكذلك نشأ وتربى حتى بلغ مبلغ الرجال؛ وبيت لحم هي المكان الذي ولد فيها خبز السماء، وإليها جلب الحكماء - وقد قادهم النجم - الهدايا، وهي أيضاً حيث دفن جيروم، الذي تولى ترجمة الكتاب المقدس إلى اللاتينية، والأردن، هو النهر الذي تعمد فيه المخلص، وبتعمده فيه أرسى قواعد الخلاص البشري، وحيث رؤي فيه الروح القدس على شكل طائر حمام، وحيث سمع صوت الأب، وهناك مكان الصوم الذي يدعى القرنطل، فهناك صام المسيح لمدة أربعين يوماً، وبذلك أرسى شريعة القيام

بالصوم الكبير، وحيث أيضاً أغوي من قبل الشيطان، أما بحيرة جنسارث، فهي الموقع الذي مشى كثيراً على شواطئه، وصنع كثيراً من المعجزات، واستدعى حواريه، وبالنسبة لجبل الطور، فهو حيث تحول شكله أمام حواريه وبحضورهم، وحيث ظهر له موسى وإلياس.

١٩ - ويوجد في القدس الكثير من الأماكن المبجلة، مثل هيكل الرب، حيث جرى تقديمه، ومن حيث طرد الذين كانوا يتباعون ويشترون، وهو المكان الذي جرى رمي جيمس أخو الرب من أعلاه نحو الأسفل، وجبل صهيون هو المكان الذي تعشى فيه الرب مع حواريه، وقرر فيه شريعة العهد الجديد، وهنا ظهر الروح القدس بشكل مرئي فوق الحواريين، ومن هنا أيضاً عبرت العذراء المباركة من هذا العالم، والجمجمة (أكرا) هي الموقع الذي تألم الرب فيه من أجل خلاصنا، ومات فوق الصليب، أما الضريح المقدس، فهو الموضع الذي جرى تمديد جسده فيه، ومنه قام مجدداً، وعلى جبل الزيتون جرى الترحيب به والتأهيل من قبل الأطفال، أثناء ركوبه على ظهر أتان، ومن عليه جرى صعوده إلى السماء بشكل إعجازي، وببيت عنيا هو الموضع الذي أقام فيه ألعازر من الموت، وعند سلوان رد البصر إلى الرجل الذي ولد أعمى، ووادي شعفاط هو المكان الذي يعرف باسم جيسماني، فهناك جرى اعتقاله من قبل اليهود، وهناك أيضاً جرى دفن العذراء المباركة، وكنيسة اسطفان هي حيث جرى رجه، وإذا ما نظرنا إلى كتابات العهدين القديم والجديد، لم يرد فيهما من البداية ذكر أي وادي، وأي نهر، وأية بحيرة، إلا وشهد ذلك المكان صنع معجزة من المعجزات من قبل واحد من الأنبياء، أو الرسل، وطبعاً من قبل المسيح نفسه، وجب يعقوب موجود في بلاد السامرة، وهو الذي يتغير لونه أربع مرات في السنة، حيث يكون موحلاً، ثم أحمر مثل الدم، ثم أخضر، وأخيراً شفافاً نقياً، ولايجري نبع سلوان، الموجود قرب جبل صهيون،

كل يوم، بل فقط ثلاثة أيام في الاسبوع، ويوجد في بلاد القدس بحيرة الشيطان على الحدود بين العربية وفلسطين، حيث كان فيما مضى خمس مدن، جرى ابتلاعها بسبب ذنوب سكانها، ولا يمكن لأي كائن حي أن يغرق في هذه البحيرة، وعندما سمع فسبسيان بهذا، أمر أن يرمي فيها سبعة رجال لا يحسنون السباحة وقد قيدت أيديهم وأقدامهم، وقد مكثوا هناك ثلاثة أيام ولم يموتوا، وهناك حول البحيرة بعض الأشجار التي تحمل فواكه جميلة جداً، وهذه الفواكه تغرق، إنها تغرق فور قطفك لها، وهي تغرق، وتتحول فوراً إلى رماد.

٢٠- وهذه هي الجبال الرئيسية في بلاد القدس: لبنان، والطور، وحرمون، وجلبوع، والكرمل، وجبال لبنان مرتفعة جداً، وتفصل سورية عن فينيقيا، وفيها أشجار طويلة جداً، ومع ذلك لا يوجد الكثير منها كما كان في القديم، وبالنسبة لجبل جلبوع، ليس صحيحاً، كما يحكى عبثاً لنا بعضهم، بأن المطر لا ينزل عليه مطلقاً، بسبب لعنة داود.

٢١- وتحتوي هذه البلاد نفسها على عدد من الحيوانات الضارية، فهناك: الأسود، والفهود، وهناك حيوان ضار جداً يدعى النمر الأبيض، لا يمكن لأحد أن ينجو سليماً من غضبه، وهم يقولون بأنه حتى الأسد يخاف منه، وهناك أيضاً السعادين، التي يسمونها الكلاب المتوحشة، وهي أحد من الذئاب، وهناك أيضاً الجمال والجواميس بكثرة.

٢٢ - وهناك أشجار فائقة الجمال، من كل نوع، وهي تنمو فوق الأرض: فهناك أشجار النخيل بثمارها، والأشجار التي تدعى أشجار الفردوس، والتي لها أوراق طول كل منها أكثر من ذراعين، وعرضها نصف ذراع، وشكل ثمارها مستطيل، وينمو مائة منها على غصن واحد، أحدها يلامس الآخر، ومذاقها مثل مذاق العسل، وهناك أيضاً أشجار الليمون، التي طعم ثمارها حامض، وهناك أشجار أخرى تحمل فواكه اسمها تفاح آدم، حيث من الممكن أن يرى عليها علامات أسنان

آدم بوضوح، وهناك أيضاً قصب السكر، ونباتات تزرع مثل زراعة القمح، ومنها يجري جمع القطن، وفي القديم لم يكن هناك بلسم في العالم كله إلا في بلاد القدس، وبلاد أريحا، وجاء المصريون فيما بعد إلى هناك، وأخذوا هذا النبات إلى مصر، وزرعوه في مدينتهم باب اليون (مكان القاهرة)، حيث هناك المكان الوحيد الذي يوجد فيه البلسم، وليس هناك شيء مثير في هذه الأشجار، إلا إذا ما زرعوا من قبل إنسان غير مسيحي، لا يحملون الثمار، ويحكم عليهم بالعقم الأبدي، وهناك أيضاً أشجار الأرز، التي تحمل ثماراً خضراء كبيرة مثل رأس الإنسان، وهي مستطيلة بعض الشيء، ولهذه الثمرة ثلاثة مذاقات هي: أولها في اللحاء حيث الطعم مرّ، وثانيها تحت اللحاء في اللب حيث الطعم لا شيء، وثالثها في النوى، وهنا الطعم حامض، وعليك أن تعرف أن أرز لبنان عبارة عن أشجار عالية جداً، وهي لا تحمل ثماراً، غير أن أشجار الشواطئ الساحلية هي أصغر وتحمل ثماراً، وهناك أيضاً نوع من أنواع شجر التين، مما لا يحمل ثماره بين أوراقه بل على الجذع وحده.

٢٣ — ولقد تغيرت أسماء المدن والأماكن بشكل تدريجي بسبب تغير الأمم، التي سكنت في أوقات مختلفة في البلاد: فقد كانت القدس تعرف أولاً باسم «بيوس»، وبعد ذلك باسم «سالم» ومن هناك باتت تعرف باسم «أورشليم»، وبعد ذلك باسم «أورشليما»، ودعيت بعد هذا باسم «إيليا» اشتقاقاً من اسم إيليا الروماني (إيليو س هديرانوس) الذي تولى فيما بعد إعادة بنائها، بعد تهديمها من قبل تيتوس، وذلك في المكان القائمة فيه الآن، وعرفت حبرون (الخليل) أولاً باسم «أربعة»، ثم باسم قرية ثمانية Cariathiarim ، ثم باسم «حبرون»، وبعدها باسم «الخليل»، لأن (خليل الرحمن) إبراهيم قُـد دُفن هناك، وسميت «عسقلان» أولاً اسم «فلسطين»، لأنها كانت مدينة

الفلسطينيين، وعرفت «غزة» دوماً بهذا الاسم، وما يعرف هذه الأيام باسم «القديس جرجس»، كان يعرف من قبل باسم «اللد»، وعرفت «قيسارية» أولاً باسم «دور»، ثم باسم «برج ستارتور»، وتعرف الآن باسم «قيسارية» وذلك تشريفاً لقيصر، وعرفت «حيفا» أولاً باسم «بورفيريا» Porfiria ، ودعيت «عكا» مؤخرًا باسم «بطليمياس»، أما «صور» فقد عرفت دوماً بهذا الاسم، وكانت فيها مضي مدينة عظيمة، حكم فيها أغينور، ومنها جاء ديدو، وتعرف «صيدا» الآن باسم «ساغيتا» Sagitta ، وتعرف «الصرفند» الآن باسم «سافيرا» Saffera ، وعرفت «بيت لحم» أولاً باسم «إفراتا»، وعرفت نابلس أولاً باسم «شيكار»، أما «سبسطية»، فقد عرفت باسم «السامرة»، أما ماكوميرا Machomeria، فعرفت أولاً باسم «لسوزة»، ثم بعد ذلك باسم «بيت إيل»، أما التي تعرف الآن باسم «بلنياس»، فقد عرفت أولاً باسم «بانياس»، وفيما بعد باسم قيسارية فيليب.

٢٤ — وبين العجائب الأخرى التي ينبغي ألا نكون صامتين نحوها، هو أنه يوجد في يافا على شاطئ البحر صخرة آدم، التي هي كبيرة جداً، تلوذ بها أعداد لا تحصى من حشود سمك يدعى سمك سلمون، ويكون ذلك في أيام الصيف، وتسير وهي تحمل على ظهورها خطوطاً صفراء طويلة، وبعدما تقوم بتقبيل الصخرة، وكأنها في مكان مقدس، تعود أدراجها بسرعة، ويحكي صائدو السمك في تلك البلاد، أنه عندما أمر الرب، أخاه القديس جيمس بالذهاب إلى الجليل، أجابه القديس جيمس بقوله: «إنني سوف أذهب إذا ما ذهبت تلك الصخرة معي»، ومن ثم انشطرت الصخرة إلى شطرين، ذهب شطر منها إلى طبرية، حيث تزار من قبل الحجاج حتى هذا اليوم، وتدعى باسم رمية جيمس، في حين مكث الجزء الآخر هناك.

فضلاً عما تقدم في القدس ملك لاتيني، الذي هو سيد...

- ٢٨٦٩ -

وحول الملك وباروناته، والأعيان والبارونات، وحول المدن العائدة
للمملكة، وحول أمير أنطاكية وكونت طرابلس، وحول مختلف أنواع
الكفار، واليهود، والصادوقيين، والسامرة، والحشيشية، والبدو...

حاج مجهول (٦) (بيد المزيف)

(القرن الثاني عشر)

هنا بداية رواية بيد عن الأرض المقدسة.

١ — دعونا نجعل انطلاقتنا من حبرون (الخليل)، التي هي عبرون، المدينة الحاضرة، وكانت عبرون في القديم مدينة الفلسطينيين وعاصمتهم، وموضع سكنى العمالة، ولقد كانت في ديار سبط يهوذا، وكانت مدينة الكهنة، ومدينة ملجأ، وقد بنيت عبرون في الحقل الذي صنع منه ربنا القدير، صانع الأشياء كلها، الأب الأول، وعرفت حبرون باسم «قرية أربعة»، والتي معناها بالاغريقي والعربي «مدينة أربعة»، لأن قرية بالاغريقية (كذا) معناها «مدينة» و Arba بالعربية تعني «أربعة»، لأن هناك أربعة رجال يستحقون العبادة، قد دفنوا في كهف مزدوج هناك، وهؤلاء هم: آدم الانسان الأول، وإبراهيم، واسحق، ويعقوب، دفنوا مع زوجاتهم وهن أمهاتنا الأربع: حواء، وسارة، وربقة، وليا، وتقوم عبرون قرب وادي الدموع، وقد عرف وادي الدموع بهذا الاسم، ودعي به، لأن آدم بكى هناك على ابنه هابيل لمدة مائة سنة، وعرف هناك - بناء على تنبيه من ملاك، حواء - وأنجب شيث، الذي من ذريته جاء المسيح.

وعلى بعد ميلين من عبرون، يوجد ضريح لوط، الذي كان ابن أخي إبراهيم.

ويوجد في عبرون الحقل الذي تربته حمراء، وهو الذي تحفر أرضه، ويؤكل تراها من قبل السكان هناك، ويصدرونها إلى مصر للبيع، وهي تشتري بمثابة عقار ثمين جداً، لأنه يقال بأنها الأرض الحقيقية التي صنع منها آدم، الإنسان الأول، ويجري حفر الحقل المتقدم الذكر

بالعرض وبالعَمق، ومع ذلك بقضاء من الرب، تجده في نهاية السنة، قد عاد وامتلاً كما كان من قبل.

وإلى جانب عبرون يقوم جبل ممرا، الذي نمت عند سفحه شجرة البلوط، التي تدعى باسم «دلبة» يعني «بلوطة» أو «سنديانة»، فقد عاش تحتها إبراهيم لزمن طويل، فهنا رأى الملائكة الثلاثة، والمعبود الواحد، وقدم لهم ضيافة على أفضل ما استطاعه، وجعلهم يرتاحون، وأطعمهم، ولهذا السبب دعي حسب طرائق الاعتقاد القديمة باسم «العدل» .

وظلت البلوطة المتقدمة الذكر قائمة حتى أيام الامبراطور ثيودوسيوس، فهذا ما رواه جيروم، ومنها نبتت البلوطة الموجودة الآن هناك، والتي هي موضع تبجيل في أيامنا الحالية، وعلى كل حال، مع أن هذه الشجرة جافة، لها خصائص طبية، حسبما تبرهن بمايلي: كل من يحمل قطعة منها معه، فإن حصانه لن يكبو به، وإنه إلى عبرون جاء كالب ويشوع مع رفاقهما العشرة أولاً، عندما كانوا يتجسسون حول أوضاع أرض الميعاد، وفي عبرون وجدوا أبناء عنق و قبيلة العمالقة.

٢ — وعلى بعد عشرة أميال عن عبرون، باتجاه الشرق، توجد بحيرة اسفلت، التي تعرف أيضاً باسم البحر الميت، وقيل له الميت لأنه لا يتلقى شيئاً حياً، ولهذا هو ملك للشيطان، وبناء عليه فإنه بتوجيهه لقيت المدن التعيسة جداً مصيرها، وهذه المدن هي: سدوم، وعامورة، ودومه، وساعور، وكانت قد أصرت على اقتراف الآثام، فأحرقت بفيض من نار الكبريت، ومن ثم غرقت في تلك البحيرة.

ومعنى كلمة سدوم «القطيع الصامت» أو «العمى»، وأما معنى كلمة عامورة فهو الخوف أو «فساد الناس»، أما معنى كلمة ساعور فهو «البحر» أو ميناء البحر، وأما معنى كلمة دومه فهو الرغبة، وفوق بحيرة اسفلت، وأنت صاعد للدخول إلى اليهودية، هناك صغور،

ولصغور ثلاثة أسماء: فهي تدعى بلع Bala، الذي معناه «ابتلع»، وزوآر وهو اسم سرياني، وهي قد عرفت باسم بالزوآر بمزج الاسمين العبري والسرياني معاً، وهي دعيت باسم «صغور» الذي معناه «الشيء الصغير»، وقد أنقذت «صغور» بوساطة دعاء لوط، فلم تحترق أو تغرق في الماء، ومن الممكن رؤيتها حتى هذا اليوم، وفيما كانت زوجة لوط خارجة من «صغور» تحولت إلى عمود من ملح من الممكن رؤية آثاره حتى اليوم، ويوجد على شواطئ البحر المتقدم الذكر الكثير من الشب، ومن القطران، حيث يعثر عليه السكان المحليون، ويتم جمعه من قبلهم، ويستخرج من البحر «الحمر» الذي يدعى باسم «الزفت اليهودي»، وهو مفيد في بعض أنواع الأعمال، وتعرف «صغور» الآن باسم بلدة النخيل، وذلك من قبل شعب البلاد، وتفصل بحيرة اسفلت اليهودية عن العربية.

٣ — وعندما جاء بنو إسرائيل إلى العربية، كانت قفاراً لا يمكن سلوكها، وبدون ماء، وقد حفظ الرب شعبه من بني إسرائيل فيها، وجعلهم يتخذون اثنين وأربعين منزلاً، وقد مكثوا فيها مدة أربعين سنة، وخلال ذلك لم تهترى ثيابهم، وقد أطعمهم من ندى السماء والمن، وأعطى كل واحد منهم من ذلك بقدر حاجته، وكذلك أعطاهم لحماً حسب رغبتهم.

وقد توليت تدوين أخبار ومعاني أسماء هذه المنازل، هنا في هذا الكتاب، ويتوجب على العبراني المتشوق لأخذ طريقه من الأرض إلى السماء، أن يجتازهم، وأن يخلف وراءه مصر هذا العالم، فيدخل إلى أرض الميعاد، وإلى منزله السماوي.

المنازل الإثنان والأربعون

كان المنزل الأول هو رعمسيس، وهي مدينة مصرية، حيث اجتمع

بنو إسرائيل مع بعضهم بعضاً، وقد دخلوا إلى الفيا في اليوم الثاني بعد عيد الفصح، على مرأى من المصريين، الذين استلبوهم ببراعة وسرقوا أوانيهم الذهبية والفضية، وجرت ترجمة كلمة رعمسيس إلى «فوضى» أو «صاعقة».

وكان المنزل الثاني هوسكوت، الذي يعني «أكواخ» أو «خيم العهد».

وكان المنزل الثالث هو إيثام في الفيا في، حتى تدبر الرب استجابة لمطالب شعبه، فأقام عموداً من نار خلال الليل، وحيث يتمكنوا من رؤية جميع ما يريدون أن يصنعوه في النهار، وأقام غمامة في النهار تخفيهم وتظلمهم، ومعنى إيثام «شجاعة» أو «كمال».

وكانت «مارا» المنزل الرابع، بعد عبور البحر الأحمر، ومعنى «مارا» «مرارة».

وكان المنزل الخامس هو حيروث، وذلك على مقربة من بعل صفون، ومعنى هذا الاسم هو: «رب الريح الشمالية».

وكان المنزل السادس هو إيليم Elim، حيث وجدوا الاثني عشر بئراً، والسبعين شجرة نخيل.

وكان المنزل السابع إلى جانب البحر الأحمر، حيث يخرج الخليج عن مساره.

وكان المنزل الثامن في فيا في سين، التي من خلالها يذهب الإنسان حتى جبل سيناء، ومعنى كلمة سين عليقة، أو «كراهية» [الأصح: قمر].

وكان المنزل التاسع في دفقة، التي تعني «نبضة».

وكان المنزل العاشر في ألوس، التي تعني «مخمّر»، ففي الفيا في تضجر بنو إسرائيل واشتكوا من الجوع، وأكل «السلوى» في المساء، والمن في الصباح.

وكان المنزل الحادي عشر هو رفديم، التي تعني غلبة الشجاع، أو «الخسارة»، وهنا تفجر نبع ماء من حورب، لصالح الشعب العطشان، وهنا غلب يشوع أمالك وأطاح به، وهنا جاء يثرو إلى موسى، وهنا تشكى الشعب ضد الرب، وفي أثناء غياب موسى، صنعوا العجل الذهبي، وتعبدوه.

وكان المنزل الثاني عشر في قفار سيناء، وقد تمت ترجمة هذه الكلمة إلى «عليقة»، وذهب موسى في هذا المنزل إلى الرب في جبل سيناء، وهنا جاء الرب ونزل إليه، وأعطاه الشريعة مكتوبة بإصبعه على ألواح حجرية اقتطعت من ذلك الجبل، وعمل موسى هناك وأنجز صوماً دام أربعين يوماً وأربعين ليلة، وفي هذا المنزل تم صنع خيمة العهد.

وجرى تعليمهم فوق ذلك الجبل أي نوع من الأضاحي عليهم تقديمه، وأي نوع من الأواني عليهم استخدامه في التضحية، وأي نوع من الألبسة يتوجب على الكهنة أن يلبسوا، وأي نوع من الطقوس ينبغي أن يؤديها الكهنة واللاويين، وهنا مسح موسى هارون، واختاره كاهناً، وألبسه درع القضاء وثوب الكهنوت Ephod ، وبناء عليه كان أول إنسان دعي باسم «المسيح» أي «الممسوح»، وهنا جرى تعداد الشعب واللاويين، ومن ثم جرى تقسيمهم إلى عدة أسباط، وهنا أيضاً جرى تدوين هدايا الأمراء، كما جرى صنع بوقين من الفضة، من أجل تقويض المعسكر، وهنا أيضاً صدر الأمر إلى المدنسين الذين لم يكن بإمكانهم أكل قربان الفصح في الشهر الأول، أن يجتمعوا ليفعلوا ذلك في الثاني، وهناك جرى منع الناصريين من شرب النبيذ أو الخمرة القوية، وأن يأكلوا الزبيب، أو الخل المصنوع من الخمرة، وهنا جرى إخراج المجذومين والذين في أجسادهم قروح، من المعسكر، وهنا أيضاً صدر الأمر إلى اللاويين بالقيام بخدمة خيمة العهد شروعاً من سن الخامسة والعشرين، وأن يتولوا حراسة الآنية من سن الخامسة، وهنا

جرى صنع بوقين من الفضة، على صوتهما كان يتوجب على بني إسرائيل الاستعداد للقتال.

وكان المنزل الثالث عشر عند «قبور الشهوة» حيث كان الاسرائيليون قد ملوا من الطعام السماوي وسئموا، واشتاقوا إلى قدور اللحم المصرية، ولهذا التهمت نار مفاجئة كثيراً منهم، وهنا نزل الرب بالغمام فوق الشيوخ السبعين النخبة، وأخذ الروح التي كانت فوق موسى وأعطاهما إلى الشيوخ السبعين.

وكان المنزل الرابع عشر هو حضيروت حيث اتخذ هرون الكاهن وأخته مريم موقفاً عدائياً من أخيهما موسى، ورميا بأسنانه، لأنه تزوج امرأة أجنبية، ولهذا فإن معنى حضيروت «اعتداء».

وكان المنزل الخامس عشر هو رثمة، التي معناها «ضجيج» أو «اندفاع»، ومن هناك جرى إرسال الاثني عشر جاسوساً إلى أرض الميعاد، وجلبوا معهم عنقوداً من العنب من هناك، وهناك ثار داثان وأبيرام ابنا قوره ضد موسى وهارون، فانشقت الأرض وابتلعتهم هم وأسرهم وجميع خيمهم وأثاثهم وثرواتهم، وهنا حملت عصا هرون فأكهة وأوراقاً، وهنا جرى قتل إنسان من قبل الناس، لأنه تولى جمع عصي، في يوم السبت.

وكان المنزل السادس عشر «فرز الرمان» الذي يعني باللاتينية «توزيع الرمان».

وكان المنزل السابع عشر «لبنه» الذي يعني «التبييض».

وكان المنزل الثامن عشر هو رسه، الذي يعني «لحم».

وكان المنزل التاسع عشر «كليزه»، الذي يعني «كنيسة».

وكان المنزل العشرون عند جبل شافر، الذي يعني «الجمال»، أي أن

تقول: «المسيح».

وكان المنزل الحادي والعشرون «عرضه» الذي يعني «معجزة».
وكان المنزل الثاني والعشرون مقهيلوت الذي يعني «في الاجتماع» أي
في الكنيسة.

وكان المنزل الثالث والعشرون في تاحت الذي يعني «الخوف».
وكان المنزل الرابع والعشرون في تاسي الذي يعني «استهزاء»
أو «مرعى».

وكان المنزل الخامس والعشرون في مثقة الذي يعني «حلاوة».
وكان المنزل السادس والعشرون في أسموله الذي يعني
باللاتينية «سرعة».

وكان المنزل السابع والعشرون في أسيروك الذي يعني «أغلال»
أو «عقوبة».

وكان المنزل الثامن والعشرون في بني يعقان الذي يعني «الأولاد
يحتاجون» أو «ضجعة».

وكان المنزل التاسع والعشرون في جد جاد الذي يعني «رسول»
أو «تخريم» أو «ختان».

وكان المنزل الثلاثون في يطبات الذي يعني «الجودة» أي «المسيح».

وكان المنزل الحادي والثلاثون في عبرون الذي يعني «عبور».

وكان المنزل الثاني والثلاثون في عصيون جابر الذي يعني «عظام
إنسان».

وكان المنزل الثالث والثلاثون في قفارسين، التي هي قادم، وتعرف

أيضاً باسم قادس القفار، لأنه جرت ترجمة كلمة سين إلى «مقدس» من قبل «جسد دعي»، وذلك مثل ucus ، وهي حديقة، دعيت كمايلي Quia Minime Luceat ، لأنها لا تشع.

وهنا ماتت مريم أخت موسى وهارون ودفنت، وهنا أغضب موسى الرب بسبب كلمة تجديف تفوه بها، ولهذا جرى منعه من عبور نهر الأردن، وهنا التأت عقله بسبب نحيب الناس، وضرب الصخرة بشك مرتين، وكأن الرب غير قادر على جعل الماء ينبع من الصخرة، ويجري الآن جدولان من هناك، يسقيان جزءاً من العربية.

وكان المنزل الرابع والثلاثون عند جبل هور في بلاد أدوم، وهو الجبل الذي صعد هرون إليه بناء على أمر من الرب، ومات في مكان كان اسمه بيروث، وقد دفن في جبل هور، وقد خلفه في منصبه ككاهن أعلى ابنه العازر، وعندما سمع عكان بأن الاسرائيليين قد باتوا على مقربة، أنشبوا قتالاً فوق البقعة التي أخاف فيها الجواسيس الناس بإخبارهم عن حجم وتعداد أبناء عكان، وقد هزم الاسرائيليون، لكنهم قاتلوا ثانية، وتمت هزيمة المنتصرين في المكان نفسه الذي انتصروا فيه من قبل، وأرغموا على الفرار.

وكان المنزل الخامس والثلاثون صلّمونه.

وكان المنزل السادس والثلاثون فينون، وهذان المنزلان ليسا موجودين في السياق التاريخي، وفيهما تشكى الناس بعد وفاة هرون، ضد الرب وضد موسى، ذلك أنهم كرهوا المن، ولهذا جرى عضهم من قبل الأفاعي.

وكان المنزل السابع والثلاثون أوبوت الذي قيل معناه «ساحر» أو نبية».

وكان المنزل الثامن والثلاثون عبر في بلاد مآب، الذي معناه «كوم من

الحجارة عبرت».

وكان المنزل التاسع والثلاثون ديبون جاد حيث أنشب الاسرائيليون القتال مع سيحون ملك العموريين، ومع عوج ملك بيسان، وقيل معنى سيحون «إغواء العيون»، ومعنى عوج «الحبس»، ومعنى بيسان «فوضى».

وكان المنزل الأربعون بعد ديبون جاد في علمون دبلا تاريم التي قيل معناها «إغواء» أو «خجل الطرقات»، وعلى مقربة من هناك، باتجاه أريحا، يوجد المكان الذي اسمه ثافون حيث كتب موسى سفر التثنية، وهنا أيضاً المكان الذي اسمه قدموس، الذي أرسل موسى منه رسلاً إلى سيحون ملك العموريين.

وكان المنزل الحادي والأربعون هو جبل عباريم الموجود في مقابل نبوب، ومعنى اسم جبل عباريم هو «جبل الذين عبروا» فهناك مات موسى، وتم تشريفه من قبل الرب بدفنه هناك، وعلى كل حال من غير الممكن رؤية قبره في أي مكان، وقد خلفه في منصب القيادة يوشع بن نون، ولهذا أطلق عليه أولاً اسم يشوع.

وكان المنزل الثاني والأربعون في المنطقة السهلية لبلاد مآب، على ضفاف نهر الأردن، على مقربة من أريحا، حيث نصبوا خيمهم، وامتد معسكرهم من القفار حتى بيتسرتيم فوق جبل مآب، وفيما الناس هناك جرى لعنهم من قبل بلعام المقدس، الذي اكتراه بلع مقابل ثمن، ولعنهم من على كرنييم، فوق جبل مآب، لكن اللعنات تحولت إلى مباركات، وكان بلعام جالساً على ظهر أتانته، عندما رأت ملاك الرب واقفاً أمامها، وبيده سيف مشهور، وقد تكلمت معه بشكل إعجازي، ويوجد كهف كرنييم المتقدم الذكر في جبل مآب، وقد دعي هذا الجبل باسم «المقطوع» وذلك بسبب انحداره الشديد، وفي ذلك السهل المتقدم الذكر، وضع بلع — بناء على نصيحة بلعام — امرأة في داخل بيت،

وبنى مذبحاً أمام الأبواب هناك، من أجل إمكانية قدوم الاسرائيليين إلى هناك للتضحية للأوثان، ومن ثم اقتراف الزنا مع بنات مآب، وضلالهم، لكن فنحاص، الكاهن الغيور، طعن زمبري وعاهرته معاً بسكين، حتى يمكن إبعاد غضب الرب، وجرى تعداد الناس هنا للمرة الثانية، وكذلك تعداد اللاويين، ومضى الناس من هناك لإنشأ القتال ضد المدينيين، ومات بلعام، ولدى اقتراب بني إسرائيل من مياه نهر الأردن، تراجع النهر، ووقف، وتجمعت مياهه أمام تابوت عهد الرب، وذلك حتى عبروا جميعاً، وبعد هذا، بما أن سبط راويين ونصف سبط منشا، قد امتلكا الكثير من الحيوانات حول الأردن، كانا أول من دخل إلى هناك وتملك، وقد جلبوا من قبل يشوع بمثابة ضيوف إلى أرض الميعاد، إلى الجلجال، حيث وضعوا خيمة عهد الرب مع خيام بني إسرائيل.... وجرى بعد هذا إصدار تحذير إلى بني إسرائيل بعدم جلب أية أوثان إلى الأرض المقدسة، أو أن يمتلكوا أيّاً منها هناك، وعرفت جلجال بمعنى «الدحرجة» أو «الكشف»، واستولى بعد هذا سبط يهوذا على اليهودية، واحتلها سبط بنيامين معهم، وكانا قد استوليا على أريحا، ليس بوساطة الخوف من السيف، وليس أيضاً بضربها بالكباش الناطحة للأسوار، أو باستخدام الأسلحة، بل سقطت أسوارها وتهاوت بعد حمل تابوت عهد الرب والطواف به سبع مرات حولها، ولم يبق فيها أحد حي باستثناء راحاب، والذين اختارتم للبقاء أحياء، واستولى نصف سبط منشا وسبط افرايم على السامرة، واستولى سبط زبلون، وسبط نفتالي، وسبط آشر على الأجزاء العلوية من الجليل، وبالطريقة نفسها استولت الأسباط الأخرى على جميع بلاد الملوك الاثني والثلاثين مابين فلسطين وأدوم.

وعلى بعد ثلاثة أميال من أريحا وعلى ميلين من نهر الأردن تقوم بيت أجلا، وقد ترجمت هذه التسمية بأن معناها «مكان الانعطاف»، لأن أبناء

يعقوب وأهل بيته تخلقوا حول جسده، على شكل النائحين، وذلك أثناء جلبهم إياه من مصر إلى حبرون، وفي القفار الواقعة خلف أريحا، توجد عين الجدي، حيث أخفى داود نفسه، وقد قيل بأن عين الجدي الواقعة قرب البحر الميت، هي البلاد التي جرت العادة بأن يجلب منها البلسم، حيث يحكى بأنه كان ينمو هناك، ولهذا أطلق عليه اسم «نبيذ عين الجدي»، وقرب أريحا وليس بعيداً عن جلعال يوجد أم كنخور، وقيل بأن معنى هذا الاسم وادي عنخور — أي للفوضى وللحشود — حيث جرى رجم عخان حتى الموت، لأنه أخذ أشياء ملعونة، ووراء أريحا القديمة، وعلى الجهة الشرقية من هناك، يوجد الجلعال المتقدم الذكر، حيث قام يشوع بختن الناس للمرة الثانية، واحتفل بعيد الفصح، وهنا انقطع المن عن بني إسرائيل، واستخدموا خبز الطحين، وأقاموا في هذا المكان الصخور التي جلبوها بعد إخراجها من نهر الأردن، وبقي تابوت العهد هناك لمدة طويلة، وفي المنطقة الواقعة فوق بحيرة اسفلت توجد شوى، وهي مدينة قديمة سكن فيها فيما مضى شعب قوي، تمّ قهره من قبل كدرلعومر.

وفي العربية فيما بين عبريم وحوور توجد الكرك، ومعنى هذا الاسم الأسد الشجاع وفيها أقام بلدوين أوف بولليون، الذي كان الكونت الأول للرها، وأول ملوك الفرنجة في القدس بعد ذلك، أقام قلعة حصينة من أجل الاستيلاء على العربية ووضعها بأيدي الصليبيين، وأن تكون ركيزة لمملكة داوود، وباتجاه الجنوب، يوجد في العربية جبل فاران.

وتتصل العربية بأدوم في بلاد بصرى، التي هي بوزور التي جاء منها برخثيل البوزوري.

وهناك بوزور أخرى في جبال أدوم، وهي التي قال عنها إشعيا: «من هو ذاك الذي جاء من أدوم في ثياب ملونة من بصرى»؟

ووراء بصرى إلى الجنوب، وباتجاه دمشق، توجد منطقة الطرخونية أو الإيطورية، التي كان حاكمها فيليب، وذلك وفق ما جاء في الانجيل.

وتتصل أدوم بسدراخ، التي هي سورية الدنيا (التحتى)، والمدينة الرئيسة في سورية هي دمشق، ولدمشق ثلاثة أسماء هي: دمشق، وآرام، وأرفاد، ودمشق هي المدينة المبجلة وعاصمة سورية، ويفصل لبنان فيما بين سدراخ وفينيقية، وفي فينيقية توجد مدينة صور التي هي Tyre، وهي أهم حاضرة للفينيقين، وهي التي — حسبما أخبرنا السريان — لم ترض باستقبال المسيح، عندما سار في المناطق القائمة على شاطئ البحر، والتي — وفقاً لما ذكرته الكتابات المقدسة — قدمت عدداً كبيراً جداً من الشهداء، الذين يعرف الرب وحده عددهم، وفي صور قبر أورجين، ويوجد أمام صور صخرة رخامية كبيرة، عليها جلس المسيح، وقد بقيت هذه الصخرة على حالها دون أن يلمسها إنسان منذ أيامه حتى تاريخ إخراج المسلمين من المدينة المقدسة، لكن بعد ذلك أخذ الفرنجة والبنادقة يقتطعون قطعاً منها، وقد جرى بناء بيعة تابعة لكنيسة المخلص فوق الذي بقي من هذه الصخرة، وكان أبولونيوس ملكاً على صور عندما كان أنطيوخوس يحكم في أنطاكية، وكان روا Reu وحيرام ملكان على صور، عندما كان سليمان يحكم في القدس، وقد استولى الاسكندر الكبير على مدينة صور بوساطة وصل أسوارها بالبر الرئيسي، لأنه في ذلك الوقت كان البحر يجري من حولها كلها، واستطاع البطريق واريامندوس Wariamendus صاحب الذكرى المباركة، بفضل وقاية نعمة الرب، بشجاعة حصار صور، بمساعدة البنادقة براً وبحراً، في أيام المملكة الفرنجية، واستولى عليها، وهكذا تمكن بشكل مجيد من توسيع رقعة مملكة داوود.

وعلى بعد ثمانية أميال من صور، باتجاه الشرق، وعلى شاطئ البحر تقع الصرفند، وهي صرفند الصيداوين، وهنا سكن مرة النبي إيليا،

وأقام من الموت يونه ابن الأرملة التي استضافته بلطف، ومنحته الراحة وأطعمته.

وعلى بعد ستة أميال من الصرند، تقوم صيدا، التي جاء منها ديدو، الذي بنى قرطاج في أفريقيا، وفسر اسم صيدا على أنه يعني «السعي وراء الأسقف»، واسم صور «التجارة»، ومن هذه المناطق التابعة لصور وصيدا، جاءت المرأة الكنعانية إلى يسوع، عندما كان يسير في تلك الأجزاء، وتحدثت إليه، وتحدث يسوع إليها، وهناك في جبال صيدا والصرند يوجد بلدة جاث حيفر Gath-heper ، التي جاء منها النبي يونه.

وعلى مسافة ستة عشر ميلاً من صيدا تقوم بيروت، التي هي مدينة غنية جداً، ووجد في بيروت تمثال لمخلصنا، صنعه نيقوديموس بيديه، وعندما جرى بعد أمد قصير من آلام المسيح صلب هذا التمثال وطعنه من قبل بعض اليهود، من أجل توجيه إهانة له، تدفق منه دم وماء، وبناء عليه آمن كثير من الناس بالذي صلب حقاً، فضلاً عن هذا فإن كل من جرى دهنه بالذي تدفق من ذلك التمثال شفي من أي مرض كان يعاني منه، مهما كان نوعه.

٤— وبنيت دمشق من قبل العازر، خادم ابراهيم، وكان ذلك فوق المكان الذي قتل فيه قابيل أخاه هاويل، وبناء عليه إن معنى كلمة دمشق «نقطة دم» أو «قبة دم»، ودمشق موجودة في سورية، وقد فسرت كلمة سورية بأنها تعني «العالي» أو «المبلل»، وسكن في المنطقة المحيطة بدمشق عيسو، وهي المنطقة التي عرفت أيضاً باسم سعير، أي «الرجل صاحب الشعر الكثيف»، ومعنى كلمة آدم «الرجل الأحمر»، أو «الرجل صاحب الشعر الأحمر»، ومعنى كلمة عيسو «تكسير».

وهناك جزء من سورية يدعى في هذه الأيام أدوم، وهو الذي ورد

ذكره في المزامير بقوله: «فوق أدوم سوف ألقى بحذائي»، وقد دعيت أيضاً باسم أدوم لأن إشعيا قد قال: «من هو ذاك القادم من أدوم، وهو يلبس ثياباً ملونة من بصرى»، ويوجد في أدوم جبل سكير، الذي تقوم دمشق تحته، وسكن في سكير كوريوس الذي قتل كدرلعومر، وفي أرض أدوم، وعلى بعد ميلين من نهر الأردن، يوجد نهر ييوق، الذي خاضه يعقوب عندما كان راجعاً من بلاد الرافدين، وهناك أيضاً حيث تصارع مع الملاك، وغير اسمه من يعقوب إلى إسرائيل.

وعلى بعد ميلين من دمشق، يوجد المكان الذي ظهر فيه المسيح لشاول، وهو يقول: «شاول، شاول، لماذا أنت تعذبني؟»، وأشع في ذلك الوقت ضوء عظيم جداً من السماء حول شاول، وفي دمشق قام حنايا بتعميد شاول، ومنحه اسم بولص، وفي دمشق استرد بولص بعد تعميده بصره، ومن فوق أسوار دمشق أنزل بولص في داخل سلة، وبذلك هرب من نافذة ونجا من غضب معذبيه ومطارديه.

وقيل إن معنى كلمة «لبنان» «البياض»، وقد ورد ذكر لبنان في أغنية سليمان في قوله: «هلمي معي من لبنان ياعروسي»، وأمام لبنان ودونه (سلسلة) لبنان الشرقية، التي تطل على منطقة دمشق، وينبع عند سفح لبنان نهراً: أبانا، وفرفر، وهما نهرا دمشق.

ويجري نهر أبانا خلال جبال لبنان وسهل عرقه، ويصب في البحر الكبير قرب المكان الذي انسحب إليه القديس يوستاخوس بعد فقدانه لزوجته ولأولاده .

ويجري فرفر في سورية إلى ربله، ثم إلى أنطاكية، ومن هناك يسير مسافة عشرة أميال بعيداً عن هذه المدينة ليصب في البحر عند ميناء السويدية.

وجاء القديس لوقا الانجيلي من أنطاكية، ولهذا السبب عرف

بالسوري من حيث الانتهاء إلى أمة، ومن أنطاكية أيضاً جاء أصل الذنوب، الملك أنطيوخوس، وأنطيوخوس المشهور، الذي عانى تحت سلطانه المكابيون السبعة مع أهمهم... وقد دفنوا مع بعضهم في أنطاكية في كنيسة معلقة مكرسة على أسمائهم، وفي أنطاكية عانت القديسة بربارا، وعلى شرفها جرى بناء كنيسة جميلة هناك، زينت بالذهب وبأعمال الفسيفساء، وبكثير من الرخام، المختلف الألوان، وفي أنطاكية جلس القديس بطرس على عرش البابوية لمدة سبع سنوات من بابويته، وقد خلفه القديس يوديوس Eudius ، الذي خلفه القديس إغناطيوس، الذي حمل إلى روما مكبلاً بحبل، وقد مات هناك كشيد، وفي أنطاكية دعي المسيحيون بهذا الاسم للمرة الأولى، لأنهم كانوا يعرفون من قبل باسم الحواريين [الجليليين].

وينبع من سفح لبنان نهر «أر» و«دان»، وهما الأصلان اللذان يتشكل منهما عند سفح جبل جلبوع، نهر الأردن، وفي الأردن، على بعد ثلاثة أميال من أريحا، رضي المسيح، وتفضل بأن يجري تعميده من قبل متقدمه، وذلك في مكان زار كالرعد فوقه صوت أبيه، قائلاً: «هذا هو ابني المحبوب، الذي أنا راضٍ عنه تماماً: استمعوا له»، ونزل الروح القدس في هذا المكان على المسيح على شكل حمامة، واغتسل في الأردن نعمان السوري سبع مرات، وذلك بناء على أمر من إيليا، وبذلك شفي من جذامه، ويدعى الوادي الذي يجري فيه نهر الأردن من جبال جلبوع إلى بحيرة اسفلت باسم «الغور»، ويعرف هذا الوادي أيضاً باسم أولون Aulon ، وهذه كلمة عبرية، وهو وادٍ واسع مع سهول منبسطة، وهو مسيج على كلا الطرفين بجبال تمتد طوال الطريق من لبنان إلى قفار فاران، ويمتد وراء أولون وادي بيسان، ويوجد خلف أولون، وعبر الأردن مدينة بعل، وهي مدينة سبط راوويين.

وفي وادي أولون، خلف الأردن مدينة بعل معون التي بنيت من قبل

بني راؤوبين، وفي أولون، فيما وراء الأردن، هناك بيت رام، الذي بني من قبل سبط جاد.

وفسرت كلمة أردن، وقيل معناها هو «النزول»، وهو يفصل الجليل عن أرض بصرى، التي هي المدينة الرئيسية في العربية، ويجري نهر دان تحت الأرض طوال الطريق من نبعه حتى سهل ميدان، حيث يظهر مجراه بشكل مكشوف، وأطلق اسم ميدان على هذا السهل، لأن نهر دان موجود في وسطه، وفي العربية يطلق اسم ميدان على الفسحة المفتوحة، التي يقابلها باللاتينية «السهل» أو «الساحة»، وعرف ميدان بهذا الاسم لأنه كان يجتمع فيه كل صيف أعداد لا تحصى من الناس، يجلبون معهم كل شيء يمكن أن يباع أو يشتري، ويتلاقون مع بعضهم، وقيمون هناك، ويكون هناك أيضاً الكثير من الجند الفرثيين والعرب لحماية الناس ولاطعام قطعانهم في هذه المراعي الخصبة جداً، وتتألف كلمة دان من اجتماع كلمتي «مي» و«دان»، و«مي» في العربية تعني «الماء»، و«دان» النهر، ومن هذا السهل يحول دان نفسه إلى نهر، ويمر من خلال السواد، حيث نصب يعقوب المبارك مايزال قائماً، وهو مبجل من قبل الاغريق والشعوب الأخرى، والسواد هذا هو جزء من بلاد عوص، التي جاء منها يعقوب، ومن السواد جاء بلداد السوادي، وفي عوص مدينة ثمان، التي هي المدينة الرئيسية في أدوم، ومن ثمانى جاء علفاز الثمانى، ويوجد في عوص أيضاً مدينة نعمان التي جاء منها سوفر النعماني، وكان هؤلاء الثلاثة أصدقاء يعقوب الذين واسوه، وينعطف دان مستديراً نحو طبرية، وذلك دون مدينة جدر، قرب الحمامات الطيبة، ويجري عبر موضع الأشواك ليلتقي بالأر، ويشكل الأر بحيرة ليس بعيداً عن بانياس، ثم يشكل بعد ذلك بحر الجليل، القائم بين بيت صيدا وكفرناحوم.

٥ — ومن بيت صيدا جاء: بطرس، وأندرو، وجيمس، ويوحنا،

وجيمس بن ألفيوس، وعلى أربعة أميال من بيت صيدا تقوم كوروزين، التي سوف تنجب المسيح الدجال الذي سوف يخدع الدنيا، وعن كوروزين وبيت صيدا قال الرب: «الويل لك كوروزين والويل لك بيت صيدا».

وعلى بعد خمسة أميال من كوروزين، تقوم المدينة العظيمة جداً، وهي مدينة جدر، التي قال عنها في المزمور: «ويل لي إذا ما أعقت... عن الحصول على مسكن بين خيام جدر» ومعنى كلمة جدر «الظلام».

وتقوم كفر ناحوم عند رأس البحر، على الجهة اليمنى، وكانت هذه مدينة قائد المائة الذي شفى يسوع ابنه، ولهذا قال عنه: «أنا لم أجد مثل هذا الايمان في إسرائيل»، وصنع الرب كثيراً من المعجزات في كفرناحوم، وغالباً ما علّم في الكنيس، ومعنى كلمة كفرناحوم «البلدة البيضاء»، أو «البت الأعظم جمالاً»، أو «ابنة الجمال»، وهي كلمات تصف الكنيسة المقدسة، وبناء عليه فإن جميع الذين نزلوا من لبنان، الذي هو بياض الفضائل، صاروا أكثر بياضاً بها وفيها.

وعلى ميلين من كفرناحوم، يوجد الطريق النازل من ذلك الجبل، حيث وعظ الرب الحشود وعلمهم، وعين حواريه، وشفى هنا المجذوم، وعلى بعد ميلين من ذلك الطريق نزولاً، يوجد المكان الذي أطعم فيه خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين، ولهذا يدعى ذلك المكان باسم «المائدة»، وكأنه كان مكاناً لتناول الطعام، ودونه يقوم المكان الذي ظهر المسيح فيه لحواريه بعد قيامته، وأكل معهم من سمكة مشوية، وكان ذلك على شاطئ البحر، ومشى الرب على وجه ذلك البحر جاف القدمين، وذلك عندما ظهر حوالي الساعة الرابعة إلى كل من بطرس وأندرو، وكانا آنذاك يصطادان، وهناك أيضاً قال يسوع لبطرس عندما حاول أن يمشي على وجه ماء البحر وأخذ يغرق: «يا ضعيف الايمان لماذا شككت؟»، وهنا أيضاً في وقت آخر عندما ظن

حواريوه أن أنفسهم بخطر فوق سطح سفينة، جعل البحر يسكن، وعلى شاطئ هذا البحر هناك المكان الذي اسمه جرجوسيا، حيث شفى يسوع على ظهر الجبل، الذين تلبستهم الشياطين، ومنه قامت الخنازير الذين دخلت إليهم الشياطين المتقدمة الذكر، بناء على أوامره، وألقت بأنفسها نحو مكان سحيق، ويوجد عند رأس البحر هوة على جانب اليسار هي جنسارث، المكان الذي يولد الرياح التي يتم الشعور بها حتى في هذه الأيام، ومن هذه الهوة نالت بحيرة جنسارث اسمها.

وعلى بعد ميلين من جنسارث توجد بلدة المجدل، التي جاءت منها مريم المجدلية المباركة، وهذه هي منطقة جليل الأمم في بلاد سبط زبلون، وسبط نفتالي الذي منه جاء طوبيا، وفي الأجزاء العلوية من هذا الجليل كانت المدن العشرين التي قدمها الملك سليمان هدية لصديقه حيرام، ملك صور، وعلى بعد ميلين من المجدل تقوم مدينة سينيرث، التي أطلق عليها اسم طبرية اشتقاقاً من اسم القيصر طايبروس، وهي المدينة التي اعتاد يسوع على التردد عليها في أثناء فتوته، ومنحت هذه المدينة اسمها إلى بحيرة طبرية، وعلى بعد أربعة أميال من طبرية تقوم مدينة بيت أوليا، التي جاءت منها يهوديت، وهي الأرملة الجيدة، التي أنقذت شعبها، وبحذر تولت قتل البابلي اولفرنس، بسكيتها، وكان ذلك بخيمته، وحملت رأسه، وظلته الحريية المنسوجة بالذهب والأحجار الكريمة، وعادت بهما بيديها إلى المدينة، وعلى بعد أربعة أميال عن طبرية باتجاه الجنوب، توجد دوثيرم (كذا)، حيث رأى يوسف أخوته يطعمون قطعانهم، وهم الذين لكراهيتهم له، باعوه هناك إلى الإسماعيليين، ومعنى كلمة دوثيرم «الطعام»، أو الجزء الأخضر منه.

٦ — وعلى بعد اثني عشر ميلاً من طبرية تقوم الناصرة، وهي مدينة الجليل، ومدينة مخلصنا، لأنه هناك تمّ الحمل به، ونشأ وتربى، ومعنى كلمة ناصرة «الزهرة»، أو «النبته» وليس هذا من دون سبب، فقد

شهدت فيها هناك نمو الزهرة التي أشبعت ثمرتها العالم أجمع، وتلك الزهرة هي مريم العذراء، التي أعلن لها رئيس الملائكة جبرائيل في الناصرة أن ابن العلي الأعلى ينبغي أن يلد، قائلاً: «حييت يا مريم، المليئة بالنعمة، الرب معك» وله أجابت مريم: «إنني جارية الرب، ليكن بي ما يتوافق وكلمتك».

وعلى بعد ميلين من الناصرة تقوم مدينة الصفورية، وذلك على الطريق الذي يقود إلى عكا، ومن الصفورية جاءت القديسة حنة أم أم يسوع، وعلى بعد ثلاثة أميال من الناصرة، وميلين من الصفورية باتجاه الشرق، في بلاد سبط آشر، توجد قانا الجليل، التي جاء منها فيليب، الذي إليه قال الرب: «يا فيليب، إن الذي يراني، يرى أبي أيضاً»، ومثله ناثانيل الذي عنه قال الرب: «إنه إسرائيلي حقيقي، لا يمكنك أن ترى فيه دنساً».

وفي قانا الجليل، قام يسوع أثناء جلوسه مع أمه في احتفال أحد الأعراس، بتحويل الماء إلى نبيذ، ويوجد في الناصرة جب صغير، اعتاد يسوع في طفولته، أن ينضح منه الماء لاستخدامات أمه، واستخداماته هو نفسه، وعلى بعد ميل من الناصرة باتجاه الجنوب، هناك المكان الذي اسمه «حافة الراية»، الذي دونه كاد والداه أن يرمياه (يسوع) عندما كان يافعاً، لأنها غارا منه بسبب حكيمته، غير أنه مرّ من بينهما واختفى في لحظة، وعلى بعد أربعة أميال من الناصرة باتجاه الجنوب، يقوم جبل الطور، الذي على ظهره قام يسوع بتغيير شكله، وذلك بحضور حواريه: بطرس، ويوحنا وجيمس، وكان معه موسى والياس، وهنا أيضاً سمع صوت الأب، وأشع جلالته من حول يسوع، قائلاً بصوت كالرعد: «هذا هو ابني المحبوب، الذي أنا عنه راضٍ تماماً»، وهو قد منع أيضاً بطرس وجون وجيمس من إخبار أي إنسان عما رأوه، حتى يقوم ابن الإنسان من الموت، وهنا أيضاً قال بطرس: «دعنا نقيم هنا ثلاثة

هياكل، واحد لك، وواحد لموسى وواحد لئياس»، وعلى بعد ميلين من الطور، باتجاه الشرق يقوم جبل الحرمون، الذي عنه قال المزمور: «الطور وحرمون سوف يغتبطان باسمك»، وهناك أيضاً حرمون آخر في أدوم قرب لبنان، وعندما كان إبراهيم نازلاً من جبل الطور، قابل ملكيصادق، الذي كان كاهن وملك سالم، وكان إبراهيم عائداً من قتل أمالك، وقدم له خبزاً ونبيداً، الأمر الذي يمثل التقدمة التي تعمل عند مذبح يسوع المسيح تحت النعمة.

ومعنى كلمة ملكيصادق «الملك العادل»، وعلى بعد ميلين من الطور توجد مدينة [نعيم] نين التي أقام يسوع عند بابها ابن الأرملة، وردّه إلى الحياة، وفوق نين توجد عين دور، وفي سهل نين بين عين دور والطور يوجد كدوميم، الذي هو جدول قيسون، فعلى ضفاف هذا الجدول، قامت النبية دبورة — بناء على مشورة باراخ بن أبنوئي وتوجيهه بإلحاق الهزيمة بالأدوميين، وذلك في الأيام التي قتل فيها سيسرا من قبل يئيل زوجة حابر الكتي، وطارد باراخ ذئب وزيح وصلمناع عبر الأردن، وقتلهم بالسيف، وانهمز جيشهم في عين دور، ولهذا قال المزمور: «من الذي هلك جيشه في عين دور، وصار مثل وحل الأرض»، وعلى بعد خمسة أميال من نين توجد مدينة إزرائيل، أي زرعين، ومعنى كلمة إزرائيل «الرب قد زرع»، ولهذا فإن إيزابل، تلك الملكة الشريرة جداً، التي استولت على كرم نابوت، قد رميت أيضاً بسبب أفعالها الشريرة، من أعلى قصرها وماتت، وما تزال أبدتها قائمة، ومن الممكن رؤيتها في هذا اليوم، وقرب يزرائيل يقوم سهل مجيدو، حيث هزم الملك يوشع وقتل من قبل ملك السامرة، وقد حمل من هناك إلى صهيون ودفن هناك، وعلى جبال جلبوع، تقوم القرية التي تدعى زلبوس Zel-bus .

وعلى ميلين من جلبوع تقوم سكيروبولس، التي هي المدينة الرئيسية

في الجليل، والتي هي بيسان، أي بيت أو مدينة الشمس، وهي التي علقوا على أسوارها رأس شاول، ومن نولون Naulon على الأردن، وعلى بعد ثمانية أميال من بيسان تقوم نمون Nemmon وبيت عنيا، حيث فيها عمّد القديس يوحنا، وذلك حسبنا نقرأ في الانجيل، وتوجد في الجليل زرعون، التي إليها أشار إشعيا بقوله: زرعون موجودة في منطقة السباح، ولهذا فإن المنطقة ما بين الطور وسينارث تدعى زرعون.

والطور قائم في وسط الجليل، وهو جبل طويل ومستدير بشكل رائع، وعلى بعد خمسة أميال من يزرابل توجد مدينة جمنون [كذا]، وبين جنيوم (جنين) ومجيدو موضع الغور حيث قتل ياهو ملك إسرائيل أخزيا ملك يهوذا.

٧ — وعلى بعد عشرة أميال من جنين تقوم السامرة، التي تدعى أيضاً باسم سبسطية وأوغسطة التي جاء منها سمعان مجوس، وفيها دفن اشبين ومتقدم الرب، أي يوحنا المعمدان، الذي أعدم بقطع رأسه من قبل هيرود عبر الأردن في قلعة مكرونتا، قرب البحر الميت، وقد جلب من هناك من قبل تلاميذه، ودفن بين إيلجا وإيليا، وقد أخبرنا فيما بعد أن جسده قد نبش عنه وأخرج من قبل يوليان المرتد، وأحرق، وذر رماده في الهواء، وذلك باستثناء رأسه، الذي كان قد نقل قبل هذا إلى الاسكندرية، ومنها نقل بعد ذلك إلى القسطنطينية، ومنها إلى بواتيه في فرنسا، وأيضاً باستثناء إصبع السبابة، التي أشار بها إلى يسوع عندما كان قادماً للتعميد قائلاً: «انظروا حمل الرب، انظروا إلى الذي سوف يزيل ذنوب الدنيا»، وجلبت العذراء تقلا المباركة معها سبابته إلى الألب، وحفظتها هناك وسط تبجيل عظيم جداً، في كنيسة القديسة جين دي مورين، والسامرة هو الاسم الذي يطلق على كل من المدينة والمقاطعة، وفي السامرة توجد شونام Sunam، حيث منها جاءت المرأة

الشونامية، وتلفظ كلمة شونام شنييم Sanym وفي السامرة
توجد تيرسليا Tersilia التي جاء منها مناهن، وعلى مسافة
أربعة أميال من سبسطية توجد مدينة نابلس، التي تدعى أيضاً باسم
شكيم، ومن شكيم جاء أبو عمور، وهي قائمة بين دان وبيت إيل،
ومن شكيم حملت تلك البلاد اسم بلاد شكيم، وكانت شكيم مدينة
عمور الذي ضاجع دينة ابنة يعقوب، وذلك عندما كانت تسير في تلك
المنطقة إثر عودتها من بلاد الرافدين، وقد جلبت عظام يوسف
واستعيدت من مصر إلى شكيم، ودفنت هناك، وعلى مقربة من الجب
الموجود في شكيم صنع يربعام العجلين الذهبيين، مما جعله يتسبب
بعبادتهما من قبل العشرة أسباط الذين أضلهم، واقتادهم معه بعيداً عن
القدس، وقد وضع واحداً من هذين العجلين في دان، ووضع الثاني في
بيت إيل، وقد دمر أبناء يعقوب مدينة شكيم هذه وقتلوا عمور
لغضبهم من مضاجعته لأختهم دينة، وتدعى شكيم في هذه الأيام باسم
نابلس، أي «المدينة الجديدة». وقرية شيكار واقعة خارج شكيم، وذلك
قرب البلاد التي أعطاها يعقوب إلى ابنه يوسف، وفيها يوجد نبع
يعقوب، الذي هو أيضاً بئر، وهو الذي — تبعاً لرواية الانجيل —
جلس يسوع إلى جانبه عندما كان منهكاً بسبب سفره، وتحادث مع المرأة
السامرية، وقد بني الآن فوق تلك البقعة كنيسة، وعلى مقربة من شكيم
توجد شجرة البطم، التي أخفى يعقوب تحتها أصنامه، ويؤكد
السامريون أن مدينتهم مظلمة بجبلين مشهورين هما جبّال في الشمال،
وجرزيم في الجنوب، لكن جيروم نقض هذا التأكيد وأعلن أن هذين
الجبلين في أرض الميعاد في مقابل أحدهما الآخر، فأحدهما فوق أريحا (أي
جبّال) عند المكان، الذي بنى فيه يوشع — بناء على أوامر من موسى
— مذبحاً للرب بنحجارة غير منحوتة، وجرزيم على مقربة من هناك،
وقد قال بأن أصوات الرجال وهم يباركون ويلعنون مسموعة من
أحدهما إلى الآخر، الأمر الذي من غير الممكن القيام به وحدوثه فوق

الجبيلين المطلين على نابلس.

وعلى بعد ثمانية أميال من شكيم، باتجاه الجنوب، تقوم مدينة تمّنة، وهي مدينة يوشع، حيث مات فيها، وحيث ضريحه ما يزال موجوداً، وعلى مسافة ميل من شكيم توجد بيت إيل، التي كانت تعرف من قبل باسم لوزة، وهي تدعى باسم أولام Olam في العبرية، وقد عاش هنا إبراهيم لمدة طويلة، وهنا أيضاً رأى يعقوب أثناء نومه السلم الواصل إلى السماء، والملائكة يصعدون وينزلون، وبناء عليه أفاق على الفور وقال: «هذا المكان في الحقيقة مقدساً، وهذا هو باب السماء».

وقد أقام هناك صخرة تخلّداً لما رآه، وصب عليها زيتاً، وصار المكان يعرف باسم بيت إيل، وهو المكان الذي كان اسمه قبل لوزة، وفي بيت إيل كان إبراهيم — بناء على أمر من الملاك — على وشك التضحية بابنه اسحق(؟).

وعلى بعد اثني عشر ميلاً عن شكيم، وأربعة أميال عن القدس، وعلى الطريق الذي يقود إلى اللد، يقوم جبل شيلوه، ومدينة رامّا، حيث أقام تابوت العهد وخيمة العهد هناك بانتظار قدوم بني إسرائيل، لابل حتى أيام الملك داود، والنبي صموئيل.

وعلى بعد أربعة وعشرين ميلاً من شكيم، وستة عشر ميلاً من اللد، وستة عشر ميلاً من حبرون، وثلاثة عشر ميلاً من أريحا، وأربعة أميال من بيت لحم، وستة عشر ميلاً من بير السبع، وأربعة وعشرين ميلاً من عسقلان، ومثل ذلك من يافا، وستة عشر ميلاً من الرملة، تقوم مدينة القدس، وهي العاصمة الأعظم قداسة في اليهودية، والتي هي صهيون، ولهذا قيل عنها: «قد قيل بك أعجاد يا مدينة الرب» [مزمور: ٨٧ / ٢] ، وهي أيضاً تعرف باسم إيلياء، اشتقاقاً من اسم إيليوّس هدريانوس، الذي أعاد بناءها.

٨ — وعلى بعد أربعة أميال عن القدس، تقوم مدينة بيت لحم، وذلك باتجاه الجنوب، وهي التي قيل عنها: «أما أنت يا بيت لحم، لست بأي حال من الأحوال الأقل بين أمراء اليهودية» [ميخا: ٥ / ٢ مع فرق كبير]، وكانت أيضاً تعرف باسم إفراثة، ولهذا قيل عنها في المزمور: «هو ذا قد سمعنا به في إفراثة» [مزمور: ١٣٢ / ٦]، ومعنى كلمة إفراثة «المغبرة»، وكانت بيت لحم مدينة يسي: «وزهرة سوف تنبع من جذوره».

وكانت هذه مدينة داود، الذي كان نموذجاً عن المسيح، فقد كان داود قوي الذراع، ومتورد الوجنت، وقد قتل داود جالوت، وقتل المسيح الشيطان، وكان داود جميل الوجه، وكان المسيح أجمل من جميع أبناء الناس، ومعنى كلمة بيت لحم هو «بيت الخبز»، وهي فعلاً كذلك، ذلك أنها شهدت جلب زهرة الناصرة حيث أنجبت هناك ثمرة الكرمة من العذراء مريم، والمقصود بهذا ابن الرب الحي، الذي هو خبز الملائكة، وحياة العالم كله، ويوجد في بيت لحم قرب مكان المهد، المعلف الذي تمدد فيه الطفل يسوع، ولهذا قال النبي: «الثور يعرف صاحبه، وتعرف الأتان مزود صاحبه»، وقد حمل التبن من ذلك المزود، الذي تمدد فيه الطفل، إلى روما من قبل الامبراطورة حنة، وأنعم به بشكل مشرف على كنيسة القديسة مريم العظيمة.

وعلى بعد ميل من بيت لحم، باتجاه الشمال، أشع النجم على الرعاة، عندما ولد الرب، وظهر الملاك فيما بينهم وهو يقول: «المجد للرب في الأعالي وعلى الأرض السلام، وللناس المسرة»، وجاء الرجال الحكماء إلى بيت لحم من الشرق، يقودهم نجم جديد، ليعبدوا عمانويل الذي ولد، ولتعبده بتمثابة ملك الملائكة، وقدموا له هدايا من الذهب، والبخور، والمر.

وأصدر هيرود أميراً بقتل الأطفال الأبرياء في بيت لحم والمناطق

المجاورة، وقد دفن القسم الأعظم منهم على بعد ثلاثة أميال من بيت لحم باتجاه الجنوب، وعلى بعد ميلين من تقوع، وعلى بعد ميلين من بيت لحم، باتجاه الغرب، تقع الرملة، ولهذا عنها كتب: «سمع صوت في رامي»، وتحت الكنيسة في بيت لحم، ليس بعيداً عن مهد الرب، مدفون جسد القديس جيروم، وكذلك فإن الأرملة باولا ويوستاخيوم، الذي كتب جيروم شخصياً رسالة إليه، مدفونان في بيت لحم، وعلى بعد أربعة أميال من بيت لحم باتجاه الجنوب، تقوم كنيسة القديس كاريوث، الذي عندما مات، مات معه رهبانه، لأنه كان راعياً تقياً لهم، وبما أنهم كانوا أتقياء فقد تلقوا إنذاراً مبكراً من الرب بذلك، لأنه كان أباً رحيماً لهم، وهم لم يرغبوا بالعيش بعد موته، في هذا العالم، فقد كان حبه لهم عظيماً جداً، وكانوا يهيمون به.

ومن الممكن رؤية قلالياتهم المتعددة في الكنيسة المتقدمة الذكر، على حالها مثل وقت قتلهم لأنفسهم لدى فقدانهم لأبيهم، وقد نقلوا فيما بعد إلى القدس، حيث ترقد أجسادهم كلها في مدفن فخم واحد.

وعلى بعد ميل من بيت لحم، على الطريق الذي يقود إلى القدس، والذي يعرف باسم قبراتا، ومعناه إما «فراش» أو «ثقل»، هناك موضع قبر راحيل، حيث ماتت بعد وضعها لابنها بنيامين، وحيث أيضاً تولى دفنها زوجها يعقوب، وهناك هي ترقد، وقد بنى يعقوب فوق قبرها كومة مؤلفة من اثني عشرة صخرة عظيمة، وذلك تخليداً لذكرى أولادها الاثني عشر، وقبرها مع هذه الصخور باقٍ حتى هذا اليوم.

٩ — ومدينة القدس، التي هي الحاضرة الرائعة لليهود، قائمة في وسط العالم، ومنها طرد داود شاول، ومن ثم حكم لمدة ثلاثين سنة ونصف السنة، وعن داود قال الرب: «لقد وجدت رجلاً وافق قلبي»، وفي القدس ولد النبي اشعيا، الذي وجد في أيام حكم منشا، ملك اليهودية، وهو الذي تنبأ عن المسيح بشكل أعظم وضوحاً مما فعله غيره

من الأنبياء، وقد مات شهيداً، ذلك أنه شطر إلى قسمين، بسبب الكراهية التي نالها، ويوجد في القدس جبل موريا، الذي عليه رأى داوود الملاك، وهو يضرب بسيفه المجرد، وقد أنزل بشعب الرب ضربات مؤلمة، وخشية منه أن ينتقم الملاك منه شخصياً، ومن المدينة أيضاً، لأنه قام بتعداد الناس، خرّ على وجهه ساجداً على الأرض، في توبة صحيحة، وأسف عميق، وهنا سمع مسامحة الرب له وغفرانه، وقام فوق جبل موريا في أيام حكم داوود أرض بيدر أرونا اليوسفي، وهذه الأرض أراد داوود أن يشتريها منه، حتى يتمكن أن يبني بيتاً للرب، لأنه نال غفرانه وعفوه في ذلك المكان، ووفره ملاك الرب ولم ينتقم منه، وكذلك وفرّ المدينة، وأوقف يديه عن القتل هناك، وقد اشترى داود أرض البيدر، غير أنه منع من قبل الرب من البناء عليها، لأنه كان رجلاً دمويّاً، ولهذا السبب قام بإعداداته لابنه سليمان، الذي إليه منح الرب الإذن بالقيام ببناء بيت للرب، وعندما توفي أبوه، قام سليمان ببناء هيكل في بيت إيل، وبني أيضاً مذبحاً، وكرس الهيكل للرب، بعدما أنفق عليه أموالاً كثيرة جداً، وقام بإيمان مهيب وتقوى فسأل الرب أنه كلما طلب منه مطلباً أن يصغي له، وقد منحه الرب هذا الرجاء، ولهذا السبب حمل بيت الرب هذا الاسم «بيت الدعاء»، وأقول بأن هذا الهيكل قد جرى تدنيسه وسلبه من قبل الفرعون نيقو، ملك مصر، وكان ذلك في أيام رحبعام، ابن سليمان المتقدم الذكر، وتمكن نبوخذ نصر في أيام صدقيا، بوساطة كبير طباحيه نبوزردان، من أن يهدم أخيراً كل من الهيكل والمدينة، وقد أمر بأن يحمل إليه كل شيء ثمين كان هناك في الهيكل أو بالمدينة، وذلك بعد سلبه، وأن ينقل إلى بابل، وأمر أيضاً بحمل الملك صدقيا والشعب.

وأعيد فيما بعد بناء الهيكل أيام الملك قورش من قبل إسدراس الكاتب، ونحميا الكاهن، وأعيد الناس، وأرجعوا تحت قيادة زيروبل،

ويوشع الكاهن الأعلى، وجرى تدنيس الهيكل فيما بعد وتهديمه من قبل أنطيوخوس، ثم أعيدت عمارته في أيام المكابيين، وكذلك جرى تدنيسه من قبل بومبي، الذي أقام فيه، عندما كان فاراً من أمام يوليوس قيصر، وجرى أخيراً تهديم الهيكل للمرة الثالثة، وقلب عاليه سافله حتى أساساته في أيام حكم تيتوس وفسبسيان.

ولسوف أدون في هذه الرسالة — بقدر ما أستطيع — لصالح جميع القراء لهذا الكتاب، الحقيقة حول الوضع الحالي لبيت إيل: إنه في جميع الأحوال ما من أحد يعرف بشكل أكيد من قبل أي أمير، أو في عهد حكم من أعيدت عمارته، فبعضهم يقول: أعيدت عمارته في أيام حكم الامبراطور قسطنطين من قبل أمه هيلانة، وذلك صدوراً عن احترامها للصليب المقدس الذي وجدته هناك، ويقول بعضهم الآخر: لقد أعيدت عمارته من قبل الامبراطور هرقل، صدوراً عن احترامه للصليب الرب، الذي أعاده بشكل ممجد من فارس بعد انتصاره، ويقول آخرون بأن عمارته قد أعيدت من قبل الامبراطور جستنيان، ويقول آخرون: لقد بني من قبل واحد من حكام ممفيس (مصر) تشريفاً «لله الكبير» أي الله العلي الأعلى، ويبرهن على صحة ذلك الكتابات العربية الموجودة عليه، وبناء على هذا كله: إن هذا الهيكل المبجل بتقوى من قبل جميع الناس من جميع الألسن سواء، يستحق أن يدعى باسم الهيكل الرابع، وفي الهيكل الأخير الذي كان موجوداً قبل هذا، جرى ختن الطفل يسوع، في اليوم الثامن من تاريخ ولادته، وجرى عرض جلدة غرلته في الهيكل في القدس من قبل ملاك من السماء، ثم حملت من قبل الملاك، وقدمت هدية إلى الملك شارل الكبير (شارلمان)، وقد نقلت من قبله إلى آخن في غاليا، وبعد هذا نقلت من قبل شارل الجريء، ابن لويس الثاني إلى الكنيسة التي بناها على شرف المخلص في كارو Charroux في أكوتين، في مقاطعة بواتيه، وقد أوقف عليها ممتلكات عظيمة، عهد

بإدارتها للرهبان، حيث تعبد هناك بمهابة، من ذلك الوقت حتى اليوم الحالي، وفي يوم طهارة العذراء كان يسوع حاضراً مع أمه في الهيكل، وجرى استقباله وتسلمه من قبل سمعان المبارك، الذي قال له: «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام» الخ «نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» [لوقا: ٢ / ٢٩ - ٣٣]، وفي الهيكل حرر المرأة من إثمها، بعدما اعتقلت وهي تمارس الزنا، وقال: «دعو الذي بلا ذنب يرمي أول حجر عليها» وقال للمرأة: «أيتها المرأة اذهبي بسلام، ولا تذنبني بعد».

وفتح في الهيكل سفر إشعيا، وشرح بعضاً مما جاء فيه لليهود، ومدح في الهيكل تقدمة الأرملة الفقيرة، التي رمت بها في صندوق الخزانة، لأنها قدمت كل ما كانت تمتلكه.

واعتاد يسوع أثناء إقامته في القدس على تعليم اليهود في هذا الهيكل، وكانوا على كل حال يغارون منه.

وحدث أنه على أعلى زاوية الهيكل، وقف الشيطان ليسوع، يحاول إغواؤه وقال له: «إذا كنت ابن الرب ألق بنفسك من هنا»، فأجابه الرب قائلاً: «قف خلفي أيها الشيطان، إنك لن تغوي الرب إلهك»، ومن هذا الهيكل جرى إلقاء القديس جيمس من أعلاه، وهو الذي كان الكاهن الأعلى الأول تحت الغبطة في القدس، وفي الهيكل في القدس جرى إخبار زكريا من قبل الملاك بولادة ابنه يوحنا المعمدان، ولقد حدث مقتل الشهيد زكريا بن براخيا فيما بين الهيكل والمذبح، ولقد اعتادوا في ظل العهد القديم على أن يضحوا على هذا المذبح بثلاث حمام وطيور، وقد صنع المسلمون من هذا المذبح مزولة، يمكن رؤيتها في هذه الأيام.

وحدث أنه عندما كان بطرس ويوحنا يمران من خلال الباب الجميل العائد لهذا الهيكل، أنه قال للرجل الذي كان محمولاً يطاف به

هناك، لأنه كان أعرجاً منذ ولادته: «إن ما لدي، أعطيك إياه».

ويوجد في القدس بركة الضأن، الذي اعتاد ملاك الرب في أيام يسوع، أن يثير الماء فيها في أوقات محددة، وعندها فإن أول شخص مريض يدخل إلى الماء بعد تحركه، يشفى من أي مرض كان يعاني منه.

وفي الاغريقية معنى كلمة Probatan باللاتينية «ملك الضأن»، لأنه بعد التضحية اعتاد الناس على غسل أحشاء الأغنام هناك، وهذه الأحشاء تكون بالعادة لونها أحمر بسبب دماء الضحايا، وأمام بركة الضأن شفى يسوع المريض وأعاد صحته إليه حيث قال له: «احمل فراشك وامش»، وفي وسط القدس أقام يسوع الفتاة من الموت، وفي القدس جرى سجن بطرس من قبل هيرودس، وأطلق بعد هذا سراحه من قبل ملاك الرب، وحمل إلى خارج المدينة من خلال الباب الحديدي، الذي انفتح لهما من قبل نفسه.

وفي أحواز القدس، في وادي أبناء عمون، هناك مكان توفت Toph-et حيث لم يخجل الاسرائيليون من عبادة الأوثان العائدة للأمم، وفي أحواز القدس أيضاً، فيما بين مكان توفت، وحقل القصار، وحق الدم، دون قصر سليمان، وعلى جانب جبل صهيون، وتقريباً في وادي شعفاط توجد بركة استحمام سلوان، التي إليها أرسل يسوع الرجل الأعمى، بعدما ردّ البصر إليه، وقد أرسله إلى هناك حتى يغسل عينيه، وبالفعل غسل عينيه واسترد بصره، وبناء عليه قيل بأن معنى كلمة سلوان «أرسل»، وتأقي مياه سلوان — تبعاً لتقاليد السريان — من شيلوه، ويتدفق نبع سلوان بصمت، لأن مياهه تجري تحت الأرض، وعلى بعد أقل من رمية حجر عن سلوان يوجد جب روجل، وعلى مقربة من روجل توجد صخرة زوحت Zohelth، حيث ضحى أدونيا Adonjiah بأضاحيه.

وفي وادي شعفاط جرى دفن القديس جيمس، ونقل بعد ذلك إلى القسطنطينية، ويرقد في وادي شعفاط الملك شعفاط تحت هرم حاد الرأس.

وعلى بعد ميلين من القدس، وعلى الطريق الذي يقود إلى شكيم، يقوم جبل جبعة، وذلك في ديار سبط بنيامين.

وعلى بعد ميلين من القدس، وعلى جانب جبل الزيتون، وذلك باتجاه بحيرة اسفلت تقوم بيت عنيا، وإلى جانب جبل الزيتون، وبملاصقته يوجد جبل العدوان، وهما منفصلان عن بعضهما بواسطة الطريق الذي يسير من وادي شعفاط، ومن خلال بيت فاجي، إلى بيت عنيا، وقد عرف باسم جبل العدوان، لأن الملك سليمان أقام عليه صنم ملوخ Moloch وعبدته، وبيت عنيا هي القرية التي جاء منها سمعان المجدوم، الذي غالباً ما استضاف كل من يسوع ومريم، ومرثا، وتولى خدمتهم بكل إخلاص وتقوى، وفي بيت عنيا غسلت مريم قدمي يسوع بدموعها، ومسحتها بشعرها، ودهنتها بدهن، فالت الغفران لذنوبها، ومدح في بيت عنيا كل من مرثا ومريم، وكانت مرثا مهتمة كثيراً بخدمته، واهتمت مريم بالاصغاء إلى كلماته، وقد أثير بأدعيتها وبكائها فأقام من الموت أخاهما العازر، وذلك بعدما مضى على موته ودفنه أربعة أيام، وقيل بأن معنى كلمة بيت عنيا هو «بيت الطاعة».

وكانت بيت فاجي أيضاً قرية كهنة، وهي «بيت الفم» أو «بيت الفك»، وجبل الزيتون هو جبل الدهن «المسح» أو جبل الأضحية، ووادي شعفاط هو وادي الحكم، وفسرت كلمة القدس بأن معناها هو «رؤيا السلام»، وفسرت أيضاً كلمة صهيون بأن معناها «برج مراقبة» أو «مراقبة».

ومن خلال هذا الطريق ذهب يسوع إلى القدس، وكان جالساً على

ظهر أتان، وذلك في اليوم الذي احتفل فيه بأحد السعف، ووفق الطريقة نفسها على كل كاثوليكي يطيع أوامر العلي، أن يمثل في حضرة الكهنة، الأوصياء في عالم الرب، وذلك بغية أن يتسلم منهم التقويم، ثم يمضي في وادي الحكم، أي أن تقول: ندم التوبة الحقيقية، حتى يحكم على نفسه هناك، ويقرع الباب الشرقي، الذي هو المسيح، الشرق الصحيح، وذلك من أجل أن يتمكن بجدارة من الدخول إلى القدس المقدسة، وإلى صهيون السماوية، لكي يتزين بثوب السرور، وليحكم معه إلى الأبد.

وعلى جبل صهيون كان يسوع قد غسل أقدام حواريه، وهو يقول: «افعلوا هذا وأنتم تتذكرونني»، وعلى جبل صهيون تعشى يسوع مع حواريه.

هنا نهاية وصف بيد للأرض المقدسة.

حاج مجهول
(قرن ثاني عشر)
وصف الأرض المقدسة

على كل من يود الدخول إلى القدس، أن يؤم الشرق دوماً، وأن يدخل من خلال باب القديس اسطفان: فهناك في خارج الباب جرى رجم القديس أسطفان، وعليه أن يسأل في القدس عن الأماكن وفق ترتيبها الصحيح.

ويوجد في القدس ضريح الرب، وعند المدخل إلى أبواب كنيسة الضريح المقدس، ووراء الباب الخارجي، توجد كنيسة أكرا (الجمجمة)، حيث كانت مريم المباركة واقفة، وحيث كان القديس يوحنا واقفاً أيضاً، وذلك عندما قال الرب «انتبهي أيتها المرأة هو ذا ابنك..... يا بني هو ذا أملك»، ويوجد خارج باب الكنيسة، على جهة اليسار، مذبج القديس يوحنا المعمدان، ومن داخل الباب، يوجد ثانية على جهة اليمين جبل أكرا (الجمجمة) حيث جرى صلب الرب، ودونه توجد الجلجلة، حيث سقط دم الرب فوق الصخرة، وكان هناك رأس آدم، وهناك قدم إبراهيم أضحيته، وعلى الطرف الآخر عند سفح جبل أكرا يقوم المكان والعمود، حيث جرى جلد الرب، وعلى مقربة منه باتجاه الشرق، وبعد النزول أربعين درجة، يوجد المكان الذي وجدت فيه القديسة هيلانة الصليب المقدس، ويوجد في الكنيسة ضريح الرب، وهناك على مقربة منه، على الطرف الشرقي، وفي وسط السدة هناك، يوجد وسط العالم، حيث تمدد الرب، عندما أنزله نيقوديموس من على الصليب، ويوجد على جهة اليسار سجن الرب، وبالجوار هناك المكان الذي يتعبد فيه الصليب المقدس.

وعلى مقربة من كنيسة الضريح المقدس، تقوم كنيسة القديسة مريم، التي تعرف باسم كنيسة القديسة مريم للاتين، وذلك فوق المكان الذي قيل بأن القديسة مريم المجدلية، والقديسة مريم زوجة كيفاس، قد مزقتا فيه شعريهما، عندما وضع الرب على الصليب، ويوجد هناك مشفى القديس يوحنا المعمدان. (المعطاء)

وعلى بعد رميتي سهم من ذلك المكان يوجد هيكل الرب، الذي بني من قبل سليمان، وله أربعة مداخل، واثنى عشر باباً، ويوجد في وسط الهيكل صخرة عظيمة، حيث جرت العادة بوضع التابوت وخيمة العهد عليها، وكان في التابوت آنذاك عصا ابراهيم، وألواح الشريعة، والشمعدانات الذهب، ووعاء المن التي سقطت من السماء، وكانت هناك نار القربان، ومن هناك ما يزال يتدفق الزيت الذي جرت العادة أن يمسح به الملك والأنبياء، وعلى مقربة من هذا المكان جرى تقديم ابن الرب، ورأى يعقوب السلم نازلاً من السماء، وعلى جهة اليسار من السدة يوجد النقش التالي:

«ملك الملوك الذي ولد من أم عذراء،

جرى تقديمه هنا، هذه أرض مقدسه.

هنا رأى يعقوب السلم، وهنا بنى

مذبحه. علّنا نتمكن من تعليق أعطيات حوله».

ويوجد على جهة اليمين المكان الذي ظهر فيه الملاك لزكريا، ودون ذلك مكان الاعتراف، الذي كان فيما مضى قدس الأقداس، وهو المكان الذي أطلق فيه الرب سراح المرأة التي أمسكت متلبسة بالزنا، وقد نقش هناك:

«من الذنب حررت أنا الناس

إذا ما اعترفوا بذنوبهم لي».

وهناك جرى الاعلان عن ولادة القديس يوحنا المعمدان، وهناك أيضاً عمود يجري تعبدته من قبل المسلمين، حيث يقال بأنه قائم في المكان الذي قام عليه المذبح الذي أقيم فوق البقعة التي أراد ابراهيم أن يضحى فيها بابنه، وهناك أيضاً كنيسة فوق الموضع الذي ألقى عليه القديس جيمس من أعلى الهيكل، ووراء هذا، في خلف الهيكل هناك مذبح قرب المكان الذي قتل فيه القديس زكريا، والباب الجميل هو الباب الذي يؤدي إلى صحن الهيكل.

وعلى الجهة الأخرى من الهيكل، فيما بين الهيكل والباب الذهبي هناك أشجار، فهناك حمل الأطفال الأغصان، عندما ركب الرب على ظهر أتان، وهناك قرب هيكل سليمان، عند زاوية المدينة، توجد عليّة المسيح (المهد؟) وفراش أمه وحمامها، وهناك ضريح القديس سمعان.

وعلى الجهة الشرقية، قرب الهيكل، يوجد الباب الذهبي، وإلى الشمال هناك بركة الضأن، وهناك أيضاً على مقربة منها كنيسة القديسة حنة، والبئر الذي يذهب الحجاج إليه، وعلى مقربة من كنيسة القديسة حنة هناك كنيسة القديسة مريم المجدلية، وباتجاه الشمال، على مقربة من الضريح المقدس هناك كنيسة القديس شارتون.

وعلى جهة الجنوب هناك جبل صهيون، حيث توجد كنيسة جميلة بنيت تشريفاً لمريم المباركة، ففيها فارقت الدنيا ومضت إلى السماء، وقد حمل جسدها الأكثر قداسة إلى وادي شعفاط، وعلى جانب اليسار من هذه الكنيسة هناك بيعة قائمة حيث كانت قاعة القضاء والحكم على المسيح، وعلى جهة اليمين هناك الجليلية، حيث ظهر الرب لكل من سمعان (بطرس) والنساء، وفوق، قرب السدة يوجد المكان الذي نزل فيه الروح القدس على الحواريين، وفي تلك الكنيسة نفسها توجد المائدة

التي تعشى المسيح عليها، وذلك عندما قال: «خذوا، وكلوا، هذا هو جسدي»، ودون ذلك يوجد المكان الذي غسل فيه أقدام حواريه، وهناك يوجد الحوض الذي حوى الماء، وفي هذا المكان نفسه وقف يسوع عندما قال: «سلام لكم»، وهنا أيضاً لمس القديس توما جنب الرب، وعلى طرف اليسار يوجد مذبح القديس اسطفان، وذلك فوق المكان الذي دفن فيه.

وفي خارج الكنيسة هناك كنيسة صغيرة فوق المكان الذي دفن فيه.

وفي خارج الكنيسة هناك كنيسة صغيرة فوق مكان قاعة المحاكمة، حيث جلد الرب، وتوج بتاج من شوك، وسخر منه، وهنا كان بيت كيفاس، وخلف جبل صهيون هناك كنيسة فوق المكان الذي فرّ إليه القديس بطرس، وذلك عندما أنكر الرب، وصاح الديك، وباتجاه وادي شعفاط، هناك بركة استحمام سلوان، حيث جرى دفن النبي إشعيا.

ويوجد فيما بين القدس وجبل الزيتون، وادي شعفاط، حيث دفن الحواريون مريم المباركة، وهناك يوجد جدول قدرون، وهناك أيضاً البيت الاقليمي الذي كان اسمه جيساني، فمن هناك أبعد الرب بطرساً وبقية الحواريين، بينما أخذ يصلي ويدعو قائلاً: «هل من الممكن يا رب» الخ، وهناك أيضاً الحديقة، حيث ألقي القبض عليه من قبل اليهود، وعلى مسافة رمية حجر من هناك المكان الذي صلى فيه، وأخذ عرقه يتصبب منه على الأرض مثل نقاط كبيرة من الدم، وقرب هذا المكان يوجد ضريح الملك شعفاط، الذي منه حمل الوادي اسمه، وهناك أيضاً كنيسة فيها دفن القديس جيمس وزكريا الشيخ العجوز المقدس، وليس بعيداً عن هناك يوجد حق الدم، أو موضع دفن الغرباء.

وصعد الرب إلى أبيه من على جبل الزيتون، وهناك أمر حواريه بالتبشير بالإنجيل إلى جميع المخلوقات، وليس بعيداً عن هناك توجد

كنيسة صغيرة، فيها تمت تلاوة صلاة الرب، وتحت يوجد كنيسة فيها ضريح القديسة بيلاجيا، بين جبل الزيتون وبيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، التي إليها أرسل بطرس ويوحنا لجلب أتان، وإلى جوارها في بيت عنيا، أقام الرب العازر وغفر للمرأة الخاطئة ذنوبها، وهناك كان بيت سمعان المجدوم، وإلى جوار ذلك كنيسة القديسة مريثا، حيث التقت هي ومريم بالرب.

ويمر الطريق الذهاب من القدس إلى بيت لحم من خلال باب داوود، ويمر بكنيسة القديس إلياس، التي بنيت فوق البقعة التي وقف عليها، ويوجد إلى جانب الطريق قبر راحيل، وفي بيت لحم ولد المسيح، وهناك ضريح القديس جيروم، والبئر الذي سقط فيه النجم، وهناك أيضاً صورة تظهر القديسة مريم مع الملوك الثلاثة، وفي الساحة الداخلية هناك قبور الأبرياء، وفي قبو كنيسة العذراء المباركة هناك مذبح قائم فوق المكان الذي ولدت فيه، وليس بعيداً عن بيت لحم هناك الكنيسة القائمة فوق المكان الذي ظهر فيه الملاك إلى الرعاة، وهناك أيضاً كنيسة فوق المكان الذي استراحت القديسة مريم فيه عندما كانت حاملاً بالرب، وعند شرقي هذه الكنيسة يوجد الطريق الذي يقود إلى قبر إبراهيم في حبرون، وذلك على بعد خمسة فراسخ عن القدس، وصنع الرب في هذا المكان نفسه (حبرون) آدم، وليس بعيداً عن هناك كان بيت قاييل وهابيل، وعلى مقربة منها يوجد المكان الذي ظهر الرب فيه لإبراهيم بين ثلاثة، وباتجاه الشرق (الغرب) يوجد المكان الذي حيت فيه مريم إيزابل، وحيث ولد يوحنا المعمدان، وحيث أيضاً سكن زكريا، وعلى بعد ميلين من هناك توجد قلعة عمواس.

ويوجد خارج باب القدس كنيسة الضريح المقدس، وذلك فوق المكان الذي جري قطع خشبته فيه، وفي القدس مكان سجن فيه القديس بطرس، ويوجد في الهيكل نبع ماء الحياة، ولهذا قال النبي: «لقد

رأيت مياهها تخرج» الخ (حزقيال: ٤٧ / ١).

وعلى بعد سبعة أميال من القدس يقوم جبل القرنطل، وعند سفح ذلك الجبل هناك حديقة إبراهيم، وعلى مقربة من ذلك المكان توجد مدينة أريحا، وعلى بعد فرسخين من هناك يوجد نهر الأردن، والمسافة من ذلك النهر إلى جبل سيناء تحتاج إلى سفر ثمانية عشر يوماً.

والمسافة من القدس إلى السامرة (شكيم) التي اسمها الآن نابلس هي اثني عشر ميلاً، حيث يوجد البئر الذي تحدث الرب عنده مع المرأة السامرية، وهناك أيضاً الجبل الذي كان إبراهيم سيقدم عليه ابنه، وعلى بعد فرسخين من ذلك المكان توجد سبسطية، حيث جرى إعدام القديس يوحنا المعمدان بقطع رأسه، وحيث رماده محفوظ حتى هذا اليوم.

وعلى بعد فرسخين من هناك يوجد جبل الطور، حيث تغير شكل الرب، وعلى مقربة منه يوجد جبل حرمون، حيث تقوم مدينة نين، التي أقام الرب من الموت، أمام بابها، الابن الوحيد لأمه، وباتجاه الشرق يوجد بحر الجليل، حيث أطعم الرب خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين، وإلى الغرب توجد مدينة الناصرة النبيلة، حيث فيها تمت البشارة إلى العذراء المباركة من قبل الملاك، فهناك كان يوجد بيتها.

وينبغي تعبد هذه الأماكن وأماكن أخرى من قبل المؤمنين.

حاج مجهول

(قرن ثاني عشر، ر بما سنة ١١٨٥)

حول بلاد ماوراء البحار

كل من سيزور أرض الميعاد سوف يرى الأماكن التالية كمايلي:
يأتون أولاً إلى مدينة الناصرة، فهناك أعلن الملاك البشارة إلى مريم
المباركة، وحملت هي بوساطة روح القدس.

ثم يأتون إلى مدينة القدس، وهناك سوف تجدون في خارج الأسوار
المكان الذي رجم فيه القديس اسطفان، ومن هناك سوف تقصدون
الضريح المقدس، القائم في وسط مدينة القدس، وعند المدخل إلى كنيسة
الضريح المقدس، وعلى جهة اليمين، يوجد المكان الذي عهد الرب فيه
بالعناية بالعدراء المباركة إلى القديس يوحنا، وسوف تجدون هناك في
داخل الكنيسة الجلجلة، وفوقها يوجد جبل أكرأ، حيث جرى صلب
ربنا، وسوف تذهبون من هناك إلى المكان الذي عثر فيه على الصليب
المقدس، ثم في سدة الكهنة النظاميين ستجدون المكان الذي مدد ربنا
عليه بعد إنزاله من على الصليب، ومن ثم لف (بكفن) من كتان، ويقال
بأن هذا المكان موجود في وسط العالم، وقد حمل من هذا المكان إلى
الضريح المقدس، وعند مدخل الضريح المقدس يوجد المكان الذي
جلس الملاك فيه عندما كان ربنا في الضريح.

ونصل بعد هذا إلى جبل الزيتون حيث توجد بيعة القديس المخلص،
التي تدعى باسم «قاعة قضاء بيلايطس»، ففي هذا المكان جرى تتويج
ربنا، وربط، وبصق عليه، وحكم عليه من قبل بيلايطس، ولسوف
تصلون بعد هذا إلى المكان الذي فارقت منه العدراء المباركة الحياة، ثم

إلى مكان عشاء الرب، حيث أصدر أوامره إلى حواريينه، وغسل أقدامهم، وهناك أيضاً المكان الذي كرس فيه جسده، وإلى حيث عاد إليهم بعد قيامته، وكانوا جلوساً وراء باب مغلق، وخاطبهم بقوله: «سلام لكم»، وفي ذلك المكان نزل الروح القدس على الحواريين في يوم عيد الحصاد، وسوف تجدون بعد هذا قبر الملك سليمان وقبر القديس اسطفان، الذي كان الشهيد الأول، والمكان الذي جرى فيه رسم القديس اسطفان، ثم سوف تأتون إلى المكان الذي أخفى فيه القديس بطرس نفسه، عندما أنكر المسيح.

ثم تأتون بعد هذا إلى نبع سلوان، حيث غسل الرجل الأعمى عينيه، واسترد بصره مباشرة ومن هناك تمضون إلى هيكل الرب حيث جرى تقديم المسيح، وقد تسلمه هناك سمعان، وتذهبون من هناك إلى القديسة حنة.

ومن ذلك المكان إلى وادي شعفاط، حيث سوف تجدون ضريح مريم العذراء المباركة، وبجوار ذلك المكان، يوجد الموضع الذي ربط فيه الرب، ثم إنكم تصعدون إلى جبل الزيتون، حيث ستجدون المكان الذي صعد منه ربنا إلى السماء، وهناك أيضاً كنيسة تدعى «كنيسة الصلاة الربانية»، ومن هناك تذهبون إلى بيت عنيا، حيث أقام ربنا ألعازر من الموت، وهناك كنيسة القديسة مريم المجدلية، وهناك صخرة كان الرب جالساً عليها عندما جاءت مرثا إليه، وتمضون من هناك إلى نهر الأردن.

ومن ثم إلى بيت لحم، حيث ستجدون المكان الذي ولد فيه ربنا، وهناك المعلق الذي تمدد فيه، وبعد هذا إلى الموضع الذي حمل إليه الملاك البشائر الطيبة، والسرور العام إلى الرعيان (لوقا: ٢) قائلاً: «المجد للرب في الأعالي، وعلى الأرض» النخ، ومن هناك إلى مكان البطريك إبراهيم المقدس، وبعد ذلك إلى المكان الذي ولد فيه القديس يوحنا المعمدان، ومن بعد إلى البئر الموجود في عمواس، حيث كان ربنا يوم

- ٣٩٠٩ -

عيد الفصح، وقد عرفوه من خلال كسر الخبز.
ومن هناك إلى جبل الطور، حيث تغير شكل ربنا.
والذي مع الرب الآب، ومع الابن، باتحاد مع الروح القدس، سوف
يحكم إلى أبد الأبد، آمين.

- ۳۹۱۱ -

۲
أرنول
(۱۲۲۰ م)

مدينة القدس

وصف أوضاع مدينة القدس والأماكن المقدسة في هذا اليوم

نظراً لرغبة أحسن المسيحيين في الحديث عن مدينة القدس، وعن الأماكن المقدسة التي عاش فيها يسوع المسيح ومات، ولتوفر الرغبة بالسماع عنها، سوف نحدثكم عنها، كيف كانت أيام استيلاء صلاح الدين والمسلمين عليها، وانتزاعها من المسيحيين، ولعل هناك العديد من الناس الذين يرغبون بسماع هذه الأشياء، أما الذين لن يسرهم ذلك، فيمكنهم المرور مرور الكرام بهذا المكان.

— ١ —

جبل صهيون — دير وكنيسة سيدتنا — البيت الذي صنع فيه يسوع عشاءه، والمكان الذي ظهر فيه لحوارييه، حيث أراهم جروحه، وحيث صعد إلى السماء، وحيث أرسل الروح القدس، وحيث توفت سيدتنا.

لم تعد مدينة القدس الممجة قائمة في المكان الذي كانت قائمة فيه، عندما كان يسوع المسيح على الأرض، وعندما صلب، وعندما قام ثانية من الموت وعاد إلى الحياة، فعندما كان يسوع المسيح على الأرض، كانت مدينة القدس قائمة فوق جبل صهيون، غير أنها لم تعد قائمة هناك، والذي هناك الآن هو فقط دير للرهبان، وفي هذا الدير توجد كنيسة مريم المقدسة، ولقد أخبرنا، أن المكان الذي تقوم الكنيسة فيه، كان البيت الذي تعشى فيه يسوع المسيح مع حوارييه في يوم خميس (Jeudi Absolu) وشرع فيه القداس على المذبح، [وفي هذه الكنيسة يوجد المكان الذي ظهر فيه لحوارييه في يوم عيد الفصح عندما قام من الموت]، وفي هذه الكنيسة المكان الذي أرى فيه الجروح التي كانت في يديه وقدميه وجانبه، أراهم إلى القديس توماس في اليوم الثامن لعيد الفصح، وأخبره أن عليه أن يعطيه إصبعه حتى يضعه على جانبه، من

أجل أن يصدق بثبات ودون أدنى شك، ولكي لا يكون غير مؤمن، بل أن يكون مؤمناً، وهناك أيضاً ظهر في يوم صعوده لحوارييه، عندما جاء لوداعهم، وليعرج إلى السماء، وقد رافقوه من هنا إلى جبل الزيتون، من حيث صعد إلى السماء، ثم عادوا من هناك إلى مكانه نفسه وانتظروا الروح القدس، وفقاً لما أمرهم به يسوع المسيح، فقد أمرهم بوجوب العودة إلى المدينة وأن عليهم انتظار الروح القدس، التي وعدهم بقدومها، وأرسل إليهم وهم في هذا المكان نعمة روح القدس، وذلك في يوم عيد الحصاد، وكذلك يوجد في هذه الكنيسة المكان الذي توفيت فيه مريم المقدسة في الجليلية، ومن هناك حملها الحواريون إلى وادي شعفاط، ووضعوها في ضريحها.

— ٢ —

ضريح وكنيسة سيدتنا في شعفاط، وكنيسة سيدتنا على جبل صهيون، ودير الكهنة النظاميين.

يوجد فوق موقع ضريح مريم المقدسة كنيسة يدعونها باسم كنيسة مريم المقدسة في شعفاط، وهي تمتلك ديراً للرهبان السود، وتدعى كنيسة جبل صهيون باسم كنيسة مريم المقدسة لجبل صهيون، ولها دير كهنة نظاميين، وهذان الديران موجودان خارج أسوار المدينة: واحد فوق الجبل، والآخر في الوادي، والدير الموجود على جبل صهيون، قائم على يمين المدينة، في جهة الجنوب تماماً، والذي في وادي شعفاط، قائم باتجاه الشرق، بين جبل الزيتون وجبل صهيون.

— ٣ —

كنيسة الضريح المقدس والجمجمة

كانت كنيسة الضريح المقدس وجبل أكر (الجمجمة) حسب وضعها الحالي، في أيام يسوع المسيح، عندما صلب، خارج الأسوار، في حين هي

الآن في وسط المدينة، والمدينة كذلك قائمة على السفوح المتجهة نحو جبل الزيتون في الشرق خلف وادي شعفاط.

— ٤ —

الأبواب الأربعة — باب و برج داود — الباب الخلفي نحو جبل صهيون — كنيسة القديس جيمس أوف غاليشيا Galicia .

يوجد في مدينة القدس أربعة أبواب رئيسية، متصالية، كل واحد منها أمام الآخر، وذلك بين أبواب خلفية، وسأتولى الآن تقديم أسماءهم لك حسبما يلي:

باب داود، هو باتجاه الغرب، وهو يواجه تماماً الباب الذهبي، المتجه نحو الشرق، وذلك خلف «كنيسة الهيكل»، وهذا الباب عائد إلى برج داود، ولهذا السبب دعي باسم باب داود، وتنعطف من داخل هذا الباب نحو اليمين، إلى شارع هناك، ومن قرب برج داود يمكنك الذهاب إلى جبل صهيون، [وذلك بوساطة باب خلفي موجود هناك]، ويوجد في ذلك الشارع، وأنت ذاهب نحو الباب الخلفي، كنيسة القديس جيمس الغاليسي، الذي كان أخاً للقديس يوحنا الانجيلي، وقد قيل بأن رأس القديس جيمس قد قطع هناك، ولهذا جرى بناء الكنيسة في ذلك الموضع.

— ٥ —

شارع داود — شارع البطريك — باب بيت الاسبتارية وكنيسة الضريح المقدس — شارع جبل صهيون — شارع العشابين — سوق السمك — السوق الكبير — حوانيت الصاغة — الحجاج بما وراء البحر — دير القديسة مريم الكبير — دير القديسة مريم للاتين — بيت الاسبتارية.

الطريق الكبير هو الطريق الذي يمضي مباشرة من برج داوود إلى الباب الذهبي، ويدعى هذا الطريق [من هناك حتى نقطة التبديل] باسم طريق داوود ، ويوجد في الجهة الشرقية من برج داوود منطقة واسعة يبيعون القمح فيها، ولدى سير الانسان نزولاً مسافة أبعد قليلاً عن طريق داوود هذا، يصل إلى طريق قائم على جهة اليسار، يدعى باسم طريق البطريك، لأن البطريك يسكن في رأسه، وهناك باب قائم على جهة اليمين من شارع البطريك ، من خلاله يمكن للانسان الدخول إلى بيت الاستتارية، ويوجد بعد هذا باب ، يدخل الانسان منه إلى كنيسة الضريح، لكن هذا ليس الباب الرئيسي.

وعندما تأتي إلى التحويلة، حيث نهاية طريق داوود، هناك طريق يدعى طريق جبل صهيون، لأنه يمضي مباشرة إلى جبل صهيون، ويوجد على يسار التحويلة طريق مغطى، وهو طريق مقنطر، اسمه طريق العشابين، حيث يبيعون الأعشاب، وجميع فواكه المدينة وتوابلها، ويوجد عند رأس هذا الطريق مكان يبيعون فيه السمك، ويوجد خلف هذا السوق الذي يبيعون فيه السمك، مكان واسع جداً، على جهة اليسار، يبيعون فيه الجبن، والدجاج، والبيض، والطيور، وعلى جهة اليمين لهذا السوق توجد حوانيت الصاغة السوريين، ويبيعون هناك سعف النخيل التي يجلبها الحجاج من بلاد ما وراء البحر.

وعلى جهة اليسار من السوق حوانيت الصاغة اللاتين، وعند نهاية هذه الحوانيت هناك دير للراهبات، يعرف باسم دير القديسة مريم الكبير، وبعد دير الراهبات هذا يوجد دير للرهبان السود، اسمه دير القديسة مريم لللاتين، ثم يلي ذلك بيت الاستتارية، وهنا يقوم باب الاستتارية الرئيسي.

الباب الرئيسي ومكان الضريح المقدس — كنيسة القديس جيمس
لليعاقبة — أكرا — الجلجلة — برج الناقوس — بيعة الثالث
المقدس.

على يمين المشفى هناك الباب الرئيسي للضريح، وأمام باب الضريح
هذا هناك ساحة مفتوحة جميلة جداً، وهي مبلطة بالرخام، ويوجد على
جهة اليسار للضريح كنيسة تدعى كنيسة القديس جيمس لليعاقبة،
وعلى جهة اليمين، وملاصق لباب الضريح هذا، يوجد درجات يصعد
الانسان بوساطتها إلى جبل أكرا، ويوجد على قمة الجبل بيعة فائقة
الجمال، وهناك باب آخر في هذه البيعة، يدخل الانسان منه ويصعد إلى
كنيسة الضريح، وذلك بوساطة درجات أخرى موجودة هناك، وذلك
كأن الانسان يدخل إلى الكنيسة.

وعلى جهة اليمين، وتحت جبل أكرا، هناك الجلجلة، وعلى جهة
اليسار يوجد برج الناقوس العائد للضريح، وبيعة كانت تعرف باسم
بيعة الثالث المقدس، وهذه البيعة واسعة جداً، ذلك أنها المكان الذي
يجري فيه زواج جميع نساء المدينة، وهناك الجرن الذي يجري تعميد
أطفال المدينة فيه، وهذه البيعة ملاصقة للضريح، ولهذا هناك باب
يشكل مدخلاً إلى الكنيسة.

آبدة الضريح — كنيسة الضريح المقدس — سدة جوقة المرتلين في
الضريح المقدس — مذبح الاغريق — البوصلة.

يوجد على يمين هذا الباب الضريح، وفي هذا المكان، حيث يوجد
الضريح، نجد أن الكنيسة مستديرة تماماً، وهي مفتوحة من الأعلى،
بدون أي غطاء، وفي داخل الآبدة هناك صخرة الضريح، والآبدة

مقنطرة من الأعلى، وعند رأس هذه الأبدية، أي تماماً عند رأس مذبح هناك في الخارج مذبح يطلقون عليه اسم «المطهر»، وينشدون هناك يومياً قداساً عند شروق الشمس، ويوجد هناك مكان جميل جداً، كله مستدير حول الضريح، وهو بأكمله مبلط: وبذلك يمكن للناس القيام بمسيرة حول الضريح، وبين الشرفة حيث يغني الكهنة النظاميون وبين الأبدية، هناك مذبح، عنده يتولى الاغريق الانشاد، ويوجد مكان مغلق بين الجهتين، وهناك بينهما يمضي الانسان من خلاله من مكان إلى آخر، وفي وسط شرفة الكهنة النظاميين هناك قطعة من الرخام، تدعى «البوصلة»، ويقرأون هناك الانجيل.

— ٨ —

أكرا (الجمجمة)

وعلى جهة اليمين للمذبح العلوي لهذه الشرفة يقوم جبل أكرا، وفي أثناء تلاوة قداس القيامة يقوم الشماس عندما يقرأ في الانجيل كلمة «صلب» بالتوجه نحو جبل أكرا، ثم يلتفت نحو الضريح وذلك عندما يقول: «Surrexit, non est hic»، ثم يشير بإصبعه عند الوصول إلى قوله: «Eue Locus ubi Posuerunt eum»، ثم يعود إلى الكتاب، وينتهي من قراءة الانجيل.

— ٩ —

الكهنة النظاميون ومكاتبهم الوظيفية — الرواق المغلق — بيعة القديسة حنة (هيلانة) — المهجع والمطعم.

يوجد عند رأس الشرفة باب يدخل منه الكهنة النظاميون إلى أماكنهم: وعلى جهة اليمين بين هذا الباب وجبل أكرا هناك حفرة عميقة، ينزل إليها الانسان بدرجات، ويوجد هناك بيعة اسمها بيعة القديسة هيلانة، فهناك وجدت القديسة هيلانة الصليب، والمسامير

والمطربة، والتاج، وكانوا قد اعتادوا في أيام وجود يسوع المسيح على الأرض على رمي الصليبان في الحفرة، بعدما يفرغون من صلب اللصوص، وكذلك الأطراف التي كانوا يقطعونها من المجرمين، وبناء عليه أطلقوا على هذه التلة اسم جبل أكر (الجمجمة)، لأنهم كانوا ينفذون هناك الأحكام، وما كانت تأمر به الشريعة، وكانوا يلقون على هذا الجبل الأطراف التي كانوا يقطعونها لدى تنفيذ الأحكام على المدانين من قبل الشريعة، وعندما يخرج الكهنة النظاميون من الضريح المقدس، هناك على جهة اليسار مهجعهم، وعلى جهة اليمين المطعم، الذي هو ملاصق لجبل أكر، وبين هذين المكتبين هناك رواقهم المغلق وأرضهم التي يمشون عليها، ويوجد في وسط هذه الساحة مكان واسع مفتوح، منه يستطيع الانسان أن ينظر إلى علىة هيلانة في الأسفل، وغير ذلك لا يستطيع الانسان أن يرى شيئاً.

شارع العشابين — شارع الطبخ — الشارع المغطى

أما وقد أخبرتكم عن الضريح وحدثتكم كيف هو، سيكون مفيداً العودة إلى التحويلة، فقبل التحويلة وملاصق لشارع العشابين (الآن سوق اللحم) هناك شارع اسمه شارع الطبخ (الآن سوق العطارين)، وهم يطبخون في الشارع الطعام للحجاج، ويبيعونه، ويغسلون رؤوسهم، ويوجد أمام شارع الطبخ هذا شارع يدعى الشارع المغطى (الآن سوق الخواجات)، وهناك يبيعون الأمتعة، وهو كله مقنطر، ويذهب الانسان من خلال هذا الشارع إلى الضريح المقدس.

شارع الهيكل — موضع الجدارين — المشفى — الجسر — كنيسة صنجيل — الباب الجميل.

سنترك التحويلة الآن، وسوف نذهب إلى الباب الذهبي، والطريق الذي يأخذ الانسان من التحويلة إلى الباب الذهبي، هو طريق الهيكل، وقد أطلق على هذا الطريق اسم طريق الهيكل، لأن الانسان يأخذ هذا الطريق إلى الهيكل، وكذلك إلى الباب الذهبي.

ولدى مضيك نزولاً عبر هذا الطريق تصل إلى موضع الجدارين، وذلك على جهة اليسار، وذلك حيث يبيعون لحم البلدة، ويوجد على جهة اليمين هناك شارع آخر، يذهب الانسان من خلاله إلى المشفى الألماني، ولذلك يدعى هذا الطريق باسم طريق الألمان، وعلى جهة اليسار، يوجد على الجسر كنيسة صنجيل، وعلى رأس هذا الشارع هناك باب يدعى باسم الباب الجميل، وذلك لأن يسوعاً المسيح دخل من هذا الباب إلى مدينة القدس عندما كان موجوداً فوق الأرض، وهذا الباب موجود في السور فيما بين سور المدينة والباب الذهبي.

- ١٢ -

الهيكل — البلاط — قصر سليمان — مسكن الداوية — كنيسة الهيكل والدير هناك.

الهيكل قائم بين سور المدينة، وسور الباب الذهبي، وهناك ساحة واسعة طولها أكثر من رمية سهم وعرضها أكثر من رمية حجر، موجودة قبل أن يدخل الانسان إلى الهيكل، وهذه الساحة مبلطة ولهذا السبب عرفت باسم البلاط، وإذا ما قدمنا من الباب القائم على جهة اليمين، نجد هيكل سليمان، وهناك يعيش رهبان الداوية، وفيما بين الباب الجميل والباب الذهبي هناك كنيسة الهيكل، وهذه مرتفعة، لذلك يصعد إليها الانسان بدرجات، ولدى الصعود على هذه الدرجات يجد الانسان منطقة واسعة كلها مبلطة بالرخام، تشكل رصيفاً عريضاً، ويمتد هذا الرصيف حول إطار كنيسة الهيكل بشكل كامل، وكنيسة

الهيكل مستديرة تماماً، ويوجد على جهة اليسار للرصيف المرتفع العائد للهيكل، مكان سكنى راعي الدير، والكهنة النظاميين، ويوجد في هذا الجزء هناك درجات، يصعد الانسان عليها إلى الهيكل، ويكون صعوده من الرصيف المنخفض إلى الجزء العلوي.

البيعة المقامة حيث استشهد القديس جيمس — المرأة التي كانت مذنبه — الباب الذهبي — باب سليمان — باب شعفاط.

باتجاه الشرق وإلى جوار كنيسة الهيكل، هناك بيعة القديس جيمس [الرسول] الصغرى، لأنه هناك استشهد، عندما رماه اليهود من أعلى الهيكل، وفي داخل هذه البيعة يوجد المكان الذي أنقذ فيه يسوع المسيح المرأة المذنبه، التي كانوا على وشك القيام بقتلها، لأنهم أمسكوها وهي تزني، وقد سألها عندما حررها: أين هؤلاء الذين اتهموك؟ وقد أجابته بأنها لا تعرف، ثم إنه قال لها بأن عليها الذهاب، وأن لا تذهب بعد الآن، وعند نهاية الرصيف، باتجاه الشرق، يذهب الانسان نزولاً بوساطة بعض الدرجات حتى يصل إلى الباب الذهبي، وبعد نزوله هذه الدرجات يجد فسحة واسعة، تمتد حتى الباب الذهبي، وكانت هذه هي الساحة التي صنعها سليمان، وما من أحد يمكنه المرور من هذه الأبواب لأنها مغلقة، اللهم إلا مرتين في العام، عندما تجري إزالة الجدار المغلقة به، ويكون ذلك في يوم أحد السعف، وذلك عندما يمضون في مسيرة، لأن المسيح قد مرّ من هناك أثناء مثل هذا اليوم، وجرى استقباله بمسيرة. وكذلك يكون الأمر يوم عيد الصليب المقدس، وذلك في شهر أيلول، لأن الصليب جلب إلى القدس من خلال هذا الباب، وكان ذلك بعدما انتصر الامبراطور هرقل على فارس، وأعادته وأدخله من خلال هذا الباب إلى المدينة، فآنذاك استقبل من قبل مسيرة، وبما أنه ما من أحد قد خرج قط من المدينة من خلال هذا الباب، هناك باب

خلفي موجود على الطرف، يدعى باب شعفاط، والذين يرغبون بالذهاب إلى خارج المدينة من هذه المنطقة، يذهبون من خلال هذا الباب الخلفي، وهذا الباب الخلفي موجود على جهة اليسار بالنسبة للباب الذهبي.

الكنيسة المسماة بكنيسة المهد — كنيسة الهيكل — الأبواب الأربعة — الدير.

تنزل من جهة اليمين من الرصيف الأعلى العائد للهيكل إلى الجزء المنخفض، ومن هناك يذهب الانسان إلى هيكل سليمان، وعلى جهة اليسار، ولدى مضيق في الأسفل من الرصيف الأعلى، هناك كنيسة تدعى كنيسة المهد (سرير عيسى في الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم)، وكان يوجد هناك المهد الذي عاش فيه الرب خلال طفولته، وذلك حسبما يقولون، وتمتلك كنيسة الهيكل الآن أربعة أبواب متصالية، ويواجه الباب الأول الغرب، وهو الباب الذي يدخل منه الانسان من المدينة إلى الهيكل، ويمكنك أن تدخل بواسطة الباب الآخر المتجه نحو الشرق إلى بيعة القديس جيمس، ومن خلال هذا الباب يمضي الانسان أيضاً ويخرج إلى الباب الذهبي، ويمكنك أن تذهب بواسطة الباب المتجه نحو الجنوب نحو هيكل سليمان، أما الدخول إلى الدير فيكون بواسطة الباب المتجه نحو الشمال.

الباب الذهبي — باب القديس اسطفان وكنيسته — الاسطبل — بيت المجذومين — باب القديس أعازر الخلفي.

أما وقد وصفت لك الهيكل والضريح حسبما هما الآن، والمشفى، والشوارع التي تنطلق من باب داود إلى الباب الذهبي، وهما البابين

اللذان أمام بعضهما بعضاً، أولهما متجه نحو الشرق، والآخر متجه نحو الغرب، ولسوف أحدثك الآن عن البابين الآخرين، اللذان أحدهما فوق الآخر، وبينهما: إن الباب المتجه نحو الشمال اسمه باب القديس أسطفان، ومن هذا الباب يدخل الحجاج إلى المدينة، وكذلك جميع القادمين من عكا إلى القدس، وأيضاً الذين يقدمون براً من النهر القائم إلى جانب البحر من جهة، وإلى جانب عسقلان من الجهة الأخرى.

ولدى دخول الانسان لهذا الباب، يجد في الخارج، على جهة اليمين كنيسة القديس أسطفان حيث يقال بأن القديس اسطفان قد رجم هناك، وأمام هذه الكنيسة، وعلى جهة اليسار هناك بناء كبير جداً، وكان اسمه الاسطبل Anerie ، فهنا جرت العادة بإيواء الحمير، والخيول الموسومة، العائدة للاستتارية، ولهذا أطلق على المبنى اسم الاسطبل، وقد جرى هدم كنيسة القديس اسطفان هذه من قبل صليبيي القدس، قبل حصارهم، لأن الكنيسة كانت ملاصقة للأسوار، ولم يجر هدم الاسطبل، بل استخدم فيما بعد لخدمة الحجاج الذين جاءوا إلى القدس أثناء الهدنة، وذلك عندما كانت المدينة بأيدي المسلمين، لأن المسلمين كانوا لا يسمحون لهم بالإقامة داخل المدينة، ولهذا السبب كان مبنى الاسطبل له فوائد عظيمة، وكان على جهة اليمين لباب القديس اسطفان، على مقربة من السور، يوجد المشفى المخصص للمجنومين في القدس، وكان إلى جوار المشفى باب خلفي اسمه باب القديس لادر Ladre الخارجي، وهنا يتولى المسلمون قيادة المسيحيين لإدخالهم إلى المدينة، حتى يمكن أخذهم محروسين إلى الضريح، لأن المسلمين لا يرغبون في أن يرى المسيحيين أعمال المدينة وشؤونها، ولهذا السبب يسمحون لهم بالدخول من خلال الباب الموجود في شارع الضريح المقدس، ولا يسمحون لهم بالدخول من الباب الرئيسي.

[وافهم جيداً أن الحجاج المسيحيين الذين يرغبون بالذهاب إلى

الضريح والأماكن المقدسة الأخرى، يستخرج المسلمون منهم أتاوات عالية، وهدايا وخدمات، ويفرض المسلمون على كل واحد ثلاثين بيزنطة Bezants، غير أنه جرى فيما بعد حرمان جميع المسيحيين الذين دفعوا أموال كراء، أو خدمات أو أتاوات، أو تعويضات، مقابل زيارة الأماكن المقدسة، ولهذا لم يعد المسلمون يتلقون مبالغ كبيرة كما كانوا قد اعتادوا].

باب الثالث الخلفي — شارع القديس اسطفان — شارع وبيت الضريح المقدس — شارع كنيسة الضريح المقدس — تحويلة السريان واللاتين — الشوارع الثلاثة — الشارع المغطى — شارع العشائين، وشارع الطبيخ — شارع قنطرة يهوذا — كنيسة القديس مارتن والقديس بطرس،

لدى دخولك إلى المدينة من خلال باب القديس اسطفان تصل إلى شارعين، أحدهما وهو القائم على اليمين، يذهب إلى باب جبل صهيون، القائم في الجنوب تأكيداً، وباب جبل صهيون قائم فوق في مقابل باب القديس اسطفان، ويمضي الشارع الموجود على جهة اليسار مباشرة إلى باب خلفي يدعى الدباغة، ويستمر ماضياً باستقامة تحت الجسر، وهذا الشارع الذي يمضي إلى باب جبل صهيون يدعى باب شارع القديس اسطفان، حتى تصل إلى التحويلة السريانية.

ولدى قدوم الانسان بوساطة التحويلة السريانية، يجد على جهة اليمين شارع الضريح، (خط الخانكاه)، وهنا يوجد باب بيت الضريح، ومن هناك يدخل الذين يعملون في الضريح إلى مساكنهم، وأمام هذه التحويلة، وإذا ما انعطفت نحو اليمين يوجد شارع مقنطر مغطى، يمضي الانسان بوساطته إلى كنيسة الضريح، ويبيع السريان في هذا

الشارع الأمتعة ويصنعون الشموع، ويبيعون أيضاً أمام التحويلة السمك، وعلى هذا فإن هذه التحويلة تصل بين ثلاثة شوارع، وتصل أيضاً التحويلة اللاتينية، ويدعى واحد من هذه الطرق الطريق المغطى، وهناك يبيع اللاتين أمتعتهم، واسم الشارعين الآخرين: شارع العشابين، والثالث شارع الطبخ، ولدى سيرك على طول شارع العشابين إلى شارع جبل صهيون، تجد نفسك قد وصلت إلى باب جبل صهيون، وذلك إذا ما عبرت شارع داوود.

وتمضي بوساطة الطريق المغطى ومن خلال التحويلة اللاتينية، إلى شارع يدعى شارع قنطرة يهوذا، ولدى عبورك لشارع الهيكل، فإن هذا الشارع يمضي مباشرة إلى باب جبل صهيون، ويدعى هذا الشارع باسم شارع قنطرة يهوذا، ذلك أنهم يقولون بأن يهوذا قد خنق على هذه القنطرة الحجرية، وعلى جهة اليسار لهذا الطريق توجد كنيسة القديس مارتن، هذا وكنيسة القديس بطرس هي على مقربة من هذه الكنيسة، على جهة اليسار، ويقولون بأن يسوعاً المسيح قد صنع هناك الطين الذي وضعه على عيني الرجل الذي لم يبصر قط، وأمره بالذهاب وأن عليه أن يغتسل في بركة سلوان، فإذا فعل ذلك فلسوف يبصر، ونفذ الأوامر، وصار قادراً على الرؤية بعينه.

خارج باب جبل صهيون — الطرق الثلاثة — بركة سلوان —
كنيسة القديس بطرس في الجليلية.

يوجد خارج جبل صهيون ثلاثة طرق، يقود أولها، وهو الموجود على جهة اليمين، إلى دير جبل صهيون وإلى كنيسته، وكان يوجد بين الدير وبين أسوار المدينة فسحة كبيرة، وكنيسة في وسطها، ويساير الطريق الموجود على جهة اليسار سور المدينة حتى الباب الذهبي: وينزل

الانسان من هناك إلى وادي شعفاط، وإلى نبع سلوان، وعلى مقربة من هذا الباب، على جهة اليمين لهذا الطريق كنيسة القديس بطرس في الجليلية، وكان هناك حفرة عميقة في هذه الكنيسة، قيل أخفى فيها القديس بطرس نفسه عندما أنكر يسوعاً المسيح، وسمع صياح الديك، وبكى هناك، ويمضي الطريق المستقيم من هذا الباب، إلى الجنوب عبر الجبل، وذلك حتى يتم جواز الدير، ولدى اجتيازك الدير يمكنك المضي نزولاً، ومن هناك إلى بيت لحم.

البركة الألمانية — حقل الدم — بركة البطريك — أرض مدفن الأسد.

فما أن تنزل من الجبل حتى تصل إلى بركة في الوادي، تدعى باسم البركة الألمانية (بركة السلطان) لأن ألمانيا، فيها جمع المياه التي كانت تنزل من أطراف الجبال، وقت الأمطار وتسقي مياه هذه البركة خيول المدينة، وفي جزء آخر من الوادي — على جهة اليسار — هناك على مقربة من هذه البركة أرض للدفن اسمها (حقل الدم) حق الدم، فهناك يدفنون الحجاج الذين يتوفون في مشفى القدس، وكانت قطعة الأرض هذه الحاوية للمدفن قد شريت بالمال الذي باع فيه يهوذا جسد المسيح، وذلك وفقاً لما جاء في الكتابات المقدسة، وكان يوجد خارج باب داوود، باتجاه الغرب، بركة تدعى باسم بركة البطريك، كانوا يجمعون فيها المياه، ويسقون بها الخيول، وعلى مقربة من هذه البركة كان هناك أرض دفن، كانت تدعى باسم «مقبرة الأسد»، ولسوف أخبركم الآن لماذا عرفت بهذا الاسم ودعيت هكذا: فقد حدث — حسبما قالوا — في يوم من الأيام الغابرة، أن نشبت معركة، بين مكان الدفن هذا والقدس، قُتل فيها عدد كبير من المسيحيين، وكان أهل المدينة على نية القيام بإحراق جثث هؤلاء المسيحيين في اليوم التالي، بسبب الروائح

الكريهة التي وجدت، وجاء — على كل حال — أسد في الليل ونقل الجثث جميعاً إلى حفرة هناك، وفوق هذه البقعة (بركة ماملا + قبة العبد) جرى بناء كنيسة كانوا يصلون فيها يومياً.

دير الجورجين (الكرج) حيث عشر على جزء من الصليب، وأي نوع من القوم هم.

وعلى مقربة من هذا الموقع، وعلى بعد فرسخ واحد، كان هناك دير الجورجين، الذي قالوا بوجود قطعة من الصليب فيه، تم العثور عليها، وكان قد جرى العثور على الجذع القائم للصليب أمام الهيكل، لأنه كان قد بقي على مقربة من الهيكل، لأنه كان قد جلب من لبنان مع الخشب من أجل الهيكل، لأنهم لم يكن بإمكانهم إيجاد مكان مناسب لوضعه، لأنه كان إما طويل جداً أو قصير جداً، ولذلك حدث، أن الناس عندما كانوا يقدمون إلى الهيكل، وأقدامهم مغطاة بالطين، كانوا يحكون أقدامهم عليه، وحدث كذلك أيضاً في أحد الأيام أن ملكة مرت من هناك ورأته مغطى بالطين فنظفته بثيابها وتعبته.

وسوف أحدثكم الآن عن هذه القطعة من الخشب، ومن أين جاءت، وذلك كما يتحدثون في هذه البلاد، فقد حدث أنه عندما تمدد آدم على فراش موته، رجا واحداً من أولاده باسم الرب أن يجلب له غصناً صغيراً من شجرة الفاكهة التي أكل منها عندما أذنب، وجلب الابن له الغصن، وأخذ آدم ووضعته في فمه، وعندما وضعه في فمه عضه بسرعة، ففارقت روحه، ولم يستطيعوا بأي سبيل من السبل نزع هذا الغصن من بين أسنانه، ولهذا دفنوه معه، وصار للغصن — كما قالوا — جذراً، وغدا مع الأيام شجرة جيدة، وعندما جاء الرسول اقتلع هذه الشجرة من جذورها، ومن هناك حملت إلى جبل لبنان، ومن

بعد ذلك أعيّدت إلى القدس مع مواد أخرى من أجل بناء الهيكل، وكانت أخشاباً قطعت من جبل لبنان، وحدث أيضاً — كما يقولون — أنه عندما وضع يسوع المسيح على الصليب، كان رأس آدم داخل تلك القطعة من الخشب، وعندما تدفقت دماء يسوع المسيح من جراحه، خرج رأس آدم من قطعة الخشب وتلقى الدم، وهذا هو السبب في أن جميع الصليبان التي يصنعونها في بلاد القدس ويضعونها عند قدمي الصليب هي على شكل رأس، وذلك تذكراً لرأس آدم.

ولسوف أحدثك الآن عن الجورجيين الموجودين في الدير، حيث تمّ العثور على قطعة من الصليب، ومن أي نوع من القوم هم، وإلى أي البلاد ينتمون، وأما البلاد التي جاءوا منها فتدعى أفيجيا Avegia (الكرج)، ويوجد هناك ملك وملكة، ولهذا يدعو بعض الناس هذه البلاد باسم بلاد النساء، لأن الملكة تركب وتذهب إلى الحرب، ولها جيش خاص بها من نسائها مثلما الملك لديه جيشه الخاص من رجاله، وللنساء في هذه البلاد ثدي واحد فقط، وسأخبرك عن السبب: عندما تلد فتاة، ثم تنمو وتغدو فتاة صغيرة يقومون بتدمير ثديها الأيمن بوساطة حديدة محمّاة حتى الاحتراق، ويتركون لها الثدي الأيسر من أجل إرضاع ولدها، والسبب الذي يدعوهم إلى تدمير هذا الثدي الأيمن، حتى لا يعيقهن ولا يؤلمهن أثناء مدّ القوس وتفويقه عندما يكن في المعركة.

عمواس

على بعد ثلاثة فراسخ من القدس، وباتجاه الغرب، هناك نبع، يدعى نبع عمواس، وقد كان هناك قلعة، وقد حدث، أنه وفقاً لما حكاه الانجيل، أن ربنا ذهب إلى القلعة مع اثنين من حواريه، وكان ذلك بعد

قيامه من الموت، وقد جلس عند هذا النبع ليأكل، وهم لم يعرفوه حتى قام بكسر الخبز، ثم إنه اختفى وباتوا غير قادرين على رؤيته، ومن ثم عادوا إلى القدس إلى الحواريين ليعلموهم كيف أنه تحدث إليهم.

الشارع الذي يمضي إلى الباب الخلفي للدباغة — شارع شعفاط — الميدان — باب دولوروس **Dolorous**. الجدول — كنيسة القديس يوحنا الانجيلي — دير الراهبات في بيت عنيا.

وأعود الآن إلى باب القديس اسطفان، وإلى الشارع الذي يجري على جهة اليسار ويصل إلى الباب الخلفي للدباغة، وبعد سيرك بعض الشيء على طول هذا الشارع، سوف تجد شارعاً موجوداً على جهة اليسار اسمه شارع شعفاط، وبعد مسافة قصيرة يجد الانسان طريقين متصلين، حيث أن الطريق الكائن على جهة اليسار بينهما هو الطريق القادم من الهيكل ويذهب إلى الضريح، وعند نهاية هذا الطريق هناك موجود فوق في مواجهة الهيكل، باب اسمه باب دولوروس، وعبر هذا الباب يسوع لدى خروجه عندما أخذوه إلى جبل أكرأ ليصلبوه، ولهذا السبب يدعى باب دولوروس، وكان يوجد على جهة اليمين عند تقاطع الطريق، جدول، أتى الانجيل على ذكره، حيث حكى بأن ربنا قد عبره عندما أخذ للصلب، وتوجد كنيسة القديس يوحنا الانجيلي هنا، وهي لها بيت للسكنى كبير، وتعود ملكية البيت والكنيسة إلى راهبات بيت عنيا، اللائي سكن هناك عندما كانت هناك حرب ضد المسلمين.

حارة اليهود — كنيسة القديسة مريم المجدلية — باب خلفي — كنيسة الاستراحة — السجن — بيت بيلاطس — باب خلفي آخر.

وأعود الآن إلى شارع شعفاط — وبين شارع شعفاط وأسوار المدينة

على جهة اليسار هناك شوارع ممتدة حتى باب شعفاط، وهي مثل مدينة، ويسكن هناك معظم سريان القدس، وكانت هذه الشوارع تدعى باسم حارة اليهود، وكان في حارة اليهود هذه كنيسة القديسة مريم المجدلية، وعلى مقربة من هذه الكنيسة كان هناك باب خلفي، لا يمكن للانسان أن يخرج من خلاله إلى الخارج حيث الحقول، بل يذهب إلى ما بين السورين، وعلى جهة اليمين لشارع شعفاط كانت هناك كنيسة الاستراحة، حيث يحكى بأن المسيح قد استراح هناك عندما جلبوه للصلب، وكان هناك السجن الذي وضع فيه خلال الليل، بعد اعتقاله في جيساني، وبعد قليل نحو الأمام، وذلك على جهة اليسار لهذا الشارع كان هناك بيت بيلاطس، وكان يوجد قبل هذا البيت، باب جانبي يمكن للانسان أن يدخل منه إلى الهيكل.

دير القديسة حنة — بركة الضأن.

يوجد على جهة اليسار، قرب باب شعفاط، دير للراهبات، اسمه دير القديسة حنة، وأمام هذا الدير هناك نبع اسمه البركة، وكان يوجد فوق النبع كنيسة، ولم يعد هذا النبع يتدفق، لكنه يرشح دون الكنيسة وتحتها، وحدث في أيام يسوع أن الملاك كان يأتي أحياناً إلى هذا النبع لتحريك الماء، وأول من يدخل للاستحمام في داخله بعدما يكون الملاك قد حركه، يشفى من أي مرض أو عجز كان به، وكان لهذا الماء خمس قناطر، ويتمدد أمام هذه القناطر كثير من المرضى والأشخاص العاجزين، وهم ينتظرون تحريك المياه، وحدث في إحدى المرات أن يسوعاً المسيح جاء في أحد الأيام، ووجد هناك رجلاً، وسأله يسوع المسيح عما إذا كان يرغب في نيل الشفاء، فأجابه: «يا سيدي لا أملك إنساناً يساعدي على الذهاب والنزول إلى داخل النبع، عندما يتولى الملاك تحريك الماء، وقد بذلت جهدي لأنزل من على فراشي والذهاب

إلى الماء، غير أنني وجدت إنساناً آخر قد استحجم قبلي»، ثم جاء يسوع المسيح وأخبره أن عليه أن يحمل فراشه ويذهب لأنه قد شفي، فما كان منه إلا أن قفز معافى ومضى مغادراً، وكان اليوم الذي وقع فيه هذا الحادث يوم سبت حسبما روى الانجيل.

دير وادي شعفاط — كنيسة وضريح سيدتنا — كنيسة جيسماني —
كنيسة القديس المخلص — النساك والسياح في وادي شعفاط.

يذهب الانسان من باب شعفاط نزولاً إلى وادي شعفاط، ويوجد على جهة اليمين لهذا الباب، الباب الذهبي، وكان في وادي شعفاط دير الرهبان السود، وكان في الدير كنيسة القديسة مريم، وفي الكنيسة يوجد الضريح الذي دفنت فيه، وهي ما تزال فيه هناك، وعندما استولى المسلمون على المدينة هدموا الدير، وأخذوا الحجارة لتحصين المدينة، لكنهم لم يهدموا الكنيسة، وأمام هذه الكنيسة، عند سفح جبل الزيتون، كانت هناك كنيسة في الصخور، كانت تعرف باسم جيسماني، ففي ذلك المكان جرى اعتقال يسوع المسيح، وكان يوجد على الطرف الآخر من الطريق، لدى صعودك لجبل الزيتون، وعلى بعد حوالي رمية حجر، كنيسة المخلص المقدس، فهنا ذهب يسوع المسيح ليصلي في الليلة التي اعتقل فيها، وهنا أخذ عرقه يتقاطر مثل الدم، وكان يوجد في وادي شعفاط نساك وسواح على الطرف الآخر من الوادي، بأعداد أكبر من أن أخبركم بها، وذلك امتداداً حتى بركة سلوان.

دير جبل الزيتون — كنيسة الدعاء الالهي — شجرة التين الملعونة — بيت فاجي.

كان على ذروة جبل الزيتون دير للرهبان البيض، وعلى مقربة من هذا

الدير، كان على جهة اليمين طريق يقود إلى بيت عنيا، ممتداً على طول طرف الجبل، وعند انعطاف هذا الطريق على جهة اليمين كانت هناك كنيسة القديس الدعاء الإلهي، فهنا يحكى بأن يسوعاً المسيح عمل الدعاء الإلهي وعلمه إلى حواريه، وعلى مقربة من هناك كانت شجرة التين التي لعنها الرب عندما ذهب إلى القدس، لأن الحواريين ذهبوا لجمع التين، ولم يجدوا شيئاً عليها، ولم يكن الوقت هو وقت الموسم الذي يفترض وجود تين عليها، وفي هذا اليوم نفسه رجع يسوع المسيح من القدس ليذهب إلى بيت عنيا، وذهب الحواريون إلى شجرة التين، فوجدوها قد يبست، وبين كنيسة القديس الدعاء الإلهي وبيت عنيا، وعلى طرف الجبل، كانت هناك كنيسة تدعى بيت فاجي، وإلى هناك جاء يسوع المسيح في يوم أحد السعف ومن هناك أرسل اثنين من حواريه ليجدوا له الأتان، ومن هناك ذهب على ظهر الأتان التي جلبوها له إلى القدس.

لم يذكر الكاتب أسماء الديرة والكنائس غير الخاضعة لروما

لقد تحدثت عن البيع والديرة الموجودة في داخل القدس وفي خارجها، وفي الشوارع اللاتينية، لكنني لم أذكر أسماء ديرة وكنائس السريان، أو الاغريق، أو اليعاقبة، والكرج Boamins ، والنساطرة، والأرمن، ولابقية الشعوب، ممن لا يقدم الطاعة إلى روما، وهم الذين امتلكوا كثيراً من الكنائس والديرة في المدينة، لأنني لم أرغب في قول أي شيء عن هؤلاء الناس الذين لا يقدمون الطاعة إلى روما.

القسم الثاني

— ١ —

حول الحج في الأرض المقدسة

لقد حدثتكم عن أحوال المدينة المقدسة، في الأيام التي استولى فيها صلاح الدين وبقية المسلمين عليها، وانتزعها من الصليبيين، وبعد هذا سوف نتحدث عن الحج، وعن كيفية كان الحجاج يذهبون إليها، وفي الحقيقة يتوجب على الناس من الغرب، أي من مملكة فرنسا مثلاً، ومن ألمانيا، ومن البلدان الأخرى الموجودة في تلك الأجزاء من العالم، أي الذين يرغبون في الذهاب إلى الأرض المقدسة، عليهم أخذ الطريق المباشر إلى الشرق.

ويذهب الانسان أولاً من عكا إلى حيفا التي هي على بعد أربعة فراسخ، وقرب هذه المدينة يوجد جبل الكرمل، حيث كان السيد القديس دنس، الذي كان قد ولد في بلدة اسمها Franchville، حيث يوجد الآن في ذلك المكان بيعة، كما ويوجد تحت المذبح كهف صغير، وذلك حيث كان قد ولد، وكان المكان ما يزال يرى حتى الآن، ويوجد إلى جانب البيعة واد صغير، وعلى بعد رمية حجر هناك نبع السيد القديس دنس، وهو الذي وجدته، وعمله بيديه، وهو مكان جميل جداً، وهو أجمل مكان يصلح للانسان فوق الجبل كله.

ويوجد على هذا الجبل نفسه دير القديسة مرغريت، وهو دير للرهبان الاغريق، وهو أيضاً مكان بهي، ويوجد في هذا الدير آثار جيدة، وعلى السفوح يوجد المكان الذي قطن فيه القديس إلياس، وفي هذا المكان هناك بيعة بين الصخور، وعلى مقربة من دير القديسة مرغريت هذا، على سفح الجبل نفسه، هناك مكان جميل وبهي حيث يسكن النساك

اللاتين، الذين يدعون باسم الأخوة الكرمليين، حيث توجد كنيسة صغيرة لسيدتنا، وفي خارج هذا الجزء هناك الكثير من الماء الجيد، الذي ينبع من صخور الجبل نفسه، والمسافة هي فرسخ ونصف الفرسخ من دير الاغريق إلى النساك اللاتين.

ويوجد بين القديسة مرغريت وأخوان الكرمل مكان فوق البحر اسمه حنة، حيث هناك المسامير التي صنعت والتي استخدمت في صلب ربنا، وما يزال المكان الذي عثر فيه على هذه المسامير مرئي، وعلى مقربة من جبل الكرمل هذا، فيما بين النساك اللاتين، هناك مكان يدعى القديس يوحنا الصوري، ويوجد هنا كنيسة إغريقية، فيها آثار جميلة، وقد عمل هنا القديس يوحنا معجزات جيدة، وعلى مقربة من هذا الموضع باتجاه قلعة عثليت هناك قرية اسمها كفر ناحوم (كفر لام؟) حيث ضرب الفلس الذي بيع به الرب.

والمسافة من حيفا إلى قلعة عثليت هي ثلاثة فراسخ، وهي قائمة على شاطئ البحر، وهي عائدة من حيث الملكية إلى طائفة الداوية، وهناك ترقد القديسة يوفيميا العذراء الشهيدة.

والمسافة من قلعة عثليت إلى مدينة قيسارية خمسة فراسخ، وقيسارية مدينة قائمة على شاطئ البحر، وهي عائدة بملكيتها إلى بارون المملكة، ويوجد خارج أسوار المدينة بيعة فيها يرقد القديس كورنيليوس، وهو الذي عمده القديس بطرس، وهو الذي صار بعد السيد القديس بطرس رئيس أساقفة لهذه المدينة، ويوجد إلى جانب هذه البيعة صخرة من الرخام جميلة جداً، وكبيرة وطويلة، يدعونها باسم مائدة يسوع المسيح، وهناك أيضاً صخرتين صغيرتين، هما مستديرتان، وكبيرتان من الأسفل ومدببتان من الأعلى، وهما تعرفان باسم شمعداني ربنا، ويرقد في هذه البيعة أبناء السيد القديس فيليب، الذي تولى هداية وتعميد الخصي، وعندما قام بتعميده أمسكه الرب وحمله إلى أرسوف، ومن أرسوف جاء

يبشر باسم ربنا امتداداً حتى مدينة قيسارية.

وعلى مقربة من ها هنا وإلى جهة اليسار، وقرب بلدة اسمها Pein Perdue (نهر التماسيح) تقوم بيعة سيدتنا، وهي قائمة عبر مستنقع، وإلى هذه البيعة غالباً ما يقدم الناس من قيسارية برحلة حج، لأن المكان جميل، وأهل للتقوى العظيمة، ويوجد في هذا المستنقع كثير من التماسيح، التي وضعها هناك صاحب قيسارية، بعدما جلبهم من مصر.

والمسافة من قيسارية إلى أرسوف هي تسعة فراسخ، وقلعة أرسوف على مقربة من قلعة قائمة فوق رابية رملية، وهذه القلعة ملك للاستبارية، وعلى طريقها الأعلى صخرة مقطوعة (Roche - Tail - lie، نهر الفالق)، ويوجد هناك ممر شيطاني، فهناك يسكن أناس بلا إيمان، من أجل نهب الناس الذاهبين إلى يافا، وقطع الطريق عليهم.

والمسافة من أرسوف إلى يافا هي ثلاثة فراسخ، ويافا بلدة وقلعة، والقلعة موجودة على مقربة من البحر، وهي كونتية، ووجد في يافا، دون القلعة، في كنيسة القديس بطرس رداء القديس جيمس الغاليشي.

والمسافة من يافا إلى عسقلان هي ثمانية فراسخ، وهي قائمة على شاطئ البحر، وجرت العادة بدعوة أسقف بيت لحم باسم أسقف عسقلان، لكن لمكانة بيت لحم العلية نقلت الأسقفية من عسقلان إلى المكان المقدس في بيت لحم، وما يزال هناك كرسي الأسقفية في كنيسة السيد القديس بولص، مع كل ما يعود إليه.

والمسافة من عسقلان إلى غزة هي ثلاثة فراسخ، والمدينة القائمة على شاطئ البحر تدعى غزة، وهي المدينة التي دمر فيها شمشوم الجبار أبوابها وحملهم إلى الرابية بعيداً عن البلدة، وهناك مسافة ثلاثة فراسخ من يافا إلى الرملة، والرملة مدينة وأسقفية، وفي سهل الرملة خرج بلدوين ملك القدس، ومعه خمسة من الفرسان ضد صلاح الدين الذي

كان معه ثلاثين فارساً، وإلى هناك جلبوا معهم الصليب المقدس الحقيقي، وهو الصليب الذي تألم عليه ربنا وعانى الموت عليه في القدس، وهناك شوهده السيد القديس جرجس بشكل مكشوف أثناء القتال، وذلك حيث هزم الملك بلدوين المسلمين، وحدث القتال في هذه المعركة في يوم عيد القديسة كاترين.

ومن الرملة إلى بيت نوبة خمسة فراسخ، وبيت نوبة بلدة واسعة. ومن بيت لحم إلى جبل البهجة [جبل صموئيل] خمسة فراسخ، ويوجد على جبل البهجة كنيسة القديس صموئيل النبي، وهناك على اليمين يتوجب وجود الضريح المقدس لربنا.

حول القدس

وعلى مقربة من شرفة المرتلين، حيث وسط العالم، كما حدده ربنا، يوجد أيضاً المكان الذي وضع فيه كل من نيقوديموس ويوسف الرامي، جسده المقدس، عندما دفن، بعد آلامه المقدسة [وعندما كان قد وضع على الصليب جرى دهنه ولفه بوساطة أقمشة قبرية]، ولدى الخروج نحو الخارج، يجد المرء على الجهة اليسرى للشرفة، جبل أكرأ، حيث وضع الرب على الصليب، وتحت ذلك الجلجلة، وذلك حيث تساقط الدم الثمين لمخلصنا فوق رأس آدم [وهناك ضحى إبراهيم إلى ربنا، وهنا أيضاً قال ربنا للص الذي تاب وطلب الرحمة: *Amendico Tibi* أي سوف تكون معي في الفردوس، وهناك تسلم لونجينوس *Lon-ginus* رغبته من ربنا المقدس، الذي رآه بعينه].

وعلى مقربة من الشرفة، وبجانب المذبح العالي، تحت جبل أكرأ، يوجد عمود حيث كان ربنا قد ربط وجلد، وإذا ما ما نزلت من هناك أربعين درجة، تجد المكان الذي وجدت فيه سيدتنا القديسة حنة

الصليب الحقيقي، وإلى جانب السدة، وصدوراً من جهة اليمين للضريح، المقدس، يوجد سجن ربنا، وهناك ينبغي أن تكون السلسلة التي ربط بها،] وقد ظهر في هذا المكان للمرة الأولى لمريم المجدلية، وكان ذلك بعد قيامته]، وهناك على الجانب الآخر عند المدخل إلى الضريح المقدس، اثنتان وأربعين درجة إلى بيعة الاغريق، وهي البيعة التي جرت العادة أن يكون فيها الصليب الحقيقي، حيث عثر عليه هناك، وصورة سيدتنا التي تكلمت إلى مريم المصرية، وحولتها إلى المسيحية،] وإلى يمين المذبح العالي، وفي الأعلى كله كان هناك الصليب الحقيقي، وفي مساء عيد الفصح، بعد مضي آخر ساعات القمر، وعندما تلامس أشعة الشمس ذراع صورة القديس جبرائيل، التي رسمت فوق الضريح، وقتها تأتي النار المقدسة من السماء فتشعل واحداً من المصابيح العائدة للضريح].

والتالي في مقابل هذا الطريق خروجاً من الضريح، وباتجاه الشمال الشرقي تقوم كنيسة القديس كارستو Caristo (شارتون) الذي رقد في الأرض ثمانمائة سنة]، وباتجاه الجنوب وعلى مقربة من هذه الكنيسة، توجد كنيسة سيدتنا لللاتين، وهي أول كنيسة لاتينية وجدت في القدس، ولهذا السبب عرفت باللاتينية، والرهبان فيها رهبان سود] ويحكى بأن القديسة مريم المجدلية، وكذلك مريم كيفاس، قد مزقتا هناك شعريهما عندما وضع الرب على الصليب]، وعلى مقربة منها بيت فرسان القديس يوحنا[الاسبتارية].

وقبل الضريح، وعلى رميتي سهم باتجاه الشرق، يوجد هيكل الرب، حيث له أربعة مداخل واثنى عشر باباً، وهناك في وسط الهيكل الصخرة الكبيرة المقدسة، حيث وضع تابوت ربنا في أيام داوود، وكان هناك العهد القديم، وعصا هرون، والشمعدانات الذهبية السبعة، ووعاء المن الذي نزل من السماء، والنار التي اعتادت أن تلتهم قرايبنهم التي كانوا

يقدمونها هناك، وألواح الميثاق القديم، والزيت الذي كان يتقاطر هناك ويمسح به الملوك والأنبياء، وعلى هذه الصخرة نام يعقوب، ورأى الملائكة وهم يصعدون إلى السماء وينزلون بوساطة سلم [وعلى هذه الصخرة، ظهر الملاك، عندما تولى داوود تعداد الشعب، ويده السيف حيث قتل به الناس، وهناك جلس ربنا ووضع نفسه عندما أراد اليهود اعتقاله، وجاء نجم ونزل نحوه وأعطاه نوراً، وفي داخل الباب المتجه نحو الجنوب، كان هناك نبع، الذي يغنون حوله فيما بين عيد الفصح وعيد الحصاد:

" Vidi aquam egredientem de Templo a latere dextro « الخ وعلى زاوية الهيكل تعرض ربنا للمحنة، حيث حاول الشيطان إغواءه، ومن زاوية الهيكل جرى إلقاء القديس جيمس، وهو الذي كان أول أسقف للقدس، وكان على رصيف الهيكل في الخارج هناك مذبح، حيث كان اليهود، يضحون بثلاث حمامات وطيور، وذلك حسب الشريعة القديمة، وجرى على طرف الصخرة تقديم ابن الرب، وكان تحتها قدس الأقداس، وهناك غفر الرب ذنوب المرأة التي أخذت وهي تزني، وهناك كان الاعلان عن يوحنا المعمدان، وبجوار هذا المكان تقوم بيعة القديس جيمس، الذي كان أول أسقف للقدس]، وهناك خارج الهيكل مذبح حيث جرى قتل زكريا بن براهيم، أي ما بين الهيكل والمذبح، وعند مدخل الهيكل هناك الباب الجميل وذلك باتجاه الغرب، وهناك باتجاه الجنوب هيكل سليمان، وإلى جانب هيكل سليمان، باتجاه الشرق حمام ربنا، وذلك في زاوية المدينة، [أي في القرنة داخل صحن الهيكل] ويوجد إلى الشرق من هيكل الرب الباب الذي اسمه القدس، وظاهر هناك في الخارج علامات حوافر الأتان التي ركبها الرب يوم فصح الورد، ويوجد في الأسفل الأبواب الذهبية.

وعند المخرج الشمالي الشرقي للهيكل يوجد باب الفردوس والنبع،

وعلى هذا الطرف وإلى جانب جدار الهيكل هناك بركة الضأن [وكانت هذه البركة صهريج اعتاد الملاك على دخول الماء فيها وتحريكه من أجل شفاء أول شخص مريض يدخل إلى الماء، وعلى مقربة من ها هنا القديسة حنة وضريحها، ويقول بعضهم أن هذا المكان هو بركة الضأن، وخلف القديسة حنة توجد كنيسة القديسة مريم المجدلية.

وباتجاه الجنوب، هناك فوق مدينة القدس جبل صهيون، وكان هناك كنيسة كبرى، هدمت، وذلك حيث توفيت سيدتنا، ومن هناك حملها الرسل إلى شعفاط، وقبلها هناك بيعة، حيث جرت محاكمة ربنا، وضربه، وتعذيبه، وعذب بالشوك وبه توج، وهنا قاعة كيفاس وبيته، ودون الكنيسة التي هدمت هناك بيعة الروح القدس، فهناك نزل الروح القدس على الحواريين، وهناك المكان الذي غسل فيه ربنا أقدام حواريه، ومكان وعاء الماء ما يزال هناك موجوداً، وإلى هناك دخل الرب، مع أن الأبواب كانت موصدة، وقال لهم: «سلام لكم»، ثم أنه قال للقديس توماس: «ضع عليّ إصبعك ويدك ولا تكن غير مؤمن»، وعلى جبل صهيون جرى مسح سليمان.

ويوجد هناك في أسفل المدينة بركة سلوان للسباحة، وإلى جانبها يرقد القديس إشعيا، وعلى مقربة من هناك حق الدم، أي المكان الذي شري بمبلغ ثلاثين فلساً، وهو المبلغ الذي دفع ثمناً لربنا، وهو المدفن الذي يدفنون فيه الحجاج.

وتحت الأبواب الذهبية، يجري في الوادي جدول، يدعى قدرون، ومن هناك جمع داوود الأحجار الخمسة، التي قتل بها جالوت، وهناك في شعفاط المكان الذي رقدت فيه سيدتنا، وعلى مقربة من هناك يوجد جيساني، وهو المكان الذي اعتقل فيه ربنا: وهناك من الممكن رؤية أثر الأصابع العشرة لربنا على الصخرة، وهناك ترك القديس بطرس، والقديس جيمس، وبقية الحواريين والرسل، عندما ذهب يصلي للرب

الآب، وهناك، على بعد قرابة رمية حجر، المكان الذي صلى الرب فيه للرب الآب، وهناك تساقط العرق منه نقاطاً من دم، نحو الأرض، وهناك رقد القديس بطرس، والقديس جيمس، والقديس سمعان، والنبي زكريا، ويوجد على سفح هذا الوادي قبر الملك شعفاط، الذي منه نال الوادي اسمه، وفوق، باتجاه الشرق، يوجد جبل الزيتون، واعلم أنه من على جبل الزيتون مضى يسوع المسيح إلى السماء في يوم الصعود، حيث ما تزال طبعة قدمه الأيمن ظاهرة حتى الآن على الصخرة، وهناك أمر حواريسه بأن عليهم الذهاب والتبشير بالانجيل إلى جميع المخلوقات، ودون ذلك يوجد كهف، وذلك حيث استشهدت القديسة بيلجيا، وعلى السفح المتجه نحو الجنوب هناك بيعة، حيث عمل يسوع المسيح الدعاء الالهبي.

حول الأماكن القريبة من القدس

بين جبل الزيتون وبيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، حيث أمر ربنا القديس بطرس والقديس جيمس وبقية الحواريين بالذهاب وإحضار أتان له مع فلوها.

وعلى بعد فرسخ من القدس تقوم بلدة بيت عنيا، التي فيها بيت سمعان المجذوم حيث غفر ربنا لمريم المجدلية ذنوبها، وهناك أقام ألعازر من قبره.

ومن القدس إلى القرنطل سبعة فراسخ، وهناك صام ربنا لمدة أربعين يوماً، وعلى مقربة من هناك أريحا، ومن أريحا إلى نهر الأردن سبعة فراسخ، وهناك جرى تعميد ربنا من قبل يوحنا المعمدان [والمسافة من هناك هي سفر يوم إلى الكرك، ومنها أيضاً المسافة نفسها إلى الشوبك]، والمسافة من نهر الأردن إلى جبل سيناء هي سفر ثمانية أيام، فهناك أعطى

ربنا شريعة موسى، وترقد هناك القديسة كاترين، العذراء والشهيدة، وذلك في ضريح رخامي جميل جداً، وهذا الضريح مقدس إلى درجة أن نوعاً من الزيت يخرج منه وهو يشفي كثيراً من الأمراض، وقد ظهرت نعمة الرب هناك وشوهدت إلى درجة أن كثيراً من الحيوانات الضارية الموجودة في الجبل هناك، هي لا تعيش على شيء، سوى لحس ضريح سيدتنا القديسة كاترين، وذلك بالإضافة إلى المن الذي يتساقط على الجبل.

والمسافة هي فرسخ واحد من جنوب القدس إلى القديس إلياس، الموجود على مقربة منه حقل الورود، وإلى جانبه يوجد ضريح راحيل زوجة يعقوب، وفوق في مقابل هذا المكان، يوجد على الجانب الآخر، وعلى رابية، مدينة بيت لحم، والمعلف الذي مدد فيه ربنا، وذلك عندما ولد، وقد لفت بقطع قماش صغيرة، ويوجد هناك مكان المهدي، والمكان الذي وجد فيه الملوك الثلاثة، وهم: [كسبر، ومليكور، وبلطسار]، وقد جاءوا من الشرق، وتعبدوا ربنا، وذلك عندما قدموا له الذهب، والبخور، والمر، ويوجد هناك على جهة اليمين من السدة، المدينة، حيث الجب الذي سقط فيه النجم، الذي قاد الملوك الثلاثة، ويرقد على اليسار الأبرياء، ويوجد تحت الساحة الداخلية لضريح القديس جيروم [على بعد فرسخ من بيت لحم كنيسة، وذلك حيث أعلن الملاك للرعاة عن ميلاد ربنا، وهناك غني للمرة الأولى: «المجد للرب في الأعالي»]، وعلى مسافة صغيرة، فوق بيت لحم، توجد بيعة القديس إبراهيم في حبرون، فهناك صنع ربنا آدم وحواء، وعلى مقربة من هناك بيت قابيل وهابيل، وبجوار هذا المكان الموضع الذي أظهر الرب فيه نفسه للقديس إبراهيم على شكل ثالث، ولقد رأى القديس إبراهيم ثلاثة أشخاص، وعبد واحداً، [وهناك دفن الآباء الثلاثة مع زوجاتهم].

وباتجاه الشرق [الغرب] الموضع الذي حيت فيه سيدتنا ايزابل، وهناك

ولد القديس يوحنا المعمدان، وزكريا والده، وعلى مسافة ميلين من هناك توجد قلعة اسمها قلعة عمواس، وظهر هناك ربنا إلى القديس لوقا وإلى كليفاس بعد قيامته.

وعلى مقربة من القدس باتجاه الغرب، وعلى بعد فرسخ موضع القديس الصليب، فهناك نمت الشجرة التي منها صنع الصليب المقدس، والمسافة من القدس إلى السامرة، التي اسمها نابلس، اثني عشر فرسخاً، وهناك تحدث ربنا إلى المرأة السامرية، عند جب يعقوب، والمسافة من هناك هي فرسخين إلى سبسطية، فهناك جرى إعدام القديس يوحنا، [وهناك يوجد رماذ جسده]، والمسافة من هناك إلى جبل الطور هو عشرة فراسخ.

الحج من عكا

أما وقد تحدثنا عن الأرض المقدسة للقدس، والمنطقة المحيطة بها، فإننا نصل الآن إلى عكا، وهناك يوجد حجاج يحتاجون إلى من يتولى إرشادهم، وعلى كل من يريد التوجه إلى الأماكن المقدسة، أن يمضي مباشرة من عكا إلى الناصرة، والمسافة بينهما سبعة فراسخ، ويوجد على الطريق شفا عمرو، التي تبعد عن عكا مسافة ثلاثة فراسخ، وهي التي على جبلها كنيسة القديس جيمس، والقديس يوحنا حيث ولدا، وما تزال البقعة، التي ولدا عليها مشاهدة، والمسافة من شفا عمرو هذه إلى الصفورية هي ثلاثة فراسخ، والمسافة من هناك هي فرسخ واحد إلى الناصرة.

وهناك جاء ربنا إلى العذراء مريم، وهناك أيضاً المكان الذي أعلن الملاك فيه عن قدومه، وكان ذلك داخل صخرة مخوفة، هي موجودة في الكنيسة على جهة اليسار، وقد بني في ذلك الموضع بيعة تشريفاً

لسيدتنا، [وهناك المكان الذي سكنت فيه، وهناك النبع الذي حملت الماء منه، وهو الماء الذي سقت به مولانا، وفي بركة مياه هذا النبع، غسلت سيدتنا الأقمشة التي قمطت بها ربنا، وأرسلت سيدتنا ربنا ليجلب الماء من هذا النبع عندما كان قد كبر بعض الشيء، وكان هذا بعد عودتهما من أرض مصر]، وعلى مقربة من هناك وعلى رمية سهم هناك نبع القديس جبريل، ومن الناصرة إلى قفزة ربنا المسافة فرسخ واحد، وعلى طرف هذا الطريق توجد بيعة القديس زكريا، وهي عائدة إلى الأرمن، وهي مكان جميل.

والمسافة من الناصرة إلى قانا الجليل هي ثلاثة فراسخ، وفي قانا الجليل حدث عرس أرخيتركلينوس Architrclinus، [رئيس المتكأ] وفي هذا العرس جعل الرب الماء نبيذاً، وما يزال من الممكن رؤية المكان الذي حدث فيه هناك، ومن قانا الجليل إلى البئر الذي جلب منه الماء إلى عرس أرخيتركلينوس، مقدار رمية سهم.

والمسافة من الناصرة إلى جبل الطور هي ثلاثة فراسخ، وعلى هذا الجبل حوّل الرب شكل ذاته أمام حواربيه، وتوجد هناك كنيسة للرهبان اللاتين السود، ومن جبل الطور إلى جبل حرمون [جبل الضاحي، أو حرمون الصغير] مسافة فرسخ، حيث توجد مدينة نين (نون)، وهناك أقام ربنا طفلاً من الموت أمام باب المدينة، ومن مقربة هذا المكان، وباتجاه الشرق، المسافة ثلاثة فراسخ إلى بحر الجليل.

[وبحر الجليل ليس أكثر من مجرد بحيرة ماء عذب، تشكلت من مياه نهر الأردن ومن مياه ينابيع أخرى تتجمع هناك، وعلى بحر الجليل هذا أكل ربنا مع حواربيه بعدما قام، وقد أكل ظهور بعض الأسماك، ولهذا بقيت عظام الظهور كلها عارية، وبقيت بقية الأسماك كلها كاملة، ثم إنه ألقاهم ثانية في الماء، فتحرّكت الأسماك على الفور، وذهبن يسبحن مع بقية الأسماك بدون ظهور إلاّ العظام التي كانت عارية تماماً، وهذه

الأسماك هي بحجم — إن لم تكن أكبر — أسماك الروش، التي نحتفظ بها في المياه العذبة في فرنسا، وتقوم إلى جانب البحر مدينة طبرية حيث صنع فيها ربنا كثيراً من المعجزات، وهناك أمر ربنا السيدين: القديس بطرس والقديس أندرو، اللذان كانا في القارب، برمي شبكتهما في البحر، وعلى وجه هذا البحر مشى ربنا عاري القدمين نحو القديسين بطرس وأندرو، اللذان كانا في القارب، وكان هذا عندما كان القديس بطرس خائفاً، لأنه ظن أن هناك عاصفة.

وعلى مقربة من هناك كفر ناحوم، وعلى الجهة المقابلة يوجد مستنقع جنسارث، ويوجد على جهة اليمين جبل مغطى بالعشب، فهناك وعظ ربنا الحشد من الناس، وعلى مقربة من هناك المكان الذي أطعم فيه ربنا خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة مع سمكتين، وعلى مقربة من هنا في الأسفل يوجد السجن الذي وضع فيه ربنا حتى دفع الضريبة من أجل مرووره، وهناك أمر الرب القديس بطرس باصطياد سمكة، وعندما أخذها، أمر ربنا بفتحها، فكان فيها درهم من الفضة، دفع به ربنا الضريبة المتوجبة عليه.

ومن طبرية إلى صفد مسافة ثلاثة فراسخ، وعلى الطريق يوجد الجب الذي ألقي يوسف فيه، عندما بيع إلى الاسماعيليين، وفي صفد كهف توبيت، حيث دفن الميت، وعلى جسر صفد توجد الصخرة التي عليها ارتاحت سيدتنا،

ومن صفد إلى القديس جرجس [مزار الخضر — مجدل كروم] المسافة خمسة فراسخ، وهناك كنيسة للرهبان السود، ومن القديس جرجس إلى عكا أربعة فراسخ، وفي طبرية يوجد المشعل الذي رماه اليهود نحو ربنا، عندما أراهم كيف ينبغي أن يموتوا، وقد أصابت النار الجدار، وهناك ينمو الآن شجرة كبيرة.

حول الحج إلى الأماكن الأخرى النائية

[إن جميع أماكن الحج تلك التي أتينا على ذكرها موجودة في مدينة القدس المقدسة وفي أرض الميعاد المقدسة، ولسوف أحدثكم الآن عن أماكن الحج الأخرى التي هي في أماكن نائية.

فعلى مقربة من دمشق يوجد جبل، وعلى هذا الجبل كنيسة سيدتنا، سيدة الصخرة كما يدعونها، ويوجد في هذه الكنيسة اثنتي عشرة راهبة وثمانية رهبان، ويدعى هذا المكان باسم سردانيس Sardaines [صيدنايا]، وبعض الناس يدعونها سردينيا Sardenai ، ويوجد في هذه الكنيسة مائدة من خشب، حيث أن طولها ذراع وعرضها نصف ذراع، وكان قد رسم على هذه المائدة صورة سيدتنا القديسة مريم، وقد حفرت بالخشب، ويصدر من هذه الصورة أطيّب الزيوت رائحة، وقد مسح كثير من الناس أنفسهم به، فلم يعانون بعد ذلك من أي مرض من الأمراض، ولم يتوقف هذا الزيت عن الصدر مطلقاً، وذلك مهما أخذ منه، وإلى هذه الكنيسة يأتي المسلمون من الأحواز المجاورة، ويكون ذلك في أيام عيد سيدتنا في شهري آب وأيلول، فهناك يصلون ويتعبدون ويعملون النذور، وكانت هذه الصورة قد صنعت في القسطنطينية وبطريك القدس هو الذي أخذها من هناك، وقد طلبتها راعية الدير فأعطيت لها، وحملتها إلى حيث أخبرتكم أنها موجودة.

وفي طرطوس أول كنيسة بنيت تشريفاً لأم الرب، وسيدتنا، والقديس بطرس الرسول هو الذي بدأ ذلك أولاً.

وكان في مدينة بيروت تمثالاً ليسوع المسيح، وكان قد صنع بعد وقت قصير من صعوده إلى السماء، وقام اليهود بصلب هذا التمثال سخريّة برّنا، وطعنه اليهود في جانبه بحربة، وتدفق من هذا الجانب ماء ودم،

وبهذه المعجزة آمن كثيرون بربنا، واعتادوا أن يدهنوا بهذا الماء والدم المرضى ويعالجوا أمراضهم.

وفي مدينة بابل الجديدة التي هي موجودة في مصر، عند مدينة القاهرة (بابلون هي المدينة والقاهرة هي القلعة)، في بابلون هذه يوجد نبع، وقد اعتادت سيدتنا أن تغسل في هذا النبع ملابس ابنها العزيز، عندما كانا في مصر، بسبب هيرود، ويقدر المسلمون هذا النبع تقديراً عظيماً ويأتون إليه عن طواعية ورغبة للاغتسال هناك، وبمياه هذا النبع تسقى الأشجار التي تحمل البلسم الحقيقي.

وعند قلعة القاهرة، يوجد حتى هذه الأيام شجرة نخيل تحمل التمر، وجاءت سيدتنا في أحد الأيام إلى تحت هذه النخلة ورغبت بالحصول على بعض ثمرها، لكن النخلة كانت عالية جداً، وما كان بإمكانها الحصول على التمر، فانحنت النخلة نحو قدميها، وأخذت السيدة الرائعة من هذه الفاكهة، ثم نهضت النخلة ثانية ووقفت منتصبه، ورأى كثير من المسلمين والكفار ممن كانوا هناك آنذاك هذا المشهد، ثم قام الكفار بقطع هذه النخلة، غير أنهم وجدوها في اليوم التالي منتصبه، وسليمة تماماً، لم يظهر عليها أي قطع أو خدش، فما كان منهم من ذلك الوقت فصاعداً إلا أن قدموا احتراماً عظيماً لهذه الشجرة].

رواية إرنول عن فلسطين

لقد سمعتم عن صلاح الدين الذي يتولى الآن حصار الكرك، وبناء عليه سوف نتحدث عن نهر الأردن، ونين من أين ينبع، وكيف يجري، وأين ينتهي.

يقسم هذا النهر فيما بين بلاد المسلمين وبلاد المسيحيين، ويحصل ذلك بجريانه، فأرض المسيحيين قائمة على هذا الجانب، واسمها أرض الميعاد، واسم الأرض العائدة للمسلمين «العربية»، ويدعون في أرض الميعاد جميع المجاري المائية باسم أنهار (Fluns)، وينبع عند سفح الجبل نبعان، اسم أولها «أر» واسم الثاني «دان»، ولسوف أحدثك الآن عن هذا الجبل، وأبين لك الاسم الذي يعرف به: إن الاسم الذي يعرف به هذا الجبل، هو جبل لبنان، ويمتد هذا الجبل مسافة أربعة أيام طولاً، وذلك إلى قلعة قائمة فيما وراء طرابلس يطلقون عليها اسم عرقة، فهناك جرى صنع سفينة نوح، ومن جبل لبنان هذا أخذت إلى البحر، ولهذا السبب، عرفت هذه القلعة باسم عرقة، لأن سفينة نوح صنعت هناك، وهذا الجبل جزء من بانياس ومن البلاد المسيحية، ويمتد من مقابل طرابلس ويساير الساحل، ويقوم الجزء المسيحي من هذا الجانب، وأما الجزء الآخر فهو التابع لبانياس.

ويوجد في هذا الجبل كثيراً من البقاع الجيدة، والبلدات الحسنة، يتقاسمها المسلمون والمسيحيون نصفين فيما بينهما، وتجد في أحد الأماكن جميع السكان مسلمين، وتجد في مكان آخر جميع السكان مسيحيين، وبين هذين الجبلين (السلسلة الغربية والسلسلة الشرقية) يوجد وادٍ يطلقون عليه اسم وادي البقاع، وإليه ذهب رجال الاسكندر للاحتشاش عندما كانوا يحاصرون صور، هذا وإن الذين يحبون السجع وصنعة الكلام يحبون إطلاق اسم وادي يوسفاس Josaphas عليه.

والآن أما وقد أخبرناكم عن جبل لبنان، الذي ينبع النبعان من سفحه، سوف أحدثكم عن مدينة قائمة دون سفح الجبل وفوق النبعين، اسمها بانياس، وكانت هذه المدينة مسيحية في أيام غودفري دي بولليون، هذا ولا يمكنني إخباركم في أيام من الملوك جرى فقدانها، غير أن الملوك الفرنجة قاموا فيما بعد بتحسين قلعتين قامتتا على مقربة منها، اسم أولاهما تبنين، وكانت هذه قلعة الملك، وهي على مسافة خمسة فراسخ من صور وأربعة فراسخ من مدينة بانياس، واسم القلعة الثانية صفد، وكانت هذه بيد الداوية، وهي تبعد أربعة فراسخ عن مدينة بانياس.

ولسوف أحدثكم الآن عن بانياس، وأبين لكم أي بلدة هي، وما هو اسمها القديم، فهي التي تعرف باسم فيليبون، وقد عرفت أيضاً باسم قيسارية فيليب، وكان فيليب هذا أخاً لهيرون، وأعني هيرون الذي أمر بإعدام يوحنا المعمدان، وكان هو زوج المرأة التي كانت عند هيرون، عندما أمر بإعدام القديس يوحنا، وكان ذلك بسبب أنه قال لهيرون بأنه يتوجب عليه أن لا تكون زوجة أخيه عنده، ولذلك أمر بإعدامه، وفي قيسارية أعطى ربنا مفاتيح الفردوس إلى القديس بطرس، وبذلك يمكنه أن يفتح وأن يغلق، وهذه المدينة قريبة من الجليل.

ولسوف أحدثك الآن عن هذين النبعين، اللذان تجري مياههما نحو بحر الجليل، وقبل أن يدخلوا إلى البحر يتحدان، ويصبحان نهراً واحداً، ويحمل أول النبعين اسم «أر» أما الثاني فيعرف باسم «دان»، وعندما يتحدان يصير اسمهما الأردن، ويدخل هذا الماء إلى البحر على مقربة من بانياس، ويجري في وسط البحر، وإلى جانبه هناك جسر يعرف باسم جسر طبرية، وعندما يجتاز هذا الجسر يصير اسمه «نهر الأردن».

ولسوف أحدثكم الآن عن هذا البحر، وأبين لكم أي بحر هو، فهذا البحر ليس بحراً مالحاً، بل هو بحر عذب وجيد للشرب، وهذا البحر

هو مجرد أربعة فراسخ بالطول وفرسخين بالعرض، وتطلق الكتابات المقدسة على هذا البحر، اسم بحر الجليل، كما تطلق عليه في أماكن أخرى اسم بحر طبرية، لأن مدينة طبرية قائمة على هذا الجانب من البحر، وهو الجانب العائد للمسيحيين، هذا وتطلق الكتابات المقدسة في بعض الأماكن الأخرى على هذا البحر اسم بحر الناصرة.

ولقد كان على هذا الجانب من البحر حيث جعل يسوع المسيح الماء نبيذاً، وذلك عندما كان في عرس رئيس المتكأ في مدينة طبرية، وبين طبرية وبانياس موضع يدعونه باسم المائدة، وذلك على مقربة من بحر الجليل، ففي هذا المكان أطعم يسوع المسيح الحواريين وخمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة من الشعير مع سمكتين، حتى أنهم تركوا سلتين من الفئات وعلى جزء آخر من البحر وباتجاه بانياس توجد مدينة اسمها كفر ناحوم، فهناك فيها ولد كل من القديسين بطرس وأندرو، وهناك أيضاً صنع يسوع المسيح عدداً كبيراً من المعجزات، فقد شفى عدداً من الناس مثل ابن الملك وآخرين.

وعلى مقربة منها هناك مدينة اسمها نين، وإلى هناك أيضاً، ذهب يسوع المسيح في أحد الأيام، لقد ذهب هو شخصياً ومعه حواريوه، وعندما اقترب من المدينة، واجه سيداً، كان قد حملوه وأتوا به لدفته، ثم أقبل يسوع المسيح نحوه، وقال بأن عليه أن يقوم، فاستجاب وقفز قائماً، لأن يسوع المسيح قد أقامه، وعلى بعد خمسة فراسخ من هذا البحر، بحر طبرية، تقوم مدينة اسمها الناصرة، وهي تبعد ستة فراسخ عن مدينة عكا، ففي هذه المدينة ولدت سيدتنا القديسة مريم، وإلى هذه المدينة نفسها جلب الملاك لها رسالة تفيد بأن يسوع المسيح يتوجب أن يأخذ شكل وجسد آدم من خلالها، وعندما كانت سيدتنا القديسة مريم مع الطفل، أي مع ابن الرب الآب، ذهبت إلى جبل قريب من الناصرة، مع ابنة خالة لها سكنت هناك، وكان اسمها إيزابل وكانت حاملة بطفل هو

السيد القديس يوحنا المعمدان، ويوجد في ذلك المكان دير يطلقون عليه اسم دير القديس زكريا، لأن زكريا قد سكن هناك، وهو أيضاً كان والد القديس يوحنا المعمدان.

وعلى مقربة من الناصرة، وعلى مسافة نصف فرسخ، هناك جبل جميل، اسمه باللاتينية: Montem Excelsum Valab، وفي اللغة الرومانسية «القفزة»، لأنه يوجد على طرف هذا الجبل شعب منحدر، إليه كانوا يقودون الناس من أهل الناصرة الذين استحقوا الموت، ليرغموهم على القفز من هناك نحو الأسفل، وحدث الآن في إحدى المرات أنهم عندما اقتادوا يسوعاً المسيح إلى هناك لإرغامه على القفز نحو الأسفل بسبب كلمة قالها لليهود في الناصرة، أنه اختفى من بينهم وجلس مع ذلك على صخرة كانت موجودة هناك، ولذلك لم يكن بإمكانهم رؤيته أو العثور عليه.

وهذا الجبل المشرف على الجرف، هو الجبل الذي حمل الشيطان يسوعاً إليه، عندما جلبه من القرنطل حيث كان قد صام، وجاء حمله إلى الهيكل أولاً، ومن الهيكل حمله إلى الجبل، وأراه جميع البلاد والمنطقة، والثروات التي كانت في الأرض، وقال له بأنه سوف يعطيه كل الذي رآه لو أنه قام بعبادته، فقال يسوع المسيح له بأن عليه المغادرة وأن لا يحاول إغواءه ثانية، وغادر الشيطان، وحضر الملائكة إلى هذا الجبل.

وتحت هذا الجبل جبل آخر ليس مرتفعاً مثل الجبل الذي تحدثت عنه أعلاه، وهناك سهل جميل جداً بين الاثنين، واسم هذا الجبل الآخر جبل الطور، وإلى هذا الجبل جلب الرب مرة القديس بطرس، والقديس جيمس، والقديس يوحنا، وتحول شكله أمامهم، ولهذا السبب يحافظون في كثير من البلدان، على الاحتفال بعيد تحويل الشكل، ولقد نسيت أن أخبركم عندما كنت أتحدث من قبل، كم يبعد عن القدس ذلك الجبل الذي حمل الشيطان يسوعاً المسيح إليه، إنه واقع على مسافة سفر يومين.

ولسوف أحدثكم الآن عن نهر الأردن، وأبين كيفية جريانه، وأين يصب، فهو عندما يخرج من بحر الجليل، يجري نحو الجنوب، ويستمر بالجريان لمسافة رحلة ثلاثة أيام في الطول، ثم ينتهي في البحر الذي يدعونه باسم بحر الشيطان، وهو يعرف من قبل العالم ومن قبل الكتابات المقدسة باسم بحر الملح، لوجود جبل من الملح على الشاطئ باتجاه الكرك، ولأنه مالح جداً، إلى حد أن ما من شيء يمكن أن يقارن بملوحته وبمرارته، فملوحة البحر الكبير ومرارته هي لا شيء بالنسبة له، وهذا البحر لا يجري بأي اتجاه، بل هو أشبه ببحيرة، ولكن بدون أسماك، لأن الأسماك لا يمكنها الإقامة هناك، ولا حتى كما كان مرة، في جميع المنطقة التي كان البحر فيها، وتقوم هذه المنطقة فيما بين مدينة الخليل والكرك.

ولكي أتمكن من إخباركم المزيد حول هذا البحر، سوف أحدثكم عن المكان الذي تقوم فيه الكرك، إنها تقوم في العريية، فعلى مقربة منها يقوم جبل سيناء، وذلك في المنطقة التابعة لصاحب الكرك، ويقع جبل سيناء هذا فيما بين البحر الأحمر والكرك، فهناك أعطى الرب الشريعة إلى موسى بعد عبورهم للبحر الأحمر، وإلى هذا الجبل، وإلى حيث جرى إعطاء الشريعة، حمل الملائكة جسد القديسة كاترين، وذلك عندما قطع رأسها في مصر، وهي ترقد هناك في الزيت الذي يخرج من جسدها، ويوجد هناك فوق البقعة دير للرهبان الاغريق، لكن الدير الرئيسي لتلك الطائفة ليس هناك، بل موجود عند سفح الجبل، ويوجد هناك دير وصومعة، ولا يستطيع أحد أن يصعد الجبل على ظهر حصان، أو أن يحمل معه لحماً، من أجل معيشة الموجودين فوق.

ويوجد فوق ثلاثة عشر راهباً، يعيشون حياة قاسية، حيث يحملون إليهم إلى هناك الخبز، ولا شيء آخر، ويأكل بعضهم ثلاث مرات في الأسبوع خبزاً مع الماء، وهناك بعضهم الذين يأكلون الأعشاب

والنباتات البرية مع خبزهم، وذلك مما يجدونه هناك، وصام موسى على هذا الجبل لمدة أربعين يوماً، ولم يأكل حتى أعطيت الشريعة له.

ولسوف أحدثكم الآن عن البحر الأحمر، الذي هو قريب، فهذا هو البحر الذي ضربه موسى بعصاه، فانشطر البحر، وصار بمثابة سياج على هذا الجانب وعلى الجانب الآخر، وهذا هو البحر الذي اجتازه بنو إسرائيل بأقدام جافة، عندما قدموا من مصر، وعندما عبروا جاء الملك فرعون وراءهم، ودخل البحر وهو يريد أن يقتلهم وأن يعتقلهم لكنه هلك هو وجيشه كله، فقد حرك موسى عصاه، وضرب بها البحر، فانغلق البحر، وغرق فرعون هو وجيشه كله، ولم ينج أحد منه، ونجا بنو إسرائيل، لأنهم كانوا قد عبروا قبل أن ينغلق.

وكان الأمير أرنات قد بنى على شاطئ هذا البحر خمسة غلايين، وعندما اكتملت عمارتهم أمر بإنزالهم إلى البحر، ووضع فيهم فرساناً وعساكر، وما يكفي من أطعمة، وكان هدفه أن تقوم هذه الغلايين بجولة شاملة هناك، لمعرفة أي قوم من الناس يسكنون شواطئ هذا البحر في الأجزاء الأخرى، وقد غادرت الغلايين عندما صارت جاهزة، ونحرت أعماق البحر واجتازت إليه، ولم يسمع أحد من الناس ما الذي حدث لهذه الحملة منذ أن غادرت(*)، ويجري في وسط البحر الأحمر هذا نهر الفردوس، فهو عندما غادر البحر يجري في وسط أرض مصر، واسم هذا النهر في الكتابات المقدسة سيحون(بيسون)، لكنه يعرف من قبل الناس باسم نهر النيل.

والآن وقد قلنا ما قلناه عن النيل، سوف أحدثكم عن مدينة الخليل،

* — كان هذا سنة ١٢٨٣، وكان صلاح الدين عندما سمع بهذه الحملة، أمر واليه على مصر بتحريك أسطول، برئاسة القائد لؤلؤ، فقد أدرك لؤلؤ الأسطول الفرنجي، فأحرقه بالروحاء، ولاحق من كان فيه، فقتل بعضهم، وأسر آخرين، ثم عاد سالماً غانماً.

القائمة خلف بحر الشيطان، وهي التي أشرت إليها من قبل في أرض الميعاد، ففي هذا المكان تقوم مدينة اسمها حبرون، فهنا تحدث القديس إبراهيم وسكن بعدما جاء من حرّان، فهناك كان قد ولد، وهي المكان الذي اسمه في الكتابات المقدسة «آرام» (*)، وكان ذلك لدى الحديث بأن الرب قد أخبره بأن عليه المضي نحو الأمام، وعليه أيضاً أن يسكن في البلاد التي سوف يخبره عنها، وقد اشترى في هذا الموضع حقلاً من الأرض من أجل دفن نفسه وجماعته، وبالفعل هناك دفن مع ابنه اسحق، ومع يعقوب ابن اسحق، الذي توفي في مصر، والذي كان والد يوسف، فعندما مات والداه في مصر، أمر بنقلهما ودفنهما مع أخوانه في حبرون، وعندما مات يوسف، جلب بنو إسرائيل عظامه معهم عندما قدموا من أرض مصر إلى أرض الميعاد، وقد دفنوه مع أبيهم، [تذكر التوراة أنه دفن في شكيم]، وعندما سكن إبراهيم هناك لم تكن هناك بلدة، غير أنهم فيما بعد أقاموا تلك المدينة هناك التي أسموها الخليل، لأن خليل الرحمن إبراهيم سكن هناك، وتتبع هذه المدينة صاحب الكرك، وهي تبعد خمسة فراسخ عن بيت لحم، حيث ولد يسوع المسيح. وبيت لحم هي مدينة لكنها ليست كبيرة، حيث يوجد فيها شارع واحد، والمسافة من بيت لحم إلى القدس هي فرسخين.

ويوجد بين بيت لحم والقدس دير، يوجد فيه رهبان إغريق، واسم هذا الدير دير «المجد للرب في الأعالي»، فهناك كان الملائكة قد غنوا عندما ولد يسوع المسيح، وقد تحدثوا إلى الرعيان وأعلنوا أن مخلص العالم قد ولد، وقالوا بأن عليهم أن يذهبوا إلى القدس (بيت لحم) حيث كان موجوداً، ولسوف يجدونه مقمطاً بقطع قماش، وقد ذهبوا فوجدوا كل شيء حسبما أخبرتهم الملائكة، ونحن نقدم الشكر والحمد إلى يسوع

* — الرائج انعدام العلاقة بين آرام وحران، وأن إبراهيم عليه السلام ولد في أور في العراق.

المسيح، لأنه قضى بالأمور أن تكون هكذا، وإلى جانب هذا الدير هناك أرض حقل يدعى «حقل الزهور».

أما وقد فرغنا من هذا، سوف أحدثكم عن مدينة تقع على مسافة فرسخين من النهر، وهي التي حصنها أهل البلاد عندما سمعوا من يقول بأن بني إسرائيل أخذوا يدخلون أرض الميعاد، وأنهم لا بد مارون من هناك، واسم هذه المدينة أريحا، وكانت مسورة بحجارة صماء، وبعدما عبر بنو إسرائيل النهر حاصروها، لأنها كانت المدخل إلى أرض الميعاد.

وعلى مقربة من هذه المدينة حقل مليء بالثعابين، ويمسكون هناك الثعابين، التي يُصنع منها المرهم، وسوف أخبركم كيف يمسكونها، فالرجل الذي يتولى إمساكها يقيم سياجاً حول الحقل، ويسير مردداً عبارات سحره وتعاويذه، ويقوم بالغناء من حول السياج، وتقدم جميع الأفاعي التي تسمعه نحوه، فيتولى إمساكهن بسهولة وكأنهن خرفان، ويأخذهن لبيعهن في المدينة إلى الذين يصنعون المرهم، هذا وهناك بعض الأفاعي العاقلة بين هذه الأفاعي، فهؤلاء البعض عندما يسمعون وقد بدأ بالغناء، يضعون واحدة من أذنتيهما على الأرض، ويمنعون السماع عن الأخرى بوساطة الذيل، وبذلك يتوقفون عن السماع، وبهذا المرهم الذي يصنعونه من هذه الأفاعي من الممكن معالجة جميع أنواع السموم.

ولسوف أحدثكم الآن عن نوعين من الأفاعي، موجودين في العربية، وكذلك في الصحراء البعيدة، والذي يتوفر من هذين النوعين فقط ثعبانين، ولا يمكن أن يكون هناك أكثر، وهما حاميان جداً، ولهما رائحة نتن هائلة إلى درجة أن ما من طائر يمكنه أن يحلق فوقهما في المكان الذي يلتقيان به، بل يسقطون موتى من الحرارة ومن رائحة النتن الصادرة عنهما، كما أنه لا يوجد إنسان أو حيوان يشم نتنهما إلا ويسقط ميتاً، وسوف أحدثكم الآن كيف يلدان، وكيف ينشآن، ففي ذلك

موتهما، فعندما يحل الوقت الذي يلتهبان به، يأتي الذكر ويضع رأسه في فم الأنثى، وبذلك تحمل، وعندما تحمل تغلق فمها وتعض بأسنانها فتقطع رأس الذكر، وبذلك يموت، وعندما يحين وقتها تقوم بالولادة، والذي تلده هو ذكر واحد وأنثى واحدة، وهذا ما يتكرر كل مرة.

وهناك على الطريق أعطى المسيح البصر إلى الرجل الذي صرخ له، لأنه كان بلا عينين، ومن هناك على بعد فرسخ واحد عن أريحا، يوجد القرنطل، حيث صام الرب على الجبل.

ويوجد عند سفح الجبل نبع جيد وجميل، وقد كان هذا النبع في أيام النبي إيليا له طبيعة شاذة، بحيث لم يوجد تحت أديم السماء مكان لمستته مياه ذلك النبع إلا ومات فيه كل ما هو أخضر من أنواع النباتات، ولم يكن هناك امرأة في العالم شربت منه ثم أنجبت ولداً، وكذلك لم تكن هناك أنثى حيوان شربت منه ثم كان لها أولاد، ثم جاء إيليا وعالجه، فوضع ملحاً فيه، وبعدما عالجه لم يعد يؤذي، بل صار جيداً، وروى جميع تلك الأرض والحدائق وصولاً إلى النهر، والقرنطل حيث صام الرب، هو موضع في الصحراء على هذا الجانب من النهر، وأما الصحراء التي عاش فيها القديس يوحنا فموجودة عبر النهر، وقرب النهر قام بتعميد الذين جاءوا إليه للتعميد، وهكذا عمّد يسوعاً المسيح، وعلى طرف النهر حيث جرى تعميده هناك دير للرهبان الاغريق، اسمه دير القديس يوحنا.

ويوجد بين أريحا والقدس مكان اسمه الصهريج الأحمر، وكان يوجد هناك خان كان ينزل به الذين يذهبون من القدس إلى أريحا، وإلى النهر، وهناك حمل السامري الرجل الذي وجده قد سُرق على الطريق، وهو الذي تحدث عنه يسوع المسيح عندما سألوا: «من هو جاري؟» [انظر لوقا: ١٠/٢٥ — ٣٧].

والآن وقد تحدثت إليكم عن بحر الجليل، وعن النهر، وعن هذا الجانب وذلك الجانب، وعن الخط بين المسيحيين وبين المسلمين، ذلك أنني أخبرتكم بأن المسلمين قد عبروا النهر عندما كانوا في أحد الأيام في فوربلت Forbelet ، ومضوا إلى حصار الكرك.

وعندما سمع بلدوين ملك القدس خبراً أفاد بأن صلاح الدين كان قد بعث خلف رجاله للقدوم إلى البلاد، جمع جيشه كله، وعسكر بهم في مكان اسمه ينابيع الصفورية، والسبب الذي جعلهم يطلقون عليهم اسم ينابيع الصفورية، هو قربهم من بلدة اسمها الصفورية، ففي هذه البلدة ولدت القديسة حنة أم سيدتنا القديسة مريم، وعند هذه الينابيع أقام الملك أيام الصيف عندما لم تكن هناك هدنة مع المسلمين، وقد أقام هو وجميع فرسانه والداوية والاسبتارية وجميع بارونات البلاد، وسبب إقامتهم هناك هو أن المسلمين جاءوا إلى البلاد، وكانوا جاهزين للزحف للتصدي لهم، وهذا المكان الذي توجد فيه الينابيع يبعد فرسخاً عن الناصرة، وخمسة فراسخ عن طبرية، وكذلك خمسة فراسخ عن عكا، وهناك أقام ملك القدس لمدة ثلاثة أشهر هو وجيشه، وذلك حتى جاء صلاح الدين إلى البلاد، وإلى أن حشد قواته.

وعندما حشد صلاح الدين جيشه، وجمع قواته في دمشق، قام بالزحف، وقطع كثيراً من طريقه وعبر النهر وأقام في مكان فيه نبع اسمه نبع عين طبون Tabaun ، وهي موجودة عند سفح الجبل تحت صخرة، ويبعد هذا الجبل مسافة أربعة فراسخ عن ينابيع صفورية، وذلك حيث كان ملك القدس مع جيشه، وفرسخين عن قلعة اسمها زرعين (يزرعئيل)، وهذه القلعة موجودة في مكان اسمه دوثنان، وفي هذا الموضع الجب الذي ألقى فيه بنو إسرائيل أخاهم يوسف، وباعوه إلى تجار أخذوه إلى مصر.

ولسوف أحدثكم الآن عن نابلس، وأبين لكم كيف هي، وأين تقوم،

فالتى كانت موجودة عندما كان المسيح على الأرض لم تكن هي نابلس بعد، وهنا سكن السامرة أولاً، وتقوم نابلس بين جبلين، وأهل البلاد يطلقون على أول هذين الجبلين اسم جبل قابيل، وعلى الآخر اسم جبل هايل، وجبل هايل دائماً أخضر في كل من الشتاء والصيف، وذلك من خلال العدد الكبير من أشجار الزيتون التي تنمو هناك، وأما جبل قابيل فدوماً جاف، ذلك أنه كله صخري وحصوي(*)، وعند سفح جبل قابيل تقوم مدينة اسمها عسكر (شيكار)، وتتجه هذه المدينة نحو الشرق، وإلى جانب جبل هايل، وباتجاه مشرق الشمس، هناك جبل اسمه جبل القديس إبراهيم، وعلى هذا الجبل مكان يدعونه باسم بيت إيل، وهذا هو المكان الذي جلب إليه إبراهيم ابنه اسحق ليضحى به، وكان ذلك عندما أمره الرب، وهنا أعدّ الملاك له كبشاً ليضحى به عوضاً عن ابنه.

وإلى جانب هذا الجبل، وباتجاه الشرق، هناك مدينة، كانت — عندما كان يسوع المسيح على الأرض — تعرف باسم السامرة.

وكان دون هذه المدينة سهل كان اسمه سهل شكيم، وكان هناك بئر عمله يعقوب وأعطاه إلى ابنه يوسف، وإلى هذا البئر يذهب أهل المدينة للشرب، ويبعد هذا البئر مسافة نصف فرسخ عن نابلس.

وجرى تدمير مدينة السامرة هذه تماماً، بعد أيام يسوع المسيح، وذلك عندما كان فسبسيان على الأرض، ولم يكن هناك مدينة على الأرض أطول منها، وهناك أديرة السامرة حيث يقدمون قرايين فصيحهم، وذلك أنه لا يمكنهم التضحية في أي مكان آخر، مثلما لا يمكن لليهود

★ — هذا الجزء فيه غلط غريب، ويبدو أن المصنف قد نقله عن رواية أخرى لم يفهمها جيداً،

فجبل هايل هو جبل عيال، وبناء عليه ينبغي أن يكون جبل قابيل هو جبل جرزيم، وعلى هذا وضعت بيت إيل على جبل هايل، هذا وجبل جرزيم فيه وفرة من المياه، لكن جبل عيال جبل جاف.

التضحية إلا في القدس، وإلى هناك جاء السامرة من بلاد مصر، ومن بلاد دمشق، ومن جميع بلاد بنيم Paynim، ويأتي هؤلاء القوم إلى ها هنا في يوم عيد الفصح، ويكون موعد عيد الفصح لديهم متوافقاً مع الموعد الذي يتخذه اليهود، وهناك يقومون بالتضحية.

وعلى بعد خمسة فراسخ عن نابلس هناك قلعة اسمها بيت هرون، وحدث مرة في غابر الأيام أن واحداً من قادة نبوخذ نصر، الذي كان ملكاً لفارس، قام بحصار هذه القلعة، وكان اسم هذا القائد هولوفرنس.

وعلى بعد فرسخين عن نابلس، هناك مدينة اسمها سبسطية، وهي قائمة على الطريق الذي يمضي من نابلس إلى الناصرة، ففي هذا المكان كان قد دفن جسد السيد القديس يوحنا المعمدان، فإلى هناك جلب حواريوه جسده، بعدما أمر هيرود بقطع رأسه، وبعد أمد وجيز من ذلك، وعندما سمعت زوجة هيرود بأنه قد دفن، بعثت إلى هناك وأمرت بإخراج عظامه من الأرض، وأحرقتهم، وباعت الرماد، ولهذا السبب ما برح الأطفال في ليلة عيد القديس يوحنا يشعلون ناراً من العظام، لأن عظامه قد أحرقت.

والمسافة من نابلس إلى القدس هي اثني عشر فرسخاً، ومن نابلس إلى الناصرة هي اثني عشر فرسخاً، وكذلك فإن المسافة من نابلس إلى قيسارية هي اثني عشر فرسخاً، ومن نابلس إلى نهر الأردن هي خمسة فراسخ، لكن ليس إلى المكان الذي جرى تعميد يسوع المسيح فيه، ذلك أن المسافة من نابلس إلى المكان الذي عمّد فيه أبعد بكثير، مع أن النهر هو نفسه.

— ۳۹۵۹ —

— ۳ —

بورتشارد راهب دیر جبل صهیون

استهلال:

كان بورتشارد راهب دير جبل صهيون ألمانيا، إما من أهالي مدينة ستراسبورغ أو مدينة مجديبورغ، وقد عاش في القرن الثالث عشر، وصار راهباً من رهبان طائفة الدومينيكان وذهب إلى الشرق في سنة ١٢٣٢م، وقد زار مصر، وسورية، وما عرف باسم أرمينيا، التي كانت تعرف قديماً باسم مملكة كليشيا، ويقال بأنه أمضى عشر سنوات في دير جبل صهيون في القدس، ولم يعد إلى أوروبا حتى تقدمت به السن كثيراً، هذا وتاريخ وفاته غير معروف.

ومن لهجة كتابته، يمكن أن ننظر إلى العصر الذي عاش فيه على أنه عصر تسامح، وقادت صحة أوصافه في كثير من الأحيان م.دي. أنفيل Annville ، للاعتماد عليه كدليل، وقد أعلن ج.س.م لورانت — الذي اعتمدت على طبعته في هذه الترجمة — أنه أعظم الحجاج في جميع العصور الوسطى وأشهرهم، ومع هذا يلاحظ أن شهرته التي دفعت إلى تحقيق كتابه أكثر من عشرين مرة، أن ما من طبعة من الطباعات المتقدمة أعطتنا نصاً كاملاً، وأنه لم يكن هناك وفاق حول اسمه الذي ورد بأشكال متنوعة منها: بوركاردوس Borcardus ، وبروكاردوس Brocardus ، وبرغادوس Berghadus . وذهب لورانت إلى القول بأن بورتشارد نفسه قد أخرج الكتاب مرتين، ففي المرة الأولى قدمه كنشرة خاصة أخذت شكل رسالة مرفقة بخريطة، وقاد نجاح هذه النشرة إلى إخراج نسخة مصححة نشرت على شكل كتاب، وظهر منذ ذلك الحين تعارض عظيم في النص، وذلك عندما نقارن طبعة منه بأخرى، فعلى سبيل المثال نقل العقيد كوندر الكلمات التالية من ص ١٢ من هذه السلسلة حول مدينة القدس:

"Relictis Tamen Prioris concavitatis Vestigiis"

مظهراً أن وادي [السيل] تيروبوان Tyropoeon لم يكن مليئاً مثلما هو الآن، ولم ترد هذه الكلمات في نص لورانت، غير أننا نقرأ في الفصل الثامن نصاً مشابهاً جاء فيه: «في هذه الأيام مجرى وادي السيل مليء تماماً، ومع هذا فإن آثاره، يمكن تتبعها وفق هذه الطريقة».

ونقل لورانت نصين عن طبعة هنريكوس كانيسوس، الذي حقق الطبعة المبكرة من كتاب مصنفنا هذا، فقد أشار بورتشارد في هذين النصين بشكل اعتيادي إلى أماكن في مجديبورغ ومن حولها، وذلك كمقياس للمسافات، ومن ذلك اعتقد لورانت أننا نستطيع من دون خطر أن نفترض أنه كان ألمانياً، إن لم يكن من أهالي تلك المدينة.

وأكثر أهمية تقدير تاريخ كتابته وزيارته لفلسطين، فالحوادث التي أتى على ذكرها تبرهن أنه كتب بعد سنوات: ١٢٦٠ و ١٢٦٣ و ١٢٦٨، ١٢٧١، وقبل سنتي ١٢٩١ و ١٢٨٥، وعلى هذا فإن تاريخ سنة ١٢٨٣ يبدو صحيحاً، مع أنه لم يذكره بنفسه، وذكر بعض الكتاب أنه أمضى عشر سنوات في الأرض المقدسة، أي من سنة ١٢٧٥ حتى ١٢٨٥ (انظر م. لي كلارك — التاريخ الأدبي لفرنسا: ٢١ / ١٨٢)، والمؤكد هو أنه أمضى عامين هناك، ونستخلص هذا مما قاله في الفصل الرابع، فقد كان هناك في أيام حكم الملك المنصور قلاوون (١٢٧٩ — ١٢٩٠)، سلطان مصر وخليفة بيبرس، وقد كتب قبل ثماني سنوات من انتهاء الحروب الصليبية، وكان ذلك في أيام هنري ملك قبرص والقدس، وفي أثناء هدنة العشر سنوات، التي أبرمها قلاوون في سنة ١٢٨٢ م، مع الداوية والاسبتارية، ومن المفترض أن لقب De monte Sion الذي حمّله، قد جاء من إقامته الطويلة في الدير هناك، لكن من الواضح أننا لا نمتلك برهان قوي يبرهن هذا ويؤيده.

وكان بورتشارد مخلصاً في تحرره من التعصب، مع أنه كما يبدو، كان

على المستوى الشخصي تقياً، وكانت رعايته ومساعدته للطوائف الأخرى مدهشة، ويبدو أن قراءاته كانت ضخمة، وقد أظهر كثيراً من الذكاء، في تعلمه ما أمكنه تعلمه أثناء رحلاته، وكذلك في استيعاب المعلومات التي تلقاها، وقد عاش فيما بين هراطقة وكفار، وبين نساطرة وأرمن وسريان، وكأنهم إخوان له، وقد أظهر أكثر من أي كاتب معاصر له مزيجاً غريباً من الشجاعة والتواضع، والإيمان، وحب المعرفة، ويبدو أن هذا كان من سمات الصليبيين في القرن الثالث عشر، وهي حقبة البطولة في العصور الوسطى، ولقد كان قادراً على زيارة بلدات هي الآن مدمرة، ومناطق كانت مزدهرة هي الآن مشعثة، ولم يكن بالطبع خلواً من السذاجة حيث قام بمزج الحكايات الخارقة، وردد أصدقاء الملاحم، فلقد كان حسبما وصفه م.ف.لي كلارك بقوله:

"il Faut reconnaitre chez ce religieux un esprit fort eleve, qui, au moment ou les croisades Finissent, raconte avec unenaivete admirable ce quil a vu ou cru voir. No us devonsa sa, curiosite attentive des abservations importantes de geographie et d,histoire naturelle" (التاريخ الأدبي لفرنسا: ٢١ / ١٨٢).

وأتى فابري (١٧ / ٤ / ١) على ذكر بورتشارد بالاسم، ونقل مارينو سانوتو صفحات كثيرة من كتابه، قام بانتحالها حجاج آخرون، وفي هذا كله اعتراف مخلص بما قدمه، واعتماداً على بورتشارد قام الجغرافيون باستقاء المعلومات حول التقسيم الجغرافي لفلسطين، وسورية، والعربية، وعن مكانة دمشق الأبدية في سورية، وكذلك الكلام المضطرب حول الايطورية والطرخونية، الذي رددوه بصواب أعلى أو أدنى، ولقد كتب بورتشارد بلاتينية وسيطة جديدة، ونقل عن هوراس وكذلك عن جيروم ويوسيوس، ولسوء الحظ أنه تولى وصف الأرض المقدسة

- ٣٩٦٤ -

بوساطة خطوط تقسيم كثيرة، انطلاقاً من مدينة عكا، وهذه خطة لم تكن مجدية تماماً في التوضيح والتحديد، لكنها نقلت مع أشياء أخرى كثيرة من قبل مارينو سانوتو.

وصف بورتشارد راهب جبل صهيون للأرض المقدسة

تمهيد:

أخبرنا القديس جيروم أننا نقرأ في تواريخ قديمة حول رجال زاروا بلداناً، وعبروا بحاراً، إلى حد أننا يمكن أن نتصور معهم ونرى الأشياء التي قرأنا عنها في الكتب ورأوها بأنفسهم، وهكذا زار أفلاطون الكهان المتنبتين في ممفيس، وذهب أبولونيوس إلى مصر، ودخل إلى بلاد فارس، وعبر إلى القوقاز، وبلاد الألبان، والسكيزيين، والمسغيتيين - Mes-sagetae، والهنود، والبراهمانيين، وذلك حتى يمكنه رؤية ياركاس larchas، وذهب أخيراً إلى مصر، حتى يمكنه رؤية مائدة الشمس الشهيرة في الصحراء الرملية، فما وجه العجب على هذا، إذا ما تشوق المسيحيون لرؤية الأرض التي تحدثنا عنها جميع كنائس المسيح، ولزيارتها؟ فقد بجل الناس القدماء قدس الأقداس، لأنه كان هناك تابوت العهد، والخيمة الملائكية مع كرسي الرحمة، والمن، وعصا هرون التي أزهرت، وهذا كله يشكل نماذج عن الأشياء التي ستأتي، وأوليس ضريح المسيح يستحق العبادة منا أكثر من أي شيء آخر، لأن أي إنسان كلما دخل إلى هناك، ومهما كان عدد المرات، سوف يتصور بعقله وبصيرته المخلص ممدداً هناك وملفوفاً بأقمشة كتانية؟ وإذا ما تقدم أكثر قليلاً، سوف يرى الصخرة وقد دحرجت وأزيحت، والملاك جالس عليها وهو يري النساء المنديل وأقمشة القبر، وأي مسيحي، بعد رؤيته لهذه الأشياء، لن يبادر مسرعاً بالذهاب إلى بيت لحم، ليرى الطفل الوليد وهو يبكي في المعلق، فقد جاءت مريم لتأوي إلى النزل الذي كان موجوداً تحت صخرة مجوفة، من الممكن رؤيتها في هذا اليوم.

وكان الملائكة يغنون: المجد للرب، والسلام للناس، وكان ذلك

بحضور الرعاة، وأكثر عجباً من هذا كله، رؤية الحكماء الثلاثة بأبتهم يركعون أمام المعلق، من دون سقف فوق رؤوسهم، إلا الصخرة الممتدة نحو الأمام؟، ودعه يعود من هناك إلى القدس، عله يرى يسوعاً ويسمعه وهو يعظ في الهيكل، ويعلم حواريه على جبل الزيتون، ويتعشى على جبل صهيون، ويغسل أقدام حواريه، ويعطيهم جسده ودمه، ويصلي في جيساني، ويتعرق دماً، ويقبل الذي خانته، ومن ثم يعتقل ويجر بقوة إلى السجن ويسخر منه، ويبصق عليه، ويحكم عليه، ويحمل صليبه، ويغرق تحت وطأة وزن الصليب أمام باب المدينة الذي من الممكن رؤيته في هذا اليوم، ثم يساعده سمعان القرني، وبعد ذلك قيامه بالاحتفال بأسرار قداس آلامه فوق أكرا، وما برحت ذكرى كل واحدة من هذه الأحداث، وكل واحد من هذه الأماكن كاملة وتامة، كما كانت عندما حدثت هذه الأشياء ها هنا، وفي الحقيقة هناك في المدينة أماكن كثيرة تقدست بأحداث آلام ربنا، إلى حد أن يوماً واحداً لن يكون بأي حال من الأحوال كافياً لزيارتها جميعاً بشكل نافع، وبالإضافة إلى هذا كله، هناك أشياء أخرى تثير الناس في تلك الأماكن وتدفعهم إلى درجة عالية من الانفعال العاطفي، ومن هو الذي يمكنه أن يذكر كم هو عدد الرهبان والراهبات من جورجيا، ومن أرمينيا الصغرى والعظمى، ومن بلاد الكلدان، وسورية، وميديا، وفارس، والهند، وأثيوبيا، والنوبة، وكذلك الأنباط، والموارنة واليعاقبة، والنساطرة، والاغريق، والسريان، ومن الطوائف الأخرى، الذين يتجولون في هذه الأيام في تلك البلاد على شكل جماعات، كل منها مكون من مائة أو مائتين، أو أكثر أو أقل، وهم يزورون كل مكان مقدس، ويقبلون بعاطفة جياشة القلعة، ويتعبدون البقاع التي سمعوا بأن يسوعاً الجميل جلس عليها، أو وقف، أو عمل أي عمل؟ تراهم يضربون صدورهم، وهم يبكون أو يتنهدون، ويغنون بالدور، ويعبرون بمظاهرتهم الجسدية عن مشاعرهم الدينية التي يمتلكونها بدون أدنى

شك، وعمق هذه المشاعر كان يستدر عطف الكثيرين حتى أن المسلمين كانوا يكونون لذلك، فلقد رأيت أيها المولى الرب، إبراهيم، يسرع — كما حدثنا المؤرخون القدماء — بمغادرة بلاده، وترك أسرته، وبيت أبيه، ليقدم مسرعاً إلى هذه البلاد، فينصب خيمته فيما بين بيت إيل، وبين عاي، ويقيم بعض الوقت في جرار Gerar ، وبئر السبع، وحبرون، وإنني أرى حزقيال يغادر مياه بابل، ويُحمل بشعر رأسه فيما بين السماء والأرض، وهو يشق طريقه إلى القدس، وما الذي يمكنني قوله عن العذراء الرائعة، التي، بعد الاعلان الذي عمله الملاك لها، ووعداها، قد عرفت بأن رحمها قد عمل بيتاً للرب، فلم تكن راضية بسهول الجليل الواسعة والجميلة، بل بادرت مسرعة للصعود إلى المنطقة المرتفعة في اليهودية، وذلك لرغبتها في أن تكون أقرب إلى الأماكن المقدسة؟ وما الذي يمكنني قوله عن البطريك يعقوب، ويوسف وأخوانه، الذين، لأنهم لم يستطيعوا السكنى في تلك الأرض أثناء حياتهم، اختاروا أن يدفنوا فيها بعد مماتهم؟.

وما الذي أحثاه للقول أكثر؟ من الممكن أن نتعهد ونزعم تجاه انعدام الحماسة لدى المسيحيين في أيامنا، الذين لديهم أمثلة كثيرة مضروبة أمام أعينهم، ويترددون في العمل على انتزاع البلاد التي قدسها يسوع بدمه، من أيدي الأعداء، مع أنهم يغنون يومياً بحمده في الكنائس خلال العالم كله: لأنه لا يوجد يوم أو ليلة على مدار السنة لا يغني فيها كل مسيحي تقي، أو ينشد، أو يتلو، أو يعظ، أو يتفكر، أو يقرأ حول ما جرى أو كتب في هذه البلاد، وفي مدنها وأماكنها المقدسة؟.

وعندما رأيت أن بعض الناس قد تملكتهم الرغبة في أن يتصوروا هذه الأشياء بعقولهم، وهي الأشياء التي لم يكونوا قادرين على رؤيتها بأعينهم، ورغبة مني في تلبية رغباتهم، بقدر ما أمتلك من طاقة، فكرت بقدر ما أستطيع، في أن أكتب بكل عناية وصف ما أشاهده، وأن أصف

بدقة متناهية تلك البلاد، التي مررت ماشياً عليها مراراً، ذلك أنني أريد أن يعرف القارئ أنني لم أضمن أوصافي إلا ما رأيته بأم عيني، عندما كنت في المكان الموصوف نفسه، أو إذا لم أستطع الوصول إليه، كنت أراه من فوق أحد الجبال المجاورة، أو من مكان موائم آخر، ولقد دونت بدقة الأجوبة التي قدمت إلي من قبل السريان أو المسلمين، أو من قبل قوم آخرين من سكان البلاد، وذلك بعدما سألتهم بدقة متناهية.

وفي الحقيقة، لقد قلت: إنني إما مشيت على قدمي وطففت على البلاد كلها من دان إلى بئر السبع ومن البحر الميت إلى البحر المتوسط، فتلك هي حدودها، أو أنني تقصيت فبحثت بعناية حول الأماكن التي لم أستطع الوصول إليها.

ولدى تفكري وتقديري كيف يمكنني القيام بوصف هذه البلاد بشكل نافع ومفيد، ولكي يتمكن عقل قارئ بسهولة من فهم ما سأخبره عنه، رأيت اختيار نقطة مركزية ومن ثم إعداد البلاد كلها وترتيبها من حولها، وفق تنظيم صحيح، ولقد وقع اختياري على مدينة عكا لتكون هي المركز، لأنها معروفة أكثر من أي مكان آخر، ومع هذا فإن هذه المدينة ليست واقعة في وسط البلاد، بل هي قائمة على شاطئ البحر في الجزء الغربي من حدودها، وقد مددت من هناك أربعة خطوط، كل واحد منها متجه إلى إحدى اتجاهات العالم الأربعة، ولقد قسمت كل ربع إلى ثلاثة أجزاء، حتى تتوافق هذه الأجزاء الاثني عشر مع الرياح السماوية الاثني عشر، ووضعت في كل قسم من هذه الأقسام المدن والأماكن التي ورد ذكرها في الكتابات المقدسة، حتى يمكن بيسر وسهولة إيجاد موضع كل مكان، وجزء العالم الموجود فيه.

هنا بداية القسم الأول من البلاد المقدسة

١ — عليكم أن تعرفوا في البداية أن ما ندعوه باسم الأرض

المقدسة، هو ما وقع حصّة لأسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وقد عرف أول الأقسام باسم مملكة يهوذا، وكان حصّة سبطي يهوذا وبنيامين، وعرف القسم الآخر باسم مملكة السامرة، وهو الذي يعرف في هذه الأيام بتبعيته لمدينة سبسطية، التي كانت عاصمة ديار الأسباط العشرة المتبقية، وهي التي عرفت باسم إسرائيل، وقد أطلق على هاتين المملكتين مع جميع بلاد فلسطين، اسم فلسطين، وكانت فلسطين إحدى مقاطعات سورية، وذلك مثلما سكسوني أو فرانكونيا، مقاطعتين من بلاد ألمانيا، ومثلما لومبارديا وتوسكانيا مقاطعتين في إيطاليا.

ويمكن فهم هذا بقدر أكبر، إذا عرفنا بوجود عدد كبير اسمه سورية، وكل منها حمل اسماً مختلفاً، ومع هذا فإن مجمل البلاد الواقعة فيما بين نهر دجلة ومصر تدعى بشكل عام سورية، والجزء الأول من هذه البلاد هو الواقع ما بين نهري الفرات والدجلة، وهو الممتد طويلاً من جبل طوروس حتى البحر الأحمر، ويدعى هذا الجزء باسم سورية الجزرية، لأنها تقوم في وسط المياه، وتحتوي على كثير من الشعوب، منهم مثلاً: القرثيين والميديين، ويحدها من الجنوب بلاد الكلدان التي توجد فيها مدينة بابل، ومرة أخرى إن حدودها من الجنوب العربية، التي تمتد حتى البحر الأحمر، وهو الذي يدعى في هذه الأجزاء باسم الخليج العربي، هذا وإن الجزء الأول من هذا القسم الجزري كله، هو الجزء الذي يمتد نحو الشمال، وهو الذي اسمه بشكل خاص الجزيرة السورية، وفي هذا الشطر تقوم مدينة الرها، التي كانت تعرف في القديم باسم راسيس Races والآن باسم راسك Rasc فهذه هي سورية الأولى.

وسورية الثانية هي سورية المجوفة، التي تبدأ عند نهر الفرات، وتنتهي عند نهر بانياس الذي يجري عابراً قلعة المرقب، ويصب في البحر المتوسط عند مدينة بانياس، التي هي مقر أسقف، وتبعد فرسخاً واحداً

عن القلعة المتقدمة الذكر، وفي مقاطعة سورية المجوفة هذه تقوم مدينة أنطاكية مع ملحقاتها، مثل اللاذقية وأفاميا وسواهما كثير.

وسورية الثالثة هي سورية فينيقية، التي تبدأ في الشمال عند النهر المتقدم الذكر، أي نهر بانياس، وتمتد جنوباً حتى بترانثيسا Incisa ، أو القفار عند سفوح جبل الكرمل، ويدعى هذا المكان في هذا اليوم باسم قلعة الحجاج (عثليت) وهي من أملاك فرسان الداوية، وفي سورية الفينيقية هذه كثيراً من المدن، من ذلك مثلاً: المرقب، وطرطوس، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا، وكفرناحوم، وقد عرفت هذه المنطقة باسم سورية الفينيقية صدوراً عن اسم ابنة أغينور التي كانت أختاً لقدموس، فهو الذي بنى صور، وجعلها المدينة الرئيسية في هذه البلاد، وأطلق اسمه على البلاد، فعرفت به.

وسورية الرابعة هي سورية دمشق، حيث مدينة دمشق هي العاصمة هناك، وسورية هذه متصلة بسورية الثالثة، أي سورية فينيقية، وذلك من الجهة الشرقية هناك، وتدعى سورية الرابعة هذه أيضاً باسم سورية لبنان، لأن جبل لبنان المشهور موجود فيها.

والتالي لسورية الرابعة هذه، أي سورية فينيقية (كذا) فلسطين، التي يتوجب دعوتها باسم فلسطين Philistiim ، بسبب وجود فلسطينيات ثلاثة، وهؤلاء الثلاثة جميعاً أجزاء من سورية الكبرى، وهي كمايلي: فلسطين الأولى، وهي المقاطعة التي عاصمتها مدينة القدس، وذلك مع جميع المنطقة التالية الموجودة هناك حتى البحر الميت، لابل حتى القفار وإلى قادش بارينا (القفار)، وعاصمة فلسطين الثانية هي قيسارية فلسطين، التي تعرف أيضاً باسم قيسارية القائمة على شاطئ البحر، وذلك مع جميع بلاد فلسطين شروعاً من بترانثيسا، أو قلعة الحجاج (عثليت)، وذلك امتداداً نحو الجنوب حتى بيسان، وفلسطين الرابعة هي تلك التي عاصمتها بيسان، وذلك على مقربة من نهر

الأردن، عند سفح جبل جلبوع، وكانت هذه المدينة تعرف فيما مضى باسم سكيروبولس، والصحيح هو دعوة فلسطين هذه باسم الجليل، أو مرج ابن عامر الكبير.

وهناك مثل هذا ثلاث عرييات، هي بالطريقة نفسها أجزاء من سورية الكبرى، والعربية الأولى هي التي عاصمتها بوستروم، التي تعرف الآن باسم بُزريث Buzereth ، وفي القديم باسم بصرى، ويحد هذه المقاطعة من جهة الغرب الطرخونية والإيطورية (الجيدور)، كما يحدها من الشمال دمشق، ولهذا السبب عرفت سورية دمشق باسم «العربية»، وهذا يعلل لماذا أطلق على أرتاس Arethas اسم ملك العربية، في حين كان هو في الحقيقة ملك دمشق، والعربية الثانية هي المنطقة التي عاصمتها هي البتراء، التي كانت تعرف بالقديم باسم ربّاث Rabbath على جدول أرنون Arnon، وكانت هذه العربية هي بلاد أبناء عمون، ومهما يكن من أمر فإن مدينة عار Ar كانت في بلاد مآب، وهي تحتوي على مملكة سيحون ملك حشبون، ومملكة عوج ملك بيسان وجبل جلعاد، وهي تحد العربية الأولى من جهة الجنوب، والعربية الثالثة هي التي عاصمتها الشوبك، والتي تعرف أيضاً باسم الكرك، وهي التي عرفت فيما مضى باسم القفار، وهي قائمة على مقربة من البحر الميت، وتحتوي هذه العربية على بلاد مآب، التي ينبغي أن تدعى باسم سورية سوبال، وتحتوي أيضاً على جميع أدوم التي هي جبل سعير، وعلى جميع المنطقة القائمة حول البحر الميت حتى قادش بارينا، وعصيون جابر، وباتجاه البحر الأحمر عبر الجزء الأعرض من القفار حتى نهر الفرات، وهذه هي العربية الكبرى التي فيها مكة، المدينة المدفون فيها محمد (ﷺ) (كذا).

وليكن ما قيل حتى الآن عن البلدان المصابقة للأرض المقدسة كافياً، ولقد أخذت الجزء الأكبر مما قدمته من كتابات الأب المبجل في الرب،

اللورد جيمس دي فيتري، نائب الكنيسة الرومانية المقدسة في الأرض المقدسة، ومهما يكن الحال، لقد رأيت معظم هذه الأماكن بأعينني.

ودعوني الآن أحول قلمي إلى وصف خاص للبلاد التي صارت من نصيب الأسباط العشرة.

٢ — وينبغي أن تعرفوا أولاً وقبل كل شيء، كما قلت من قبل، بأنني قد قسمت الأرض المقدسة إلى أربعة أقسام، وذلك تماشياً مع الأقسام الأربعة للسماء، أي: الشرق، والغرب، والجنوب والشمال، وبناء عليه فإن مجمل القسم الغربي متجه نحو البحر المتوسط، ومثل ذلك أجزاء القسمين، الجنوبي والشمالي، التي هي متصلة بالقسم الغربي. وعلى هذا سوف أبدأ مع الخط المستقيم لمدينة عكا، التي كانت تعرف قديماً باسم بطوليس، وأن أسير باتجاه الشمال لأصف المدن والأماكن القائمة على شواطئ البحر المتوسط.

وسوف نشرع على هذا بوصفنا من مدينة عكا، ونمضي من هناك بخط مستقيم نحو صور، ثم إلى المدن التالية لها، فهذه ستتولى وصفها في أماكنها، لكن من المعروف أن هذه المدينة لم تكن قط جزءاً من الأرض المقدسة، كما لم يملكها بنو إسرائيل في يوم من الأيام، وعلى كل حال إنهم عندما اقتسموا البلاد فيما بينهم أعطيت إلى سبط أشر، غير أن سبط أشر لم يملكها قط، فهي واقعة في مقاطعة فينيقية، وعلى بعد أربعة فراسخ نحو الجنوب يقوم جبل الكرمل، ومدينة حيفا، التي تقوم عند سفح هذا الجبل نفسه، خلف جدول قيسون، حيث قتل النبي إيليا كهنة بعل.

وتمتد مقاطعة فينيقية، أو سورية الفينيقية، مسافة ثلاثة فراسخ باتجاه جنوب هذا المكان حتى بترانثيسا، التي تعرف باسم قلعة الحجاج (عثليت)، فهذا المكان هو الحد الجنوبي لفينيقية.

ومدينة عكا محصنة بالأسوار، وبتحصينات خارجية، وبأبراج، وخنادق، وشرافات وسواتر قوية جداً، وهي مثلثة بشكلها مثل ترس، حيث يطل طرفان منها على البحر المتوسط، أما الطرف الثالث، فيطل على السهل المحيط بها، وعرض هذا السهل أكثر من فرسخين في بعض الأجزاء، وفي بعض الأجزاء أقل، وهو خصب جداً، في المروج وفي الأرض المفلوحة، وفيه كروم وحدائق، ينمو فيها جميع أنواع الفواكه، ويوجد في المدينة عدد من الأماكن الحصينة والقلاع والحصون مملوكة من قبل فرسان طوائف: الاسبتارية، والداوية والتوتون، وهذه المدينة من أملاك ملك القدس، ولها ميناء واسع جداً، وذلك على الجانب الجنوبي حيث يمكن للسفن أن ترسو.

وعلى بعد أربعة فراسخ باتجاه الشمال من عكا تقوم قلعة ايمبرتي [حمصين] على شاطئ البحر، وهي مثل ذلك فيها وفرة من الكروم والحدائق، والمياه الجارية، وذلك عند سفح جبل شارون.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من هناك، وبعدما يعبر الانسان جبل شارون، تقوم قلعة اسكندرونة [جنوب صور]، التي يقال بأن الاسكندر الكبير قد بناها عندما كان يحاصر مدينة صور، وقد أعاد بلدوين ملك القدس عمارتها، وأسند حفظها إلى بعض النبلاء الذين نالوا ألقابهم منها، وفيها وفرة من المروج، والمراعي، وحقول التين، والزيتون، والكروم، وذلك وسط مياه جارية وحدائق.

وعلى بعد أكثر من فرسخ بقليل من هذه القلعة، يوجد بئر مياه الحياة الرائع (رأس العين) وذلك على بعد رمية سهم بعيداً عن الطريق الذي يقود إلى صور، ومياه هذا البئر قادمة من لبنان، وذلك حسبما جاء في نشيد الانشاد، ومع أنه يدعى بئراً بالمفرد، هناك أيضاً أربعة آبار أخرى، لها الشكل نفسه، لكن لها أحجام مختلفة، والبئر الرئيسي بينها مقياسة أربعين ذراعاً بالطول وكذلك بالعرض، وذلك حسبما قسته أنا شخصياً،

أما مقياس كل واحد من الثلاثة الأخرى فهو حوالي خمسة وعشرين ذراعاً، وهذه الآبار كلها مسيجة بأسوار قوية جداً من حجارة قاسية جداً، وهذه الأسوار متصلة ببعضها آخذة شكل بناء لا يمكن تدميره، وارتفاع الأسوار مقدار رمح أو حتى أعلى من ذلك، وتتجمع المياه في هذه الآبار ثم ترتفع، فتتدفق من فوق الأسوار من كل جانب، وهناك مجرى ماء ينطلق من هذا المكان، ويسوق الماء داخل أقنية عميقة ومرتفعة بقدر قامة إنسان، فلقد جربت هذا وعرفته بنفسني، وذلك عندما دخلت إلى مجرى الماء الذي تجري فيه المياه، ويجري أهالي صور هذه المياه إلى جميع أجزاء السهل، حيث يسقون بها الحدائق والبساتين، والكروم، وقصب السكر، الذي ينمو هناك بكميات عظيمة، ومنه يتلقى صاحب صور مداخيل كبيرة، وتقوم هذه الآبار على بعد أكثر بقليل من رمية سهم بعيداً عن شاطئ البحر المتوسط، ومياهم هذه تدير في تلك المسافة الضيقة دواليب ست طواحين ذوات حجم كبير، وتصب بعد هذا في البحر، وواضح أن هذه الينابيع تتوافق تماماً مع ما جاء في الآلهيات [٣١ / ٢٤]: «سوف أسقي حديقتي الأفضل، وسوف أروي بوفرة أرض حديقتي، وانظروا لقد صار جدولي نهراً، وصار نهري بحراً»، وهذه المياه موائمة كثيراً ومفيدة للسكان.

وعلى بعد أقل من فرسخ واحد عن هذا البئر تقوم مدينة صور، وهي واقعة على شاطئ البحر، وقد نالت المدح والاطراء بما فيه الكفاية من قبل حزقيال، وإشعيا، وأرميا، ومن أسفار العهد القديم الأخرى، وكان من المعتاد امتلاكها لجدول من مياه الحياة المتقدمة الذكر، جلب من هناك من خلال أنابيب مدهشة، وأهرامات ما تزال آثارها مشاهدة حتى هذا اليوم، ولقد زرت هذه الأماكن ورأيتها بعيني.

ويحكى بأن مدينة صور قد بنيت من قبل تيراس بن يافث، وكان ذلك بعد الطوفان، ثم أعيدت عمارتها من قبل فينيق، كما تقدم القول،

وصارت عاصمة فينيقية، ولها أسوار واسعة محيطة بها، هي كما أعتقد أعظم من أسوار مدينة عكا، وهي ذات شكل مستدير، تقف في البحر، فوق صخرة قاسية جداً، محاطة تقريباً من جميع الجهات بالبحر، وذلك باستثناء الجهة الشرقية، من المدينة، وهي منها قام نبوخذ نصر أولاً، ثم الاسكندر فيما بعد، بوصلها باليابسة، وذلك لمسافة مقدارها رمية حجر، وهي مسيجة في هذا المكان بثلاثة أسوار، قوية وعالية، وسماكتها خمسة وعشرين قدماً، وقد جرى تمثين هذه الأسوار كثيراً بوساطة اثني عشر برجاً حصيناً، هي الأحصن بين ما شاهدته، حيث لا مثيل لها في جميع أنحاء العالم، والقلعة متصلة بهذه الأبراج، وهي قلعة فائقة القوة والحصانة، قائمة فوق صخرة في البحر، ومحاطة أيضاً بأبراج مع أماكن حصينة، ولا يمكن للعالم كله أن يستولي على هذه المدينة بغير خيانة، وفي هذه المدينة آثار مقدسة كثيرة، وذلك حسبما نعلم من خلال التاريخ اللاهوتي، حيث حدثنا عن الشهداء الذين تألموا هناك في أيام ديوكليسيان، فالرب وحده يعلم كم هو عددهم، ويرقد أورجين مدفوناً هناك، في قبر مبني في جدار كنيسة الضريح المقدس، فلقد رأيت ضريحه هناك، ويوجد هناك أعمدة من الرخام والحجارة الأخرى، بأحجام عظيمة يقف الانسان مندهشاً لدى رؤيته لها.

ويوجد في هذه المدينة كرسي رئاسة أسقفية، فهي المدينة المطرانية لفينيقية، ولرئاسة الأساقفة فيها نواب ومساعدون منهم أساقفة بيروت، وصيدا، وعكا، وتمتد رعية هذه المطرانية حتى بتر انشيسا، أو قلعة الحجاج (عثليت) التي تقدم ذكرها.

وقد أمضيت هناك مرة عشرة أيام، وقمت في مرات كثيرة بفحصها بكل دقة وبقدر ما استطعت.

وعلى الرمال، على مسافة رميتي سهم، خارج بابها الشرقي، يعرضون مكاناً، يقولون بأن المسيح قد وعظ فيه، حيث رفعت امرأة كانت بين

الحشد صوته، وقالت: «بورك الرحم الذي حملك» الخ، ويعرضون أيضاً هناك صخرة عظيمة، كان المسيح قد وقف عليها آنذاك، وهذا المكان لم تغطه الرمال قط، مع أن الرمال في ذلك المكان خفيفة، وتتطاير هناك مثلما يتطاير الثلج في الشتاء في البلدان الغربية والشمالية، ولدى تطاير الرمال بوساطة الريح تتكوم هناك الأسيجة والأماكن المشابهة، غير أن هذا المكان، وإن قام في وسط الرمال، قد بقي دوماً غير مغطى في الصيف وفي الشتاء، وذلك حسبما رأيت بعيني.

ويوجد في ذلك المكان أيضاً عمود مرمي على الأرض، مشكلاً علامة، قد قيل بأن تلك البقعة هي المكان الذي جرى فيه قتل بعض الحجاج لدى زيارتهم لتلك المنطقة، وقد قتلوا بشكل خياني من قبل المسلمين.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ قصيرة، إلى الشمال من صور، يجري نهر الليطاني، ويصب في البحر المتوسط، وإلى هذا النهر وصل يوناثان أثناء مطاردته للملك ديميتريوس، وذلك حسبما نقرأ في سفر المكابيين الأول، وينبع هذا النهر من ايطورية أو جليل الأمم، وذلك من منطقة كان اسمها في القديم بلاد الراحوب، وصار فيما بعد كابول، وهو يجري قاطعاً قلعة الشقيف، التي يمتلكها فرسان الداوية، وذلك على مقربة من رامه، التي هي المكان الذي إليه طارد يوشع الملوك الواحد والثلاثين، وذلك حسبما نقرأ في سفر يوشع.

وعلى بعد فرسخين من هذا النهر تقوم صرند الصيداويين، التي يرى الناس أمام بابها الجنوبي بيعة أقيمت فوق المكان الذي جاء إليه النبي إيليا إلى المرأة الصرندية حيث سكن، ثم أقام ابنها من الموت، والعلية التي استراح فيها ما تزال مشاهدة هناك حتى الآن، ولا تحتوي الصرند على أكثر من ثمانية بيوت قائمة، وتدل خرائبها على أنها كانت فيها مضي مدينة عظيمة.

وعلى بعد فرسخين تقوم صيدا، التي هي مدينة عظيمة في فينيقية، ويبرهن على ضخامة حجمها حتى هذا اليوم خرائبها، وكانت عظيمة إلى حد أنني لو أردت الكتابة عنها، فإن ذلك سيكون صعب التصديق، وكانت قائمة فيما مضى وسط سهل مستطيل الشكل، يمتد من الشمال إلى الجنوب عند سفح جبل لبنان الغربي، فيما بينه وبين البحر، وكانت مدينة فائقة الجمال، ولقد بني من وسط خرائبها مدينة أخرى، وصحيح أنها مدينة صغيرة بالفعل، لكنها حصينة، فهي أشبه بالحصن، وهي قائمة جزئياً على ساحل البحر، ولها على جانبيها قلعتين حصينتين جداً، الأولى قائمة في الشمال قائمة على صخرة في البحر، وقد بنيت هذه القلعة هناك من قبل حجاج من ألمانيا، وتقوم القلعة الثانية في جهة الجنوب، فوق رابية، وهي جيدة الحصانة، وهاتين القلعتين مع المدينة أيضاً تحت سلطان فرسان الداوية.

والمنطقة المجاورة خصيبة جداً، وفيها وفرة عظيمة من الأشياء الجيدة، ولها مناخ صحي تماماً، وهناك قصب سكر ممتاز، وكروم.

وأمام الباب الشرقي للمدينة القديمة، التي هي خرائب الآن، تقوم بيعة فوق المكان الذي جاءت إليه امرأة كنعانية، والتمست عوناً من أجل ابنتها التي تلبسها الشيطان، وكان ذلك على الطريق الذي يقود إلى الايطورية وإلى قيسارية فيليب (بانياس).

وتقع سلسلة لبنان الغربية على بعد فرسخ واحد إلى الشرق من صيدا، ويبدأ هذا الجبل، عند نهر الليطاني الذي تقدمت الإشارة إليه، ويمتد إلى مسافة سفر خمسة أيام، أي خمسة فراسخ فيما وراء طرابلس، وهو لا يبعد مطلقاً أكثر من فرسخين عن البحر، باستثناء قرب طرابلس، حيث أنه يبعد نحواً من ثلاثة فراسخ، ويصل في بعض الأماكن إلى قرب البحر، إلى حد عدم توفر طريق للعبور، وهو مليء بكروم رائعة، وذلك مثلما كتب عنه: «والرائحة هناك ستكون كخمر

لبنان» [هوشع: ١٤ / ٧ — مع فوارق]، وتصنع الخمرة الجيدة على طول الطريق إلى قلعة المرقب.

وعلى بعد تسعة فراسخ فيما وراء صيدا، تقوم مدينة بيروت القديمة والجليلة، حيث يقال بأن الرب قد بشر ووعظ، وصنع اليهود تمثالاً من صلصال سخرية منه، وعندما صلبوا هذا التمثال سال منه كثيراً من الدم، مازال محفوظاً بإجلال حتى هذا اليوم في أماكن كثيرة.

والأسقف في هذه المدينة هو نائب لرئيس أساقفة صور، مثله في ذلك مثل أسقف صيدا، ويمتد الكرسي المطراني لمدينة صور لمسافة ثلاثة فراسخ بعد بيروت، أي إلى ممر نهر الكلب، فهناك يصب هذا النهر في البحر، ومثل ذلك تنتهي هنا حدود بطريركية القدس، وهنا تبدأ بطريركية أنطاكية وكونتية طرابلس، ويدعى هذا المكان باسم ممر الكلب، ولا يمكن عبوره إلا بإذن من المسلمين، لأن عدة رجال فقط يمكنهم أن يمنعوا العالم كله من العبور هناك.

وعلى بعد ستة فراسخ من بيروت، وعلى شاطئ البحر، تقوم مدينة بيلوس [جبيل]، وهي أول مدينة في بطريركية أنطاكية، ولهذه المدينة أسقف خاص بها، وقد أشار حزقيال إلى هذه المدينة أثناء مدحه لمدينة صور حيث قال: «شيوخ جبيل وحكامها كانوا فيك قلافيك، جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك» [حزقيال: ٢٧ / ٩]، وصاحب جبيل هو من أتباع كونت طرابلس، واسم هذه المدينة في هذه الأيام جبيل، وهي مدينة صغيرة جداً.

وعلى بعد أربعة فراسخ من جبيل تقوم البترون، وهي مدينة كانت فيما مضى غنية جداً بإنتاج خمر رائع، لم يكن في الدنيا أجود منه، غير أنها مدمرة الآن تماماً.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ تقوم قلعة [أنفة] راس شكا، التي معظمها تقريباً قائم في البحر، وهي من ممتلكات أمير أنطاكية، ولقد رأيت فيها اثني عشر برجاً، والموقع بالفعل حصين جداً، والخمرة في هذه البلدة هي الخمرة الأكثر شهرة في جميع هذه الأماكن.

وعلى بعد فرسخين من راس شكا، وخلفها تقوم مدينة طرابلس، وهي مدينة جميلة جداً، قائمة كلها تقريباً في البحر، مثلها في ذلك مثل صور، وهي مليئة بالناس، حيث يسكن فيها الاغريق واللاتين والأرمن، والموارنة والنساطرة، وآخرون كثراً، وكثير من الأعمال تعمل فيها من الحرير، وسمعت بشكل مؤكد أن فيها نساجون للحرير، ولوبر الجمل، ولأقمشة أخرى مماثلة.

ولاشك أن المنطقة المحيطة يمكن دعوتها باسم الفردوس، بسبب وجود ما لا حدود له من الكروم الجميلة، ومغارس الزيتون، والتين، وقصب السكر، ولا أذكر أنني رأيت مثل هذا في أي مكان آخر من العالم.

وطول السهل القائم أمام المدينة فرسخ، وعرضه نصف فرسخ، ويوجد في هذه البقعة حدائق، فيها مختلف أنواع الفواكه بوفرة كبيرة، حتى قيل بأن دخل أصحابها منها كل سنة يبلغ ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ وراء هذه المدينة يقوم جبل لبنان، الذي ينبع عند سفحه «نبع الحدائق» (نهر قاديشا)، وهو ينبع لمياه الحياة، وجداول من لبنان، نقرأ عنها في نشيد سليمان، ويظهر هذا النبع أنه ينبع قليلاً، لكنه يقوم فجأة بجمع قواه، فيعمل نهراً قوياً وفائق العظمة، وهويسقي جميع الحدائق والسهل بين طرابلس وبين لبنان، ويزيد من ثراء المنطقة بشكل رائع، ومياهه ممتازة، حيث أنها باردة وعذبة، ويوجد على ضفته كثيراً

من الصوامع، كما جرى بناء الكثير من الكنائس، وينبع كما قلنا من سفح الجبل، ويلتف جزئياً حول جبل النمر، ثم يساق بين الحدائق لسقايتها، هذا ولن نقوم بذكر الجداول الأخرى التي مثل هذا تصب في البحر، في أماكن مختلفة، ومؤكد ما جاء في سفر إستير وقيل عن هذا النبع «ومن نبع صغير صنعت فيضاً عظيماً، وماء كثيراً»، [استير: ١١ / ١٠].

وعلى فرسخين من طرابلس يقوم جبل النمر، الذي له شكل مستدير، وهو مرتفع بعض الشيء، قائم على بعد فرسخ واحد من لبنان، ولقد رأيت عند سفحه، في الجانب الشمالي كهفاً فيه قبر طوله اثني عشر قدماً، ويزور المسلمون هذا المكان بتقوى، ويقولون بأنه قبر يوشع، وهذا مالا أعتقد أنه صحيح، لأن العهد القديم قال بأنه دفن في تمته — حارس [القضاة: ٢ / ٩] إلى جانب جبل افرام، قرب شكيم، والذي أميل للاعتقاد به أن هذا هو قبر كنعان بن حام بن نوح، أو قبر واحد من أولاده، الذي من الممكن البرهنة على أنه سكن في ذلك المكان نفسه، وذلك حسبما سنتحدث فيما بعد.

وعلى بعد حوالي ثلاثة فراسخ إلى الشمال من هذا الكهف تقع نهاية جبل لبنان وسلسلة جبال لبنان الشرقية، ويرى الإنسان عند المكان الذي يلتقيان فيه قلعة عرقة، وهي القلعة التي بناها عرقة بن كنعان، وأطلق عليها اسمه، فهذا ما نتعرف عليه من سفر التكوين: ١٠، ومن أخبار الأيام الأول: ١ / ١٥، وهذه الأرض الذي ينتهي بها جبل لبنان رائعة جداً وجميلة، وخصبة، أما من أجل وضع وطول جبل لبنان فلسوف أحدثكم عن ذلك لدى الحديث عن قيسارية فيليب [بانياس] ونبع نهر الأردن.

وعلى بعد نصف فرسخ إلى الشرق من قلعة عرقة، تقوم السن، وهي بلدة بنيت من قبل سينوس بن كنعان، وهو أخو عرقة، وكان ذلك بعد

الطوفان، وليس بعيداً عن عرقة، وذلك حسبما جاء الخبر في شروح سفر التكوين، ومهما يكن من أمر، فإن النساطرة الذين يسكنون هناك قد أخبروني، بعدما سألتهم، بأن البلدة قد حملت اسمها من سينوكيم Synochim، ولقد حصلت على الجواب نفسه من مسلمي ذلك المكان.

ودون قلعة عرقة وبلدة سينوكيم، يوجد سهل كبير، فائق الجمال والخصوبة، ويمتد حتى الكرك [حصن الأكراد]، التي كانت فيما مضى من ممتلكات فرسان الاستتارية، وذلك امتداداً حتى أنطربوس التي تعرف الآن باسم طربوس، وطول هذا السهل حوالي أحد عشر فرسخاً، وستة فراسخ عرضاً، ويحتوي هذا السهل على الكثير من القرى، والحدائق الجميلة، وأشجار الزيتون، وأشجار التين، وبقية أنواع أشجار الفواكه من مختلف الأنواع، إلى جانب الكثير من الأخشاب، فضلاً عن هذا كله، في هذا السهل وفرة من الجداول، والمراعي، ولهذا يسكن التركمان، والمدينين Midianites، والبدو هناك في الخيم مع زوجاتهم وأولادهم، وقطعانهم وجمالهم، ولقد رأيت هناك قطيعاً كبيراً جداً من الجمال، وأعتقد أنه كان هناك عدة آلاف من الجمال.

ويجد هذا السهل من جهة الشرق جبال مرتفعة لكن ليس كثيراً، وترتفع هذه الجبال على مقربة من عرقة، وتمتد حتى الكرك، ويسكن في هذه الجبال قوم اسمهم الباطنية جفاة، وأناس قساة يكرهون الصليبيين، والمسافة من بلدي عرقة وسينوكيم، عبر ذلك السهل إلى طربوس هي ثمانية فراسخ، وعرفت طربوس بهذا الاسم لأنها تقوم في مقابل أرواد.

وأرواد هي جزيرة في أعماق البحر، وذلك على بعد نصف فرسخ عن اليابسة، وقام فيها وما يزال حتى أيامي هذه مدينة جميلة، ورد ذكرها لدى حزقيال في قوله: «بنو إرواد مع جيشك على الأسوار من حولك» [حزقيال: ٢٧/ ١١]، وقد جاء في الشرح قوله: «أرواد مدينة

قائمة في البحر في مقابل طرطوس وعلى مقربة من صور»، وفي الحقيقة إن المسافة فيما بينها وبين صور سفر خمسة أيام، وأسس هذه المدينة أرايوس، وهو ابن كنعان، وكان ذلك بعد الطوفان.

ولنلاحظ هنا أن حام بن نوح، قد ولد كنعان، بعد الطوفان، وولد كنعان صيدون، الذي كان أول أولاده، وكذلك حثيا، واليبوسي، والأموري، والجرجاشي، والحوي، والعراقي، والسيني، والأروادي، والصماري، والحماي [التكوين: ١٠/١٥ - ١٨]، ومن هؤلاء انتشرت أسر الكنعانيين في الخارج، وأربعة من الأحد عشر ولداً من أولاد كنعان، وأعني بذلك: صيدون، بكره، وهو الذي بنى صيدا، وعرقه وهو الذي أسس عرقه، وسينوس وهو الذي أسس سينوكيم، وأرواد وهو الذي أسس أرواد، وكما قلنا، إن هؤلاء الأربعة قد بقيوا في تلك البلاد القائمة عند نهاية لبنان، وذلك حسبما حكى لنا، غير أن السبعة الآخرين، أي: حثيا، ويبوس، وأمور، وجرجاش، وحوي، وعرقه، وحماي، قد تركتهم يارب إسرائيل لأنفسهم، حتى يتعلموا كيف يقاثلون، هذا وأوابد وأضرحة الأولاد الأربعة الأول مرئية في هذه الأيام على بعد فرسخ واحد قبل أن يصل الإنسان إلى طرطوس، وهي فائقة الثراء ولها حجم رائع، ولقد رأيت الحجارة هناك، وقمت بقياس إحدى الحجارة فوجدت طولها أربعة وعشرين قدماً وعرضها مثل ارتفاع رجل طويل، وعلى هذا إنه لأمر رائع النظر إليها، فكيف جرى رفع هذه الأحجار ومن ثم استخدامها في البناء، فهذا كله فوق فهم الناس وإدراكهم.

وإلى جانب طرطوس، وعلى بعد نصف فرسخ إلى الشرق منها، هناك بعض الجبال، غير أنها ليست عالية جداً، كما أنه ليس من الصعب الوصول إليها، وهؤلاء في البلاد التي اسمها بلاد الحشيشية، الذين سوف نأتي على وصف طقوسهم بشكل مطول أكثر فيما بعد.

وقد بشر القديس بطرس لمدة طويلة في طرطوس، وذلك عندما كان في طريقه إلى أنطاكية، فهذا ما نقرأ عنه في رحلة القديس كليمنت.

فهنا وجد كليمنت أمه، وهنا أيضاً بنى القديس بطرس أول كنيسة تشريفاً للعدراء المباركة، وهذه الكنيسة موجودة حتى هذا اليوم، وقد احتفلت فيها بقداس، لأنني أقمت هناك لمدة ستة أيام.

وعلى بعد سبعة فراسخ من طرطوس تقوم قلعة المرقب، التي هي من أملاك رهبان الاستارية، أي فرسان مشفى القديس يوحنا، وهذه القلعة مطلة على مدينة بانياس، وعلى بعد فرسخ واحد عن البحر، وهي محصنة بشكل جيد، وقائمة فوق جبل مرتفع جداً، وقد نقل الآن مقر الأسقف الذي كان في بانياس، إلى القلعة، وذلك بسبب إهانات المسلمين، والأسقف هناك هو نائب لرئيس أساقفة أفاميا، مثله في ذلك مثل أسقف عرقة.

وتشكل مدينة بانياس، والنهر الذي يحمل الاسم نفسه، وهو الذي يجري مجتازاً لها، حدود مملكة القدس، وهنا، بالوقت نفسه، تبدأ إمارة أنطاكية، وهنا أيضاً تنتهي كونتية أنطاكية، والآن، إنه على كل حال، لقد سافرت إلى ما وراء هذا المكان، ورأيت البلاد، ومع هذا لم أكتب شيئاً عنها، لأنني لا أنوي أن أكتب شيئاً، إلا عن الأرض المقدسة.

وليكن ما قد قيل فيه كفاية عن القسم الأول.

هنا بداية القسم الثاني من الأرض المقدسة

٣ — ينطلق القسم الثاني من عكا نحو الشمال، وأول مكان يصل الانسان إليه، إذا ما انطلق من عكا باتجاه الشمال تماماً، هو القلعة التي كانت تعرف باسم قلعة القرين، والتي كانت فيها مضي من أملاك فرسان التيوتون، وهي الآن مهدامة تماماً.

وعلى بعد أربعة فراسخ منها، وبالاتجاه نفسه تقوم قلعة تبين، وهي مكان حصين جداً، قد بنيت من قبل صاحب طبرية، وذلك لضبط مدينة صور، عندما كانت صور بأيدي المسلمين، وهي تبعد سبعة فراسخ عن مدينة صور.

وعلى بعد أربعة فراسخ من هناك تقوم مدينة حاصور [قرب نبع الليطاني] القديمة، حيث سكن هناك الملك القوي يابن، الذي قاتل ضد يوشع وإسرائيل مع الملوك الواحد والثلاثين عند مياه ميروم، ولقد جاء في سفر يشوع: ١١، بأن يوشع قد أحرق مدينة حاصور القوية بالنار، ويشهد على شهرة هذه المدينة حتى هذا اليوم خرائبها، وأثارها.

وعلى بعد حوالي الستة فراسخ إلى الشمال من هناك، توجد مدينة بانياس، وذلك عند سفح جبل لبنان، وكانت هذه، حسبما قرأنا في سفر القضاة، تعرف أولاً باسم ليش Laish ، وبما أنها كانت بعيدة عن صيدا، مسافة تقارب الأحد عشر فرسخاً، وبما أنها لم يكن لها حلفاء (كانت موجودة في الوادي المجاور لبيت راحوب) فقد استولى أولاد دان عليها، وأطلقوا عليها اسم لشم — دان [يشوع: ١٩/٤٧]، وذلك صدوراً عن اسم أبيهم دان، وغالباً ما أطلق عليها فقط اسم دان، وذلك تماشياً مع ما جاء في التوراة قوله «يجتمع إليك كل إسرائيل من دان إلى بئر السبع» [صموئيل الثاني: ١٧/١١]، ذلك أن هذه المدينة تشكل الحد الشمالي للأرض المقدسة، مثلما تشكل بئر السبع الحد من الجنوب، وعلى هذا نقراً في سفر الملوك الأول: ١٩/٣ بأن: «إيليا أتى إلى بئر السبع التي ليهودا»، ثم نقراً بعد هذا أنه هو نفسه: «سار في البرية مسيرة يوم»، ولا شك أن هذا يعني بجوار تلك المدينة، واسمها الآن بيت جبرين (كذا)، هذا وعندما كان فيليب طيطراخ الايطورية مع منطقة الطرخونية، رغب في أن تحمل مدينة بانياس — أو دان — اسمه، وأن يصبح اسمها قيسارية فيليب، ويطلق عليها الاغريق اسم

بانياس، وهذا الأسماء كلها باتت منسية الآن، وهي تدعى بشكل عام باسم بانياس.

وفوق هذه المدينة، من على الجانبين هناك نبعاً نهري «الأر» و«دان»، وذلك عند سفح جبل لبنان، وهما يلتقيان أمام باب المدينة، ويشكلان نهراً واحداً، وهو نهر الأردن.

لكن لاحظ أن هذا ليس نبع الأردن الحقيقي، لأن يوسفوس أخبرنا — وما قاله صحيح — أنه على بعد مائة وعشرين غلوة من ذلك المكان هناك نبع اسمه فياله Phiale [بركة الرام] هو ملء بشكل دائم، ولم يفيض قط، بل يجري تحت الأرض إلى ذلك المكان، وهناك يتدفق، ومن ثم يعرف باسم دان، وقد تبرهن هذا في كثير من الأحيان برمي قش في فياله، والعثور عليهم بعد ذلك في نبع دان، ولا يطلق المسلمون على هذا النبع اسم فياله بل ميدان، أي ماء دان، كأن تقول هذه مياه دان، لأن معنى كلمة «مي» في العربية «ماء»، ودان «تل القاضي» هو اسم النبع المتقدم الذكر، ويطلق القديس متى على هذا المكان اسم «مجدل» [متى: ١٥/٣٩]، واسمه عند القديس مرقس دلمانوثة [مرقس: ٨/١٠]، وهو ليس بعيداً عن مدينة [أرض] السواد، قرب أبدة أيوب المبارك [الشيخ سعد] وذلك في منطقة الطرخونية، وهذا سوف يجري شرحه بشكل أطول فيما سيأتي.

وبعد دوران طويل من هذين النبعين، يلتقي هذان النبعان أمام باب بانياس، ويشكلان نهر الأردن، ويفصل هذا النهر فيما بين الطرخونية واللايطورية، وأخيراً يصب في بحر الجليل فيما بين كفر ناحوم وكورزين، على بعد أربعة فراسخ من مدينة قidar، القائمة فوق رابية مطلة عليه.

وفي منتصف الطريق فيما بين بانياس وبحر الجليل، يدخل النهر إلى

وادي، حيث يشكل بركة في أثناء الوقت الذي تذوب فيه الثلوج من على جبل لبنان، وتدعى هذه البركة باسم مياه ميروم Merrom حتى هذا اليوم، وهنا تحارب يوشع مع يابين ملك حاصور والملوك الواحد والثلاثين الآخرين، وهزمهم وطاردتهم حتى مياه مسرفوت وإلى صيدون العظيمة، وذلك لمسافة تقارب ثمانية فراسخ [يشوع: ١١/٨]، وتجف هذه المياه كلها تقريباً في أيام الصيف، والشعراء والنباتات التي تنمو هناك كثيفة جداً، حيث مأوي للأسود والديبة وأنواع الحيوانات الضارية الأخرى، مما يجعلها مكاناً للصيد الملكي، ويقع النصف الأول من هذا الوادي في القسم الثاني المتجه نحو الشمال، ويقع النصف الثاني في الثلث التالي، والجزء الثالث، الواقع خلف هذا الوادي، والممتد على طول الضفة الشرقية لنهر الأردن حتى لبنان وذلك على جهة اليسار، وإلى جبل حرمون نحو الجنوب الشرقي، وإلى مدينة بصرى إلى الشرق فوق جبل سنير، المتصل بجبل حرمون، إنه السهل المعروف باسم سهل لبنان، أو منطقة الطرخونية، وذلك حسبما جاء في سفر يشوع، وسبب التسمية بالطرخونية، هو أن هذه المنطقة كلها قليلة المياه الجارية، ولذلك قام سكانها بجمع مياه الأمطار داخل أقنية وصهاريج، وقاموا بعد ذلك بنقلها إلى مكان آخر بوساطة طراخين، أو أنابيب، وذلك من أجل سقاية أنفسهم مع حيواناتهم.

وبما أننا أشرنا إلى جبال: حرمون، ولبنان، وسنير، بات من الضروري هنا، التحدث إليكم بشكل أطول حولهم، لأن بذلك يمكن للمسائل الأخرى أن تفهم، وعلى هذا، عليك أن تعرف أن الجبال التي إلى جانب بركة أرنون، والتي بين عمان ومآب والأموريين، وكذلك جبل جلعاد، القائم في بلاد عوج، ملك بيسان، وجبل سنير، وجبل حرمون، فوق بعل — جاد، وبحر الجليل، وجبل لبنان أن تعرف أن كل هذه الجبال هي جبال متصلة، تحمل أسماء متنوعة في أماكن متعددة، مثلما يمكن

رؤية ذلك في أي يوم في جبال الألب، التي تفصل ألمانيا عن لومبارديا، ومهما يكن الحال، إن جبل جلعاد هو الأعلى بين هذه الجبال جميعها، ويبدو بالفعل كأنه رأسهم جميعاً، وعلى هذا أعتقد أن ما قاله إرميا (٦/٢٢): «جلعاد أنت لي. رأس من لبنان» هو صحيح تماماً، وجبل سنير متصل بجبل جلعاد، وهو أيضاً يعرف باسم سكير، لأن عيسو، أو سكير، قد سكن فيه، وذلك كما ستحدث عن ذلك فيما بعد، وهو قائم فيما وراء بحر الجليل، وهو من حصّة نصف سبط منشا، ويتصل في المكان نفسه بجبل حرمون، الذي يحد منطقة الطرخونية، ويمتد حتى دمشق، التي يتصل قربها بلبنان، بين بانياس ودمشق، وبالنسبة إلى لبنان نفسه، فالذي أعتقده، هو أن أعلى مكان فيه هو حيث يجتاز مدينة بانياس، وهذا المكان أعلى من أي مكان آخر في السلسلة كلها التي تدعى باسم سلسلة لبنان، والسلسلة في هذا المكان تبعد فرسخين عن مدينة صور، ومن الممكن رؤيتها بوضوح من صور، وفي الحقيقة لقد رأيته أنا نفسي من هناك تشع منيرة في وسط الليل، وطول السلسلة رحلة سفر خمسة أيام، وقمتها طوال تلك المسافة مغطاة بالثلج، وهي تقترب أكثر فأكثر من شاطئ البحر، وهكذا حتى نجدتها عند السفوح، أي فوق بانياس، تبعد اثني عشر فرسخاً عن البحر، وتبعد عند النهاية، أي قرب عرقة ثلاثة فراسخ عن البحر، والذين يسافرون بحراً من صور إلى طرطوس يرونها طوال الطريق، ودونها تقترب سلسلة لبنان الشرقية من البحر أكثر من أي مكان آخر، وهناك وديان خصبة في كل من لبنان وسلسلة لبنان الشرقية، كلها تفلح بشكل جيد، وهناك وفرة من المروج، والكروم، والحدائق والبساتين، وهناك — بكلمة موجزة — جميع الأشياء الجيدة في العالم، ويقطن فيها كثير من الاقوام، كما قلنا من قبل، من أمثال: الموارنة والارمن، والاغريق، والنساطرة، واليعاقبة، والجورجيين، الذين هم جميعاً مسيحيين، وهم حسبما يقولون خاضعون جميعاً لكنيسة روما.

هنا بداية القسم الثالث من الأرض المقدسة

٤ — يمتد القسم الثالث من عكا إلى الجنوب الشرقي، وعلى ثلاثة فراسخ على هذا الامتداد تقع قلعة جدّين [شرقي عكا]، وهي قائمة على جبل شارون، وكانت هذه القلعة فيما مضى من أملاك طائفة التيوتون، غير أنها مهدمة الآن.

وبعد مسافة ثلاثة فراسخ تقوم قلعة الملك (معليا) في وادٍ، وكانت أيضاً فيما مضى ملكاً للطائفة نفسها، وفيها وفرة من جميع الأشياء الجيدة، وفواكه من أنواع موجودة في تلك المنطقة ونادرة الوجود في مناطق أخرى، وهي الآن بأيدي المسلمين.

وعلى بعد أربعة فراسخ باتجاه مياه ميروم هناك وادي صعنينيم، حيث نصب حابر القيني خيمته، وذلك ليس بعيداً عن مدينة حاصور، وكانت زوجته التي اسمها ياعيل هي التي قتلت سيسرا، قائد جيش ملك حاصور، بغرس وتد الخيمة في صدغه، وذلك حسبما نقرأ في سفر القضاة [١١/٤ — ٢٤].

وعلى مسافة فرسخين يقع وادي كابول [جنوب شرقي عكا] الذي يدعوه المسلمون باسم زابول، وأطلق على المنطقة اسم كابول، لإظهار عدم السرور، وذلك حسبما نقرأ في الإصحاح الثالث من سفر الملوك [الأول: ١٢ — ١٣]

وعلى مسافة فرسخين من هذا المكان تقوم قلعة صفد وكذلك مدينة صفد، وقلعة صفد — بتصوري — هي الأجل والأكثر حصانة بين جميع القلاع التي رأيتها قط، ذلك أنها قائمة فوق صخرة عالية جداً، وكانت بالعادة ملكاً لفرسان الداوية، غير أنها سقطت بشكل خياني مخجل، فيه إيذاء وألم لجميع الصليبيين، لأنها مادامت بأيدي السلطان، فهو المسيطر على جميع الجليل، أي على جميع ديار أسباط: زبلون، ونفتالي، وأشر،

ويساكر، ومنشأ وجميع البلاد حتى عكا، وصور، وصيدا.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشمال من صفد، وليس بعيداً عن سهل صعنيم تقوم قادش نفتالي، التي جاء منها باراق بن أبينوعم، الذي قاتل ضد سيسرا على جبل الطور، وكانت هذه مدينة ملجأ في ديار سبط نفتالي، وكانت مليئة بجميع الأشياء الجيدة، ويرى في هذا المكان حتى اليوم خرائب واسعة، وأضرحة فائقة الجمال.

ويوجد على بعد فرسخين وراء قلعة صفد، حيث ينزل الانسان من الجبل باتجاه الشرق، وعلى بعد رمية حجر من بحر الجليل، وفوق الطريق الذي يقود نحو الشرق، يوجد درب فوق ذلك الجبل، غالباً ما صعد يسوع المسيح عليه، إلى حيث — كما حدثنا القديس متى — كان يعظ ويقيم القداسات، وهناك أشبع خمسة آلاف انسان من خمسة أرغفة وسمكتين، وإلى هناك اعتاد الصعود والصلاة، بعد ما كان يبعد عنه الحشود، وإلى هناك هرب عندما أرادوا جعله ملكاً، وهنا علم حواربيه الصلاة، وهنا أمضى الليل في الصلاة، وحدث عندما كان نازلاً من هذا المكان، أن قام قائد المائة بالتوسل إليه لمساعدة خادمة المشلول، وإليه إلى هناك جاء حشد كبير من المرضى، ومن الذين تلبستهم الشياطين، وهنا لمس المجذوم فشفاه، وهناك وقف وسط الحقل مع حواربيه، ويمكن للانسان أن يرى من هذا الجبل بحر الجليل، والايطورية، ومنطقة الطرخونية بعيداً حتى لبنان، وأن يرى كذلك سنير، وحرمون، وبلاد زبلون، ونفتالي، حتى قيذار وجميع منطقة جنسارث حتى دوثنان وبيت أوليا، وأماكن أخرى كثيرة، وطول هذا الجبل حوالي رميتي سهم، ورمية حجر أو أكثر عرضه، وهو معشوشب وجميل، وموائم لأعمال الوعظ والتبشير، ومشاهد هناك حتى هذا اليوم، الصخرة التي جلس عليها يسوع المسيح، عندما قام بالوعظ، وأيضاً الأماكن التي جلس فيها الحواريون، (واسم هذا المكان لدى المسيحيين: المائدة).

وعند سفح هذا الجبل، على مقربة من البحر، أي على بعد حوالي الثلاثين خطوة، هناك نبع لماء الحياة، مسيج بجدار، ويطلقون على النبع اسم عرق النيل (عين التبغه)، لأن سمك الـ *Coracinus* يتكاثر فيها، وهذا السمك ليس موجوداً في مكان آخر، واسم هذا النبع عند يوسفوس «كفرناحوم»، لأن السهل كله الواقع بين ذلك النبع ونهر الأردن» أي على مسافة قدرها فرسخين، يدعى كفرناحوم.

وعلى بعد حوالي العشرين خطوة من ذلك النبع، وعلى شاطئ بحر الجليل، يوجد الموضع الذي وقف يسوع عليه على الشاطئ، بعد قيامه، وقال لسبعة من حواريه كانوا يصطادون السمك هناك: «أيها الاولاد هل لديكم أي شيء نأكله؟»، وعندما كنت في هذا المكان في يوم عيد القديس أوغسطين [٢٨-آب]، رأيت ثلاث طبعات لخطوات الرب يسوع قد طبعت على صخرة، لكن عندما عدت إلى هناك ثانية في يوم عيد البشارة، وجدت أن المسلمين قد أخذوا الصخرة.

وعلى بعد عشر خطوات من هناك، يوجد الموضع، الذي عندما خرج الحواريون من السفينة، رأوا فيه نار فحم، وسمكة موضوعة فوقها، وخبزاً، (ويدعى هذا المكان من قبل المسيحيين باسم المائدة).

وعلى بعد مسافة فرسخ واحد نحو الشرق من هذا المكان، توجد كفرناحوم، التي كانت فيما مضى مدينة جليلة، غير أنها متواضعة جداً الآن، ليس فيها سوى سبعة بيوت لصيادي سمك فقراء، وبشأنها تحققت كلمة الرب يسوع المسيح في قوله: «وأنت يا كفرناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية». [متى ٢٣/١١].

وعلى بعد فرسخين من ذلك المكان يدخل نهر الاردن إلى بحر الجليل، وعلى الشاطئ الأقصى منه، من الممكن حتى الآن رؤية خرائب مدينة كورزين، وذلك على شاطئ بحر الجليل. وعلى مسافة

فرسخ واحد وراء ذلك المكان، أي كورزين، يبدأ صعود جبل سنير — المعروف أيضاً باسم سكير — والمدخل إلى الايطورية.

وبعد هذا بمسافة ثلاثة فراسخ، تقوم قيذار، وهي مدينة جليلة، بنيت في موقع حصين، على الطرف الشرقي لجبل سنير، ويمر من خلال هذه المدينة، الطريق الذي — كما تقدم القول — يساير شاطئ بحر الجليل، ويجري نحو الغرب، وذلك حسياً جاءت الرواية في توبت: ١ / ١، واسم الطريق في اشعيا: «طريق البحر» [اشعيا: ١ / ٩]، لانه يسير على طول شاطئ البحر، وأضاف اشعيا بقوله: «عبر الاردن» لأنه يقود إلى ما وراء الاردن إلى المنطقة التي تدعى آرام، وتدعى أيضاً باسم «جليل الأمم» لأنه عند ذلك المكان، الجليل محدود من قبل الأردن.

وإنه على بعد أربعة فراسخ من هذا المكان، الموضع الذي يصب فيه الأردن في بحر الجليل ويجري حتى قادش نفتالي، وفي منتصف الطريق بينهما يوجد نصف آخر من مياه ميروم، المتقدمة الذكر، ويمر نهر الأردن خلال وسط وادي مياه ميروم، وعندما يخرج من هناك يعطف مجراه أولاً باتجاه الشرق، ثم باتجاه الجنوب، وهكذا يصب في بحر الجليل.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشمال من مصب نهر الأردن، ومدينة كورزين، تقوم مدينة السواد، التي جاء منها بلداد، الوارد ذكره في أيوب باسم السوادي، وعلى مقربة منها، وعلى الجهة الشرقية يوجد ضريح أيوب.

وعلى السهول القريبة من هذه المدينة، وذلك على الجانب المتجه نحو مدينة قيذار، اعتاد المسلمون من بلاد آرام، والجزريون، وأهل حماه، وسورية، ومآب، وعمان، وجميع أجزاء بلاد الشرق، اعتادوا على التجمع هناك حول نبع فياله، المتقدم الذكر، وكانوا يعقدون سوقاً يستمر طوال

أيام الصيف وذلك بسبب جمال المكان ولطافته، وينصبون الخيام ذوات الألوان المتنوعة، التي تقدم مشهداً جميلاً جداً لأهل قيدار لدى النظر إليه من فوق الراية، وهذه الخيم هي التي ورد ذكرها في نشيد انشاد سليمان [٥ / ١] تحت اسم «خيام قيدار».

وعلى بعد أربعة فراسخ الى الشرق من مدينة كورزين تقوم مدينة قيدار، فوق رابية مرتفعة، ويطلق يوسفوس عليها اسم جمالا (الحصن)، لأن الجبل الذي تقوم عليه شكله يشبه شكل الجمل، مع تلعة في الوسط تشبه سنامه، وهي تنتهي بانخفاض يشبه شكل ذيله.

واعرف هاهنا— كما سلف بنا القول— أن المنطقة الموجودة قرب الأردن، وعلى الضفة الشرقية منه، والممتدة حتى جبل حرمون وبصرى، تعرف باسم منطقة الطرخونية، أو باسم «سهل لبنان» ويعرف الجانب الغربي من ضفة نهر الاردن باسم جليل الأمم، أو باسم الايطورية، أو كابول، أو «المدن العشرة»، ويمر «طريق البحر» في الوسط هناك، أي الطريق المنطلق من عكا والمار خلال وادي ديار سبط آش، وهو الذي يعرف الآن باسم وادي القديس جرجس [الخضر في البعنة]، والممتد إلى جبال منطقة الطرخونية، التي عبرها تقوم بلاد آرام، وبناء على هذا جاء في الشرح على قوله: «كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب» (أيوب: ١ / ١): الخبر التالي: «ولد آرام— أبو السوريين، الذي أسس مدينة دمشق— عوص، الذي أسس منطقة الطرخونية، وهو الذي حكم فيها بين سورية المجوفة وفلسطين، وهي التي حملت اسمه فعرفت باسم بلاد عوص، وبناء عليه نقول فلان سكن في بلاد عوص، أو هو عوصي البلاد.

وحُكمت هذه المنطقة من قبل الطيطراخ فيليب، ومثلها أيضاً الايطورية، القائمة على هذا الجانب من بلاد الاردن، باتجاه الغرب، والممتدة حتى جبال الصيداويين، والسريان، وأهل عكا، وهي التي

تفصلها عن فينيقية، فكلتاها في هذا الثلث وفي النصف المتقدم، ويجدها من الشمال لبنان ومن الشرق نهر الاردن، ومن الجنوب بحر الجليل، ومن الغرب جبال فينيقية.

هنا بداية القسم الرابع

٥- يبدأ القسم الرابع من عكا، ويمضي نحو الشرق تماماً، ويمر من قرب قلعة صفد، ويدعها قائمة على يساره، ومن هناك يسير شاطئاً بحر الجليل، حيث يمر من أمام مدينة كفر ناحوم، من قبل المكان الذي دعا فيه الرب متى من موضع استلام العشور، ومن الممكن في هذه الأيام رؤية بيت متى، والمكان الذي اعتاد على الجلوس فيه، على الطريق السلطاني، ثم إن الطريق يمضي صاعداً جبال حرمون، على الطرف الأقصى من الأردن.

ويوجد في هذا القسم المدن التالية:

والمكان الأول، ويبعد مسافة خمسة فراسخ عن عكا، هو عبارة عن قرية اسمها القديس جرجس (البعنه)، حيث من المعتقد أن القديس جرجس قد ولد في هذا المكان، وتقوم هذه القرية في واد واسع جداً، وخصب، وجميل بين التلال والروابي، ويمتد هذا الوادي الممتع حتى يصل إلى بحر الجليل، وكان بالعادة تابعاً لسبط آش، ويمتد حتى صفد بطول يبلغ حوالي العشرة فراسخ، وما جاء حوله في سفر التكوين: ٤٩، هو صحيح تماماً، وذلك بسبب جماله، وذلك قوله: «آشر خبزته سمين وهو يعطي لذات ملوك» (٢٠)، وهذا القول صحيح تماماً فيما يتعلق بحصة هذا السبط.

وعلى بعد مسافة أربعة فراسخ من هناك، وباتجاه الجنوب، لكن مع بعض الميل نحو الشرق هناك قرية نعسون (حاصور) العائدة لسبط

نفتاني في واد، وقد قرأنا عن هذا المكان في سفر توبيت.

وعلى بعد مسافة ثلاثة فراسخ من هناك باتجاه الجنوب، تقوم دوثنان، حيث وجد يوسف إخوته، ودوثنان قائمة عند سفح جبل بيت أوليا، وعلى بعد فرسخ منه، وهي بلدة فائقة الجمال، مليئة بالكروم، والزيتون، والتين، والمراعي الخصبة.

ومابرح يرى في هذا المكان، في الحقل الجب الذي وضع فيه يوسف من قبل إخوته، ولقد رأيته هناك إلى جانب الطريق الذي يمضي من جلعاد، ويتصل في بيت صيدا بالطريق الذي يذهب من سورية الى مصر، ويصعد هذا الطريق من دوثنان الى مقربة جبل بيت أوليا، ثم يعبر مرج ابن عامر، ويمر بجبل الطور على جهة اليسار، وذلك عبر سهل مجيدو، ثم يمضي صعوداً لجبل إفرايم، ويدخل الرملة، ومن هناك إلى غزة فمصر، وعبر هذا الطريق جاء الاسماعيليون الذين اشتروا يوسف.

ونقرأ في سفر الملوك الثاني حول بلدة دوثنان هذه، بأن السوريين التفوا حول الإشع هناك، وقادهم هو من هناك الى وسط السامرة، الواقعة على قرابة سفر يوم واحد. واعلم أن دوثنان ليس فقط اسم البلدة، بل تحمل المنطقة الاسم نفسه صدوراً عن اسم البلدة، وهذه المنطقة كانت منذ القديم تابعة لهذه البلدة، وهي منطقة منبسطة، مسيجة من كل جانب بهضاب منخفضة، وهي مروية بينابيع، ولذلك فيها مراعي جيدة، صالحة لإطعام المواشي.

وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من نعسون، وعلى مسافة حوالي الثلاثة فراسخ إلى الشرق من دوثنان، توجد مدينة نفتالي (قدس)، التي جاء منها طوبياس، وهي قائمة في مكان حصين، لأنه يوجد على جانبها الغربي جبل فائق الارتفاع، لا يمكن لإنسان أن يتسلقه، ويمكن فقط تسلق قطعة صغيرة منه على الجهة الشرقية، وأعتقد أن هذه المدينة كانت

تعرف باسم جتباتا Jotapata ،(جفات جنوب غربي صفد) في أيام استئصال اليهود، وذلك وفقاً ليوسفوس، ففيها جرى حصار يوسفوس نفسه من قبل الرومان، ووقع بأيديهم أسيراً، حسبما أخبرنا هو نفسه، واسمها في هذه الأيام سيريم Syrim (مIRON؟)، وهي على بعد أكثر من فرسخ بقليل عن صفد.

وعلى بعد فرسخين من نفتالي، عند زاوية بحر الجليل، حيث يبدأ بالانعطاف من الشمال نحو الجنوب، تمتد بيت صيدا(قرب المينة عند شيخ سياد) التي هي مدينة أندرو، وبطرس، وفيليب، ولا يتجاوز حجمها في هذه الأيام سبعة بيوت، وتقوم على طرف الطريق من سورية إلى مصر، وكان لديها في العصور القديمة مجرى ماء من النهر، دعاه يوسفوس باسم الأردن الصغير، وهو يصب في بحر الجليل في منتصف الطريق بينها وبين كفرناحوم، وآثار هذا المجرى يمكن رؤيتها حتى في هذا اليوم.

وعلى بعد مسافة فرسخين نحو الجنوب تقوم المجدل التي هي قلعة مريم المجدلية، التي رأيت بيتها ما يزال قائماً هناك، وقد ولجت إلى داخله، وتقوم المجدل على شاطئ البحر، وذلك على بعد حوالي ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من بيت أوليا، ويوجد على جانبيها الغربي والشمالي سهل معشوشب كبير.

واعرف أن هذا القسم الرابع ليس فيه المزيد من البلدات على هذا الطرف من بحر الجليل، غير أنه يوجد على الشاطئ الآخر كثيراً من المدن والقلاع، العائدة لهذا القسم، وذلك في بلاد الجرسانيين الموجودة في مقابل هذا مباشرة.

ففي هذا المكان هناك كثير من المدن، منها على سبيل المثال: جرسه، وجدر، وفحل، والسواد مدينة بلداد السوادي، وثمان التي جاء منها

علفاز التمانى، وعدد كبير آخر.

وتقوم الآن بلدة جرسة (خرسة) على شاطئ بحر الجليل، عند سفح جبل سعير، تقريباً في مقابل طبرية، لكن نحو الشمال قليلاً منها، وكانت هذه بالعادة من أملاك نصف سبط منشا، الذي جاءت حصته عبر الأردن.

واعرف بأن هذه البلاد الواقعة عبر بحر الجليل كثيرة الجبال، وذلك كما بدا لي، لكنني لم أكن فيها قط، وقد كانت جزءاً من مملكة باشان، ويعرف شطر منها باسم جبل سعير، لأن عيسو قد سكن هناك، وذلك كما سأخبركم بعد قليل، وعرفت في مكان آخر باسم جبل سنير، لأنه كان هناك، وعرفت أيضاً باسم جبل حرمون، لأنه كان هناك أيضاً، وهكذا عرفت أماكن متعددة وجبال في هذه البلاد بأسماء مختلفة، ومع أن الجميع هو عائد لنصف سبط منشا، لكن نصف سبط منشا لم يملكها قط، لأن أبناء عيسو سكنوا في هذه الأجزاء، وما زالوا يسكنون حتى هذا اليوم، وهم يعرفون بشكل عام باسم المسلمين، لأنهم لا يختلفون عنهم لا باللغة أو العادات، إلا — ربما — في الطريقة التي ينظمون بها شعورهم، وكذلك بالألبسة التي يرتدونها.

لكن مع هذا عليك أن تعرف أن هناك جبل سعير آخر، أو أدوم، وذلك في مقابل قفار البحر الأحمر، حيث نقرأ في سفر التكوين: ١٤، كيف هزم كدورلعومر والملوك الآخرون الذين كانوا معه الحوريين في جبل سعير، فوقتها لم يكن هذا الجبل يعرف باسم جبل سعير، لأن عيسو الذي كان يدعى باسم سعير، ومن اسمه نال الجبل اسمه، لم يكن قد ولد بعد، وعلى هذا علينا أن نعتقد بأنه دعي بهذا الاسم مقدماً من قبل، وهكذا نقرأ في سفر التثنية: ٢(٤): «أنتم مارون بتختم لإخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم، فاحترزوا جداً» وقد قيل هذا أولاً لبني إسرائيل، عندما قاموا خارجين من مصر، وذلك عندما كانوا

في قادش بارينا (القفار)، وكانوا على وشك القدوم إلى جبل سعين، الذي هو قريب من قادش بارينا، المكان الذي كانوا فيه آنذاك، لكن من المؤكد أن بني إسرائيل لم يأتوا قط إلى تخوم جبل سعين هذا، القائم عبر بحر الجليل، لأن بحر الجليل هذا متصل بدمشق، إلى حيث لم يصلوا مطلقاً.

وجبل سعين الآخر، الذي قرأنا عنه أنه متصل ببريه فاران، هو الجبل الذي تحول حوله بنو إسرائيل لأيام كثيرة، لأن الرب حرم عليهم الدخول إلى هناك، ونقرأ عن جبل سعين هذا في سفر التثنية: ٢(١٢): «وفي سعين سكنوا قبلاً».

وفي جبل سعين هذا الذي هو قريب من بحر الجليل، ومن جبل جلعاد، كان يسكن عيسو في الوقت الذي عاد فيه يعقوب من بلاد الرافدين إلى سورية، فنحن نقرأ في سفر التكوين: ٣٦، بأن عيسو الذي كان بلا شك ساكناً مع أبيه في بير السبع، أخذ كل ما امتلكه، وذهب للسكنى في منطقة أخرى، وهذا مما لا شك فيه، وقد فصل نفسه عن أخاه، ولقد التقى بيعقوب، لدى عودته من بلاد الرافدين عند مخاضة جدول ييوق، المتصل بتلك البلاد باتجاه الجنوب، ونقرأ في سفر التكوين: ٣٢/٣١، أنه: «عندما عبر يعقوب فنيثيل أشرقت له الشمس»، ونقرأ أيضاً بعد: «ورفع يعقوب عينه ونظر وإذا عيسو مقبل» [٣٣/١] الخ، وهذا المكان الذي اسمه فنيثيل مرثي حتى هذا اليوم، ومعروف بالاسم نفسه، ليس بعيداً عن سكوت، في المنطقة الشرقية عبر الأردن، فإلى هناك — كما قرأنا — جاء يعقوب فيما بعد مباشرة، وهذا المكان نفسه موجود عند سفح جبل سعين المتصل ببحر الجليل، وأما بالنسبة لجبل سعين، الذي سكن فيه الحوريون قديماً، والذي فيه يسكن أبناء عيسو الآن، هو بعيد سفر عدة أيام عن هذا المكان، ولم يكن بإمكان عيسو القدوم بشكل مفاجيء لرؤية أخاه، لأنه

بعيد جداً، وواقع وراء البحر الميت، وعلى مسافة سفر خمسة أيام منه، ومرد وجود هذه الأسباط المختلفة من أبناء عيسو، والأماكن المختلفة التي سكنوا فيها، مرد هذا الأمر كما أعتقد، وسببه هو أن عيسو امتلك عدة زوجات، وعلى هذا سكن الأولاد الذين أنجبهم من محلة ابنه إسماعيل وأخت نايوت [تكوين: ٢٨/٩] في جبل سعين الذي هو قريب من بركة فاران، وذلك في المنطقة نفسها التي سكن فيها ختنه، الذي نقرأ عنه في سفر التكوين: ٢١، بأنه صار رامياً، وسكن في بركة فاران، فهناك — جاءنا الخبر — بأنه سكن مع ذريته، هذا وتزوج عيسو زوجات أخرى إلى جانب زوجاته الأول، كان من بينهن: أهو لييامة ابنة عني بنت صبعون الحوي، وكان هذا الحوي ابن كنعان، ومما لا شك فيه أنه سكن في منطقة بيسان في الجليل، على مقربة من جبال جلبوع، ليس بعيداً عن بحر الجليل، وعلى مقربة من هذا المكان نفسه هناك جبل سعين آخر، سكن فيه عيسو، في الوقت الذي كان يعقوب راجعاً فيه من بلاد الرافدين، وعلى هذا كان من السهل جداً عليه لقاء أخيه هناك، وذلك حسبما يشير النص، لأننا نقرأ في سفر التكوين: ٣٢، أنه بعدما ترك لابان، أخذ طريقه وقابل ملائكة الرب، وقال: «هذا جيش الرب»، وأطلق على ذلك المكان اسم مخنايم، أي «المحلة»، (هذا المكان موجود في هذا اليوم عند سفح جبل جلعاد، في ديار سبط جاد)، ومن هناك بعث برسلك إلى أخيه، وقد عادوا إليه إلى هناك، وبناء عليه — كما قرأنا بعد — عزل جانباً بعضاً من قطعانه هدية إلى أخيه عيسو، وقد بعث بهذه الهدية مع رسله، وهكذا قرأنا: «فاجتازت الهدية قدومه. وأما هو فبات تلك الليلة في المحلة. (أي في مخنايم) ثم قام في تلك الليلة وعبر مخاضة ييوق، (التي ما تزال مرئية هناك) وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر» إلخ، ونتابع القراءة بأن «يعقوب دعا ذلك المكان باسم فنيثيل»، وما يزال هذا المكان قائماً حتى هذا اليوم على ضفتي مخاضة جدول ييوق، أيضاً في ديار سبط جاد، «وأشرق له الشمس إذ عبر فنيثيل»

وبعد هذا «رفع يعقوب عينيه ونظر وإذا عيسو مقبل» الخ، وعلى هذا إننا نعرف الأماكن التي جاء عيسو إليه بها، وكلها على مقربة من جبل سعير، القائم وراء بحر الجليل.

وهناك أيضاً جبل سعير ثالث في منطقة أشدود وعسقلان، التي وقعت حصّة لسبط يهوذا وقت اقتسام البلاد، لكن ما هو السبب في تسميته كذلك، إنني لا أتذكر أنني قرأت حول ذلك، غير أن السكان هناك يدعون باسم: أدوميين، مثلما دعي أبناء عيسو الآخرين باسم الأدوميين اشتقاقاً من اسم أدوم، ولهذا السبب أطلق على أنتيباتر وابنه هيرود العسقلاني اسم الأدوميين.

ويكفي ما قيل عن هذا الموضوع.

ويوجد هذا الجبل في حصّة جاد في جبل جلعاد، في مقابل المكان الذي يخرج فيه نهر الأردن متدفقاً من بحر الجليل، وذلك ليس بعيداً عن جبل جلبوع، على مقربة من مدينة بيسان، ومن هناك نزولاً من الضفة الشرقية للأردن، توجد ديار سبطين ونصف سبط، وهي تمتد نزولاً حتى مراعي أرض مآب عند سفح جبل عبريم في شطيم في مقابل أريحا، وإذا ما تابعنا السير نحو الجنوب على طول ضفة الأردن نفسها في بلاد مآب، نصل حتى البتراء في القفار، التي تعرف الآن باسم الكرك، ويأتي بعد هذا جزء من بلاد عمون، وذلك مسaire لجميع طول البحر الميت، مع الاحاطة بنهايته الجنوبية، وصولاً حتى جبل سعير، المتصل ببرية فاران، قرب قادش بارينا، حيث هناك على الطرف قفار سيناء والبحر الأحمر.

هنا بداية القسم الثاني من الربع الشرقي

٦ — في القسم الثاني من الربع الشرقي الذي يبدأ من عكا نحو الجنوب الشرقي، عندما يقطع الانسان أربعة فراسخ يصل إلى قانا

الجليل، حيث حوّل الرب الماء إلى نبيذ، وهذا المكان مرثي حتى هذا اليوم، حيث تقوم أجران الماء الستة، وغرفة الطعام حيث كانت المواد فيها.

هذا وإن جميع هذه الأماكن، مثلها في ذلك مثل جميع الأماكن الأخرى التي صنع فيها الرب أي عمل، هي موجودة تحت الأرض، ويمضي الانسان إليها بواسطة عدد كبير من الدرجات حيث يفضي إلى قبو، وهذا هو الوضع في موضع البشارة، والمهد، وفي قانا الجليل هذه، وفي أماكن أخرى كثيرة، كلها مشاهدة تحت الأرض، والسبب الوحيد الذي يمكنني أن أجده لهذا، مرده إلى التدمير المتتابع للكنائس التي بنيت فوق هذه المواضع، فقد سترت الخرائب بالأتربة التي تراكمت فوقها، وبعدما جرت تسوية الخرائب بلا عناية، تمت إقامة أبنية جديدة فوقها، وبناء عليه بات على المسيحيين الذين تشوقوا لزيارة هذه الأماكن، ورغبوا بالوصول إلى البقعة نفسها التي شهدت وقوع الحدث، أن يقوموا بأعمال تنظيف الأماكن هذه، وإقامة سلاسل تقود نزولاً إليها، ولهذا السبب بدت غالبية هذه الأماكن على شكل أقبية، وإلى الشمال من قانا الجليل هناك جبل مرتفع وطويل، وعلى سفوح هذا الجبل تقوم هذه البلدة، وفي أسفل الجبل، يوجد على الجانب الجنوبي سهل جميل جداً، أطلق عليه يوسفوس اسم سهل الكرمل (وادي الملك)، وهو يمتد بعيداً حتى الصفورية، وهو فائق الخصوبة والجمال.

وعلى بعد حوالي الفرسخين إلى الجنوب من قانا الجليل، وذلك على الطريق من الصفورية إلى طبرية، هناك قرية اسمها رومه (شمال المشهد) فيها يقال جرى دفن النبي يونه، وتقف هذه القرية تحت الجبل المقبل من الناصرة، ويحدها الوادي المتقدم ذكره، أي وادي الكرمل من الجانب الجنوبي.

وعلى بعد حوالي الفرسخ إلى الشرق من رومه هناك قرية واسعة،

يبدو أنها دُعيت فيما مضى آبل — محولة، حيث نقرأ في سفر يودث بأن هولوفرنس قد قدم إليها عندما كان متوجهاً إلى بيت أوليا، ولا بد أنه فعل ذلك، فبسبب وعورة تلك الأماكن لم يكن متوفراً طريق آخر هناك، ومن المعتقد أن هذه القرية قد كانت موضع مسقط رأس النبي إيليا، وذلك حسبما نقرأ في سفر الملوك الأول، وهي قائمة في المنطقة التي كان اسمها دوثنان، وذلك على بعد نصف فرسخ إلى الغرب من تلك القرية، ويوجد فيها عدد كبير من الأعمدة الرخامية، وخرائب كثيرة، وكلها يدلل على أنها كانت فيما مضى مدينة رائعة، وهي قائمة فوق مكان مرتفع وحصين.

وعلى بعد فرسخ واحد من آبل — محولة يقوم جبل بيت أوليا، حيث قتلت يودث هولوفرنس، ومن الممكن رؤية هذا الجبل من خلال الجليل كله تقريباً، وهو جبل فائق الجمال وحصين، وما زال عليه هناك كثيراً من البيوت وكثيراً من الخرائب، وعند نهاية هذا الجبل هناك قرية قد بنيت لحماية الجبل، وهناك آثار معسكر هولوفرنس موجودة حتى هذا اليوم في حقل قرب دوثنان، وهناك أيضاً الوادي الذي غسلت فيه يودث نفسها، وهو الذي عبرته في طريق عودتها إلى بيت أوليا، وقد تفحصت هذا كله بقدر ما أمكنني من دقة، لأنني أمضيت في دوثنان ليلة واحدة.

وعلى بعد فرسخين طويلين إلى الجنوب الشرقي من بيت أوليا، وذلك على شاطئ بحر الجليل، هناك مدينة طبرية الجليل الرائعة، التي من اسمها عرفت البحيرة وأطلق عليها اسمها أحياناً، وكانت هذه المدينة تعرف في العصور القديمة باسم جنسارث، ولهذا السبب ومن اسمها أطلق على هذا البحر اسم بحر جنسارث، لكنها مع الأيام، استولى عليها هيرود، طيطراخ الجليل، وأطلق عليها اسم طبرية تشريفاً للقيصر طايبيروس، وهي مدينة طويلة جداً، وقائمة فوق طرف طويل

من شاطئ البحر، وعند نهايتها الجنوبية هناك حمامات طيبة، وخرائب كثيرة، وتنمو هناك أشجار نخل عظيمة، وكروم عنب، وبساتين زيتون، والتربة هناك خصبة جداً.

واعلم أن المنطقة التي تعرف باسم منطقة المدن العشرة تنتهي عند مدينة طبرية هذه، وقد كتب اللورد جيمس دي فيتري، الذي كان بطريك القدس، ونائب كرسي روما، في كتابه الذي كتبه حول الاستيلاء على هذه المنطقة يقول مايلي: «إن حدود أونهايات بلاد المدن العشرة موجودة على البحر في الشرق، وصيدا الكبرى في الغرب، وبناء عليه كان هذا هو عرضها، أما طولها فيمتد من مدينة طبرية، وجميع الشاطئ الشمالي لبحر الجليل حتى دمشق، وعرفت باسم المدن العشرة صدوراً عن المدن الرئيسية الموجودة هناك، وهي: طبرية، وصفد، وقادش، ونفتالي، وحاصورة، وقيسارية فيليب، وكفر ناحوم (التي يدعوها يوسفوس باسم جوليا) ولوتاباتا، وبيت صيدا، وكورزين، ويسان، التي كان اسمها أيضاً سكيزوبولس، هذا وهناك مدن أخرى كثيرة إلى جانب هذه المدن.

ولنلاحظ على كل حال، أن هذه البلاد قد عرفت بأسماء مختلفة حتى هذا اليوم، وكما تقدم القول عرفت أحياناً باسم الايطورية، وأحياناً أخرى باسم بلاد الراحوب، وأحياناً باسم كابول، وهي كلها واحد، والمنطقة نفسها، ومع أنها دعيت بأسماء عديدة ومتنوعة، هي لا تتجاوز رحلة سفر يوم واحد في الطول، أو في العرض، كما أنني لا أظن أنها طويلة كثيراً في عرضها، لكن فيما وراء بلاد صيدا، والجبال التي بيننا وبين المسلمين الذين يعرفون باسم البقاعية، وأيضاً الذين يسكنون حول ممر الكلب، تقوم الايطورية الأصيلة، وذلك في واد اسمه وادي البقاع، ويسبب طوله، نجده يمتد حتى سفح جبل لبنان، ويعرف باسم غابة لبنان.

وفي عودة من طبرية، وعلى مسافة ستة فراسخ نحو الغرب، وفرسخين إلى جنوب قانا الجليل توجد صفورية، وهي بلدة جميلة جداً مع قلعة موجودة فوقها، ويقال بأن يواكيم، والد العذراء المباركة قد ولد هناك، وهي قائمة في ديار سبط آشر، على مقربة من وادي الكرمل.

وعلى مسافة فرسخين إلى الجنوب من الصفورية، أو بالحري باتجاه الشرق، توجد الناصرة، التي هي المدينة المباركة للجليل، حيث كان فيها فرع من أبناء يسي، فبعدما تلقت التحية من الروح القدس، حملت في رحمها المبارك يسوعاً المسيح، وتبعد الناصرة سبعة فراسخ عن عكا، وفيها ما يزال موجوداً المكان حيث جلب الملاك جبرائيل بشارة الخلاص إلى العذراء المباركة قائلاً: «حيث أيتها المليئة بالنعمة، الرب معك، بوركنت أنت من بين النساء»، وقد رثلتُ هناك عدداً من القداسات، وكان بعضها حتى في اليوم نفسه، أعني يوم البشارة المقدسة، وذلك عندما صار الرب جسداً، ليبارك اسم الرب يسوع المسيح، إلى الأبد، وإلى الأبد.

وهناك ثلاثة مذابح في البيعة، التي نحتت من قلب الصخر، مثلها في ذلك مثل مكان الولادة، والآلام والقيامة، وفي القديم جرى نحت الجزء الأكبر من الناصرة من الصخر، وهذا ما يمكن رؤيته في هذا اليوم، وما يزال حتى هذا اليوم الكنيس قائم هناك، بعدما جرى تحويله الآن إلى كنيسة، وهو الذي عندما كان يسوع يعلم فيه، قرأ من سفر إشعيا النبي، وذلك لدى مناولته إياه، والذي قرأه هو: «روح الرب فوقي، لأن الرب مسحني» الخ، فضلاً عن هذا يوجد عند نهاية المدينة، في كنيسة جبرائيل، جب، هو مبجل من قبل السكان، حيث يقال: غالباً ما قام الطفل يسوع بنضح الماء منه عندما كان يخدم أمه.

وعلى بعد مسافة أربع رميات سهم، إلى الجنوب من المدينة يوجد المكان المعروف باسم «قفزة الرب»، وذلك حيث أرادوا رمي يسوع نحو

الأسفل، غير أنه مرّ من بين أيديهم، وشوهد فجأة — حسبما مرئي هناك — على طرف الجبل، على مسافة رمية سهم، ومن الممكن أن يرى الانسان هناك على الصخرة طبعة ملامحه وملابسه، ويمكن للانسان أن يرى من ذلك الجبل، جبل الطور، ورابية حرمون الصغيرة (جبل النبي ضاحي)، وقرى: عين دور، ونين، ويزرعيل، ورؤية كل ما حواه سهل ابن عامر.

وعلى بعد فرسخين من الناصرة، باتجاه الشرق، هناك جبل الطور، حيث تحول شكل الرب، وهناك من الممكن حتى الآن رؤية خرائب ثلاث بيع، أو مزارات، كانت قد بنيت تنفيذاً لرغبة بطرس، وفضلاً عن هذا هناك خرائب على غاية من العظمة هناك، تشمل أماكن، وأبراج، وأبنية عادية، هي الآن أماكن مأوى للأسود وللحيوانات الضارية، وعلى هذا يتوفر هناك مكان للصيد الملكي، والجبل صعب التسلق، وهو شاهق الارتفاع، وهو موائم لبناء قلعة عليه.

ويوجد على سفحه، على الجانب الجنوبي، هناك مقابل قرية عين دور، وذلك إلى جانب الطريق الذي يقود من سورية إلى مصر، يوجد المكان الذي يقال بأن مليكصادق قابل فيه إبراهيم، وذلك لدى عودته من القتال ضد الملوك الأربعة قرب دمشق، وعند سفحه، في الجهة الغربية، في مواجهة الناصرة، هناك بيعة بنيت في المكان الذي قال الرب فيه لحوارييه، لدى نزوله من الجبل: «لا تخبروا أحداً بالذي رأيتموه»، ومن سفحه في الشرق يجري جدول قيشون، وذلك حيث قاتل باراق ضد سيسرا، وغلبه، وأرغمه على الفرار، ويتشكل هذا الجدول من مياه جبلي الطور، وحرمون، وتجري هذه المياه باتجاه بحر الجليل، وتصب على مقربة من قلعة كوكب الهوا (بلفيور Belvior)، التي هي من ممتلكات فرسان مشفى القديس يوحنا.

وعلى مسافة فرسخ واحد إلى الشرق من جبل الطور، توجد قرية

عين دور، القائمة على هضبة حرمون الصغيرة (كذا)، وهذه الحرمونية ليست جبلاً مستقلاً بذاته، بل كتلة مرتفعة من الأرض، نازلة من جبل حرمون، وهي باتجاه جبل الطور وملتصقة به، وفوقها تقوم قرية عين دور، حيث نقرأ في المزمور: «بادوا في عين دور» [مزمور: ٨٣ / ١٠]، وسكنت في هذه القرية المرأة التي كانت صاحبة جان، والتي لدى حادثة شاؤول أصعدت صموئيل، وذلك حسبما نقرأ في سفر صموئيل [الأول: ٢٨ / ٧ - ١٨]، وصموئيل يرقد الآن مدفوناً في راماثيم — زوفيم، الموجودة على مسافة سفر يومين من ذلك المكان.

وعلى بعد فرسخين من الناصرة، وأكثر من فرسخ واحد عن جبل الطور، توجد رابية حرمون الصغيرة، الموجود على طرفها الشمالي مدينة نين، التي أقام الرب أمام بابها ابن الأرملة من الموت.

ويبلغ طول هذا الجبل وامتداده أربعة فراسخ في مقابل بحر الجليل، ويتتهي ليس بعيداً عن المكان الذي يتدفق فيه نهر الأردن خارجاً من بحر الجليل.

هنا بداية القسم الثالث من الربع الثالث

٧ — في القسم الثالث من الربع الثالث، الذي يسير باتجاه الجنوب، إن المكان الذي يصادفه الانسان بعد مغادرته لعكا، هو الجزء الأول من جبل الكرمل، وذلك على بعد مسافة أربعة فراسخ من عكا، وهنا يوجد المكان الذي قتل فيه النبي إيليا كهنة بعل، عند جدول قيشون، وذلك حسبما نقرأ في سفر الملوك الأول: ١٨ / ٤٠، وعلى بعد مسافة قصيرة يصب جدول قدرون في البحر المتوسط، وذلك على مسافة فرسخ واحد عن مدينة حيفا، إنما على بعد حوالي الثلاثة فراسخ عن مدينة عكا.

وفيما يتعلق بجدول قيشون هذا، يلاحظ أنه وإن بدا في الحقيقة أنه جدول واحد، وهكذا جرى الكلام عنه أنه واحد، مع ذلك ينبغي عدّه

مزدوجاً، لأنه يجري باتجاهين، فالفرع الأول منه يجري باتجاه الشرق ليصب في بحر الجليل، ويجري الفرع الآخر باتجاه الغرب ليصب في البحر المتوسط، ويقوم هذا المجرى المزدوج من جبلي الطور وحرمون، لأنها ليسا بعيدان عن بعضهما بعضاً، وكل واحد منهما له رابية قد أرسلها باتجاه الآخر، وعلى هذا بدا الجبلان وكأنهما متصلان أحدهما بالآخر عند السفح، والرابية هي أعلى من جانب جبل حرمون، وهي تعرف باسم الحرمونية، وقد تقدمت الإشارة إليها، فعليها تقوم قرية عين دور، وتعيق هذه الرابية مياه الأمطار التي تتساقط على كل واحد من الجبلين، والتي تجري نازلة بالاتجاه نفسه، لكن شطراً منها يجري باتجاه الشرق، ويصب في بحر الجليل، ليس بعيداً عن مدينة بيسان، وعند جدول قيشون هذا تحارب باراق مع سيسرا، وذلك حسبما قرأنا في سفر القضاة: O، ويجري الشطر الآخر باتجاه الغرب ليصب في البحر المتوسط، وعند فرع قيشون هذا قتل إيليا كهنة بعل، وذلك حسبما قرأنا في سفر الملوك الأول: ١٨/ ٤٠، وهو الشطر الذي يجري باتجاه الغرب وترفده مياه من جبل عفريم والمناطق المجاورة له في السامرة، ومن جميع بقاع سهل ابن عامر، وجبل قابيل، ومجيدو، [في عزوبة قرب التعنه].

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من المكان الذي قتل فيه كهنة بعل، تقوم القلعة المبنية فوق جبل قابيل، واسمها تل كمون، وفي نهاية جبل الكرمل تماماً، هناك المكان الذي قتل فيه لامخ قابيل حين رماه بسهم، وذلك حسبما جاء الخبر في سفر التكوين: ٢٣/ ٤، قوله: «فإني قتلت رجلاً لجرحي».

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من جبل قابيل، توجد مجيدو، التي اسمها في هذه الأيام سبورب Suburbe ، فهناك مات أحازيا ملك يهوذا، الذي أصابه ياهو ملك إسرائيل بوساطة سهم، ورماه في حصة حقل نابوت اليزرعيلي، وفي مجيدو هذه نفسها جرى قتل يوشع

ملك يهوذا من قبل فرعون ملك مصر، عندما كان زاحفاً نحو نهر الفرات.

واعرف هنا أن حقل مجيدو، وسهل ابن عامر، وسهل الجليل هم واحد والشيء نفسه، وكل هذه الأسماء قد زالت من الوجود، وهي الآن تعرف باسم سهل الفابا(الفولة) الذي يقوم على بعد ثلاث رميات سهم عن مدينة أفيق، ولكن في الحقيقة الكاملة أن هذا هو سهل الجليل الذي يحده من الشرق بحر الجليل والأردن، ومن الجنوب جبل عفريم والسامرة، ومن الغرب جزئياً من قبل جبل الكرمل، ومن الشمال بحر فينيقيا ولبنان، ويبدو أن طول هذا السهل هو عشرة فراسخ، وعرضه ستة فراسخ أو أكثر، وهو في بعض الأماكن خصب جداً بالقمح، والزيت، والخمرة، ومليء بجميع الأشياء الجيدة في العالم، وبناء عليه لا أعتقد أنني رأيت قط أرضاً أفضل، لولا أن مساوئنا وذنوبنا حالت دون زراعتها من قبل الصليبيين.

وعلى بعد أكثر من فرسخين إلى الشرق من جبل قابيل توجد قرية المزرعة(قرب الفولة) وهي قائمة على شاطئ جدول قيشون، وذلك على بعد فرسخ واحد من سفح جبل حرمون.

وعلى بعد فرسخ إلى الجنوب من المزرعة تقوم قلعة اسمها قلعة الفولة، وعلى الطرف الغربي وعلى بعد ثلاث رميات سهم، وذلك على جهة اليمين من طريق يزرعيل، من الممكن رؤية خرائب مدينة أفيق، فهناك قاتل السوريون ضد أخاب، ملك إسرائيل، وقالوا في ذلك الحين: «إن آلهتهم آلهة جبال.... وإذا حاربناهم في السهل فإننا نقوى عليهم»(الملوك الأول: ٢٠/٢٣).

وعلى بعد فرسخ إلى الشرق من أفيق، وذلك على الجهة اليسارية من الطريق إلى يزرعيل، وعلى الجهة الجنوبية من جبل حرمون، يمكن

للإنسان أن يرى مدينة شونيم (سولم إلى الشرق من الفولة)، فإلى هناك غالباً ما ذهب إيليا عندما كان على طريقه من الكرمل إلى الجلجال، أو الأردن، لأن هذا الطريق كان الطريق الأقل وعورة وارتفاعاً بالنسبة له عندما كان يريد الذهاب إلى أريحا، حيث أقام مع أبناء الأنبياء، وكان يذهب من الكرمل، أي أن تقول من خلال شونيم إلى بيسان، ومن هناك على طول سهل الأردن إلى الجلجال، ولهذا نقرأ في سفر الملوك الثاني: ٨/٤، كيف أنه احتاج كلما ذهب إلى الأردن إلى المرور بشونيم، ولهذا اعتاد على الإقامة مع المرأة الشونيمية، وحدث أنه من هذه المدينة نفسها، جاءت إليه هذه المرأة ذاتها عندما توفي ولدها، جاءت إليه إلى الكرمل، التي تبعد مسافة أربعة فراسخ عن ذلك المكان، وقام إيليا بإقامة ولدها من الموت، وهنا نصب الفلسطينيون معسكرهم عندما جاء شاؤول من جلبوع، ومن مدينة شونيم هذه جاءت أبيشاغ - Ab- ishag الشونيمية التي رعت الملك داوود العجوز، واحتضنته ومددته على صدرها.

وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من شونيم، أو بالحري إلى الجنوب الشرقي، تقوم مدينة بيسان، الموجودة بين جبل جلبوع والأردن، إنما على بعد نصف فرسخ عن الأردن، فعلى أسوارها علق الفلسطينيون جثث شاؤول وأولاده بعدما قتلوهم على جبل جلبوع، وكانت بيسان هذه تعرف من قبل باسم سكي-زوبولس، وذلك حسبما أخبرنا يوسفوس، لكن الناس جميعاً يدعونها الآن باسم بيسان، وهي موقع فائق الجمال والبهاء.

وفوقها، على الجانب الغربي، يقوم جبل جلبوع، الذي يمتد حتى يزرعيل، وذلك على بعد فرسخين نحو الغرب.

وعلى بعد فرسخين إلى الغرب من بيسان هناك ينابيع، ونبع عظيم على فرسخين فوق بيسان، وهذا هو «النبع الموجود في يزرعيل» [عين

جالوت دون يزريعيل إلى الشرق]، الذي ورد ذكره في صموئيل الأول: ٢٩/١، حيث ضرب الفلسطينيين مخيمهم، عندما كانوا في جلبوع، بين ذلك النبع ويسان.

وعلى مسافة قريبة، هي حوالي رميتي سهم، عن ذلك النبع، توجد مدينة يزريعيل (زرعين)، وهي قائمة فوق رابية مرتفعة بعض الشيء، وقد كانت فيما مضى إحدى المدن الملكية في إسرائيل، لكن في هذه الأيام ليس فيها أكثر من ثلاثين بيتاً، واسمها الآن الذي تدعى به هو زرعين، وهي قائمة عند سفح جبل جلبوع، على الجهة الغربية منه، وتبعد عن مدينة شونيم فرسخين قصيرين، وشونيم قائمة إلى الشمال منها، وذلك على الطرف الجنوبي من جبل حرمون.

وهذان الجبلان — أعني جبل حرمون وجبل جلبوع — متوضعان بشكل جاء فيه موقع جبل جلبوع إلى الجنوب منها، وحرمون إلى الشمال منها، مع وجود فراغ بينهما قدره فرسخين قصار، وهما يمتدان طولياً من الشرق إلى الغرب، وكلاهما ينتهي في الشرق عند الأردن، وطولهما فرسخان أو أكثر.

وفما بينهما جرت معارك كبيرة، فهنا قاتل جدعون ضد مدين، وقاتل شاؤول ضد الفلسطينيين، وأخاب ضد السوريين، وفي الأيام الحالية قاتل التتار ضد المسلمين هناك.

[وللاحظ فيما يتعلق بجبل حرمون هذا، أن هناك جبلاً آخر يحمل الاسم نفسه، يقع وراء الطرخونية، وعلى مقربة من جبل سنير، وهو أعظم بكثير وأعلى من هذا الجبل، وفي كثير من الأماكن من الكتابات المقدسة، الإشارة إلى حرمون هذا وليس إلى حرمون [الصغير] ذاك.

وفي السهل فيما بين هذين الجبلين يبدأ الوادي الذي يعرف باسم «الوادي المشرق» [موره أو وادي يزريعيل]، وذلك بسبب جماله

وخصبته، وهو يمتد من ذلك المكان مسائراً نهر الأردن نزولاً حتى البحر الميت، وقبل أن يدمر الرب سدوم وعموره، كان هذا الوادي المشرق «مروياً بشكل جيد في كل مكان، وكأنه بستان الرب، وذلك مثل أرض مصر»، فهذا ما نقرأه في سفر التكوين: ١٣/ ١٠.

ومن يزرعيل هناك مشهد جميل يغطي جميع الجليل، حتى الكرمل، وجبال فينيقية، وجبل الطور، وجبل جلعاد، والمناطق الواقعة عبر الأردن، وجميع جبل إفرام حتى الكرمل.

ويساير الطريق من جبل جلعاد إلى يزرعيل، الطرف الجنوبي من جبل جلبوع، وذلك من الأردن، ويمر عبر عين نون وساليم [يوحنا: ٢٣/ ٣]، حيث أجرى يوحنا التعميد، وحدث أيضاً أنه عبر هذا الطريق جاء ياهو من راموت جلعاد (الملوك الثاني: ١٧/ ٩)، عندما قال الرقيب: «إني أرى جماعة» الخ، وليس صحيحاً ما يقوله بعضهم من أنه لا الندى ولا المطر يتساقط على جبال جلبوع، لأنني عندما كنت هناك في يوم عيد القديس مارتن [١١ - تشرين ثاني] تساقطت الأمطار حتى تبللت ثيابي كلها ووصل البلبل إلى الجسد، فضلاً عن هذا امتلأ الوادي بمياه تلك الأمطار، ومع هذا صحيح هناك بعض الأماكن في هذه الجبال هي صخرية، وجافة، وجرداء، مثل بقية جبال إسرائيل.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من يزرعيل توجد عين جنيم (جنين)، وهي بلدة كانت فيما مضى مسورة، لكن أسوارها قد تداعت، وهي قائمة عند سفح جبل إفرام، وتنتهي عند هذه البلدة منطقة الجليل، وتبدأ منطقة السامرة، وتقع جنين على بعد حوالي السبعة فراسخ إلى الغرب من الأردن.

وتُحد هذه المنطقة من الجنوب ببلاد تّون [إلى الشمال - الشرقي من شكيم]، التي فيها جبال مرتفعة جداً.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من مدينة جنين تقوم مدينة سبسطية، التي عرفت فيما مضى باسم السامرة، وذلك عندما كانت عاصمة لمملكة الأسباط العشرة، التي عرفت باسم إسرائيل، وجعلتها ذنوبها لا تمتلك ما يساوي مقدار بيت واحد، لكن هناك كنيسة بنيتا على شرف القديس يوحنا المعمدان، ولقد قام المسلمون بتحويل واحدة من هاتين الكنيستين إلى مسجد، وكانت تلك التي كانت هي الكنيسة الرئيسية، وكانت فيما مضى كاتدرائية الأسقف، وفعلوا هذا بشكل خاص بضريح يوحنا المعمدان نفسه، الذي كان معمولاً من الرخام، ويشبه ضريح الرب، ذلك أنه رقد مدفوناً هناك بين إيليا وعوييدا، وتقوم هذه الكنيسة على طرف الجبل، في المكان الذي ينحدر الانسان منه وينزل، ويقدر المسلمون القديس يوحنا المعمدان تقديراً عظيماً، ومكانته لديهم هي التالية لمكانة المسيح والعذراء المباركة، وهم يولونه اهتماماً عظيماً، وهم عن حق يعلنون بأن المسيح هو كلمة الله، لكنهم يقولون إنه ليس رباً، وهم يقولون بأن العذراء المباركة قد حملت من روح القدس، وقد حملت به كعذراء وبقيت عذراء، وهم يقولون بأن يحيى كان نبياً عظيماً وفائق القداسة، ويقولون أيضاً بأن محمداً (ﷺ) كان رسول الله، وقد أرسل من قبله لهم فقط، وقد قرأت شخصياً هذا في القرآن [الكريم] الذي هو كتاب شريعتهم.

وتقف الكنيسة الثانية على حافة الراية، وذلك حيث قام قصر الملك فيما مضى، ويقطن هناك رهبان إغريق، ومسيحيون، استقبلوني بلطف، وأعطوني طعاماً، وأراني أولئك الإغريق أنفسهم في تلك الكنيسة، المكان الذي قالوا بأن يوحنا قد سجن فيه، ثم قتل فيه صبراً، وهذا ما بينت أنه خطأ جسيم، لأن المؤرخين، ويوسفوس، وحكايات القديسين، وكاتب التواريخ، والتاريخ اللاهوتي، كلهم مجمعون على القول بأنه قتل صبراً في مخرونتا Macherunta [مخور شرقي البحر الميت]، التي

تعرف الآن باسم هيلون Haylon ، عبر الأردن، زيادة على هذا، كان هيرود الذي أعدم يوحنا طيطراخ الجليل، والبلاد الواقعة عبر النهر، وهي بلاد جلعاد، أو بالحري بلاد السبطين، ولم تكن له سلطة في السامرة، التي كانت تحت إدارة بيلايطس، وذلك حتى القدس، أو اليهودية، وبناء عليه لم يكن بإمكانه لاسجن يوحنا ولا إعدامه، لأنه لم تكن لديه سلطة هناك، لكن بعد إعدامه في مخرونتا — كما قلنا من قبل — دفن جسده في السامرة من قبل حواريه، بين النبيين المتقدمي الذكر، غير أن رأسه قد دفن في القدس، هذا ولم أشهد في أي مكان من الأرض المقدسة خرائب عظيمة مثل التي في السامرة، فهناك رأيت خرائب كبيرة جداً، ووضع هذه المدينة لايوافق مع ما ذهب إليه كاتب التواريخ، في تعليقه على قول النص التالي: «هكذا تفعل بي الآلهة، وهكذا تزيدني، إن كان تراب السامرة يكفي قبضات لكل الشعب الذي يتبعني» [الملوك الأول: ٢٠ / ١٠]، ويبدو أنه قد خيل إليه أن أسوار المدينة وقمة الجبل كانا على ارتفاع واحد، وأن الأبنية قد شيدت فوق القمة، لكن الحال لم يكن كذلك، لأن أسوار المدينة كانت عند سفح الجبل، وكانت حصينة ومدعمة بأبراج فائقة الحصانة، وكان الجبل في داخلها، ويرتفع بشكل تدريجي، وقد انتشرت عليه الأبنية وتوزعت مثلها في ذلك مثل عنقود من العنب، وكانت الأبنية مرتفعة إلى درجة قاربت فيها القمة، وكان القصر على قمة الجبل، وكان فائق الجمال، ومن الممكن أن يشاهد حتى هذا اليوم كثيراً من الأعمدة الرخامية التي دعمت أماكنه وأروقته، وحول الجبل كله، وتحت القصر، ودون بيوت الأعيان، وفي موقع الساحة العامة، أو السوق للبيع والشراء، يجد الإنسان حتى في هذه الأيام، من حول الجبل كله، أعمدة رخامية واقفة في داخل الأسوار، وكانت هذه الأعمدة، فيما مضى، تدعم قناطر الشوارع، لأن شوارع هذه المدينة كانت مقنطرة، وفقاً لعادات الأرض المقدسة، وباختصار ليس لدي المزيد لأقوله حول هذه المدينة، التي

أصبحت الآن في حالة بائسة، حيث غدت في الحقيقة حديقة للأعشاب، مثلما أراد أخاب ملكها، وطلب أن يعمل كرم نابوت اليزرعيلي، لأنه كان قريباً من بيته [الملوك الأول: ٢١ / ٢]، وفي الحقيقة، تحول في هذه الأيام، بسبب قضاء الرب العدل، ليس ذلك الكرم، بل قصر الملك نفسه أيضاً، إلى حديقة أعشاب، وكان وضع هذه المدينة وضعاً رائعاً للغاية، حيث منها من الممكن رؤية البحر قرب يافا، حتى رأس العين، وقيسارية فلسطين، وعبر كل جبال إفرايم إلى رامات — زوفيم، وإلى الكرمل بوساطة البحر قرب عكا، وهو مليء بالينابيع، والحدائق، والكروم، وجميع الأشياء الجيدة التي يطلبها الإنسان في هذا العالم.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشرق من السامرة، تقوم مدينة تيرزه Ti-razah (لعلها التياسير إلى الشمال الشرقي من شكيم) فوق رابية عالية، وقد حكم هنا ملوك إسرائيل لبعض الوقت قبل بناء السامرة، وقد كانت في حصة سبط منشا.

وعلى بعد ستة فراسخ إلى الشرق من تيرزه، وعلى الطريق الذي يقود إلى الأردن، تقوم بلاد تفوه Tappuah [عين تفوح]، التي تحتوي على عدد من الجبال، بينها جبل مرتفع جداً، وكان هذا أيضاً في حصة منشا، ويمتد حتى سهول الأردن عبر مواجهة مخرونتا (مخور شرقي البحر الميت).

وعلى بعد فرسخين جنوبي السامرة، وذلك قرب الطريق الذي يقود إلى شكيم وعلى الجهة اليمنى لجبل مرتفع، يقوم جبل بيت إيل (بيتين)، الذي عليه وضع يربعام بن نبط، ونصب العجلين الذهبيين، مما جعل إسرائيل تقع في الاثم، ويصحف المسلمون اسم هذا الموقع، ويدعونه بوثيل Bothil لأنهم لا يقدرّون على تلفظ كلمة بيت إيل.

ويوجد على بعد نصف فرسخ من هناك، وذلك على الجانب الأيسر

من الطريق، جبل أكثر ارتفاعاً من الأول، ويدعى هذا الجبل باسم دان، وهو قائم فوق مدينة شكيم، ويقول بعضهم بأن العجل الذهبي الآخر قد نصب هناك فوقه، هذا ويقول بعض آخر بأنه نصب في مدينة دان، التي اسمها الآن بلباس، أو قيسارية فيليب، ويبدو أن هذا بالحري ما قصده جيروم، ويمكن للإنسان أن يختار ما يرضيه، والذي هو على كل حال مؤكد، أن هذا الجبل، عرف باسم جبل دان.

وتقوم بين هذين الجبلين مدينة شكيم، التي اسمها الآن نابلس، وهي مدينة فائقة الجمال، ومليئة بالأشياء الجيدة، لكنها غير محصنة، كما أنه من غير الممكن تحصينها بأية وسيلة من الوسائل، وكل ما يمكن للسكان أن يفعلوه هو أنه إذا جاء عدو إلى أول البابين، القيام بالهرب إلى الباب الآخر، وذلك إذا كانوا أقل عدداً: لأن المدينة قائمة في واد بين جبلين عاليين جداً، ولذلك يمكن لأي إنسان أن يرميها بالحجارة بيده.

وعلى بعد حوالي رميتي سهم من بابها الجنوبي، يوجد جب يعقوب، وذلك إلى جانب الطريق الذي يقود إلى القدس، وهنا يوجد مقعد يعقوب، وذلك حين جلس إلى جانب الجب، وسأل المرأة السامرية أن تعطيه شربة ماء.

وفوق هذا الجب، على جهة اليمين، يوجد جبل مرتفع له قمتين، تعرف أولاهما باسم جبل جرزيم، وتعرف الأخرى باسم جبل عيبال، وقد بنى يوشع مذبحاً على جبل جرزيم، وكتب سفر التثنية (٢٧) ووقفوا يباركون ويلعنون، ويجيبون من جبل إلى آخر، وذلك حسبما أمروا في سفر التثنية: ٢٧، ويشاهد فوق جبل جرزيم هناك في هذه الأيام هيكل قديم جداً، كان قد بناه سنبلات Sanballat، حاكم المنطقة الواقعة عبر الأردن، تكريماً لجوبتير أولمبيوس، وجعله شبيهاً بالهيكل الموجود في القدس، وقد بناه من أجل صهره منسّه، الذي أراد أن يكون كاهناً أعلى، وما يزال هذا الهيكل قائماً هناك، حتى أيام الدمار الذي قام به

الرومان، وآثاره وخرائبه مازال مرئية حتى هذا اليوم، ومن المعتقد أن هذا الجبل وهذا الهيكل هو ما عنته المرأة السامرية وأشارت إليه، عندما قالت للرب: «أباؤنا سجدوا في هذا الجبل» [يوحنا: ٤/ ٢٠].

ويوجد على جهة اليسار لهذا الجب بلدة كبيرة، غير أنها خرائب ، وهي التي أعتقد أنها كانت شكيم القديمة، لأنه يوجد هناك خرائب عظيمة جداً لقصور رخامية، وأعمدة تستحق الإعجاب، واقفة على بعد رميتي سهم من جب يعقوب، ومكان الاستراحة، وذلك فوق موقع جميل جداً، سوى أنها بدون ماء، هذا وإنني لم أشاهد قط مثل هذه البقعة بخصبها وغناها، وهي تبعد رميتي سهم عن المدينة، التي اسمها نابلس، وإنني أعتقد أن نابلس هذه قد كانت بلدة تاباص (طوباس)، ويقع إلى جانب هذا الجب قطعة الأرض التي أعطاها يعقوب إلى ابنه يوسف، خصيصاً له دون إخوته [يوحنا: ٤/ ٥]، وإنها طويلة وخصبة، وهي في الحقيقة واد جميل جداً، وأنا لا أعرف أي واد آخر مساوياً له في غناه.

وفي شكيم دفنت عظام يوسف، وقد جلبت إلى هناك من مصر.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من شكيم، قرب الطريق، وعلى جهتك اليمنى وأنت ذاهب إلى القدس، تقع قرية لبنه (خان لبن)، وهي موضع جميل جداً، وهناك لبنه أخرى في ديار سبط يهوذا، لكن هذه كانت موجودة في ديار سبط إفرايم.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب من لبنه توجد بلدة خماس، وهي بلدة واسعة نسيباً، وقد كانت تشكل حدود ديار سبط إفرايم باتجاه الجنوب، واسمها الآن البيرة (وهم) وكانت فيما مضى من أيام ملكاً لفرسان الداوية، وعلى مقربة من طرفها الجنوبي، تقوم الحدود بين ديار سبط إفرايم، وديار سبط بنيامين.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الجنوب من مخماس توجد جبعة شأؤول، حيث جرى إغضاب زوجة اللاوي التي جاءت من بيت لحم، ومن أجل هذه الفعلة جرى تدمير تقريباً كل سبط بنيامين، وقد كانت مسقط رأس شأؤول بن قيس، الذي كان أول ملك لإسرائيل.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الجنوب من جبعة، تقوم قرية (رامه) الرام، وهي قائمة فوق رابية، وذلك ليس بعيداً عن طرف الطريق، وذلك على جهة اليسار، وأنت ذاهب إلى القدس، ومن المعتقد أن إرميا قصد هذا المكان بقوله: «سمع صوت في رامه».

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من رام، تقوم مدينة القدس الرائعة، التي لن أقول عنها هنا شيئاً، لأنني أرغب بالعودة إلى شكيم، وسوف أذكر أولاً المدن القائمة عند زاوية جبل إفرائيم، وأوقف وصفي حيث أتجاوزها.

واعرف على كل حال أن هناك كثيراً من القرى في الأرض المقدسة اسمها رامه، واحدة منها قرب تقوع، على الطريق من هناك إلى حبرون، وأخرى في ديار سبط نفتالي، والثالثة ليست بعيدة عن قلعة صفد، والرابعة هي شيلوه، التي تعرف أيضاً باسم رامه، وفسر اسم رامه بأنه يعني «ارتفاع»، وفي الحقيقة تقوم جميع هذه القرى فوق هضاب مرتفعة جداً.

والآن، إذا ما مضى الانسان جنوباً (كذا) من شكيم باتجاه الأردن، فإن المكان الأول الذي سوف يلقاه هو إيمون (كفرعانا إلى الشمال من بيت إيل) (كفر العموني) [يشوع: ١٩ / ٢٤]، وهي بلدة جيدة جداً، قائمة في مكان جميل، فيه وفرة من جميع سلع الدنيا، وقد كانت في حصة سبط إفرائيم.

وعلى بعد أربعة فراسخ من إيمون، لدى نزولك من جبل إفرائيم،

على السهل، وعلى بعد فرسخين عن الأردن، توجد قرية الفصيل Phe-sech، وذلك عند المكان الذي يجري فيه جسدول كيرث Che-rith لدى نزوله من الجبل، وهنا أقام إيليا عندما جلبت الصقور الطعام له في الصباح وفي المساء.

وعلى بعد فرسخ واحد من الفصيل، على جهة اليسار، باتجاه بلاد تفوه، توجد قلعة عين دوك Docus، حيث قتل بطليموس بن أبوبوس، سمعان المكابي بشكل خيائي، ويستطيع الانسان من هذا المكان أن يرى بوضوح بلاد جلعاد، وبلاد السبطين ونصف السبط، وبلاد هشبون والمنطقة المرتفعة لبلاد مآب، وجبال عبريم، وفسغه، ونبو.

ومن هناك ينزل الانسان إلى سهل الأردن، ويمتد هذا السهل حتى أريحا، وعبرها، طوال الطريق نزولاً مع الأردن حتى البحر المالح، ويقوم جبل عبريم، وفيغير Pheger، وفسغه مباشرة في مواجهة هذا المكان، وذلك عبر الأردن، وعليك أن تعرف أيضاً أن نهر الأردن يمتلك سهولاً جميلة على ضفتيه، وذلك امتداداً من منابعه عند سفح جبل لبنان حتى بركة فاران، بطول حوالي مائة ميل وأكثر، فضلاً عن هذا، هناك فوق هذه السهول نفسها جبال عالية جداً، على كلا الجانبين، ممتدة حتى البحر الأحمر.

وعلى بعد خمسة فراسخ باتجاه الجنوب، لكن مع انحراف قليل نحو الشرق من فسغه، يقوم موقع الجلجال، حيث أقام بنو إسرائيل معسكرين لمدة طويلة، بعد عبور الأردن، وهناك جرى ختن بعضهم.

وعلى بعد نصف فرسخ عن الجلجال، على الطريق إلى أريحا، وذلك على جهة اليمين من الطريق، هناك جبل يدعى جبل القرنطل، فهناك صام الرب أربعين يوماً وأربعين ليلة، وهو جبل مرتفع جداً، وصعب التسلق، وقد أغوي على جبل آخر، يبعد ثلاثة فراسخ عن هذا الجبل،

وهو قائم في القفار، على الجانب الجنوبي لبית ايل وعاي.

وعلى بعد حوالي الرميّتي سهم تحت القرنطل، ينبع نبع إيليا[رأس العين]، وتتدفق مياهه وتسير، وهي المياه التي عالجها إيليا، لأنها كانت مالحة، وعقيمة، ويجري هذا الجدول قرب الجلجال، على الجانب الجنوبي، ويدير طواحين كبيرة، ويتوزع بعد هذا على عدة أقنية، ويسقي قصب السكر، والحدائق والبساتين حتى أريحا، وماوراء أريحا، ثم يصب في الأردن.

وعلى مقربة من الجلجال، وعلى بعد نصف فرسخ إلى الجنوب، يوجد وادي عكور (وادي القلط) وذلك عند سفح جبل، وفي هذا الوادي جرى رجم عاخان، لأنه سرق أشياء ملعونة.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الشرق من الجلجال تقوم أريحا، التي كانت فيما مضى مدينة مجيدة، في حين لا يوجد فيها الآن أكثر من ثمانية بيوت، ويوجد هناك آثار قرية بائسة، هذا وقد جرى هناك تدمير جميع الأوابد والأماكن المقدسة، تدميراً كاملاً.

ويوجد على بعد فرسخين من أريحا، إلى جانب الأردن، بيعة[قصر اليهود]، التي بنيت على شرف القديس يوحنا المعمدان، وذلك فوق البقعة التي من المعتقد أن تعميد الرب قد جرى فوقها، ومع هذا يرى بعضهم بأن التعميد كان في ساليمة[يوحنا: ٣/٢٣]، غير أن التقاليد الكنسية تنكر هذا.

هذا وإن الذي حدث في أريحا معروف كثيراً، ولهذا لا أرى تدوينه هنا.

وعلى بعد فرسخين من أريحا، وذلك على مقربة من البحر الميت توجد بيت أوله(قصر حجله) حيث ناح بنو إسرائيل لوفاة يعقوب أباهم، وذلك بعدما جلبوا جسده من مصر، ويبعد هذا المكان فرسخاً

واحداً عن الأردن، وهناك يسكن رهبان إغريق (أرثوذكس).

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من أريحا، وفرسخ واحد عن بيعة القديس يوحنا القائمة قرب الأردن، يوجد البحر الميت، الذي يدعى أيضاً باسم بحيرة اسفلت، أي بحر الحمر، أو بحر الملح، وهو يفصل العربية عن اليهودية، ويوجد على شواطئه الشرقية بلاد مآب، وعمون، وجبل سعين، وهو مما حدثتكم عنه من قبل، وهو يمتد حتى قادش بارينا (القفار)، وبرية فاران.

وفي حوالي منتصف الطريق، على شاطئه الشرقي من الممكن رؤية الشوبك (الكرك)، التي كانت تعرف في القديم باسم البتراء في القفار، وتعرف الآن باسم الكرك، وهي قلعة فائقة الحصانة بنيت من قبل بلدوين ملك القدس، بقصد توسيع حدود مملكة القدس، لكنها مملوكة الآن من قبل السلطان، ويضع فيها جميع خزائن مصر والعربية.

وعلى مسافة سفر يومين إلى الجنوب الشرقي من الكرك توجد ايريوبولس (ربّه) التي اسمها الآن البتراء، وهي المدينة الحاضرة لجميع العربية الثانية، وذلك حسبما أوضحنا من قبل، وكانت في القديم تعرف باسم عار، وهي قائمة على جدول أرنون، على حدود المآبيين، والعمونيين، والعموريين، وعلى هذا الشاطئ نفسه، يوجد الموضع الذي اقتيد منه بلعام إلى جبل مآب ليتولى لعن بني إسرائيل.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب الغربي من أريحا توجد بلدة صغور (الزوية)، وذلك عند سفح جبل عين الجدي، ويقوم بين هذا الجبل والبحر الميت عمود الملح، الذي يحدثنا سفر التكوين بأن امرأة لوط قد تحولت إليه، ولقد حاولت مراراً رؤية هذا العمود، لكن المسلمين أخبروني بأن المكان غير آمن، بسبب الحيوانات الضارية والأفاعي، والهوام، وبشكل خاص بسبب البدو الذين يسكنون في تلك

الأجزاء، وهم شجعان جداً وذوي جرأة عظيمة، ورجال أشرار، وأبقتني هذه المناقشات متشوقاً للذهاب إلى هناك، لكن علمت بعد ذلك أن الأمر لم يكن كذلك.

وقياس عرض البحر الميت هو ستة فراسخ من الشرق إلى الغرب، أما طوله من الشمال إلى الجنوب فهو سفر خمسة أيام، وذلك حسبما أخبرني المسلمون، وهو دائماً يصدر الأبخرة الدخانية، وهو مظلم جداً مثل مدخنة الجحيم، وقد كتب حول هذا وقيل كثيراً من قبل مختلف الناس، وقد تعرفت على كثير مما هو متداول، ومع هذا عليك أن تعلم بأنني لن أخاف إخباركم بالذي رأيته بأعين، ومعني آخرون كثير، والذي وضح لي أن جميع الوادي، الذي كان يدعى بحق باسم الوادي المشرق، وذلك من نهاية هذا البحر التي هي برية فاران حتى إلى سفر نصف يوم، أو ما يقارب ذلك، وراء أريحا، قد صار قاحلاً بسبب الأبخرة الدخانية لهذا البحر، وهكذا هو لا تنمو فيه النباتات ولا الأعشاب من أي نوع من الأنواع، في جميع عرضه، الذي هو خمسة فراسخ وفي بعض الأماكن ستة فراسخ، وذلك باستثناء مدينة أريحا، حيث يوجد قصب السكر، والبساتين والحدائق المروية من قبل نبع إيليا، وهذا في الحقيقة قضاء مرعب من قبل الرب، الذي عاقب هكذا منذ قرون كثيرة ذنوب السدوميين، ذلك أنه حتى الأرض نفسها دفعت ومازالت تدفع العقوبة منذ عدد كبير من آلاف السنين.

وفوق البحر، على جهة اليمين، وكذلك على جهة اليسار هناك جبال جرداء، وقاحلة مشعثة، وهي مسكونة فقط من البرابرة، وذلك امتداداً لأميال كثيرة، وذلك بعيداً حتى أقصى مكان يمكن أن تصله الأبخرة الدخانية عندما تساق من قبل الريح.

وأعلن بعضهم أن نهر الأردن لا يمزج مياهه بمياه ذلك البحر، بل تتولى الأرض ابتلاع مياه هذا النهر قبل أن يصل إلى مياه البحر، لكن

المسلمين أخبروني أن الحقيقة هي أن كلاهما يدخلان البحر، ويتركانه كذلك، لكن بعد مغادرتهما له بوقت قصير يتلعان من قبل الأرض.

ويفيض هذا البحر في بعض الأوقات، ومرد ذلك إلى ذوبان الثلوج من على جبل لبنان والجبال الأخرى، وفيضان اليرموك، وجداول كل من: ييوق، وحرمون (اقرأ: أرنون) وزارد (العدد: ١٢/٢١)، وكذلك مياه الأمطار المتساقطة على الجليل، وعلى جبل جلعاد، وفي بلاد مآب، وعمون، وسعير، فالمياه تتجمع من هذه الأماكن كلها وترفد نهر الأردن، الذي يصب في هذا البحر، فضلاً عن هذا يتم العثور على الحُمر فيه، ويستخرج من داخله، ويتجمع هذا الحُمر عندما تحرك الرياح مياه البحر، ويتعلق ببعضه، ومن ثم يقذف إلى الشواطئ بكميات كبيرة، وهذا الحمر قوي، ودوائي، ولا يمكن إذابته إلاّ بدماء الطمث، ويطلق اسم الحمر اليهودي عليه، ولهذا دعيت البحيرة باسم بحيرة اليهودية، أو بحيرة اسفلت، أي أن تقول بحيرة الحمر، وقد أخبرنا سفر التكوين: ١٤، أنه كان هناك كثيراً من «آبار حُمر» أو الحفر الطينية، في وادي سدوم، الذي هو الآن بحر الملح، ويوجد الآن كثير منها على شاطئه، ويوجد هناك دوماً أهرام مبني قرب كل بئر، وهذه الأمور رأيتها بنفسي، وليكن ما قلته عن هذا البحر فيه كفاية.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من موقع الجلجال المتقدم الذكر، والمسافة نفسها من نبع إيليا، نحو الشمال، في الجبال، وذلك على الجانب الشمالي من جبل القرنطل، تقوم مدينة عاي، التي استولى عليها يوشع عنوة، وقتل ملكها، وذلك حسبما أخبرنا في سفر يشوع (٨).

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الشمال، إنما قليلاً إلى الغرب من عاي، توجد مدينة بيت إيل (بيتين)، التي حملت فيما مضى اسم لوز، وذلك في ديار سبط بنيامين، وقد حدث هناك أنه عندما كان يعقوب ذاهباً باتجاه الشرق، وهارباً من أمام وجه أخيه عيسو، أن نام متخذاً

صخرة وسادة له، ورأى سلماً مقاماً فوق وجه الأرض، وذروته ممتدة حتى السماء وواصلت إليها، وهكذا إلى آخر ما رآه، حسبما نقرأ في سفر التكوين، وقد نصب هناك صخرة، لتكون بمثابة عمود، وأطلق على المكان اسم بيت إيل، هذا وإن الذين يقولون بأن هذا قد حدث في القدس مخطئون، لأن مليكصادق كان آنذاك يحكم في القدس، وكانت وقتذاك مدينة خليعة، وكذلك لم يكن من الضروري بالنسبة ليعقوب أن ينام هناك في الحقل، ولا أن ينام مطلقاً على جبل موريا، الذي كان آنذاك — كما هو الآن — متصلاً بالمدينة، زيادة على ما تقدم إن البراهين على هذا الأمر مرئية في بيت إيل في هذا اليوم: فهناك الصخرة المقامة بمثابة عمود، وقبر كل من دبورة ومرضعة رفقة [التكوين: ٣٥/٨] وذلك تحت المدينة في الوادي، ومع هذا يقول بعضهم: لقد أطلق على القدس اسم بيت إيل، ويستندون بحفاقة على ما جاء في هذين البيتين:

«سوليا، وبيت إيل، وأورشليم، ويوس، وإيلياء،

بهذه الأسماء دعيت مدينة القدس المقدسة، وباسم سالم أيضاً».

ولسوف أكون مسروراً أن أتعلم من هؤلاء الناس، في أية أماكن من العهدين القديم والجديد، قد وجدوا برهاناً على أن القدس قد دعيت باسم لوز، أو بيت إيل، اللهم مالم يكونوا قد قصدوا تسمية الهيكل ببيت إيل، أي بيت الرب، وزيادة على ما تقدم إننا عندما نقرأ ما جاء في سفر التكوين: ٣/١٣ قوله: «وسار إبراهيم في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل»، نجد أن جيروم الذي شاهد المكان، قدم الشرح التالي: «بيت إيل مدينة تبعد إثني عشر ميلاً عن القدس، وواقعة في ديار سبط بنيامين، على يدك اليمين وأنت ذاهب إلى نابلس»، ونابلس هي شكيم، قرب لوز، الواقعة في ديار سبط إفرايم، وتمر الحدود فيما بين سبطي بنيامين وإفرايم من خلال الوسط هناك.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الشمال من بيت إيل، باتجاه رامه، توجد نخلة دبورة، زوجة لفدوت Lapidoth ، التي كانت قاضية إسرائيل، وأرسلت باراق للقتال ضد سيسرا على جبل الطور.

وعلى بعد فرسخين من بيت إيل، وفرسخ واحد من القدس، وليس بعيداً عن رامة بنيامين، توجد عناتا Anathoth ، وهي قرية كهنة صغيرة، وكانت مسقط رأس النبي إرميا.

وإلى الشرق والجنوب من عناتا تبدأ القفار القائمة بين القدس وأريحا، والتي يطلق الآن عليها اسم قفار القرنطل، وتمتد إلى ما وراء الجبلجال حتى القفار الموجودة مقابل تقوع وعين الجدي.

وعلى مقربة من البحر الميت، على شاطئه الغربي، وعلى بعد فرسخ واحد عن الزويرة Zoar ، تصعد إلى جبل عين الجدي، إلى حيث تخبأ داوود، عندما بحث شاؤول عنه ليقتله، وذلك حسباً قرأنا عن ذلك.

وكان على هذا الجبل ومن حوله حديقة بلسم، لكن في أيام هيرود الكبير، قامت كليوباترا ملكة مصر، كراهية منها لهيرود، وإيثاراً لمارك أنتوني، فنقلت هذه البستان إلى بابلين في مصر، ولقد رأيتها هناك عندما أتيت إلى مصر إلى السلطان، الذي أخذني إلى هناك، وقد جلبت معي كثيراً من خشب البلسم، واغتسلت بمياه البئر الذي يسقي الحديقة، وقد أخبرني الحداثقي أن الثيران لا تقوم بنضح الماء من ذلك البئر، من ظهيرة السبت حتى الاثنين، ولو قطعت تقطيعاً.

وطول هذه الحديقة رميتي سهم، ورمية حجر أو أكثر عرضاً، وتفlech حديقة البلسم في مصر من قبل حدائقين مسيحيين فقط، وتسقى من البئر الذي هو هناك، وهو الذي يقال بأن العذراء مريم غالباً ما قامت بتغطيس الطفل يسوعاً فيه.

ومع هذا ما يزال هناك حتى هذا اليوم فوق عين الجدي بعض الكروم الرائعة الصالحة للإنتاج النيذ، لكن المسلمين لا يدعونهم، ولا يوجد هناك مسيحيين ليتولوا رعايتهم.

وتحت عين الجدي، وعلى جانب البحر الميت هناك أشجار فائقة الجمال، لكن ثمارها عندما تقطف تكتشف بأنها كلها رماد ومجرد غبار في داخلها.

وجبال عين الجدي مرتفعة جداً، وذات شكل غريب ولها شعاب صعبة وعرة، ووديان، بشكل أنا لم أشاهد نظيراً له، وهي تبعث الرعب إلى الذي ينظر إليها ويتأملها.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الغرب من أريحا، وذلك على الطريق إلى القدس، إلى اليسار من القرنطل تقوم قلعة أدوميم Adummim [عند طلعة الدم]، وذلك في المكان الذي وقع فيه الرجل بأيدي اللصوص عندما كان نازلاً من القدس إلى أريحا، وقد حدث مثل هذا مراراً فوق البقعة نفسها في الأيام الحالية، وقد نال المكان اسمه من الدم الذي سفك مراراً هناك، وفي الحقيقة إنه لأمر مرعب أن يكون الإنسان هناك، وخطر جداً، ما لم يرتحل الإنسان ويسافر برقعة حراسة.

وعلى بعد فرسخين إلى الغرب من أدوميم توجد بحوريم Bo-hurim في ديار سبط بنيامين، وكانت هذه مدينة شمعي بن جيرا، الذي شتم داوود عندما هرب من أمام أبشالوم، وذلك حسبما قرأنا في سفر صموئيل الثاني: ١٦ / ٥، وهي قلعة جميلة، وقائمة فوق هضبة عالية.

وفي الوادي تحت، يوجد على الجهة الشرقية من الطريق السلطاني العام، الذي يخرج من أدوميم، صخرة بيئون Beon (بوحن Bo-han) (دبوس العبد، حجر لتحديد المسافات من العصر

الروماني)العائد لأبناء سبط رأويين، وهي كبيرة مثل قَدْر، ويبدو أنها من الرخام.

وعلى بعد رميتي سهم إلى الغرب من بحوريم، تقوم بيت عنيا، على منحدر رابية هناك، وبيت عنيا هي قرية:مرثا، ومريم، وقبل بابها، وعلى بعد أقل من رمية حجر، وعلى مقربة من بركة هناك في حقل، من الممكن مشاهدة المكان الذي جاءت إليه مرثا أولاً، ثم تبعتها إليه مريم- بناء على دعوتها- وذلك للقاء الرب عندما جاء الى بيت عنيا.

وما برحوا يرون في بيت عنيا، بيت سمعان المجذوم- الذي جلس فيه معه الى المائدة، ومثل ذلك بيت مرثا،الذي كان فيه ضيفاً مراراً،وقد عمل هذا البيت الآن وصار كنيسة مكرسة لهما،ويشاهد هناك أيضاً قبر العازر،الذي قام منه، وهو ليس بعيداً عن الكنيسة،وقد بني في هذا المكان بيعة بهية وجميلة من الرخام، وأبدة ضريح مغطاة بالرخام، كنت قد نزلت إليها، وييجل المسلمون هذا الضريح كثيراً، بسبب معجزة القيام من الموت التي صنعها الرب هناك.

ولدى مغادرتك لبيت عنيا، لايمكنك رؤية القدس أولاً، بسبب وجود جبل الزيتون، الذي يقف بينهما،والذي عليك هو الارتقاء الى مكان مرتفع، وعندها يمكنك رؤية جزء من المدينة المحبوبة وجبل صهيون، يا إلهي، كم من الدموع التقية سكبت في هذا المكان من قبل الذين قدموا إليه، ثم تملكوا بهجة الدنيا كلها، حيث رأوا مدينة الملك العظيم،وكم هو ممتع أن ترى مكان مجدك، أيها اليسوع المبارك،وكذلك عندما نرى مكان خجلك واضطرابك بمثل هذا السرور! لكن دعونا الآن نضع هذه الأمور كلها جانباً، ونمضي بقدر ما نستطيع من سرعة الى القدس .

وعندما ننزل الآن من الجبل، ستكون المدينة ثائية محبوبة عن

أنظارنا، فضلاً عن هذا، هناك على الجهة الشرقية من جبل الزيتون، قرب بيت فاجي، قرية صغيرة جداً، نمر من قربها من على مسافة رمية حجر، وذلك على جهة اليسار في الوادي، وذلك عند سفح جبل العدوان [الجزء الجنوبي من جبل الزيتون]، ونأخذ الطريق الذي يسير الجهة الجنوبية من جبل الزيتون، ونستدير حوله، فنصل الآن الى المكان الذي ركب فيه ربنا ظهر أتان، وعلى الفور تشرق أمامنا وتشع المدينة، مع الهيكل، وكنيسة الضريح المقدس، والأماكن المقدسة الأخرى، ونكون الآن قد وصلنا الى نهاية الانحدار من جبل الزيتون، حيث رأى الرب المدينة، وبكى بحرقة عليها، في حين مضت الحشود وسارت من أمامه ومن خلفه، وهي تصرخ «المجد لابن داوود»، وهي أيضاً مبهجة لقدمه المبارك، ودعونا نتابع سيرنا، ونمر عبر جدول قدرون، بين مكان صلاته عندما كان يعاني من آلامه ومن أسره في جيساني، ولتبعه، إذا صدف وتمكنا من معاناة الوصول إلى الجلجلة، حيث سمرت قدماه على الصليب، وكان الدم يسيل منهما، فدعونا نموت هناك مع المسيح، حتى يمكن أن نبعث معه ثانية.

القدس

٨ — والآن، القدس، المدينة الأسمى لدى الرب، حيث هناك أشياء رائعة جداً، قد جرى الحديث حولها، وما يجري يومياً، وهي متوضعة على أرض جبلية، فالجبال قائمة من حولها، ومع هذا تمتلك بلاداً جيدة وخصبة في أحوازها، وذلك ما عدا في الشرق باتجاه الأردن، وهي تبعد ستة وثلاثين فرسخاً عن عكا، القائمة إلى الشمال، وستة عشر فرسخاً عن سبسطية أو السامرة، وثلاثة عشر عن شكيم، وسبعة وثلاثين عن الناصرة، وجميع هذه الأماكن واقعة إلى الشمال منها، وهي تبعد ثلاثة عشر فرسخاً عن يافا، القائمة قليلاً إلى الشمال الغربي منها، وهي أيضاً تبعد ستة فراسخ عن أريحا، القائمة إلى الشرق منها، وكذلك هي على

فرسخين عن بيت لحم، وثمانية عن تقوع، وثمانية عن حبرون، وهذه الأماكن واقعة إلى الجنوب منها.

وهي قائمة على شكل مزدوج على منحدر رابية، أي أن تقول على طرفيها الجنوبي والغربي، ففي الاتجاه الجنوبي هي قائمة على امتداد طرف جبل صهيون، أو بالحري جزء منها هو على جبل صهيون نفسه، وجزء على سفوحه هناك، ويمتد طولها من جبل صهيون باتجاه الشمال، ويوجد على جانبها الغربي جبل جيحون، ومنه تمتد عرضياً باتجاه الشرق، حتى تصل إلى جدول قدرون، أو وادي شعفاط، الذي هو الشيء نفسه.

وهي مدينة واسعة إلى حد ما، وذلك حسبما سأحدثكم فيما يلي، وهي لاتقوم — كما يحاول عبثاً بعضهم أن يقول — في مكان مختلف عما كانت عليه في أيام آلام الرب، وهم يحاججون قائلين بما أن معاناة الرب كانت خارج الباب، والمكان الآن هو في داخل أسوار المدينة، وبناء عليه لابد أن المدينة كانت قائمة في مكان مختلف، غير أنهم لا يعرفون ما الذي يقولونه، ويريدون أن يظهر ما لم يروونه، فالمدينة قائمة الآن حيث قامت دوماً، لأنه بما أن هيكل الرب قائم داخل أسوار المدينة، سيكون من الحماقة، لابل من غير الممكن مطلقاً نقله إلى مكان آخر بسبب أسواره المحيطة به من كل جانب، فضلاً عن هذا من غير الممكن كونه في مكان مناسب آخر، لكن الحقيقة المقررة هي إن المدينة توسعت نحو الخارج، وذلك بالعرض وليس بالطول، وجميع المدينة القديمة مع جبل صهيون موجودان الآن داخل الأسوار، ومسكونان، لكن في هذه الأيام عدد السكان قليل بالنسبة لمدينة من هذا الحجم الكبير، لأن السكان فيها يعيشون في رعب متواصل، ولقد قمت، بقدر ما أستطيع بالبحث والتقصي عن وضعها القديم.

ففي الزمن القديم، مثلما الحال في هذه الأيام، يشرف جبل صهيون جزئياً فوق المدينة، لأنه مكان رحب، من الممكن في داخله استيعاب

مدينة واسعة إلى حد ما، وهذا الجبل موجود عند باب الماء، أو باب نبع سلوان، على الطرف الشرقي، وهويشكل نصف دائرة حولها بوساطة الطريق الممتد من الجنوب إلى الطرف الغربي، حيث كان برج داوود موجوداً، وكان موجوداً خلال جميع هذه الدائرة صخوراً منحدره، وقناطر تشبه القناطر نصف الدائرية والمسماة ميلو Mello ، ولكي يتم ملء ما كان بين جبل صهيون والجزء المنخفض من المدينة نقرأ بأن ملوك اليهودية بذلوا جهوداً كبيرة، ويقوم برج داوود على الطرف الغربي، وذلك فوق رابية مرتفعة بعض الشيء أكثر من سور الصخرة المنحدر، أما بشأن مجرى السيل الذي يأتي من الجانب الجنوبي لجبل صهيون، ويتدفق جارية نحو الطرف الغربي، فإنه ينعطف مباشرة، ويستدير من الغرب إلى الشرق مباشرة، فور وصوله إلى البرج وتطويقه له، وعلى هذا يقوم البرج فوق صخرة موجودة عند منعطف مجرى السيل، وانقسم الوادي، أو مجرى السيل، الذي التف دائرياً هناك، إلى وادين عميقين، يمضي أولهما باتجاه الشمال، ويمضي الآخر باتجاه الشرق، ويصنع هذان الواديان قرنة أخرى في مقابل القرنة حيث يقوم برج داوود، وهي التي كانت قرنة المدينة التحتا، حسبما سنوضح فيمايلي:

ويمر هذا الوادي الذي يقبل منحدرًا من برج داوود، ويسير على طول الطرف الشمالي لجبل صهيون حتى جبل موريا، حيث كان الهيكل، فاصلاً بذلك جبل موريا والمدينة التحتا كلها عن جبل صهيون، ويمضي مجرى السيل هذا أبعد بعد ليصل حتى جدول قدرون، وذلك من خلال المكان الذي يقوم فيه باب الماء الآن، فيما بين جبل صهيون وقصر سليمان، الذي كان قد بني على الطرف الجنوبي من جبل موريا، وعلى هذا كان مجرى السيل هذا يطوق في العصور القديمة جبل صهيون من كل جانب، وهذه كانت مدينة داوود، وفي هذه الأيام جميع مجرى السيل تمتلئ، ومع ذلك فإن آثاره يمكن تحديدها وفق هذه الطريقة.

ويجري مجرى السيل الثاني، أو الذي انفصل عنه، عند برج داوود، حسبما قيل من قبل، يجري باتجاه الشمال، ويشكل خندق المدينة على الجهة الغربية، وذلك على طول امتداد المدينة، حتى نهايتها الشمالية، وكان الطريق كله على طولها معاقاً من الجانب الداخلي بوساطة صخرة اسمها عند يوسفوس أكرا Acra ، وعلى هذه الصخرة جرى بناء سور المدينة، ويحيط هذا السور بالمدينة من الغرب، حتى باب إفرايم، حيث ينعطف ويلتف ثانية إلى الشرق، وذلك حتى باب الزاوية، وهو الذي كان قائماً عند زاوية المدينة، وهي الزاوية الشمالية الشرقية، وينعطف السور هنا ثانية من الشمال مستديراً شرقاً إلى الجنوب، ويمتاز خارج منطقة الهيكل، ويحيط بها وبيت الملك، وبياب النبع أو الماء قرب جبل صهيون في الشرق، وهذا هو إطار المدينة، وبما أن الصخرة المتقدمة الذكر، أي التي بني عليها سور المدينة الغربي، كانت عالية جداً، وخاصة عند الزاوية التي يلتقي فيها الجزء الغربي من السور بالجزء الشمالي، فقد غدا هذا المكان أعلى بكثير من البقية، وهنا جرى بناء برج [قلعة جالوت — أو قلعة البيازنة] دعي باسم نبولوسا Neb-ulosula وذلك مع قلعة حصينة جداً، ماتزال خرائبها موجودة هناك، ومنها يمكن للانسان مشاهدة العربية، والبحر الميت، وأماكن أخرى كثيرة، ومع هذا قد يقول بعضهم بأن برج نبولوسا كان قرب الهيكل، بيد أن هذا أمر ينفيه شكل الأرض والسفوح والمنحدرات الموجودة هناك، ومن هذه الصخرة العالية جداً والقائمة في الجهة الغربية، حسبما قلنا من قبل، يأخذ عرض المدينة بالانحدار تدريجياً نحو السور الشرقي، القائم فوق جدول قدرون (وادي جهنم)، وكان هذا المكان، وكذلك هو الآن، الجزء الأعظم انخفاضاً في المدينة، ولهذا من المعتاد أن تجري فضلات المدينة وتعبّر باب الروث لتصب في بركة قدرون.

وعبر مجرى السيل، أ و الوادي، المتقدم الذكر على الجهة الغربية من

المدينة، وذلك على جهة يسارك وأنت خارج من الباب القديم أو باب القضاء، هناك جرى صلب الرب، وبعد آلامه بوقت طويل امتلاً مجرى السيل، وأقيم سور جديد حول برج داود، ويمتد إلى باب إفرايم، الذي يعرف الآن باسم باب اسطفان.

وعلى هذا يمكنك أن ترى أن المدينة معلقة نائمة على جهة الجنوب بوساطة جبل صهيون وعلى جهة الغرب بوساطة تلك الصخرة، وجزء من جبل جيحون، الذي ينبعث مرتفعاً ارتفاعاً عالياً على طول الجهة الغربية، وعلى هذا فإن المدينة كلها قائمة — كما كانت — على السفوح نحو الاتجاه الشرقي والاتجاه الشمالي، عند أسفل هذين الجبلين.

وكان جبل موريا — حيث قام هيكل الرب، وحيث كان قصر الملك قد بني — أعلى بعض الشيء من المدينة، وهذا ما هو مرئي بوضوح من وضع الهيكل وساحاته، وذلك حسبما وصفهم يوسفوس، فكل منهم موصوف في تواريخه، غير أنه من المعتقد أن جميع هذه الأماكن هي الآن مسواة تماماً ومهدمة، وهي جميعاً تقريباً أكثر انخفاضاً من أي جزء من المدينة، لأن الجبل قد هدم من قبل الرومان ورمي في جدول قدرون [وادي جهنم] وذلك مع جميع خرائب الهيكل وساحاته، وذلك حسبما هو مرئي في هذا اليوم، ومنطقة الهيكل مربعة، وهي أكثر من رمية سهم طولاً وعرضاً، ويلامس الهيكل المبني الآن هناك سور المدينة تقريباً، وهو ليس الهيكل الحقيقي والقديم، لأنه وجدت أربعة هياكل بينه وبين السور، وهو الآن لا يبعد تقريباً أكثر من مائة قدم عن السور وعن جدول قدرون.

وليس بعيداً، كأن تقول، أقل من رمية حجر إلى الشمال من منطقة الهيكل، يوجد باب الوادي الذي دعي هكذا لأن الإنسان يذهب منه وينزل إلى وادي شعفاط، وقد عرف هذا الباب أيضاً باسم باب الضأن، لأن من خلاله كان يؤتى بالمواشي للتضحية في الهيكل، وإلى جانبه يقوم

برج اعتقد بعضهم بأنه برج نبولوسا، أو برج حنانيل Hananeel، غير أنه في الحقيقة هو برج فاسليوس Phaselus، الذي من الممكن مشاهدة خرائبه حتى الآن.

وبالدخول من باب الوادي أو باب الضأن، ومن ثم السير بشكل مستقيم، سيجد الانسان على مقربة من منطقة الهيكل بركة الضأن حيث اعتاد الـ Nethinims على غسل قرايينهم ومن ثم اعطاءهم إلى الكهنة لتقديمهم في الهيكل، ومن الممكن رؤية استمرار هذا من خلال وجود القناطر الخمسة التي — حسبنا حدثنا القديس يوحنا — اعتاد الناس المرضى على الرقود تحتها، انتظاراً لاضطراب الماء وتحركه.

وعلى الجهة اليمنى للطريق، ولدى دخولك عبر الباب المتقدم الذكر إلى كنيسة القديسة حنة، ترى هناك بركة أخرى كبيرة تدعى «البركة الداخلية»، وقد صنع هذه حزقيا وفق الطريقة التالية: أوقف المجري العالي لوادي جيحون، وساق مياهه تحت الأرض إلى غربي برج داود، وذلك من خلال الوادي المتقدم الذكر، بحفره الصخر الصلب بالحديد، وذلك حسبما نقرأ في الإلهيات، وساق الماء من خلال وسط المدينة إلى هذه البركة، وكانت الغاية من ذلك أن يتوفر الماء لشرب الناس في أيام الحصار، ولكي لا يتمكن الآشوريون من اعاققتهم [إشعيا: ٣٧/٧، ٣٦/٢٦]. الملوك الثاني: ١٨/١٧، أما بالنسبة لنبع ماء جيحون، القائم قرب حقل القصار، فقد ساق مياهه إلى البركة العليا، الموجودة فوق بركة سلوان [إشعيا: ٣٧/٣]، ذلك أن هذه البركة عرفت باسم البركة العليا، بالنسبة لموضع بركة سلوان للاغتسال، التي كانت تتلقى الماء من هذه البركة، ومن نبع سلوان، ذلك أنها منخفضة بوضعها أكثر منهما.

واعرف الآن هذه البرك المختلفة وأسمائها، وكانت البركة الرئيسية التي هي البركة الأولى في القدس، بركة الضأن، وكان لها خمس قناطر، وقد عمل سليمان هذه البركة، من أجل خدمة الهيكل، وكانت البركة

الثانية على مقربة منها، في الجهة الشمالية، في كنيسة القديسة هيلانة، وقد دعيت باسم البركة الداخلية، والذي صنعها هو حزقيا، وقد تقدم وصفها الآن من قبل، والبركة الثالثة هي بركة سلوان للاغتسال، التي كانت قائمة عند سفح جبل الزيتون مع جبل صهيون، قرب حق الدم، وهي تحصل على مياهها من نبع سلوان، وحزقيا هو الذي صنع هذه البركة أيضاً، والبركة الرابعة هي البركة العليا، التي ذكرناها قبل قليل، والتي صنعها حزقيا أيضاً، وإذا ما وجدت في أي مكان قد ذكر بأن هذه البركة الرابعة قد كانت في داخل المدينة فإن ذلك غير صحيح، لأن ذلك كله غير ممكن، وأعرف أن الانسان يقرأ في شرح وفي نص: «فتستقون مياهها بفرح من ينابيع الخلاص» [اشعيا: ١٢]، بأن البركة العليا كانت في المدينة، وأن مياهها كانت تأتي إليها من نبع سلوان، لكن هذا من غير الممكن مطلقاً، لأن المدينة أعلى بكثير من أربعمئة ذراع من نبع سلوان، ولا يمكن للماء أن يجري نحو مثل هذا العلو العظيم، ومع هذا صحيح أن مياهها تحصل عليها من نبع سلوان، ومن نبع جيحون المنخفض، ليس بعيداً عن بركة سلوان للاغتسال، هذا ولم أر بركاً أخرى، كما أنني لم أقرأ عن وجود شيء من هذا القبيل، أو أنه وجد في القديم أية برك أخرى في القدس، ما لم يرغب انسان في عدّ «البحر النحاسي» القائم أمام الهيكل، بركة من البرك، وجرى على كل حال، في الأيام المعاصرة بناء بعض أماكن الاستحمام في داخل المدينة، وذلك ليس بعيداً عن بيت البطريك، ومشفى القديس يوحنا، وهما لم يرد ذكرهما في الكتابات المقدسة.

ويحيط وادي شعفاط أيضاً بالمدينة، ويسير على طول الجانب الشرقي عند سفح جبل الزيتون، ومع أن هذا الوادي عميق نسبياً، هو بالفعل ممتلئ تماماً، لأن الرومان — وفق ما أخبرنا به يوسفوس — قاموا، عندما كانوا يحاصرون المدينة من ذلك الجانب، بقطع أشجار الزيتون

والأشجار الأخرى، وصنعوا منها سواتر دفاعية لأنفسهم، وقد ملأوا الوادي بالسواتر الدفاعية، فضلاً عن هذا، بعد ما جرى الاستيلاء على المدينة، أمر إليوس هدر يانوس بجميع الخرائب العائدة لساحات الهيكل، فرميت في وادي قدرون، وأمر أيضاً بتسوية جبل موربا، حتى لا يمكن تحصين المكان مرة ثانية، كما أمر أيضاً بفلاحة المدينة بالملح، وهذه الأشياء كلها بديهة بالنسبة لأي إنسان يكون في الموقع، لأن ضريح العذراء الرائعة، القائم في وادي شعفاط، ليس في قعره، لكن عند سفح جبل الزيتون، لم يكن أبداً أعلى من قعر الوادي، أو فوق وجهه، وذلك في الأيام التي كانت القدس فيها مسكونة، أي قبل التدمير، وهو الآن عميق جداً تحت الأرض، وهكذا فإن الكنيسة كلها، مع أنها كانت عالية ومقنطرة، هي الآن تحت الأرض تماماً، ومغطاة كلياً، والوادي فوقها كامل الاستواء، وهكذا هناك طريق يمكن للإنسان أن يمشي عليه فوق سطح الكنيسة وهناك على كل حال على وجه الأرض بناء على شكل بيعة، تدخلها، وتنزل من خلالها درجات كثيرة تحت الأرض إلى الكنيسة نفسها، وبذلك تأتي إلى ضريح العذراء الرائعة، وأعتقد أن هناك ستين درجة، والضريح قائم في وسط السدة، أمام المذبح، وهو من الرخام ومزين بشكل رائع، ولقد دخلت إلى هذه الكنيسة، وكنت بها، ورأيت الضريح، لكن هذه الكنيسة رطبة جداً في داخلها، لأن وادي قدرون يجري تحتها، وهو مغطى بالركام الذي أشرنا إليه أعلاه، وفي أي وقت يكون هناك فيضان من مياه الأمطار، يتفجر هذا الوادي الذي ما يزال يجري في القناة القديمة تحت الركام، وينبع، وبذلك يملأ الكنيسة، وهكذا تجري المياه فوق جميع الدرجات، وتتدفق من فم البيعة فوق ذروتهم، وفي أرض مقبرة الكنيسة، ليس بعيداً عن بابها، ينضح الناس من السكان المحليين الماء من بئر سماء نحيميا (١٣/٢): «عين التين»، وهذه العين موجودة أمام باب الوادي، أو باب الضأن، وتضاء كنيسة العذراء المباركة من الداخل بواسطة نوافذ

شرقية، تطل على جبل الزيتون، حيث من طبيعة الأرض يمكن للضوء أن يدخل من خلالها.

وباتجاه الشرق — ليس بعيداً — أن تقول حوالي الخمسين قدماً عن باب البيعة الذي يقود إلى الكنيسة، هناك باب كنيسة أخرى، اسمها جيسماني، حيث كانت الحديقة التي دخل إليها الرب مع حواريه، وهي قائمة على طرف الجبل، ومبنية مقابل صخرة مجوفة معلقة وناتئة من الجبل، وتحت هذه الصخرة كان الحواريون جالسين عندما قال الرب لهم: «اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك» [متى: ٢٦/٣٦]، والمكان الذي جلسوا فيه مرثي في هذا اليوم، ومرثي أيضاً المكان الذي أعتقل فيه من قبل الحشد، وحيث قام يهوذا بخيائنه بوساطة قبله، ومن الممكن رؤية طبعة جمجمته فوق الصخرة الناتئة، وعلامات رأسه وشعره، ويحكى بأنه عمل هذه العلامات، لدى امساكه بالصخرة، عندما اعتقله الحشد، واعرف أنه من غير الممكن استخراج غبار من هذه الصخرة، أو اقتطاع جزء منها، فلقد عملت طويلاً بوساطة أدوات حديدية، حتى أتمكن من اقتطاع شظية منها، ومع هذا فإن الطبقات المشار إليهن أعلاه من الممكن رؤيتهن بكل وضوح، وكأن الصخرة قد كانت عجينة.

وعلى رمية حجر إلى الجنوب من جيسماني يوجد المكان الذي صلى فيه بعيداً عنهم، وأخذ عرقه يتصبب على الأرض مثل نقاط من دم، وهنا أيضاً توجد صخرة من النوع نفسه عليها أيضاً طبقات لركبته ويديه.

وبين هذا المكان وبين جيسماني، وفي مقابل كنيسة العذراء المباركة، يمر الطريق الذي يقود إلى جبل الزيتون، وبيت عنيا، والأردن.

وعلى أكثر من رمية حجر نحو جنوب المكان الذي صلى الرب فيه، في مقابل الهيكل، وعند سفح جبل الزيتون، في وادي شعفاط، يقوم قبر

ذلك الملك، الذي يمتلك أبدة فائقة الجمال قد بنيت فوقه.

وعند سفح جبل صهيون، وفي مقابل قصر سليمان، وذلك على الجانب الغربي من وادي شعفاط، يوجد نبع سلوان، الذي تتدفق منه المياه من خلال أنابيب إلى البركة العليا، وإلى بركة استحمام سلوان، ويكون هذا عندما يفيض النبع بالمياه، لأنه لا يتدفق بشكل متواصل، بل بين آونة وأخرى.

وكل من هاتين البركتين موجودتين عند سفح جبل صهيون، بينه وبين حق الدم، وتصب المياه كذلك في هاتين البركتين من نبع جيحون المنخفض (بركة السلطان)، الذي ينبع تحت حقل القصار، وذلك على مقربة من المكان الذي وقف فيه ربشكا Rabshakeh، وجدف ضد الرب.

وعلى مقربة من هاتين البركتين، أي على مسافة لا تتجاوز رمية حجر، على طول الوادي إلى الجنوب، يوجد حقل حق الدم، وذلك حيث يجري دفن الحجاج، وهو الذي شري بالثلاثين قطعة فضية التي باع بها يهوذا الرب، ويوجد في هذا الحقل كثيراً من الاضرحة ذات النفقات العالية.

ودون البركتين وحقل حق الدم، وذلك على الجهة الشرقية منهم، يجري جدول قدرون، وذلك مع المياه التي يجلبها معه من أجزاء علوية، نذكر منها: رامه، وعناتا Anathoth، وضريح ملكة عبادين، ومن الممكن سماع أصوات خرير المياه الجارية عميقاً تحت كنيسة العذراء المباركة، وهي تتدفق إلى هذا المكان، فضلاً عن هذا نجد أن المياه التي تفيض من هاتين البركتين تلتحق بها، وهكذا تتدفق هذه المياه جميعاً لتصب في وادي جيسماني، الذي عرف أيضاً بموضع توفت، ويوجد في هذا الوادي صخرة زوحت، وكذلك بئر روجل (عين أيوب)، حيث

أقام أدونيا حفلاً عندما حاول أن يكون ملكاً، وهناك أيضاً جرى دفن إشعيا، الذي قطع إلى نصفين قرب نبع سلوان، والموقع على بعد أكثر من رمية حجر عنه، وكل هذه الأماكن فائقة الجمال، مع حدائق ونباتات خضراء، وهي مليئة بالفواكه الجيدة، وتسقى بمياه جدول قدرون.

وفوق هذا المكان يوجد جبل العدوان، وكان في هذا الوادي حديقة، وكانوا قد اعتادوا على تعبير أولادهم هناك من خلال النار، وعبادة الأصنام.

وليكن ما قيل فيه كفاية بالنسبة لوصف الأماكن حول المدينة.

واعلم الآن أن هناك كثيراً من الأماكن المقدسة في المدينة، تحرك الانسان نحو التقوى، وهي كثيرة إلى حد أن يوماً واحداً لا يكفي لزيارتها جميعاً، ومهما يكن من أمر، تحتل كنيسة الضريح المقدس المكان الأول بين جميع هذه الأماكن.

وهذه الكنيسة مستديرة، ومقاييس قطرها بين الأعمدة هو ثلاثة وسبعين قدماً، دون حساب التتوءات الخارجية، التي قياسها ثلاثين قدماً من حول سور الكنيسة، ويوجد فوق ضريح الرب، القائم في وسط الكنيسة، هناك فتحة مستديرة، وعلى هذا فإن مجمل قبو الضريح قائم في الهواء الطلق.

وإلى جوار هذه توجد كنيسة الجلجلة، وهي مستطيلة، ومتصلة بشرفة كنيسة الضريح المقدس، غير أنها منخفضة عنها بعض الشيء، لكنهما معاً قائمتان تحت سقف واحد.

وطول الكهف الذي يوجد فيه ضريح الرب ثمانية أقدام، ومثل ذلك ثمانية أقدام عرضه، وهو مغلف كلياً بالرخام في الخارج، لكنه في الداخل مجرد صخرة عارية، كما كانت أيام دفنه، والباب الذي يؤدي إلى مدخل هذا الكهف موجود من الجانب الشرقي، وهو منخفض كثيراً،

وصغير.

ويمجد الانسان لدى دخوله على جهته اليمنى قبر الضريح المقدس، وذلك مقابل الجدار الشمالي، وهو من الرخام الرمادي، وعلوه ثلاثة أشبار فوق سطح الأرض المبلطة، وطوله ثمانية أقدام، ومثله مثل القبو أو الكهف نفسه القائم في داخله، مغلق من كل جانب، ولا يوجد ضوء خارجي يتسرب إلى داخله، لانعدام وجود نافذة تجلب الضوء إلى الداخل، لكن هناك تسعة مصابيح معلقة فوق ضريح الرب، وهي تعطي الضوء في داخل المكان، وهناك أيضاً كهف آخر خارج هذا الكهف، له الطول نفسه والعرض والاعداد والتنظيم في كل من الخارج والداخل، ويبدو أن هذان الكهفان من الخارج كأنهما كهف واحد، لكن عندما تدخل سوف تجد أنهما منقسمان ومنفصلان في الوسط أحدهما عن الآخر، ويدخل الانسان أولاً إلى الأول، ومن ثم إلى الثاني، الذي يوجد فيه الضريح، وإلى الأول دخلت النسوة عندما قلن: «من سيدحرج هذه الصخرة لنا» الخ، وقد دحرجت هذه الصخرة نحو مواجهة الباب في الكهف الداخلي، وفي هذه الأيام قسم كبير منها ممدد أمام باب الكهف الداخلي، الذي نحوه وإلى مقابله قد دحرجت، وذلك في الوسط هناك، وقد نقل الجزء الآخر منها إلى جبل صهيون لدعم المذبح هناك، وقد رأيت هذه القطعة أيضاً هناك، في ذلك المكان.

ويبعد جبل أكر (الجمجمة) حيث جرى صلب الرب فوقه، سبعين قدماً عن مكان الضريح، ويصعد الانسان ثمانية عشر قدماً فوق سقف الكنيسة المبلط إلى المكان الذي بُت فيه في الصخرة، والفتحة — أو الصدع — في هذه الصخرة نفسها التي فيها جرى تثبيت الصليب واسعة بقدر رأس إنسان، وتمتد طولياً ثمانية عشر قدماً، وذلك من مكان الصليب نزولاً حتى البلاط في الأسفل، وإلى هذا اليوم من الممكن رؤية لون دم مولانا يسوع المسيح في صدع الصخرة، وكان هذا الصدع

تحت يده اليسرى، وقد بني في هذا المكان، حيث كانت يده اليسرى،
مذبح رخامي جميل جداً، وقد رتل هناك قداساً حول الآلام، وقرأت
خبر الآلام وفقاً لرواية القديس يوحنا، في قداس جرى الاحتفال به في
المكان نفسه لآلام المسيح.

وهذه البيعة مبلطة كلها بالرخام، وجدرانها مغطاة بالرخام، ومزينة
بأعمال الفسيفساء من الذهب الخالص،

وعلى بعد أربعة وعشرين قدماً إلى الشرق من الجمجمة، هناك مذبح،
يوجد تحته قطعة من العمود، الذي جُلد الرب عنده، وقد حملت إلى ها
هنا وجلبت من بيت بيلاطس، وهي مغطاة بحجارة المذبح، إنما بطريقة
يمكن بها لمسها، ورؤيتها، وتقييلها من قبل المؤمنين، والعمود قطعة من
صخرة رخامية سماقية داكنة، فيها نقاط حمراء طبيعية، يعتقد العامة أنها
لطح من دم المسيح.

ويقال بأن شطراً آخر من هذا العمود قد نقل إلى القسطنطينية.

وعلى بعد عشرة أقدام إلى الشرق من مذبح هذا العمود، ينزل
الانسان أربعين درجة إلى المكان الذي وجدت فيه هيلانة الصليب.

ويوجد هنا بيعة مع مذبحين عميقاً تحت الأرض.

ويبدو لي أن المكان الذي استخرج منه الصليب قد كان واحداً من
خنادق المدينة، فيه كانت ترمى الصلبان، بعد إنزال الأجساد عنها، وفيه
أيضاً كانت ترمى جميع فضلات المدينة التي تراكت فوق الصلبان،
وبقي الأمر كذلك حتى جاءت هيلانة فنظفت المكان ووجدت
الصليب، لأن مكان الآلام كان على مقربة من المدينة، وكانت هناك
حديقة في ذلك المكان.

هذا وإن المكان الذي وقفت فيه العذراء المباركة على مقربة من

الصليب مع المرأتين الأخرتين، لم يكن ذراع الصليب في جهة الشمال، بل أمام وجه ابنها في الجهة الغربية، أو قريب من هناك، والمكان الذي وقفت فيه أمام وجه ابنها، وهو معلق فوق الصليب، مرئي عند سفح الجبل مع الصخرة التي جرى تثبيت الصليب عليها، وهو مبجل من قبل المؤمنين، وغالباً ما رأيت هذا المكان، فضلاً عن هذا، عندما كان المسيح معلقاً فوق الصليب أدار وجهه نحو الغرب، وليس نحو الشرق، كما ذهب بعضهم إلى القول، وهذا واضح لأن مجرى السيل الذي تقدم ذكره، والذي خدم بمثابة خندق للمدينة على الجهة الغربية، كان خلف الصليب، وقد ألقى الصليب فيه، وفيما بعد تم العثور عليه هناك حسبما تقدم القول.

وهناك عدد كبير من المذابح المزينة في هذه الكنيسة.

وقبل الباب الغربي لهذه الكنيسة، يوجد المكان، الذي صلت فيه مريم المصرية أمام تمثال العذراء المباركة، وذلك بعدما حاولت دخول الكنيسة، فدفعت بشكل اعجازي ولم تتمكن من الدخول إليها، ثم تمت تعزيتها باستجابة العذراء المباركة لصلواتها.

وبالذهاب من هناك نحو برج داود وجبل صهيون، يوجد المكان الذي قتل فيه صبراً القديس جيمس من قبل هيرود أغريبيا، وذلك حيث المكان الذي سخر فيه اليهود من المسيح، وأيضاً المكان الذي سجنوه فيه حتى الصباح، وهو المكان صار يعرف باسم سجن الرب، وعلى رمية حجر من هذا المكان يوجد الموضع الذي انتقلت إليه مريم العذراء المباركة وسكنت فيه طوال المدة التي عاشتها، بعد صعود الرب إلى السماء، وعلى مقربة من هذا المكان الذي القاعة الكبرى للعشاء، حيث تعشى الرب مع حواريه، وغسل أقدامهم، وأعطاهم جسده ودمه، وظهر لهم مرات عديدة بعد قيامته، وحيث جرى اختيار متى رسولاً من قبل الجميع، وحيث نزل الروح القدس، وتم أيضاً صنع أشياء

رائعة كثيرة.

واعلم أن مدينة القدس قائمة فوق أرض عظيمة الارتفاع، يمكنك منها رؤية جميع العربية، وجبل عبريم، ونبو، وبسغة، وسهل الأردن، وأريحا، والبحر الميت، حتى البتراء في الفيافي، وأنا لم أشهد قط أية مدينة أو مكان، امتلك مشهداً أجمل، ويمضي الانسان صعوداً إليها من كل جهة، لأنها قائمة فوق البقعة الأعلى في البلاد، وذلك باستثناء شيلوه، الموجودة على بعد فرسخين من هناك.

وبالنسبة لحجم المدينة المقدسة، عليك أن تعرف، أن قياس محيط المدينة حوالي ثلاث وثلاثين غلوة، وذلك من دون حساب جبل صهيون، فهذا ما ذكره يوسفوس، أما هي كلها مع جبل صهيون: فإن السور الخارجي — أي أن تقول السور الثالث، أيضاً تبعاً ليوسفوس نفسه — فيه تسعين برجاً، ويقع كل برج على مسافة مائتي ذراع — أي أربعمئة قدم — مما يجعل بين كل برج وبرج مسافة ستين خطوة، وإذا ضربنا هذه الستين خطوة بالتسعين برجاً، فإن النتيجة سوف تكون خمسة آلاف وأربعمئة خطوة، وتشكل هذه إطار الدائرة حول المدينة، وإذا حسبنا الآن أن خمسمئة خطوة وخمس وعشرين خطوة تساوي غلوة، فإننا إذا قسمنا خمسة آلاف وأربعمئة على مائة وخمس وعشرين، فإن المحصلة هي أربعين غلوة، وهذه تساوي خمسة أميال، فهذا كان محيط المدينة في أيام تدميرها من قبل الرومان، حسبما أخبرنا يوسفوس، لكن منذ ذلك الوقت قام المسيحيون بتوسعة المدينة، وأدخلوا مكان ضريح الرب إلى داخل الأسوار، وقال اللورد المبجل الأب جيمس دي فيتري، بطريك القدس في كتابه حول الاستيلاء على الأرض المقدسة، بين أشياء وقضايا أخرى: «غالباً ما ذكر، وعلينا أن نذكر دوماً، أن المدينة قائمة كلها فوق جبل مرتفع، وهي محاطة من جميع الجوانب بسور قوي، وهي ليست منزوعة بضيق المساحة الشديد، ومثل هذا ليست مضطربة

بسبب وجود فائض بالحجم، فمقاسها أربع رميات سهم من السور إلى السور المقابل، وتمتلك على الجهة الغربية حصناً قد بني بالحجارة المربعة، وهذه الحجارة ملتصقة مع بعضها بعضاً بشكل غير قابل للكسر، وجاء ذلك بوساطة الملاط والرصاص، ويقوم هذا الحصن من أحد الجوانب بدور سور المدينة، وهو يعرف باسم حصن برج داوود، وهو الذي يسميه بعضهم باسم برج أنطوني، وهناك على جانبه الجنوبي جبل صهيون، وذلك حيث بنى داود لنفسه بيتاً، وحيث أيضاً جرى دفنه مع الملوك الآخرين، وهو الذي أطلق عليها اسم مدينة داوود، غير أن جبل أكرأ، الذي صلب فوقه الرب، قد قام خارج أسوار المدينة، على الجانب الغربي، وتولى على كل حال إيلْيوس هدرْيَانوس إعادة بناء المدينة التي هدمها تيتوس وفسبسيان، وقد وسعها كثيراً، بحيث أنها شملت موضع الصلب والضريح، وباتت هذه الأماكن داخل إطار الأسوار، ومع هذا بقي الشكل العام كما كان من قبل، وبهذا أكون قد فرغت من اقتباس كلمات اللورد جيمس.

ودعونا الآن نتولى وصف أبوابها، ووصف الجبال المحيطة بها، مع أهم أماكنها البارزة:

وكان أول أبوابها هو باب داوود، وهو الباب الذي كان موجوداً في الجهة الغربية لجبل صهيون، وذلك حيث توجد قرنة المدينة التحتا، في مقابل برج داوود، عند المكان الذي يتشعب فيه مجرى السيل، وينفصل أحدهما عن الآخر، حيث اتجه أولهما نحو الشمال، واتجه الآخر نحو الشرق، وكان هناك بناء مقنطر قبل الباب، إنما على الجانب الأقصى من الوادي، الذي من خلاله كان الطريق يقود إلى خارج المدينة، وعلى الجانب الأيمن لهذا البناء المقنطر شق يهوذا نفسه على شجرة جميز، وكان هذا الباب يعرف باسم باب السمك، لأن من خلاله يمر الطريق من يافا واللد، وشاطئ البحر، الذي اعتادوا على جلب السمك عبره،

وعرف هذا الباب أيضاً باسم باب التجار، لأن من خلاله مرّ الطريق إلى بيت لحم، وحبرون، وغزة، ومصر وإثيوبيا، كما أطلق عليه اسم باب داوود، لأن برج داوود مشرف عليه، وكذلك مدينة داوود مطلة عليه.

وكان الباب الثاني الذي تلا في التعداد موجوداً في الجانب نفسه من السور — أي أنه متجه نحو الغرب — غير أنه كان على مسافة ضئيلة إلى الشمال من الأول، وقد عرف باسم الباب القديم، لأنه كان موجوداً هناك منذ أيام اليبوسيين، وكان يطلق أيضاً عليه اسم باب القضاء، لأن أحكام القضاء كانت تصدر أمامه، وبعد إصدار الأحكام كان يجري تنفيذها خارج هذا الباب، وخارج هذا الباب جرى صلب الرب، لأن البلاط، أو موضع القضاء، في داخل سور المدينة القديم، وفي السور الجديد الذي أحاط بضريح الرب بالسور الجديد، واسم هذا الباب الآن باب القديس اسطفان، حيث أن هناك باباً جديداً حل محل القديم، وأطلق عليه الاسم نفسه، وهو يقود إلى شيلوه وبيت حورون، وجبعون.

ويقوم الباب الثالث إلى الشمال من هذا، ويدعى باسم باب إفرايم، لأن الطريق إلى جبل إفرايم يمر من خلاله، وعند هذا الباب يلتقي السور الجديد الذي بني للإحاطة بضريح الرب، لأنه رجم خارج هذا الباب، وهو يقود إلى: شكيم، والسامرة، والجليل.

ويقوم الباب الرابع إلى الشرق من هذا الباب، وهو موجود عند قرنة المدينة فوق جدول قدرون، واسمه باب الزاوية، ويدعى أيضاً باسم باب بنيامين، لأن من خلاله يمر الطريق إلى عناتا وبيت إيل، والقفار، والمدن الأخرى القائمة في ديار (سبط) بنيامين.

وكان الباب الخامس قائماً إلى الجنوب من هذا الباب، وكان اسمه باب تلة الروث، أو باب الروث، وهو قائم فوق جدول قدرون،

والطريق من خلاله يقود إلى الصحراء، ولم يكن هذا الباب كثير الاستخدام، بسبب أن الأماكن التي يقود إليها كانت غير حضارية.

ومثل هذا كان الباب السادس إلى الجنوب من هذا الباب، وكان اسمه باب الضأن، لأن الأغنام التي كانت تستخدم للأضاحي في الهيكل، كانت تساق من خلاله، وذلك بسبب وجود بركة الضأن على مقربة منه، وكان يعرف أيضاً باسم باب الوادي، بسبب أن الطريق الذي يمر من خلاله يقود إلى وادي شعفاط، وضريح العذراء المباركة قائم على بعد رمية حجر عنه، وكان يشرف عليه البرج الذي اسمه برج فاسيلوس، الذي بني من قبل الملك هيرود، وعرف أيضاً باسم باب بئر التين، لأن في خارجه كان هناك بئر اسمه بئر التين، ويمضي الانسان عبر هذا الطريق إلى بيت عنيا، وإلى جبل الزيتون، وإلى الأردن.

والباب السابع قائم أيضاً إلى الجنوب من هذا الباب، ويعرف أيضاً باسم الباب الذهبي، وهو قائم فوق جدول قدرون، غير أنه كان موجوداً في ساحة الهيكل، لكن انتبه أن هذا لم يكن باباً للمدينة، بل باباً للهيكل، وعلى كل حال يمر من خلاله طريق يقود بانقطاع قصير من جبل الزيتون على الطرف الأقصى لوادي شعفاط، يمر من خلال قنطرة، وفي داخله كان باب الهيكل الذي عرف باسم الباب الجميل، ومن هذا الباب هناك طريق يقود إلى بيت عنيا، وأريحا والأردن.

وكان الباب الثامن إلى الجنوب من هذا الباب الذي قام فوقه، وهو كان قائماً في الوادي فوق جدول قدرون، فيما بين جبل صهيون، وجبل الهيكل، وكان اسمه باب نبع سلوان، أو باب الماء، لأنه كان يقود إلى نبع وبركة سلوان للاستحمام، ووادي جهنم، وحق الدم، وحديقة الملك، وعلي أن أميل إلى الاعتقاد أن هذا كان باب الروث، وليس الباب المتقدم ذكره، وذلك بسبب وضعه، كما أنني لأعتقد أنه وجد المزيد من الأبواب في القدس، لأنه من خلال وضع المدينة، لم تكن

هناك حاجة إلى المزيد منهم حول جبل صهيون كله، وإذا كان قد توفرت الحاجة إلى باب، لم يكن من الممكن امتلاك باب هناك، لأن شكل الأرض التي هي شديدة الميلان من كل جانب، تحول دون ذلك.

وكانت الجبال من حول القدس كمايلي:

كان هناك إلى الشرق من المدينة جبل الزيتون، المشرف عليها، ذلك أنه أكبر وأعلى من الجبال الأخرى، الموجودة من حولها، وقد بنيت على قمته كنيسة، فوق المكان الذي صعد منه الرب إلى السماء، وهذا المكان في وسط الكنيسة، وفوقه توجد فتحة، حيث يبقى الفراغ الهوائي الذي من خلاله صعد مفتوحاً أيضاً، وصحيح أن الصخرة التي وقف عليها أثناء صعوده، والتي تحتوي على طبقات قدميه، قد وضعت هناك للذكرى، أيضاً إن هذه الصخرة قد وضعت بقصد إغلاق الباب الشرقي، لكن من دون ملاط، لذلك يمكن للإنسان أن يضع يده بسهولة، ويلمس طبقات القدمين، غير أنه يستطيع رؤيتهم، ويوجد على الجهة الجنوبية بيعة متصلة بهذه الكنيسة، حيث دفنت في داخل كهف هناك بيليجيا، التي كانت محظية معروفة، عليها أضفى الرب مراراً نعمة المغفرة، وجعلها مثلاً للمذنبات، ولقد قيل بأن ما من إنسان يعيش مع ذنب عظيم يمكنه أن يمر فيما بين ضريحها وبين السور بجانبها، لكنني لأعرف مدى صحة هذا، فلقد رأيت كثيرين يمرون من هناك.

ويوجد على هذا الجبل نفسه، على أقل من رمية حجر نحو الجنوب، كنيسة أخرى، اسمها بيت الخبز، فهناك علم الرب حواربيه الصلاة، وكتب صلاة الرب على صخرة هناك.

وجبل العدوان مجاور لجبل الزيتون في الجنوب، وهو مرتفع إلى حد ما، والجبلان منفصلان عن بعضهما بوساطة واد قائم بينهما، وأطلق عليه اسم جبل العدوان بسبب أن سليمان أنشأ هناك هيكلًا لمردوخ

Moloch في مواجهة الهيكل، وبذلك أثار غضب الرب.

وعند سفحه في الجهة الجنوبية، يوجد موضع توفت، أو جهنم Ge-hinnon وإلى الجنوب الشرقي من المدينة يقوم حقل حق الدم، مع جبل مرتفع جداً فوقه، يدعى بالاسم نفسه، وهو يغطي تقريباً جميع الطريق الممتد في مقابل الجانب الجنوبي من المدينة.

وحقل القصار متصل بهذا الحقل من الجهة الغربية، ويوجد فوقه جبل يساوي بالارتفاع الجبل المتقدم الذكر.

ويوجد على الجهة الغربية من المدينة جبل جيحون، وهو متصل بحقل القصار، هذا ويمر بينهما الطريق القادم من باب داوود، ويشرف جبل جيحون هذا على الطرف الغربي من المدينة، لكن ارتفاعه يتناقص بالتدريج، حتى يصبح في مقابل الباب القديم ليس كبير الارتفاع.

وعلى كل حال، الأرض باتجاه الغرب والشمال هضبية، وذلك امتداداً حتى ضريح هيلانة، القائم في مواجهة باب بنيامين، الذي يتجه نحو جدول قدرون ويشرف عليه.

وعبر جدول قدرون، في الجهة الشمالية من جبل الزيتون، هناك جبل آخر، هو أيضاً مرتفع جداً مثله مثل جبل الزيتون، وهو على بعد أربع غلوات عن القدس، وهناك بنى سليمان هيكلاً لشمس، وهو وثن المآيين، وقد بني عليه في أيام المكابيين والرومان قلعة، انزعج منها سكان القدس وغضبوا كثيراً، وماتزال آثارها هناك حتى هذا اليوم.

وهذه الجبال جميعاً على مقربة من أسوار المدينة، لكن ليس كثيراً إلى حد يمكن فيه الهجوم على المدينة منهم بوساطة الآلات الحربية.

وليكن الذي قلناه عن وضع القدس، فيه كفاية، وكذلك عن أبوابها وعن الجبال التي من حولها، ودعونا نلتفت عائدتين إلى وصف المتبقي

من البلاد.

٩ — وعلى بعد فرسخين نحو الشمال — الغربي للقدس يوجد جبل شيلوه [سيلون]، الذي اسمه الآن جبل القديس صموئيل، وهو أعلى الجبال في الأرض المقدسة، وقمته أعلى من قممهم جميعاً، وهو على بعد أكثر من فرسخ من جبعة شاؤول، وأقام هنا لمدة طويلة تابوه الرب، وخيمة العهد، أي العهد الذي عمله موسى في القفار.

وعلى بعد فرسخ من هناك توجد جبعة [الجيب]، وهي مدينة بنيامين، وهي قائمة على الجبل نفسه، وعلى هذا كان مقدّم الأماكن المرتفعة قد وجد — كما قيل — هناك، وقد أرسل أهل هذه المدينة رسلاً إلى يوشع في الجلجال، وأقاموا سلماً معه بالبراعة، حيث تظاهروا بأنهم كانوا يسكنون في بلاد نائية.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الغرب من القدس، توجد عمواس، حيث سار الرب مع الخواريين كغرباء، وصار معروفاً بالنسبة لهم عن طريق كسر الخبز، واسمها الآن نيكوبولس Nicopolis .

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الغرب من القدس، وعند سفح جبل شيلوه، توجد بيت حورون التحتا (بيت عور التحتا)، التي ورد ذكرها في سفر المكابيين (الأول: ٧/٣٩).

وعلى بعد أربعة فراسخ ونصف الفرسخ إلى الغرب من القدس، وعلى الطريق إلى اللد، توجد قرية بيت جيريم (عرما)، التي كانت إحدى مدن الجبعونيين، حيث أقام التابوه لمدة عشرين سنة، بعدما أخذ إلى بلاد الفلسطينيين، وفي الغرب من قرية جيريم توجد لكش (تل الحسي)، التي كانت أيضاً إحدى مدن الجبعونيين، وقد حوصرت من قبل سنحريب في أيام حزقيال.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب، أو ما يقارب ذلك، من قرية بيت

جيريم، توجد بلدة بيت شمش، التي علينا أن نميزها عن الأخرى الموجودة في ديار سبط نفتالي، والتي عرفت باسم بيت شمش اليهودية [عين شمش]، مع أنها في الحقيقة، قد كانت في ديار سبط دان.

وإلى الحقل العائد لتلك البلدة تولت البقرتان الحلوبان جر العجلة التي كان عليها تابوت الرب، وذلك عندما كان أهالي بيت شمش يحصدون موسم الحنطة في الوادي، وقد مات سبعون ألفاً من الناس، لأنهم رأوا تابوت الرب مكشوفاً.

وعلى عشرة فراسخ من القدس توجد راماثيم زوفيم (الرملة)، التي كانت جزئياً في ديار سبط بنيامين، وجزئياً في ديار سبط إفرائيم، وهي قائمة فوق جبل إفرائيم، وبناء عليه أطلق هذا الاسم على السهل، ومهما يكن من أمر، هو ليس جبلاً بل سهلاً، وقد عرفت باسم أريمثا Ar-imathea، فمنها جاء يوسف المستشار الشريف، الذي تولى دفن الرب، وكان النبي صموئيل قد ولد هنا ودفن أيضاً هنا، وهي تعرف في هذه الأيام باسم الرملة.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الغرب من الرملة تقوم مدينة يافا، التي منها ذهب يونه على ظهر سفينة إلى ترشيش، أي إلى جزائر البحر، منذ حضور الرب.

ودون يافا توجد يينا، التي هي ميناء آخر لليهودية على بعد فرسخين، نحو الجنوب، وقد استولى يهوذا المكابي على هذا الميناء وأحرقه.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من القدس توجد بيت لحم، المدينة التي تشرفت بميلاد داوود الحقيقي، وهي قائمة على جهة يسار الطريق الذي يقود إلى حبرون، إنما على بعد رمية سهم عن الطريق، وقبل هذا، يصل الانسان — على كل حال — إلى ضريح راحيل، على جهة اليمين لطرف الطريق، وهناك في مقابل بيت لحم برج عدر، أو القطعان، حيث

أقام يعقوب لبعض الوقت، وأطعم قطعانه بعد وفاة راحيل، وفي هذا المكان، عندما كان الرعاة أيضاً يحرسون قطيعهم خلال الليل، في ساعة ميلاد المسيح، رأوا الملائكة وسمعوهم وهم يغنون «المجد للرب في الأعلى»، وكانوا يبشرون بميلاد المخلص.

وتقوم بيت لحم فوق جبل، هو مرتفع بعض الشيء، لكنه ضيق، ويمتد من الشرق إلى الغرب، ولها باب على الجانب الغربي، ويوجد هناك على مقربة من الباب البئر الذي تشوق داوود إلى الشرب منه، عندما كان محاصراً هناك.

ويوجد عند النهاية الشرقية للمدينة، تحت الصخرة القائمة قرب سور المدينة، مابداً — تبعاً لعادات تلك البلاد — مكاناً جرى استخدامه بمثابة اسطبل، تمّ نحت معلقه بالصخر، وذلك حسب عادات تلك المناطق، وولد يسوع المسيح، شمس العدالة المشرقة على الدنيا، من أم عذراء، وباختياره لمثل هذا المكان القدر، لأن يلد فيه، ولأن يشرق منه، أظهر بميلاده بأنه سوف يزيل قذارة العالم وظلامه.

وعلى مقربة من تلك الصخرة المتقدمة الذكر، توجد صخرة أكبر، وذلك على بعد أربعة أقدام عنها، كان تحتها المعلق الذي مدد فيه الطفل الحلوى، المولود حديثاً، أمام الثور والأتان، وهو ملفوف بأقمشة بالية، هذا ويدوي من المؤكد أنه كان هناك في البداية صخرة واحدة، لكن جرى فتح طريق في وسط الصخرة، من خلاله يذهب الانسان إلى سدة هذه البيعة، ويذهب الانسان من الكنيسة إلى مكان ميلاد الأكثر حلاوة بالنزول بالدرجات، وذلك لأسباب جرى شرحها أعلاه، وهذه البيعة مغطاة بأكملها بأعمال الفسيفساء، ومبلطة بالرخام، وبنيت بسخاء كبير، وفوق المكان الذي ولدت فيه العذراء المباركة، من الممكن تلاوة قداس هناك، فوق لوح من الرخام ممدد هناك، ومن الممكن أن يرى الانسان هناك الصخرة العارية التي ولد عليها المسيح، ومثل هذا ترك

جزء من المعلف، الذي ولد فيه المسيح، غير مغطى، ويجري تقبيل هذين المكانين بتقوى عظيمة من قبل المؤمنين، ومررت في إحدى الليالي بهذين المكانين، وتوليت تقبيل المكان الأول ثم المكان الآخر، وأنا لم أشاهد، أو سمعت أحداً قط يقول بأنه رأى كنيسة أكثر قداسة من هذه في أي مكان في العالم، ويوجد هناك أربعة صفوف من الأعمدة تستحق الإعجاب، ليس فقط بسبب عددها، بل بسبب حجمها الرائع، فضلاً عن هذا، فإن صحن الكنيسة كله الموجود فوق الأعمدة حتى السقف، مزين بأجل أعمال الفسيفساء [حيث عرض فيها جميع أحداث التاريخ منذ خلق الدنيا حتى قدوم الرب إلى يوم الحساب]، ومثل هذا فإن الكنيسة كلها مبلطة برخام من مختلف الألوان، وهي مزينة برسوم تحتوي جميع أحداث التاريخ منذ خلق الدنيا حتى قدوم الرب يوم الحساب، وقال رجل بأن تكاليف هذه الرسوم لا يمكن تقديرها، ويمكن للإنسان أن يكتب أشياء تفوق التصور حول عمل هذه الكنيسة، ويحل المسلمون جميع الكنائس المكرسة للعدراء المباركة، لكنهم يحلون هذه الكنيسة فوق الجميع، ورأيت في هذه الكنيسة معجزة تستحق الذكر، فعندما رأى السلطان التزيينات الثمينة جداً، وألواح الرخام وأعمدة الكنيسة، أمر بنزعهم جميعاً وحملهم إلى القاهرة، ذلك أنه رغب ببناء قصر بهم لنفسه، وبإللمعجزة، فعندما جاء العمال مع أدواتهم، وكان السلطان نفسه مع آخرين كثير واقفاً هناك يراقب، خرج من الجدار السليم الأصم، الذي لا يمكن للإبرة أن تخرقه، ثعبان بحجم هائل، وقام بعض أول لوح وصل إليه، فتحطم اللوح، وفعل الشيء نفسه باللوح الثاني، ثم بالثالث فالرابع، حتى الثلاثة عشر، وقد ألم بالألواح جميعاً الشيء نفسه، واستولت الدهشة على الجميع، فأقنع السلطان نفسه مباشرة وتخلّى عما نواه، وهنا اختفى الثعبان، وهكذا بقيت الكنيسة، وما زالت باقية حتى هذا اليوم، كما كانت من قبل، ومع هذا من الممكن رؤية بعض آثار جسد الثعبان حتى هذا اليوم على كل

لوح مرّ عليه، فقد بدت الألواح وكأنها قد أحرقت بالنار، وفوق هذا كله يبدو أنه أمر خارق، كيف تمكن هذا الشعبان من النفاذ من خلال الجدار، الذي هو ناعم وملمع كأنه زجاج.

وعند الباب الشمالي لهذه الكنيسة هناك دير مغلق للرهبان، وذلك حيث يوجد بئر القديس جيروم، وفراشه، وضريحه، وغرفة المخزن العائد للدير، الذي نقرأ بأن القديس جيروم كان رئيسه، ويمكن أن يرى على الجانب الجنوبي للسدة مكاناً — كما قيل — جرى فيه قتل شطر كبير من الأبرياء ودفنهم.

وعلى بعد حوالي رمية حجر إلى الشرق من هذه الكنيسة هناك كنيسة القديستين: باولا، ويوستوخيوم، وهناك أيضاً ضريحهما.

وعلى بعد نصف فرسخ إلى الغرب من بيت لحم توجد قرية اسمها بيزق Bezek التي فيها وفرة من النبيذ الفاخر، الذي لا يمكن أن تجد أفضل منه في البلاد، والناس في هذه القرية مسيحيين جميعاً، وهم يتولون العناية بكرومهم وبكروم قرى جيرانهم في وادي رفائيم، وذلك حتى جدول أشكول، [العدد: ١٣ / ٢٤]، وقد تسلموا من السلطان امتياز السكنى هناك والعناية بهم، ومنهم يدفعون إلى السلطان مبلغاً كبيراً.

وعلى بعد ستة فراسخ شرقي بيت لحم، على شاطئ البحر الميت، يوجد جبل عين الجدي الذي تقدم وصفه أعلاه.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من عين الجدي، توجد هضبة أخيلا Achila وهي التي عرفت فيما بعد باسم مسعده، وذلك عندما بنى هيرود هناك قلعة لاترام، ويحكى أنه هناك أقام داوود مختبئاً، عندما هرب من أمام شاول.

وعلى بعد فرسخين عن بيت لحم، وباتجاه أخيلا، توجد مدينة تقوع، وهي قائمة فوق جبل، وهذه كانت مدينة النبي عاموس، الذي جرى

دفنه هناك أيضاً، وعاموس هو الذي ضربه آحازيا ملك القدس، أثناء الليل، ضربة على صدغيه وقتله.

وبجوار هذه المدينة، توجد قفار تقوع.

وفيما بين تقوع وعين الجدي يمتد وادي بريكوت، حيث تحارب يهوشافاط، ملك اليهودية مع الأدوميين، وبني عمون، وهزمهم.

وعلى بعد فرسخ عن هناك، توجد قلعة بنيت من قبل هيرود الكبير، واسمها هيروديوم [عند جبل الفريديس]، وهي قائمة فوق أرض مرتفعة، وفيها — تبعاً ليوسفوس — جرى دفن هيرود نفسه.

وعلى خمسة فراسخ إلى الجنوب الشرقي من تقوع، توجد مدينة الزيف [تل الزيف]، وذلك قرب قفار تحمل الاسم نفسه، فهناك — حسبنا قرأنا — أقام داوود مختبئاً.

وبجوار هذه المدينة، في جهة اليمين، توجد قفار [تل] معين، وذلك حيث يوجد جبل الكرمل، وأيضاً حيث سكن نابال الكرمل، الذي طرد رسل داوود.

وبجوار قفار معين، في جهة الجنوب، هناك بلاد أمالك Am-alek ، وفي مقابل لسان للبحر الميت، توجد قادش بارينا (القفار)، التي منها أرسل موسى اثني عشر جاسوساً.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من بيت لحم، على الطريق الذي يقود إلى حبرون، يوجد بيت — حكريم Haccerem، وهي قرية قائمة فوق بقعة مرتفعة، وبجوارها في الجنوب هناك قرية أخرى اسمها رامة (رامة الخليل)، وهي على درجة عظيمة من الارتفاع، وقد وقفت هناك فوق رابية عالية مع كثير من المرافقين، ورأيت جميع بلاد العرية حتى جبل سعير، وجميع الأماكن الموجودة من حول البحر الميت.

وكذلك جميع مخابىء داوود، وأيضاً الأردن حتى شطيم (عدد: ١/٢٥)، وجبل عبريم، ورأيت باتجاه الغرب جميع شاطئىء البحر المتوسط من يافا إلى غزة، وبير السبع، حتى فيافي شور Shur ، وزيادة على هذا جميع بلاد الفلسطينيين من الرملة مروراً بغث Gath ، وعقرون، وأشدود، وبيننا وعسقلان، مع جميع السهل الموجود عند سفح المنطقة التالية لليهودية.

وعلى بعد أكثر من فرسخ من رامه، وعلى جهة اليمين، قرب الطريق السلطاني العام الذي يقود إلى حبرون، توجد ممرا، حيث سكن إبراهيم لمدة طويلة، وحيث عندما جلس أمام بيت خيمته إلى جانب بلوطة ممرا، رأى الرجال الثلاثة واقفين إلى جانبه، وهكذا نجد حسبا قرأنا في سفر التكوين، بأن شجرة البلوط ماتزال مرئية حتى هذا اليوم، أمام باب خيمة إبراهيم، وعلى كل حال، لقد ماتت الشجرة القديمة، ونبع من جذورها شجرة بلوط جديدة.

وعلى بعد نصف فرسخ من بلوطة ممرا، وعلى جهة اليمين، إلى جانب الطريق، توجد حبرون، وهي المدينة القديمة، التي عرفت مرة باسم «قرية أربعة»، فهناك حكم داوود لمدة سبع سنوات، وكانت قائمة فوق يمين جبل مرتفع، وحصين، لكنها الآن مدمرة كلياً، وخرائبها كثيرة، ويبدو أنها كانت مدينة جليلة!.

وعلى بعد رمية سهم جنوبي هذه المدينة، توجد حبرون الجديدة، وقد بنيت فوق المكان الذي كان فيه الكهف المزدوج، المدفون فيه: آدم، وحواء، وإبراهيم، وسارا، واسحق، ورفقة ويعقوب، وليه، وقد بنى المسلمون حصناً قوياً جداً حول الكهف المزدوج هذا، وفي داخل هذا الحصن هناك الكنيسة الكاتدرائية، ولقد رأيت في أسوارها حجارة مقياس كل منها ستة وعشرين، وثمانية وعشرين، وثلاثين قدماً، وأنا لم أشاهد مكاناً بمثل هذه الحصانة، قد بني فوق أرض مسطحة بلا ماء،

ولقد زرت قبور الآباء هناك، وأمضيت ليلة في ذلك المكان.

وعلى بعد رمية سهم إلى الغرب من الكهف المزدوج، يوجد حقل دمشق، الذي من ترابه جرى تشكيل آدم، وفي الحقيقة التربة في هذا الحقل شديدة الحمرة، ومن الممكن قولبتها مثل الشمع، وقد أخذت منها كمية كبيرة معي، ومثل ذلك يفعل الحجاج الآخرون والمسيحيون الذين يزورون هذه الأماكن، فضلاً عن هذا يحمل المسلمون هذه التربة على ظهور الجمال إلى مصر، وأثيوبيا، والهند، وأماكن أخرى، ويبيعونها مقابل توابل ثمينة، ومع هذا يبدو هناك أن كل ما حفر هو مجرد حفرة صغيرة في ذلك المكان، ويقال إنه مع نهاية السنة، قد تكون حفرة كبيرة قد حفرت، نجدها قد امتلأت بشكل إعجازي ثانية، ولقد نسيت أن أبحث عن مصداقية هذا الأمر، والذي يمكنني قوله هو هذا فقط: فعندما كنت هناك، كانت الحفرة حفرة صغيرة، إلى حد أنه كان من الصعب لأربعة رجال الجلوس فيها، ولم تكن أعمق من حد الوصول إلى كتفي، ويقال بأن ما من حيوان يهاجم أو يعتدي على الذي يحمل أياً من هذه التربة، وأنها تحمي الإنسان من السقوط، وهذا الوادي القائم في مقابل حبرون خصب جداً وجميل.

وعلى بعد رمية سهم إلى الجنوب من المكان الذي تحفر فيه الأرض، يوجد الموضع الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وكذلك على بعد رميتي سهم إلى الغرب من المكان الذي تحفر به الأرض، وعلى رابية على طرف حبرون، هناك كهف في الصخور، هو المكان الذي بكى فيه آدم وحواء على ابنهما هابيل لمدة مائة سنة، ففي الكهف يوجد فراشهما حتى هذا اليوم، ونبع ماء في داخل الكهف، منه كانا يشربان.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من حبرون توجد دبير (Debir) عند (الظاهرية) أو قرية سفر، أي مدينة كتاب، التي استولى عليها عشتيل بن قناز أخو كالب، فأعطاه عكسة ابنته زوجة (يشوع: ١٥/١٥ — ١٧).

وعلى بعد فرسخين إلى الشمال من حبرون، توجد
نيل[ناحال]إشكول، التي معناها جدول العنقود، أو وادي الدموع،
الذي منه جلب الجواسيس الغصن مع عنقود واحد من العنب، وقد
حملوه بين اثنين على عصا،[العدد:٢٣/١٣].

وعلى بعد نصف فرسخ إلى اليسار من هذا الوادي، يجري
الجدول[عين حنينا]، الذي عمّد فيه فيليب الخصي.

وعلى بعد أربعة فراسخ من نيل إشكول، باتجاه القدس، يوجد بيت
زكريا[عين كارم]، الذي دخلته العذراء المباركة، حيث حيّت هناك
إيزابل، وهناك أيضاً ولد القديس يوحنا المعمدان.

وعلى بعد فرسخين إلى الشمال من هذا البيت توجد بيت نوبة، وهي
مدينة الكهنة، ففيها أعطى الكاهن أبيالك إلى داوود سيف جالوت
صاحب غث Gath .

وعلى بعد أكثر من فرسخ عن بيت لحم، على الطريق الذي يقود إلى
تقوع، يوجد ضريح القديس كريوث Karioth (القديس شارتون)،
راعي دير(خريتون) وذلك مع رهبانه، الذين فارقوا الحياة جميعاً معه،
وقد اعتادت حشود من الناس على زيارة هذا المكان.

هنا بداية القسم الأول من الربع الجنوبي

١٠ — ويبدأ القسم الأول من الربع الجنوبي من هنا، مثله في ذلك
مثل بقية الأقسام، ونجد أولاً أنه على بعد أربعة فراسخ عن عكا، تأتي
مدينة حيفا، وذلك عند سفح جبل الكرمل.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من حيفا توجد قلعة
الحجاج(عثليت) وهي بأيدي فرسان الداوية، وهي من أكثر الأماكن
حصانة بين جميع الأماكن التي استولى عليها الصليبيون، فهي قائمة في

قلب البحر، ومحاطة بأسوار، ودفاعات أخرى مثل السواتر الحصينة والشرافات والأبراج، حتى أن العالم كله قد يعجز عن الاستيلاء عليها.

وعلى بعد فرسخ عن حيفا، على جهة اليسار للطريق إلى عثليت، وفوق جبل الكرمل، يوجد كهف إيليا ومسكن يوشع وبثره، وذلك حيث عاش أبناء الأنبياء، وحيث يعيش الآن الرهبان الكرمليون، فلقد سكنت معهم هناك.

وعلى بعد خمسة فراسخ من قلعة عثليت، توجد قيسارية، التي هي حاضرة فلسطين، والتي كانت فيما مضى مقر رئاسة أساقفة، وكان اسم هذا المكان أولاً دور Dor، وبعد ذلك فرغوس ستراتون Pyrgos Stratonis، وقد أعاد هيرود الكبير عمارتها، وسماها قيسارية، وقد كتب يوسفوس مطولاً حول أبنيتها ودفاعاتها، ويحدها من جهة الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق سباح لمياه عذبة عميقة، فيها أعداد كبيرة من التماسيح، ووقعت في هذا المكان في خطر عظيم، لكن الرب برحمته أنقذني، وللمدينة وضع دفاعي قوي، لكنها في هذه الأيام مدمرة كلياً، وكان لفيليب وبناته دار هناك، ومثل هذا فيها عمّد بطرس قائد المائة كورنيليوس، الذي كان أول أسقف لقيسارية، فضلاً عن هذا، في هذه المدينة حاجج بولص براءة وفصاحة عظيمة ضد الخطيب تيرتولوس Tertullus، بحضور الملك أغريبا وفيلكس.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من قيسارية، توجد قرية اسمها أرسوف، وقد عرفت من قبل باسم أنتيباتر، صدوراً عن أنتيباتر، والد هيرود الكبير، وكان هذا المكان بأيدي فرسان الاسبتارية، غير أنهم فقدوه، ومع هذا يدفعون سنوياً مبلغ ثمانية وثلاثين ألف دينار ذهبي إلى صاحب أرسوف وإلى ورثته.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشرق من أرسوف توجد مكثة Mic-

methah، التي اسمها الآن قاقون، وهي قائمة فوق السهل الموجود عند سفح جبل إفرائيم، وذلك ليس بعيداً عن جبل شارون، وقد شحن المسلمون هذا المكان بالجند لمراقبة قلعة عثليت.

وعلى بعد أربعة فراسخ من هذه توجد بلدة سارون التي ورد ذكرها في أعمال الرسل: [٣٥ / ٩].

هذا والمسافة فيما بين أرسوف ويافا هي ثمانية فراسخ، ويافا هي القائمة على شاطئ البحر، والتي تقدم وصفها أعلاه.

وعلى بعد أربعة فراسخ من يافا توجد غث (قرب بينا أو ابلين)، وهي قائمة ليس بعيداً عن للبحر، وقد كانت إحدى مدن الفلسطينيين.

وعلى بعد فرسخين عن غث توجد بيتشمش [عين شمس] اليهودية، التي تقدم وصفها.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من بيتشمش، وليس بعيداً عن البحر، توجد عكرون (عكر)، التي هي المدينة الثانية بين مدن الفلسطينيين الخمس، وهي الآن قرية صغيرة.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من عكرون توجد أشدود، التي هي المدينة الثالثة بين مدن الفلسطينيين الخمسة، وهي الآن قرية صغيرة.

وعلى بعد فرسخين عن يافا توجد اللد أو ديوسبولس، التي تقدم وصفها أعلاه، وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من هذه توجد لبنه، التي كان يوشع قد استولى عليها [يشوع: ١٢ / ١٥]، والتي حاصرها سنحريب، وهناك على بعد فرسخ من هنا، على الطريق إلى جبعة، توجد بلدة عزيقة وبلدة مقيدة، وهاتان البلدتان استولى عليهما يوشع بعدما فرج عن أهل جبعة، وهنا المكان الذي اختبأ فيه الملوك الخمسة داخل كهف [يشوع: ١٠ / ٥ - ٢٥]، وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الشرق من ها

هنا، وليس بعيداً عن بيت نوبه توجد شويكة اليهودية، وذلك على مقربة من وادي تربنت، وذلك حيث قتل الفتى داوود جالوت صاحب غث بمقلعه وحجره.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من بيت نوبه توجد عمواس، التي تعرف الآن باسم نيكوبولس.

وعلى بعد فرسخ ونصف الفرسخ عن عمواس يمضي الانسان عبر وادي رفائيم، مروراً بجانب بيت زكريا، الذي يودعه المسافرون إلى القدس على يسارهم، وعلى فرسخ ونصف الفرسخ من ذلك البيت هناك قلعة حصينة جداً، هي قلعة بيت صورا (صوبا)، القائمة على طرف جبل في مقابل بيت سيخ وبيت لحم.

وعلى بعد ستة فراسخ إلى الجنوب من أشدود توجد عسقلان، التي كانت المدينة الرابعة بين مدن الفلسطينيين، وهي قائمة على شاطئ البحر، على شكل نصف دائرة، وهي محصنة بشكل قوي جداً.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب من عسقلان توجد مدينة غزة، على شاطئ البحر، وهي تعرف بشكل عام باسم تل الجزر Gazara ، (تداخل).

وعلى بعد خمسة فراسخ من غزة توجد بئر السبع، التي اسمها الآن جبلين، وهي تشكل حدود اليهودية وأرض الميعاد، وذلك في الجنوب.

وبعد هذه الأجزاء من أرض الميعاد التي وقعت في حصة سبط يهوذا، تأتي القفار الكبيرة، التي تمتد حتى نهر مصر، وأقام بنو إسرائيل في هذه القفار لمدة طويلة، ينتقلون من مكان إلى مكان.

وليكن ما قيل عن البلاد وعن الأماكن التي فيها، فيه كفاية.

طول الأرض المقدسة وعرضها

١١ — دعوني أضيف الآن عرضاً عن طولها وعن عرضها محسوباً وفق أفضل ما أستطيعه.

وعليك أن تعلم، بعدئذ، أن طول الأرض المقدسة يبدأ من سفح جبل لبنان، حيث تقوم قيسارية فيليب، ويمتد جنوباً حتى بير السبع في اليهودية، الموجودة في الجنوب، وطولها وعرضها هو حيث سكنت الأسباط الاثني عشر، وهو ليس عظيماً جداً، وذلك وفقاً لأفضل ملاحظته عندما رأيتها بأم عيني، ومشيت فوقها بقدمي، وقد بدت لي من حيث الاتساع بقدر ماسأين فيمايلي، إنما لا بد من القول أنني مضيت فقط قليلاً فيما وراء الأردن، ولم أعبر خلال بلاد السبطين ونصف السبط، ولهذا لم أقم بذكر ذلك وتبينه، ويبدو لي أن طولها الذي يمتد من رأس بحر الجليل في الشمال حتى جدول أرنون، حيث تنتهي، هو حوالي سبعة وأربعين فرسخاً، وأما بالنسبة لبلاد الأسباط العشرة على هذا الجانب من الأردن، فقد تولى يوسفوس وصف طولها وعرضها:

فلقد امتلك سبط يهوذا المنطقة الفوقا، التي تمتد طويلاً من مصر إلى القدس، وقد قيل إنها تحتاج إلى سفر اثني عشر يوماً، ويمتد عرضها من البحر الميت حتى البحر المتوسط في الغرب، والمسافة هي خمسة عشر فرسخاً.

وأعطي سبط شمعون شطراً من حصّة سبط يهوذا، هو القريب من مصر، فوق جبل عبريم.

وحصل بنيامين على البلاد الواقعة فيما بين الأردن والبحر المتوسط، وطولها خمسة عشر فرسخاً، وعرضها من القدس إلى بيت إيل (بيتين) ما يساوي أربعة فراسخ.

وحصل سبط إفرايم على البلاد الواقعة فيما بين نهر الأردن وجدرّة،

وطولها خمسة عشر فرسخاً، وعرضها حتى السهل الكبير، حيث بداية الجليل، ويساوي ذلك ثلاثة عشر فرسخاً.

وامتلك نصف سبط منشا حصته على هذا الطرف من الأردن فيما بين نهر الأردن والبحر المتوسط، وطول هذه الحصّة اثني عشر فرسخاً، وعرضها حتى بيسان، ويساوي ذلك خمسة فراسخ.

وحصل سبط زبولون على ما بين الكرمل قرب جبل قاييل إلى جنسارث، وطول ذلك تسعة فراسخ، أما عرضها فهو من جبل الطور عبر وادي الكرمل، ويساوي ذلك خمسة فراسخ.

وحصل سبط أشير على جميع البلاد الممتدة من الكرمل إلى صيدا، وهي منطقة طولها عشرين فرسخاً، وعرضها تسعة فراسخ، ويمتد من البحر المتوسط إلى نعسون وكابول.

وحصل سبط نفتالي على الأجزاء الممتدة باتجاه الشرق حتى دمشق والجليل، وطولها عشرة فراسخ، وعرضها من بحر الجليل حتى لبنان، ويساوي ذلك سبعة فراسخ.

وحصل سبط دان على الوادي الممتد نحو غروب الشمس قرب البحر المتوسط، وحدوده هي أشدود في الجنوب ودورا في الشمال، وهذا كان طوله، ولم أذكر قياس عرضه.

وتبعاً للوصف المتقدم أعلاه لجميع الأرض المقدسة على هذا الجانب من الأردن، نجد أن عرضها لم يتجاوز في أي مكان الأربعين فرسخاً، أي فيما بين الأردن والبحر المتوسط، وذلك من الشرق إلى الغرب، أما طولها من الشمال إلى الجنوب فقياسه أقل من تسعين فرسخاً، فهذا كان حسب قياسي وحسابي.

واعرف أنك تمتلك هنا وصفاً صادقاً لجميع البلاد، بطولها وبعرضها،

وبكل ما هو موجود فيها.

واعتقد أن هذا الوصف عظيم الفائدة بالنسبة لقراءة الأسفار التاريخية، لابل في الحقيقة، لجميع الكتاب المقدس، وذلك إذا ما أريد فهم ذلك كله، وأيضاً من أجل تحديد كل مكان على حده، ومعرفة كل شيء حول جميع الأماكن.

ثمار الأرض المقدسة وحيواناتها

١٢ — وعلينا أن نعرف الآن كيف كانت جميع الأرض المقدسة، وكيف هي في هذا اليوم، ذلك أنها أفضل جميع البلدان، وعلى كل حال يقول بعضهم، ممن لم يقدروها حق قدرها، العكس، فهي خصبة جداً بالنسبة للقمح، الذي ينمو بعد فلاحه قليلة ودونما تعب، وتنتج التربة كثيراً من الأعشاب، وتنبت الشمرة، والمريمية، والسذاب، والورود، في كل مكان من قبل نفسها في السهول.

وينمو القطن فوق بعض الشجيرات، التي يبلغ طولها حتى ركبة الانسان، وهي نبتة سنوية، وأوراقها مثل أوراق الكرمة، لكنها أصغر، وينمو فوقهم جوزات في داخلهن القطن، ويتم جنيهن في أيام عيد القديس ميكايل (٢٩ — أيلول).

وينمو قصب السكر أيضاً هناك، وهن مثل القصب العادي، لكنهن أكبر، ويوجد في قلبهن تجويف، لكنه مليء بمواد ليفية تشبه ما يجده الانسان في الأخشاب القديمة، وهذه الألياف كثيرة الماء، ويجمع القصب ويشطر طولياً ويقطع إلى قطع تساوي إحداها نصف شبر، ثم تعصر بالمعصرة، وبعد هذا يتم غلي العصير المستخرج منهن في غلايات نحاسية وعندما يصبح سميكاً يجمع في سلال ويصنع على شكل قوالب مستديرة، وعلى الفور يصبح بعد هذا جافاً وقاسياً، وهذه هي الطريقة التي يصنع بها السكر، وقبل أن يجف يترسب منه سائل لزج اسمه عسل

السكر، وهو لذيذ جداً، وجيد من أجل تحلية أنواع الحلوى، فضلاً عن هذا إنهم يقطعون القصب قطعاً كل منها بطول إصبع الانسان، ويفعلون ذلك لتكون العقدة في وسط كل قطعة، لأنه يوجد في كل قصبة سكر عدداً كبيراً من العقد، ويدفنون هذه القطع في أيام الربيع في أرض رطبة، ومن هذه القطع تنمو القصببات الجديدة، اثنتين من كل قطعة، وذلك من كل جانب من جانبي العقدة، فهذه هي الطريقة التي يزرعون بها.

وعليك أن تعرف أن الانسان لا يكاد يجد في هذه البلاد: الاجاص، والتفاح، والكرز، مثلما الحال على هذا الطرف من البحر، ويتم جلب بعض الفواكه من دمشق، غير أنها تكون لينة تماماً وطرية، بسبب الحر العظيم عندما تكون الثمار على الأشجار، وبسبب حرارة البلاد.

ومع هذا هناك بعض الفواكه التي تبقى على الأشجار طوال السنة، ويأكل الناس منهم في جميع الفصول السنة، ويجد الانسان على الأشجار في الوقت نفسه كل من أزهار الثمار، والثمار نصف الناضجة، والناضجة، والناضجة فوق حدها، وعلى هذا قد يمتلكون في بعض الأحيان، أربعة أنواع من الثمار معاً، وهذه الثمار هو ما يدعونه باسم البرتقال والليمون، وتفاح آدم، الذي يصنع منه السكان المحليون المخلل ليأكلوه مع الفراخ، والسمك، والأطعمة الأخرى، ويصنعون أطعمة لذيذة المذاق جداً.

وهناك أيضاً فاكهة اسمها الدراق، يصنعون منها في عكا محفوظات فاخرة جداً.

وهناك أيضاً فاكهة أخرى اسمها تفاح الجنة (الموز)، وهي فاكهة رائعة جداً، وهي تنمو مثل عناقيد العنب، فيها حبات كثيرة، وحجم العنقود أحياناً وكبره مثل سلة كبيرة الحجم، وفيه أحياناً ستون حبة أو

أكثر، وهذه الحبات مستطيلة في شكلها، وطول واحدتها ستة أصابع، وهي سميقة مثل بيضة الدجاجة، ولهذه الثمرة قشرة سميقة مثل غلاف الفول، إنما ذات لون أصفر لطيف، ويرمي الإنسان القشرة، ويتناول الثمرة ويأكلها، ذلك أن مذاقها كثير الحلاوة، مثلما زبدة جيدة وعسل من قرص العسل، ولا يوجد في هذه الثمار بذور، بل تؤكل كلياً، وتحتاج هذه الثمرة إلى أكثر من سنة واحدة للنمو، ولا تعيش الثمرة سوى وقت قصير — ستان في أبعد الحدود — ثم تذبل وتجف، ولكن عندما تبدأ بالذبول تنبع منها مباشرة شجرة أخرى، ويكون ذلك من جذورها، وتفعل مثلما فعلت الشجرة الماضية، وأوراق هذه الشجرة طويلة، قد تبلغ طول إنسان، وهي كذلك عراض بحيث يمكن لورقتين أن تغلفا جسم إنسان بشكل كامل.

ويوجد في الأرض المقدسة كثيراً من الكروم، ويمكن أن يكون هناك أكثر، لكن بما أن المسلمين الذين يملكون البلاد الآن، لا يشربون الخمرة — باستثناء بعضهم بشكل سري — لذلك يقومون بتدمير الكروم، باستثناء القليل منها، ربما كروم الذين يسكنون على مقربة من الصليبيين، فهم يزرعونهم من أجل الفائدة، وكروم الأرض المقدسة جيدة جداً، ومشهورة، وبشكل خاص كروم المناطق حول بيت لحم، وفي وادي رافائيم، وهكذا، وذلك من حيث حمل بنو إسرائيل العنقود على عصا، وهناك كروم جيدة حول صيدا، وعبرها على طول لبنان، وفي طرطوس والمرقب، وعلى طول شاطئ البحر، وذلك حتى كليكية وكبدوكية، واليونان، وهنغاريا، هذا ولقد رأيت شيئاً رائعاً في طرطوس، حيث أخبرني سكان البلاد هناك أنهم يجنون من الكرمة الواحدة نفسها ثلاثة مواسم في السنة الواحدة، وفق الطريقة التالية: عندما يرى في وقت الربيع الذين يتولون خدمة الكروم، أن الدالية الواحدة قد أعطت كمية من عناقيد العنب كما تفعل كل دالية وكل

غصن حسب العادة، يقومون عندها بقطع جميع الأغصان المتبقية والزائدة على العناقيد ورميها جانباً، ويفعلون هذا في آذار، وفي نيسان تنمو أغصان جديدة تحمل عناقيد من العنب جديدة، وعندما يرون ذلك يقومون بقطع جميع الأغصان التي تتعدى بنموها عناقيد العنب هذه، ويعطي جذع الكرمة في أيار أغصاناً جديدة للمرة الثالثة مع عناقيد جديدة من العنب، وعلى هذه الصورة يحصلون على ثلاثة مواسم من العنب، كلها تنمو مثل بعضها، ولكن الذي يزهر في آذار يجمع في آب، والذي أزهر في نيسان يجمع في أيلول، وما أزهر في أيار يجمع في تشرين أول، وبذلك يحصلون على ثلاثة مواسم من العنب في سنة واحدة.

والتين والرمان، والعسل والزيت، والأعشاب والخضار من جميع الأنواع مثل: اليقطين والخيار وأنواع أخرى من الثمار متوفرة بكثرة هناك.

وهناك كثرة كثيرة من الخنازير المتوحشة، والظباء، والأرانب، والحجل، والسلوي، وإنه لشيء ممتع أن تنظر إليهم، وهناك أيضاً الكثير من الأسود، والديبة، ومختلف أنواع الوحوش الضارية، فضلاً عن هذا توجد أعداد لا تحصى من الجمال، والجمال وحيدة السنام، والوعول، والجواميس، وباختصار يوجد هناك جميع الأشياء الجيدة المتوفرة في العالم، والبلاد تتدفق بالحليب والعسل، غير أن الذين يسكنون هناك لا يمكن أن أدعوهم رجالاً شجعان، بل تحتوي البلاد على أسوأ الأنواع وأحطها من المذنبين، وبناء عليه إنه لأمر رائع أن تستطيع البلاد تحملهم.

أنواع الديانات في الأرض المقدسة

١٣ — يسكن في داخل الأرض المقدسة أناس من كل أمة تحت

السماء، ويتبع كل إنسان عقيدته، وفي الحقيقة لابد أن أذكر، أن قومنا، من اللاتين، هم أسوأ من الشعوب الأخرى كلها في البلاد، وسبب هذا كما أعتقد هو أن أي إنسان اقترف إثماً أو جريمة مثل: اللواط، والنهب، والسرقه، والزنا، يعبر البحر كعقوبة، أو لخوفه على نفسه، حيث لا يتجرأ على البقاء في موطنه، ولهذا يقدم الناس إلى ها هنا من جميع الأصقاع: من ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وإنكلترا، واسبانيا، وهنغاريا، ومن جميع أجزاء العالم، ومع هذا فإن كل الذي يفعلونه هو مجرد تغيير أجوائهم المناخية، لكن ليس عقلياتهم، لأنهم بعدما يصبحون هناك وينفقون ما جلبوه معهم، يبات عليهم كسب المال، ولهذا يعودون ثانية إلى دنسهم، ويقتربون آثاماً أسوأ مما اقتربوه من قبل، حيث يتولون إسكان الحجاج الذين هم من شعوبهم في بيوتهم، وإذا لم يعرف هؤلاء الناس كيف يعتنون بأنفسهم، يثقون بهم، فيفقدون كل من مقتنياتهم وشرفهم، ويقومون أيضاً بإنجاب أولاد، يتولون تقليد جرائم آبائهم، وهكذا ينجب الآباء السيئون أبناء أعظم سوء منهم، ومن هؤلاء ينحدر أحفادهم الأكثر شرواً وفساداً، وهؤلاء يدوسون على الأماكن المقدسة بأقدام ملوثة، ولهذا السبب كان ما وقع، هو أنه لذنوب السكان في البلاد ضد الرب، تعرضت البلاد نفسها، وموضع خلصنا إلى العار والشنار.

وإلى جانب اللاتين عدد كبير آخر من مختلف الأجناس، من ذلك على سبيل المثال: المسلمون، الذين يؤمنون (بنبوة) محمد (ﷺ) ويطبقون شريعته، وهم يقولون بأن ربنا يسوع المسيح كان أعظم الأنبياء، ويعتقدون بأن حمله جاء بوساطة روح القدس، وأنه ولد من العذراء مريم، غير أنهم ينكرون بأنه قد تآلم ودفن، بل اختاروا أن يقولوا بأنه صعد إلى السماء، وأنه يجلس على يمين الآب، لأنهم يعترفون به أنه ابن الرب (كذا)، وهم أيضاً يقولون بأن محمد (ﷺ) يجلس على يساره، وهم

غير نظيفين كثيراً، ويتخذون عدداً كبيراً من الزوجات بقدر ما يستطيعون إطعامهن، وهم يمارسون ذنباً غير طبيعية، ولديهم ماخور في كل مدينة، هذا وهم كرماء جداً ومضيفين، وأدباء ولطفاء.

وإلى جانب هؤلاء هناك السريان، والبلاد كلها مليئة بهؤلاء، وهم مسيحيون، لكنهم على غير وئام مع اللاتين، وهم يلبسون بشكل بائس جداً، ويخلاء لا يقدمون صدقات، وهم يسكنون بين المسلمين، وفي معظم الأحيان كأنهم خدم لهم، ويرتدون من الملابس مثلما يرتدي المسلمون، ويتميزون عنهم فقط بحزام صوفي.

ومثل هذا نجد أن الاغريق مسيحيين، لكنهم هرطقة منشقين، باستثناء أن عدداً كبيراً منهم قد عادوا إلى طاعة الكنيسة إثر المجمع المسكوني الذي عقده مولانا غريغوري العاشر (مجمع ليون ١٢٧٤)، وفي الكنيسة الاغريقية جميع رجال الدين رهبان، وهم رجال ذوي حياة صارمة جداً وأصحاب فضائل رائعة.

والاغريق أتقياء بشكل كبير ومحترمون في غالب الأحيان رجال الكنيسة لديهم ويبجلونهم، ولقد سمعت واحداً من بطاركتهم يقول بحضوري: «إننا على استعداد لأن نعيش تحت طاعة كنيسة روما، وأن نحترمها، لكنني مندهش إزاء ترتيبنا بالدرجات دون أدنى رجال الدين، مثل رؤساء الأساقفة والأساقفة، فبعض رؤساء الأساقفة والأساقفة يريدون مني وأنا بطريرك، أن أقبل أقدامهم، وأن أكون خادماً لهم، الأمر الذي لأجد نفسي متوجب عليها القيام بذلك، وعلى كل حال أنا على استعداد للقيام بهذا مع البابا، لكن ليس مع أي إنسان آخر».

وهناك أيضاً الأرمن والجورجيين، والنساطرة، والنوبيين، واليعاقبة، والكلدانيين، والميديين، والفرس، والإثيوبيين، والمصريين، وشعوب أخرى كثيرة، كلها مسيحية، ويوجد من هؤلاء أعداد لا تحصى، ولكل

منهم بطريرك خاص بهم يطيعونه، وأعلن رجال الكنيسة لديهم أنهم على استعداد للانضمام إلى كنيسة روما عن طواعية، وبين هؤلاء نال النساطرة، واليعاقبة أسماءهم من خلال بعض الهراطقة، الذين تقدم وكانوا رؤساءهم، فضلاً عن هذا يوجد في الأرض المقدسة المدينيين، الذين يعرفون في هذه الأيام باسم البدو والتركمان، وقد أوقف هؤلاء أنفسهم على رعاية قطعان الماشية والجمال، التي يمتلكون منها أعداداً كبيرة جداً، ولا يمتلك هؤلاء الناس مكاناً دائماً للإقامة، بل حيثما علموا بوجود مراعي يقصدونها وينصبون خيمهم، وهم مقاتلون متفوقون ويحبون الحرب، مع أنهم يستخدمون السيف والرمح في المعركة، ولا يستخدمون النشاب، ويقولون إنها دناءة بلا حدود أن تتزع حياة إنسان بوساطة سهم، وهم شجعان في الحرب، ويرتدون فقط قميصاً أحمر، وفوقه عباءة فضفاضة، ويغطون رؤوسهم بقطع قماش فقط، وسورية كلها مليئة بهم، لكن أكثريتهم يسكنون من حول نهر الأردن، ومن لبنان حتى قفار فاران، لأنه يوجد هناك جبال للأغنام والماعز، وسهول للقطعان وللجمال، والأغنام في هذه المناطق، ولاسيما الكباش كبيرة جداً، ولهم أذنان ذات حجم كبير إلى حد أن ذيل واحد يبلغ من الكبر أنه يحتاج إلى اثنين أو ثلاثة ليستطيعوا أكله.

ومن حول قلعة عرقة، عبر طرابلس، حتى قلعة الحصن، يسكن مسلمون اسمهم الباطنية، ويجاورهم المسلمون الذين يعرفون باسم الحشيشية، الذين يسكنون الجبال القائمة وراء طرطوس على مقربة من قلعة المرقب، وهم يمتلكون عدداً من القلاع والمدن مع أرض خصبة، ويقال إن لديهم أربعين ألف رجل مقاتل، ولديهم مقدم واحد، لايلي منصبه بحق الوراثة، بل بحق الفضائل الشخصية، ويطلق عليه اسم شيخ الجبل، وذلك ليس بسبب سنه، بل بسبب حكمته، ويقال بأن هؤلاء الناس كانوا من أصل فارسي، ولقد مررت خلال جزء من هذه

البلاد، وهم مطيعون إلى درجة الموت، ويقومون ببناء على أوامر مقدمهم بقتل أي إنسان مهما كان، ويقولون إنهم بفعلهم ذلك يحصلون على الجنة، حتى وإن قتلوا، قبل أن ينفذوا أوامرهم، ورغبوا قبل عدة سنوات مضت أن يصبحوا مطيعين لكنيسة روما، ومن أجل هذا المقصد أرسلوا سفيراً إلى عكا، الذي حقق بالمباحثات كل ما رغب به، لكنه قتل، وهو على طريق عودته إلى موطنه، من قبل مرافقيه، وكان ذلك قبل دخوله إلى بلاده، مما سبب خسارة للكنيسة ككل، لأن الآخرين عندما رأوا بأن الصليبيين لا يمكن الوثوق بهم، انسحبوا على الفور وتراجعوا، والحدود بين بلاد هؤلاء القوم وبلاد الصليبيين معلمة ببعض الأحجار، محفور عليها من جهة الصليبيين صلبان، وعلى جهة الحشيشية خناجر، ولم يستطع أي واحد من السلاطين حتى الآن إخضاعهم، بل إنهم اتخذوا لأنفسهم شرائع وعادات يتبعونها كما يرغبون، وهم مرعبون بالنسبة إلى جميع الأقوام من حولهم، بسبب حدتهم المتناهية العظيمة.

ولابد أن نعرف الآن مسألة حقيقية، أن بعض الناس الذين يروى لهم الحديث عما لم يروه قط، قد أعلنوا أن الشرق كله الواقع عبر البحر المتوسط وخلفه، وذلك امتداداً حتى الهند وإثيوبيا يعترفون بالمسيح ويشرون باسمه، وذلك باستثناء المسلمين فقط، وبعض التركمان الذين يسكنون في كبدوكيا، وبناء عليه أعلن بكل تأكيد، حسبما رأيت أنا شخصياً، وسمعت من آخرين يعرفون، إنه يوجد دوماً مسيحيين في كل مكان ومملكة إلى جانب مصر والعربية، حيث يسكن المسلمون والأتباع الآخرون لمحمد (ﷺ) بشكل رئيسي، ولسوف تجد ثلاثين مسيحياً مقابل مسلم واحد، لكن الحقيقة هي أن جميع المسيحيين وراء البحر هم مشاركة من حيث الأمم، وصحيح أنهم مسيحيين، غير أنهم بوضعهم الحالي غير معندين كثيراً على استخدام السلاح، وعندما يهاجمون من

قبل المسلمين، أو الأتراك، أو أي شعب آخر مهما كان، يستسلمون لهم، ويشترى السلام ويدفعون الجزية بكل هدوء، ويعين المسلمون والسادة الآخرون نوابهم عليهم، ويجمعون منهم الضرائب، ولهذا راج بين الناس وقيل بأن ممالكهم عائدة إلى المسلمين، مع أن الحقيقة الواقعية هي أن جميع الناس مسيحيين، باستثناء هؤلاء النواب وجباسة الضرائب وأسرهم، فهذا مارأيتيه بنفسه في كليشيا، وفي أرمينيا الصغرى، اللتان الآن تحت حكم التتار، فلقد عشت مدة ثلاثة أسابيع في قصر ملك أرمينيا وكليشيا، وقد كان في بلاطه عدد ضئيل من التتار لكن بقية حاشيته وأهل بيته من المسيحيين، ويصل عدد هؤلاء حتى قرابة المائتين، فلقد اعتدت على رؤيتهم مراراً في الكنيسة، يستمعون إلى القداسات، ويجثون على ركبهم، ويصلون بتقوى، فضلاً عن هذا، كان كلما رأي واحد منهم ومعى مرافقي كان يبدي نحوي احتراماً عظيماً بنزع قبعته والانحناء باحترام لنا، والتسليم، والقيام باحترام لنا لدى اقترابنا، كما أن كثيراً منهم يخافون عندما يعلمون أنه في البلدان فيما وراء البحار، يسكن النساطرة، واليعاقبة، والموارنة، والجورجيين، وطوائف أخرى نالت تسمياتها من هراطقة أذانتهم الكنيسة، ولهذا السبب من المعتقد أن هؤلاء الناس هم هراطقة، ويتبعون آثام الذين نالوا تسمياتهم منهم، وليس هذا صحيحاً بأي شكل من الأشكال، والرب يحرمه: ذلك أنهم أناس بسطاء، أتقياء في حياتهم، مع أنني لا أنكر وجود حمقى كثير بينهم، رائيماً أنه حتى كنيسة روما نفسها ليست خلوة من الحمقى، ولنعلم أن جميع الشعوب المتقدمة الذكر، وشعوب أخرى كثيرة، يحتاج أمر الكتابة عنهم إلى وقت طويل، لهم رؤساء أساقفة، وأساقفة، ورعاة ديرة، ورجال دين آخرين، مثلما لدينا نحن أنفسنا، ويدعونهم بالأسماء نفسها، وذلك باستثناء النساطرة، الذين يدعى رئيسهم الديني باسم الجاثليق، فهو البابا الخاص بهم، وقد علمت بشكل مؤكد أن سلطان رعويته يمتد عميقاً في الشرق، أكثر من كل أملاك الكنيسة الغربية،

ويدعى بقية رجال الدين لدى هذه الطائفة باسم رؤساء أساقفة، مثلما الحال في تسمية رجال الدين لدينا.

ويطلق على الرئيس الديني للأرمن والجورجيين، اسم الجاثليق، وقد مكثت معه مدة أربعة عشر يوماً، وهو معه عدد كبير من رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورعاة الديرة، ورجال دين آخرين، وبالنسبة لمأكله وملبسه وأسلوب حياته، هو مثالي تماماً، فأنا لم أر قط أي إنسان مثله سواء بين رجال الدين أو العلمانيين، وأعلنت بكل صدق، أن جميع ما يرتديه من ملابس هو بتقديرى لايساوي أكثر من خمسة دراهم، مع أنه يمتلك قلعة حصينة جداً، وموارد مالية عظيمة، وكان ثرياً أكثر مما يحسبه أي إنسان، وكان يرتدي فروة جلد غنم خشنة حمراء، ومهلهلة وقذرة جداً، ولها كمين واسع، وارتدى تحتها قميصاً رمادياً، عتيقاً جداً، وقد اهترأ تقريباً، وارتدى فوق هذا وشاحاً أسود، وعباءة رخيصة خشنة، ولقد رأيت ملك أرمينيا وكليزيا مع نبلائه جالسا بتواضع وباحترام عند قدميه، وغالباً ما اصطحب الملك معه أكبر أبنائه سناً، وكان يستمع بكل تقوى لما كان يتفوه به من كلمات الرب، وقد اعتاد هو وجميع رجال الدين لديه على الصوم جميع أيام الصوم الكبير على الخبز والماء، وهكذا فعل الملك وجميع نبلائه، باستثناء يوم عيد البشارة، فوقتها سمح الجاثليق — بحضورى — لنفسه، بأن يأكل السمك وشرب بعض النبيذ، واستمعت في ذلك اليوم إلى قداس بحضور الجاثليق نفسه، والملك والملكة، وطقوس تقوية إلى أبعد الحدود: وقد ارتدى كهنتهم وأساقفتهم ملابس وأردية مثلنا، وقد استخدموا في قداسهم خبزاً غير خمير (فطير) وأنشدوا في القداس الرسائل، والأنجيل، والمقدمات، والـ Sanctus ، و Pater Noster و Ag-nus Dei ، وذلك بالكلمات نفسها كما نفعل، إنها بلغاتهم وحروفهم، لأنهم يمتلكون لغة خاصة بهم مع أبجدية أيضاً خاصة بهم، والجاثليق

وجميع رجال الدين الآخرين من ذوي المراتب هم رهبان، وفي جميع بلاد الشرق ما من أحد من أي أمة يمكن أن يكون رجل دين له مرتبته ما لم يكن راهباً، وجميع الرهبان يحظون باحترام كبير وتشريف، وليس للقسس والكهنة أية سلطات، وما من أحد يوليهم أدنى تقدير، وليس لديهم من واجبات سوى أداء بعض الخدمات اللاهوتية، فهم ينهبون إلى مرور جميع الساعات الرسمية بالقرع على لوح أو قطعة من الخشب، لأنه لا يوجد لديهم نواقيس، وعندما ترسل إشارة حلول الليل، يمضون إلى الدعوة إلى الصلاة الليلية، ويفعلون ذلك لدى مرورهم بالطرقات، وينهبون الناس إلى ذلك، وبعد انقضاء الصلاة الليلية، لا يذهبون إلى النوم ثانية، بل يجلسون في الكنيسة ويعلمون الناس حتى الفجر، عندما يرتلون القداس الأول، أو حتى الساعة الثالثة، إذا كان اليوم يوم عيد، وليس لديهم سلطات ومسؤوليات غير هذه، باستثناء ما يعهد به إليهم من قبل الراهبات، وجميع الكهنة متزوجون، وما من أحد يسمح له بقيادة قداس أو عمل تعبدي آخر، ما لم يكن متزوجاً، ولا يقيمون قداسات في يوم الاثنين، ولا بعد ذلك حتى يوم الجمعة، ويشمل ذلك أيام الأعياد التي تحل في هذه الأيام مهما كانت عظيمة، ولهم الحرية وقتها بالتحدث مع زوجاتهم، إنما في يومي السبت والأحد فيقيمون قداسات بشكل مهيب، وبعد وفاة زوجة أحد الكهنة، عليه أن يكون قانعاً، وأن لا يتزوج زوجة ثانية، وإذا ما اقترف إثم الفسوق أو الزنا، لا بد له من فقدان كنسته ومنصبه، ولا يمكن تقديم أي تعويض أو غفران لصالحه، وإذا ما اقترفت زوجة الكاهن جريمة الزنا، عليه أن يقنع بذلك، أو أن يفقد منصبه وكنسته، ولا بد أن تفقد زوجته أنفها، وأن يخصى عشيقها، حتى وإن كان رجلاً متزوجاً، وقد نفذ هذا وفعل بحضوره، وعندما يموت أحد الكهنة، على زوجته أن تقنع وتعيش حياة عفة، إنما إذا ما تزوجت ثانية، فينبغي إحراقها وهي حية، لكن إذا ما أصبحت بغية، فما من أذى يمكن أنزاله بها، ولديهم الآن ميثاق

جديد فيما بينهم يقضي بأن يحصل الكاهن — مثل أحد الرسل — على زوجة عذراء، ويتميز الكهنة الأرمن والجورجيين عن العلمانيين بوضع قطعة من الكتان الأبيض يلفونها حول رقابهم وأكتافهم.

وبالنسبة إلى اللصوص الذين يدانون باقتراف سرقات صغيرة، أو باقتراف أعمال شريرة أخرى، أو جرائم أدنى نوعاً، فإنهم يتعرضون للخصي، لكي لا ينجبوا أولاداً يقلدون آباءهم في اقتراف الآثام، وهذا هو السبب بالنسبة لي الذي يعلل وجود هذا العدد الهائل من البغايا هناك، لأنه يوجد عدد كبير من الخصيان، وكلهم يعمل في خدمة سيدات نبيلات، وأعتقد أن ملكة أرمينيا كان لديها أكثر من أربعين خصياً، عندما كنت في قصرها، وما من إنسان يتولى زيارتها إلا بإذن خاص من الملك، ويقوم الملك بتسمية واحداً من الخصيان ويعينه لمرافقته ومراقبته، وهذه هي العادة بالنسبة إلى جميع السيدات النبيلات سواء المتزوجات منهن أو الأرامل.

ولدى جميع الملوك والأمراء والنبلاء رغبة عارمة بالاستماع إلى كلمة الرب، ولهذا اسبب يذهب كل يوم بعض الحكماء أو الرهبان في الساعة الثالثة إلى البلاط، أي بلاط كل ملك أو أمير، ويأتي الأمراء أو السادة مباشرة إليهم شخصياً مع أولادهم والأعيان لديهم، ويتم جلب بعض أسفار الكتابات المقدسة، حيث تقرأ بحضورهم باللغة الدارجة، لأنهم لا يعرفون لغة أخرى، أو يتولى الرهبان شرح النص عليهم، وكلما شعر العلمانيون بوجود شك ما أو يقومون بطرح سؤال، يقوم الرهبان بإيضاح الأمور لهم وتوجيههم وفقاً لكلمات القديسين، وقد سألت هؤلاء الرهبان عن أسماء الشخصيات المرجعية، التي يتبعونها، وقد أجابوني بأن مراجعهم الرئيسية المعتمدة هم: جون خريستوم، وغريغوري الناصري، وسيريل الاسكندري، وكل من رجال الدين والعلمانيين أتقياء جداً في الكنيسة، ولا يفعلون هناك شيئاً سوى الصلاة

أو الانشاد، أو أي شيء آخر عليهم أن يعملوه هناك، ولم أشهد هناك قط إنساناً يضحك أو يتصرف شخصياً بشكل غير لائق في الكنيسة.

ويتم أداء القداس في كنيستهم بشكل تقوي، ويوضع الكأس على الجهة اليسرى من المذبح في مكان أعد خصيصاً له في الجدار، ولدى صلاة التقديم يرفعها الخوري، المرتدي لثياب حريرية ثمينة، بكل احترام فوق رأسه، ويكون هناك معه شماس يحمل مبخرة، كما يكون هناك قندلفتين يحملان الشموع ويسيران أمامه، ويدورون حول خلف المذبح وذلك باتجاه الطرف اليمين منه، ويعد هذا يأخذها الأسقف بكل احترام ويقدمها، وذلك مثلما يفعل الكهنة لدينا، ويقف إثنان بشموع مضاءة خلف الكاهن أثناء قراءة قانون القداس، وإلى جانبها اثنان بمباخر، وهما يرتديان ثوبان كهنوتيان طويلان، ويقف شماسان على طرفي اليمين واليسار للمذبح، ويصليان بتقوى وقد ضم كل منهما يديه واتجه بوجهه نحو جسد المسيح، وهو يغني بصوت شجي وتقي مؤثر ويردد ما يغنيه مع الآخر، وفي الحقيقة إنه لأمر هو الأكثر تقوى وقداسة أن تشاهده وتسمعه.

ولقد رأيت كثيراً من الممارسات العامة الرائجة كثيراً في تلك البلاد، بين العلمانيين، وبين رجال الدين، والرهبان، التي من النادر الأخذ بها أو ممارستها في بلادنا.

ولقد سافرت عبر هذه البلاد كلها حتى كبدوكيا وسلوقيا، وكان ذلك بوساطة البحر، وأبحرت من هناك إلى قبرص، وتجولت عبر الجزء الأعظم من تلك المنطقة، ومن هناك أبحرت إلى سورية، وقدمت إلى صور، وبعد مضي عدة أيام أبحرت من هناك على طول ساحل فلسطين، ومررت بحيفا، وجبل الكرمل، ودورا، وقيسارية فلسطين، وأنتبتر، ويافا، وعكرون، وأشدود، وعسقلان، وغزة، وجميع الصحراء الرملية حتى مصبات نهر النيل، ومن هناك مضيت إلى دمياط، التي كان

– ٤٠٧٣ –

اسمها القديم ممفيس، وهذه هي بلاد جوشن Goshen ، حيث أقام
بنو إسرائيل في القديم، وخدموا الفرعون في عمل الملاط
واللبن [الخروج: ١ / ١٤]، وفي هذه البلاد جرى فيما بعد رجم إرميا.

مبارك هو الرب، والقديس متى، آمين.

— ٤٠٧٥ —

— ٤ —

لودولف فون سوخم
وصف الأرض المقدسة
١٣٥٠م

تمهيد للودولف دي سوخم

ما من شيء كما يبدو هو معروف عن لودولف، زيادة عما يمكن جمعه من كتابه، ففي تكريسه الاهدائي أخبرنا بأن كان قسيساً في أبرشية كنيسة سوخم، في أسقفية بادربورن، لكن أين كانت سوخم، وهل علينا أن نلفظها سودهيم Sudheim ؟ وقد أعلن الدكتور ف. دايك Deycks أنها بالبحري راثل Rathsel ، وكان الدكتور دايك أستاذاً في الأكاديمية الملكية في مونستر Munster ، وهو الذي تولى تحقيق كتاب لودولف في عام ١٨٥١، لصالح النصوص الأدبية لستوتغارد، وعلى هذه الطبعة اعتمدت هذه الترجمة، فضلاً عن هذا تحدث لودولف عن بلدوين فون ستينفورت Steinfurt أسقف بادربورن، الذي شغل منصبه من سنة ١٣٤٠ حتى سنة ١٣٦١، ووصفه بأنه سيده المنعم عليه، وقال في خاتمة مخطوطه بأنه كتب هذا الكتاب صدوراً عن الحب والاحترام اللذان يكتنهما له، ولربما ساعده الأسقف بلدوين على كتابة كتابه، ولعله كان واحداً من السادة النبلاء الذين عاشوا معه أثناء إقامته لمدة خمس سنوات في الأرض المقدسة، فقد كان هناك من سنة ١٣٣٦ حتى سنة ١٣٤١، ولم يعد إلى هناك — كما يخيل لبعضهم — وعاد لودولف إلى الوطن سنة ١٣٤١،

وتعرض مرتين لخطر عظيم وهو في البحر، وأشار في نهاية كتابه إلى مهاجمة اليهود في ألمانيا في سنة ١٣٤٨ — ١٣٤٩، وهذه الحادثة الجديدة، تتماشى مع كتابه على أنه صنف في سنة ١٣٥٠.

ومنهج لودولف يختلف عن منهج الرحالة بورتشارد المتقدم، وهو أقرب إلى منهج فيلكس فابري الذي سباه بالعجائب، فقد ردد أصدقاء بعض الحكايات التي كانت متداولة في الشرق، بين الفرنجة بشكل

خاص، لاسيما ما تعلق بشخصية برسترجون، التي سوف نتعرض لها بتوسع لدى الحديث عن العلاقات المغولية الفرنجية، ومعروف أن حكاية برسترجون قد تفرعت عنها فروع كثيرة بعد ظهور جنكيز خان، ثم بعد قدوم حفيده هولاكو نحو العراق وبلاد الشام.

ومهما يكن من أمر تأتي ترجمة كتاب لودولف في سياق عملنا في ترجمة نصوص جميع الرحلات المتعلقة بالحروب الصليبية، وآثارها المباشرة في القرن الرابع عشر، هذا ومن المقرر أن كتاب لودولف يحوي أفضل الرحلات الغربية في هذا القرن الهام.

لودولف فون سوخم وصف الأرض المقدسة

هنا بداية كتاب لودولف حول الحج إلى الأرض المقدسة

إهداء مع جميع الاحترام الجدير، إلى الأب المبجل، والسيد في المسيح، مولاي المنعم بلدوين أوف ستينفورت، أسقف بادربورن، من لودولف القسيس في الكنيسة الأبرشية في سوخم، في أسقفية بادربورن.

لقد كتب عدد كبير من الرجال بشكل طويل جداً حول بلاد ما وراء البحر، وحول أوضاع وأحوال الأرض المقدسة والمقاطعات الموجودة فيها، وفعلوا ذلك بعد مرورهم بها لمرة واحدة، أما أنا فلقد أقمت في تلك البلدان مدة خمس سنوات دونما انقطاع، كنت خلالها ليلاً ونهاراً بصحبة الملوك، والأمراء، والمقدمين، والنبلاء، والأعيان، وقمت فضلاً عن ذلك بزيارة بلدان ما وراء البحر والسفر خلالها عدة مرات، وصدوراً مني لاحترامكم وتبجيلاً لمحاسن أبوتكم، ولأنكم لم تنسوني، امتلكت رغبة عظيمة لأن أكتب رواية عن أوضاع تلك البلدان، وعن أحوالها، وقراها، وأماكنها الحصينة، ومدنها، وقلاعها، ورجالها، والأخلاق والطباع فيها، وأماكن التعبد، والأماكن العجيبة، ولم أكتف بالكتابة عن بلاد ما وراء البحر، بل عن العجائب التي يراها الذين يعبرون البحار، ومع أنه قد توفرت لدي الرغبة في تنفيذ هذه الرغبة، غير أنني لم أستطع فعل ذلك وإنجازه، لأنني كنت معوقاً بأعمال مختلفة وثقيلة، ومع ذلك بقيت مفكراً بالكتابة، والآن وقد امتلكت الوقت، فقد قررت أن أصف الأوضاع التي رأيت فيها بلدان ما وراء البحر في سنة ١٣٣٦، وكذلك الأوضاع التي تركتها فيها في سنة ١٣٤١، وأن أكتب تاريخاً مختصراً عنها، وبشكل مكثف، وذلك وفقاً لفهمي

المتواضع، ولقدرتي، ولضعف ذاكرتي، وعلى كل حال، يتوجب أن لا يفترض إنسان أنني قد رأيت كل واحد من الأماكن العديدة، والأشياء التي أنوي الكتابة عنها في هذا الكتاب، بل إنني قمت سعيدياً باستخراج بعض المعلومات من كتب التاريخ القديمة، وذلك مع بعض الأشياء التي سمعتها من شفاه أناس صادقين، وبشأن جميع ما كتبه عن أي مكان، أو وجدوه، لقد قررت الاعتماد على حكم القارئ وعلى فهمه، وفي الحقيقة كان من المفروض أن أكتب أكثر، عندما كنت في تلك البلدان وعملت الرأي أن أكتب عنهم بعض الروايات، وعن أوضاعهم الأبرك، هذا وبإمكاني في هذا اليوم كتابة المزيد، ولكنني تجاوزت ذلك بسبب بعض المعارضين التافهين والساخرين، وخشية أن أتحدث عن أي شيء لا يمكن أن يصدقوه، ومن ثم عدّي بسبب ذلك كاذباً، لأن المعارضين التافهين الجاهلين والساخرين الذين لا يستحقون أن يعرفوا شيئاً من الأشياء مطلقاً، كل شيء بالنسبة إليهم هو بعيد عن التصديق، ومن غير المعقول الأخذ به، وبناء عليه إنه بسبب مثل هؤلاء الأشخاص، أرغمت من أجلهم على التخلي عن ذكر جميع الأشياء الجيدة، وكذلك أشياء أخرى كثيرة، لولاهم لقلت بالكتابة عنها، وإيداع ذلك في كتابي.

١ — حول الأرض المقدسة.

إن الأرض المقدسة، هي أرض الميعاد، التي وعد الرب بأن يعطيها إلى إبراهيم وإلى ذريته، وهي المحبوبة من الرب، والممدوحة من الملائكة، والمعبودة من قبل الناس، لأن ربنا يسوع المسيح قد تلمظ في تكريس هذا الشيء نفسه، بدمه الثمين جداً، وأن يشرفها بحضوره في كل من شكل ضعفنا الفاني، وفي الأيام الخوالي — حسبنا نقرأ في التاريخ التوراتي — بمجده الرباني وجلالته، وزيادة على هذا بحضوره إلى هناك لتخليص الجنس البشري، من الإدانة واللعنة الدائمة، ومع هذا

فإن هذه البلاد، قد ضربت من قبل الرب بمختلف أنواع الضربات، وذلك بسبب الذنوب المتنوعة لسكانها، ولم تقتصر الضربات التي تلقاها على ما حدث في أيام المسيحيين، بل كان ذلك منذ أقدم العصور، حيث سُكنت من قبل شعوب مختلفة، وفقدت ثم استردت من قبلهم، وذلك حسبما يمكننا القراءة في كثير من التواريخ وفي الكتاب المقدس، ولقد قام يسوع المسيح، دون مبالاة بألامه الرائعة، بتقويم المسيحيين هناك بواسطة عصا التقويم الأبوي، وبناء عليه، عندما تنتهي ذنوب المسيحيين، وعندما يكون راضياً في إرجاع البلاد وردها إلينا، فإنه سوف يحفظ جميع أماكنها، ومدنها، وقراها، وقلاعها، ومعابدها، كأن نقول: بدون أذى، حتى هذا اليوم، وذلك من أجل إمكانية الدفاع عنها، وسكناها، واستردادها، وإعادة كل ما فيها إلى أوضاعه الأصلية، وذلك على الرغم من أن بعض الأماكن والمعابد قد تعرضت للتشويه والتغيير بشكل مؤلم من قبل المسلمين، لأنه مثلما العين هي أعلى جزء في جسم الإنسان وأكثره لطفاً، ولا يمكنها أن تتحمل وجود جسم غريب فيها، كذلك الأرض المقدسة، هي مثل العين للرب، ولهذا السبب لا يمكنه تحمل ذنوب لا يمكن غفرانها فيها.

وعلى كل من يود السفر إلى الأرض المقدسة المذكورة، أن يكون متنبهاً، حتى لا يسافر إلى هناك من دون إذن من الأب الرسولي، لأنه ما أن يلمس شواطئ بلاد السلطان سيكون عرضة لأن يغدو مشمولاً بقرار البابا، لأنه منذ أن أصبحت الأرض المقدسة في أيدي السلطان كانت، وما زالت محرومة كنسياً، ومثلها جميع الذين يسافرون إلى هناك من دون إذن بابوي، وذلك خشية أن المسلمين لدى أخذهم جزية من المسيحيين، أن يندفعوا نحو الاستخفاف بالكنيسة، ولهذا السبب عندما يتسلم أي مسافر جوازه للسفر إلى هناك من الأب الرسولي، يوجد إلى جانب الأذن الذي منح له، هناك شرط في المرسوم يقضي أنه يتوجب

عليه أن لا يشتري أي شيء أو أن يبيع أي شيء مهما كان في الدنيا، باستثناء الطعام واللباس، والحاجات الجسدية، وإذا ما خالف هذا، عليه أن يعرف أنه انتكس ثانية ووقع تحت عقوبة الحرمان الكنسي، ويمكن لبعض الناس أن يسافروا إلى هناك من دون أذن، من ذلك على سبيل المثال إذا كان المسافر رجل دين أو عضواً في إحدى الطوائف الدينية، أو والدًا، أو والده، أو صديقاً لرجل مريض هناك، أو رجل واقع في الأسر، فوقتها يمكنه السفر إلى هناك بدون أذن، حتى يعمل على فكك أسرهم، كما يحق السفر بدون أذن لأي واحد بعث إلى هناك لصنع سلام، أو للإعداد لاسترداد أي شيء آخر مفيد، وفي عودة إلى موضوعي، إنه يتوجب على أي إنسان يود السفر إلى الأرض المقدسة، أن يذهب إلى هناك إما براً أو بحراً، فإذا أراد السفر براً، فقد سمعت من بعض الذين يعرفون الطريق جيداً، أن أفضل الطرق هو الذي يمر من خلال هنغاريا، فبلغاريا، فمملكة تراقيا، غير أنهم يقولون بأن هذا الطريق طريق متعب جداً، وعلى كل حال إن الذي يمكنه تحمل المشاق والوصول سالماً، سوف يصل بوساطة البر — وليس بوساطة البحر — إلى القسطنطينية، ولسوف أذكر بعض الشيء حول هذه المدينة.

٢ — القسطنطينية.

القسطنطينية فائقة الجمال، ومدينة عظيمة جداً، وقياس محيطها ثمانية أميال، وقد بنيت على شكل مثلث، وأبنيتها في شكلها وهيكلها تشبه أبنية روما، ويمتد جانبان منها على ضفتي ذراع بحري، اسمه ذراع القديس جرجس (البوسفور) في حين يقوم الجانب الثالث على الأرض، والمدينة مزينة بتزيينات متنوعة ومختلفة، وهي قد بنيت من قبل الامبراطور قسطنطين، الذي سهاها القسطنطينية، ويدعوها الاغريق في هذه الأيام باسم بولوس Bolos ويوجد في هذه المدينة كنيسة ذات حجم رائع وجمال فائق، ولاأعتقد أنه يوجد في العالم كنيسة أعظم منها،

لأن سفينة مع جميع أشرعتها ممدودة تستطيع أن تدير نفسها أمامها هناك، وأنا لأجرؤ على الكتابة عن اتساعها بشكل كامل، وهذه الكنيسة مكرسة على شرف القديسة صوفيا وذلك بالاغريقية، ومعنى ذلك باللاتينية «تغير الرب لشكله»، وهي مزينة بكثير من الآثار المهيبة من مختلف الأنواع، من ذلك: المعطف الذي لانظير له، ومسامير ربنا (العائدة للصليب)، والليفة، والقصبات، وهي متوجة بآثار أخرى لمختلف القديسين، ويقف في وسط هذه الكنيسة، عمود كبير من الرخام، عليه تمثال برونزي جيد التذهيب للامبراطور جستنيان على ظهر حصان، وهو مزين بالتاج الامبراطوري، وبالملابس الملكية، ويوجد في يده اليسرى صولجان ذهبي، وفقاً للطريقة الامبراطورية، ويشير إلى الشرق بيميناه، وذلك بمثابة تهديد للعصاة الذين في ذلك المكان، ويوجد في هذه الكنيسة قطعة من العمود الذي جلد المسيح عنده، وعدد لا يحصى من أجساد القديسين، والبابوات الرومان الراقدين هناك، وقد يكون هذا صحيحاً لأنه في أيامي جاء بعض السادة من كاتالونيا إلى هناك، وخدموا امبراطور القسطنطينية مقابل أجر، وعندما غادروا سألوا الامبراطور منحهم قبل كل شيء آثاراً مقدسة، وقد وافق على التماسهم، وفرز عدداً من أجساد القديسين بقدر عددهم، ووقف السادة على بعد، واختار كل منهم جسداً بدوره، وذلك وفقاً لمراتبهم، ونال كل واحد منهم ما استحققه، وكان ذلك جسداً كاملاً لواحد من القديسين، وعادوا جميعاً راضين إلى بلادهم مسرورين، وأنا لا أتجرأ على قول المزيد حول التزيينات الأخرى العائدة لهذه الكنيسة، ويعيش في هذه المدينة امبراطور الاغريق بشكل دائم، والذي كان امبراطوراً في أيامي (أندرونيكوس الثالث) كان قد اتخذ قرية له أخت الدوق هنري أوف برونزوك Brunswick، وبعد وفاتها تزوج من ابنة كونت سافوي، ويسكن في هذه المدينة أيضاً بطريرك الاغريق، الذي يطيعه الاغريق في كل شيء، مثلما يطيع اللاتين البابا، كما أنهم لا يقيمون أدنى تقدير للأب الرسولي،

كما أنهم لا يهتمون بأي من أوامره، باستثناء ما يرضيهم أنفسهم، فمنذ أن انفصل الاغريق عن كنيسة روما من خلال الهرطقة، أقدموا على اختيار هذا البطريرك، وهم يطيعونه مثل إطاعة البابا حتى هذا اليوم، وفي القسطنطينية تباع جميع الأشياء مثل: الخبز، واللحم، والسمك، وما يشبه ذلك بأزهد الأسعار، ذلك أن ما من شيء غالي الثمن فيها سوى النيذ، الذي يجلب إليها من نابولي، ويسكن في هذه المدينة عدد من الشعوب المختلفة، ويوجد هناك أيضاً كثيراً من المناخ البارد، ولهذا السبب يجري تمليح اللحم هناك، الأمر الذي لا يمكن القيام به في أي مكان آخر في آسيا بسبب الحر، وهناك أيضاً أسماك التربوت حيث تصطاد وتجفف، وتصدر من هناك إلى جميع أجزاء آسيا، ويوجد في هذه المدينة أيضاً قصر الامبراطور القديم، الذي فيه بعض الكؤوس الحجرية التي تملأ من قبل نفسها بالماء، ثم تفرغ نفسها مباشرة، ثم تملأ نفسها ومن ثم تصبح فارغة، وبالإضافة إلى هذا هناك كثيراً من اللآلئ الممتازة، بكميات كبيرة، وهي رخيصة جداً، وينبغي أن يعرف القارئ أن امبراطور الاغريق والشعب الاغريقي حكموا فيما مضى جميع آسيا، أي كل من آسيا الصغرى، وآسيا الكبرى، وتملكوها، لكن منذ أن انشقوا عن كنيسة روما بالهرطقة، فقدوا تقريباً جميع هذه المناطق، لأن حكماً قد صدر بحقهم قضى أن كل واحد يأخذ أيًا منهم أسيراً، يمكنه قانونياً أن يبيعه وكأنه من السائمة، وكل لاتيني يمكنه أن يستولي على أرض هناك، يمكنه أن يتمسك بها حتى يعودوا إلى صدر الكنيسة الأم ويتحولوا، ولهذا السبب فقدوا أجزاء واسعة من أراضيهم وممالكهم، وذلك حسبما سأحدثكم فيما بعد.

٣ — الطريق (إلى الأرض المقدسة) برأ، ومملكة الغرب

وفي عودة إلى موضوعي، وتاركاً القسطنطينية، التي يمكن للانسان أن يذهب منها إلى الأرض المقدسة برأ، وذلك إذا كان الترحال من بين

الأترك والتتار آمناً، ولا توجد معيقات أخرى، هذا وعلى المسافر بحراً من القسطنطينية أن يعبر إلى مملكة قبرص، وذلك حسبما سأخبركم فيما بعد، ويقود الطريق الذي أتيت على ذكره، إذا ما اتجه الانسان براً دوماً نحو الشمال، إلى القسطنطينية، ومن القسطنطينية، إذا ما توفر الأمن والتسهيلات، يمكن للانسان أن يسافر براً إلى أي جزء من أجزاء العالم كله، وذلك باتجاه الجنوب، وعلى هذا لن تكون هناك حاجة للذهاب بوساطة البحر.

وبطريقة مماثلة، يمكن للانسان أن يكون قادراً على الذهاب (إلى الأرض المقدسة) من خلال الشمال الأفريقي، والمملكة الغربية، ومملكة غرناطة، غير أن المغاربة لن يسمحوا للمسيحيين بالمرور من ديارهم، مع أن المسلمين الذين يسكنون في إسبانيا وأراغون يرتحلون عبر هذا الطريق عندما يودون زيارة مقامات نبيهم محمد (ﷺ)، لكن المسيحيين لا يمكنهم العبور من خلال هاتين المملكتين، لأن مملكتي المغرب وغرناطة قويتان جداً وغنيتان، وهما مسكونتان من قبل مسلمين لا يكثر ثون بالسلطان، وهم على خلاف دائم مع ملك إسبانيا، ويقدمون العون دائماً إلى ملك المغرب، الذي هو مسلم، والذي تقوم مملكته على حدود إسبانيا، أي على ذلك الجزء من البحر الممتد في مواجهة ملك إسبانيا، وعليك أن تعرف أن مملكة المسلمين على ذلك الطرف من البحر ما تزال قائمة، وهي معروفة باسم مملكة الغرب، وهي فائقة القوة، وقائمة على الحدود الاسبانية، كما تقدم القول، وهي تمتلك عدداً من المدن العظيمة وأماكن حصينة، وبلدات، والذي أعتقد أنه أن ملك الغرب أكثر قوة من السلطان، لأنه إذا ما توفرت حاجة، يمكنه أن يحشد في نصف ساعة أكثر من مائة ألف رجل مسلح قوي، وهو الذي تصارع وما يزال يتصارع حتى هذا اليوم مع ملوك إسبانيا وكاستيل، كما غالباً سمعت وعرفت، ومثل هذا في جميع مدن أراغون وبلداتها

مسلمون ساكنون فيها، وفي كل واحدة من المدن والبلدات يمتلك الملك قلعة عالية مشحونة بالجنود الذين يقعون متيقظين، حتى لا يقوم المسلمون بإثارة أي مشكلة أو القيام بعمل مضر، وعندما يرغب حاكم أية بلدة في إرغام المسلمين على تنفيذ أي عمل، يعطيهم خنازير لإطعامهم وسوقهم إلى المرعى، وهو أمر محرم في شريعتهم، وبهذه الوسيلة وبوسائل أخرى كان يرغم المسلمين على تنفيذ أوامره.

٤ — بلاد ساحل الجزائر وباجة

بلاد ساحل الجزائر هي بلاد معظمها رمال وصحراء، والذين يسكنون فيها هم أثيوبيون سود، ويوجد على مقربة من بلاد ساحل الجزائر بلاد أخرى صغيرة، ليست أكثر من ستة أميال (ألمانية؟) من حيث الاتساع، اسمها باجة، حيث يجري تربية القردة وامساكها، وجميع السكان هناك لهم وجوه مثل وجوه القردة، ويشمل ذلك كل من النساء والرجال، وهم يحتفظون بالقردة في بيوتهم، مثلما يفعل الذين هم من هذه المناطق باحتفاظهم بالكلاب والطيور، ويبتجون من هذه القردة، قردة صغار، يتولون بيعها، وبثمنها ينفقون على عيشهم، ولهذا السبب يقومون بخصي صغار القردة حتى لا يجري تربيتها في مكان آخر، ومع هذا فإنني غالباً ما رأيت قردة صغار في مناطق مختلفة، وينبغي أن نعرف أن البحر المتوسط يتدفق إلى المحيط، فيما بين إسبانيا والمغرب، ويأتي تدفقه خلال مضيق لا يتجاوز عرضه ربع ميل (الزقاق)، ولضيقة تقف على ضفته هنا امرأة مسيحية، وتقف على الضفة المقابلة امرأة كافرة، تقومان بغسل ملابسهما، وتتشامان وتتخاصم إحداهن مع الأخرى، ويطلق على هذا المضيق البحري من قبل السكان المحليين اسم مضيق جبل طارق، أو مضيق المغرب.

وبعد ما يعبر الإنسان هذا المضيق الصغير يمكنه الذهاب إلى جميع أنحاء الدنيا، براً، باتجاه الجنوب، وكما قلنا من قبل لا توجد معيقات على

هذا الطريق، وبعبور هذا المضيق البحري يقدم كل من ملكي الغرب، وغرناطة لتقديم المساعدة إلى ملك الغرب، لأنها يعبرانه بكل سهولة، ومثلما يصب البحر المتوسط في المحيط من خلال هذا المضيق القائم فيما بين إسبانيا والمغرب، يقوم هذا المتوسط بالطريقة نفسها فيصب في بحر بنطش، قرب أسوار القسطنطينية، وذلك من خلال مضيق اسمه ذراع القديس جورج (البوسفور)، الذي بالعرض نفسه، مثل المضيق المتقدم الذكر، وينبغي أن يكون معلوماً، أنه لا توجد أية مناطق جافة من الأرض في بحر بنطش ولا أحد يعرف بوجود مثل ذلك، إلا باستثناء جزيرة واحدة اسمها خيرسون Cherson ، إليها نُفي البابا القديس كليمنت، وقد أُغرق بالبحر نفسه، ولقد قرأنا أنه يوجد في هذا البحر هيكل رخامي يفتح إليه عمر في يوم عيده، لكن في هذه الأيام لا يفتح، إنما في الأيام الغواير كان كذلك، ذلك أن جسد القديس كليمنت راقد في روما، والجزيرة مهجورة، وعلى كل حال يجري منها تصدير أجمل الرخام وأفخره، [وهناك بحر آخر باتجاه الشرق وراء مدينة مدينة غارا Gara ، التي هي بأيدي تثار بلاد الكومان، واسم هذا البحر «بحر الخزر»، وهذا البحر غير متصل بكل من المحيط، أو البحر المتوسط، أو بحر بنطش بوساطة أي مضيق مرئي، ويقول بعضهم بأنه متصل بالبحرين الآخرين، ويفصل ذراع القديس جورج الذي تحدثت عنه أوربا عن آسية الصغرى، التي هي مقاطعة من آسيا العظمى، وغالباً ما يطلق على هذا المضيق اسم فم القسطنطينية، لأنه هناك على الشاطئ الأوربي، تقوم مدينة القسطنطينية الجلييلة، التي تعرف أيضاً باسم روما الجديدة، كما تقدم القول].

٥ — البحر المتوسط

البحر المتوسط هو البحر الذي يبحر الانسان عبره إلى الأرض المقدسة، ويطلق عليه اسم البحر المتوسط لأنه يمتد نحو شرقي آسيا،

حيث يشكل حدودها، وأيضاً إلى غرب وشمالى أوربا، وإلى الجنوب الأفريقي، حيث تنفصل بلدانهم عن بعضها بوساطة مضائقه، ولقد سمعت بأن أفريقيا وأوربا تنفصلان عن بعضهما بوساطة نهر اسمه اندا Inda ، الذي فيه أغرق الأربعين شهيداً، ويمر هذا النهر نفسه بمدينة اسمها بتريس Biterris وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها قائمة فيما بين برين، والمعني بذلك: أفريقيا، وأوربا، ويطلق على أسقفها اسم أسقف بتريس، ولقد قام الفلاسفة الرومان الذين قسموا العالم ووزعوه بين الرومان، ببناء هذه المدينة منذ أيام خلت، وذلك في أيام هانيبال، وقاموا أيضاً ببناء مدينة أخرى إلى جانبها اسمها نربونة، ويطلق على أسقفها اسم أسقف نربونة، وكثيراً ما زرت تلك البلاد، ولكن دعونا نعود إلى موضوعي، حيث عليك أن تعرف بأن البحر المتوسط تتحرك مياهه نحو الداخل والخارج، وذلك حسبما سمعت، وفيه مد وجزر، وبلا شك هو لا يعرف الاستقرار، كما هو واضح بالرؤية، فيما بين كاليرا (قلورية) وصقلية، ففيها بينهما يتدفق البحر بشدة بلغت حداً، أن ما من بحار يجرؤ على الابحار هناك من دون مرشد مختص، ومثلما يمكن رؤية مثل هذا بوضوح في أماكن أخرى كثيرة، وينبغي أن نعرف أن البحر المتوسط ليس له العرض نفسه في جميع الأجزاء، بل هو في بعض المواضع أعرض وفي بعضها أضيق من أماكن أخرى، وأعرض مكان فيه من الغرب إلى الشرق هو الممتد من اسبانيا إلى غاليشيا، وقطلونيا وجزئياً إلى بروفانس، وأضيق مكان فيه من الغرب إلى الشرق هو الممتد من كاليرا، وأبوليا، ونابولي، والبندقية، وأحواز هذه الأماكن.

٦ — مخاطر البحر المتنوعة

وهكذا يتوجب على الذي يود السفر إلى الأرض المقدسة بحراً أن يركب سفينة من أية منطقة أو مدينة، أو ميناء، يقع اختياره عليه، وأنا أدع هذه المسألة إلى حرية اختياره، أما بالنسبة إلى الطعام، فليأخذ معه

بقدر ما يستطيع، أو بقدر ما لديه، وعلى العموم اعتاد الناس الذين يبحرون من الغرب إلى الشرق على التزود بأطعمة تكفي لمدة خمسين يوماً، على أنهم عندما يبحرون من الشرق إلى الغرب قد اعتادوا على التزود بأطعمة تكفي لمدة مائة يوم، لأن السفينة تطير وهي قادمة من الغرب إلى الشرق بريح طيبة، حيث أنها تقطع في الليل مسافات أكبر منها في النهار، حيث أنها تقطع مسافة خمسة عشر ميلاً في كل ساعة من اليوم، وسبب هذا أن البلاد الغربية باردة جداً، وكثيرة الرياح، وفي المقابل فإن البلاد الشرقية حارة جداً، وهي جميعاً بلا رياح، وبناء عليه يبحر الانسان ببطء أكثر على سطح البحر عندما يكون عائداً، منه عندما يكون ذاهباً إلى هناك، وخاصة أن السفن الكبيرة الذاهبة من الغرب إلى الشرق اعتادت على العودة في شهري أيلول وتشيرين أول، وتبدأ الغلايين والمراكب من هذا النوع بالاقلاع من هناك شروعاً من شهر آب، عندما يكون البحر هادئاً، لأن ما من مركب يمكنه أن يعبر البحر في تشيرين الثاني، وكانون الأول، وكانون الثاني، بسبب العواصف، وعلى كل حال ما من مركب يستطيع — إلا بالنادر — العودة من دون تعب، ورعب، وخوف، وانزعاج، وحول هذا أنا متأكد وعارف تماماً، لأنني عشت مراراً ورأيت نفسي وسط العواصف العنيفة في البحر، وهي عواصف يصعب وصفها كلياً لأن ما من إنسان يمكنه أن يصف ذلك تماماً، كما أن ما من إنسان يمكنه أن يصدق بوجود مثل هذه العواصف الشديدة جداً في البحر، وفي الحقيقة إنني أعرف أن ذلك صحيحاً، لأن ما من صخرة أو رمل في قاع البحر إلا ويتحرك، إذا كان قابلاً للتحرك، وذلك عندما يثور البحر ويتقاذف هكذا، وقد تبرهن على صحة هذا الأمر بين الجزر، حيث يكون البحر ضيقاً، وحيث يكون هنالك عدداً هائلاً من الصخور يجري قذفها من شاطئ إلى شاطئ أثناء العواصف، وحدث في إحدى المرات أن رجلاً كان مسافراً قرب الساحل الأرمني بوساطة غليون، فثارت فجأة عاصفة في الليل، بسببها

جرى فقدان ثلاثة رجال، ووجدوا في الصباح أن الغليون كان مغطى برممل سماكته أكثر من ذراع، مما رماه البحر أثناء هياجه، وفيما يخص برعب البحر ومخاوفه التي تنشأ من أسباب متنوعة، رأيت من المفيد الحديث بعض الشيء حولهم.

٧ — الخطر الذي اسمه غولف Gulph

وتصدر المخاوف أولاً عن الرياح الطبيعية، وذلك كما سلف القول، ومثل ذلك عن الرياح الشديدة جداً، التي يطلق البحارة عليها في البحر اسم «غولف»، وهي التي تسير من الفجوات في الجبال، وهي لا تؤذي السفن مالم تكن قريبة جداً، ففي سنة ١٣٤١ لتجسيد ربنا، وفي ليلة أحد، حيث كان يجري غناء Laetare Jerusalem (الأحد الرابع من الصوم الكبير)، وكنا وقتها مبحرين من الشرق، وكان لدينا ريح شرقية جيدة جداً، وبناء عليه انطلقت السفينة بأشرعة ستة منشورة، تطير طوال الليل، لكن حدث عند الصباح المبكر، وكنا مبحرين نحو جبال أضايا، وكان البحارة جميعاً نيام، أن قذف هذا الغولف نفسه السفينة مع أشرعتها وضربها بعنف على جانبها، ودفعها نحو البحر، بحيث أن جميع الأشرعة تبللت، وسارت السفينة مائلة على طرفها إلى مسافة طويلة، ولو أن السفينة دفعت أكثر وجنحت على طرفها، لغرقنا جميعاً، وقطعنا على كل حال جميع الجبال، وربطنا جميع الأشرعة، حتى وازنت السفينة نفسها بعض الشيء، وهكذا نجونا بفضل نعمة الرب من ذلك الخطر العظيم.

٨ — الخطر الذي اسمه غروب Grup

وهناك أيضاً مخاطر أخرى في البحر، تصدر عن رياح غير طبيعية، ويطلق عليها البحارة اسم «غروب»، وهي تنشأ عن التقاء ريحين، وبسهولة يراها الرحالة قادمة، هذا ولقد ارتعبت كثيراً منها حتى بعد

انتهاء رحلتي، فضلاً عن هذا هناك مخاوف أخرى في البحر، من القرصان أو لصوص البحر، الذين يهاجمون واحدة من السفن مثلما يهاجم المقاتلون قلعة من القلاع، لكن هذا الرعب تناقص كثيراً منذ أن اختارت مدينة جنوا لنفسها دوجاً.

٩ — الرعب من الأماكن القليلة العمق

وهناك أيضاً مخاوف أخرى في البحر، يدعوها البحارة باسم الأماكن الضحلة، وبالنسبة لهذا الموضوع عليك أن تعلم أن البحر ليس بالعمق نفسه في كل مكان منه، لأنه يوجد في البحر جبال، وصخور، ونباتات، وحشائش خضراء مثلما هو موجود على اليابسة، وهذه الجبال والصخور هي عالية في بعض الأماكن، ومنخفضة في أماكن أخرى، ففي بعض الأماكن نادراً ما تكون الصخور والجبال مغطاة بشبر أو ذراع من الماء، ولهذا السبب ما من أحد يتجرأ على الابحار جنوباً باتجاه بلاد البربر، لوجود صخور كثيرة، وأماكن ضحلة قليلة العمق مغطاة بالماء، وهذه المخاطر مرعبة بشكل كبير في البحر، لأنه في مثل هذه الأوقات يتم العثور على كتل من أنواع النباتات مرمية على الشاطئ، وكذلك بعض المرجان، مما تقرص فروعه عندما تقذف من قاع البحر، لكنها تصقل بعد ذلك من قبل معلمي الحرف، والمرجان في البداية هو أبيض ويقرص، لكن جاذبية الشمس وأشعتها على قعر البحر، حيث ينمو، تجعله أحمر، والمرجان ينمو على شكل نبتة صغيرة لها ثمرة واحدة عالية، وعندما يجري رمي المرجان هكذا بكميات كبيرة وقذفهم من البحر، يقوم الناس بجمعهم وبيعهم وهم ما يزالون يقرصون، ولقد رأيت في أحد البيوت من المرجان أكثر مما يستطيع خمسين حصاناً حمله، ولا أتجرأ أن أقول المزيد.

١٠ — المخاوف من السمك

ومثل هذا يوجد في البحر مخاوف أخرى، نادراً ما تقع إلا للسفن الصغيرة، والمعني بهذا المخاوف من الأسماك الكبار، وحول هذه الأسماك عليك أن تعرف سمكة خاصة يدعوها الاغريق باسم ترويا Troya البحر، ومعنى هذا الاسم أفعى البحر، وهي ينبغي أن تخاف كثيراً من قبل المراكب الصغيرة، لأن هذه نادراً — أو مطلقاً — ما تسبب أي أذى للسفن الكبيرة، ما لم يكن مضغوط عليها بسبب الجوع، وفي الحقيقة إذا ما أعطاهما البحارة خبزاً تفارق وهي راضية، لكنها إذا لم تفارق، فوقتها يمكن أن تكون مخيفة، ومن الممكن جعلها تهرب برؤية إنسان غاضب وله وجه متجهم، وعلى كل حال على الانسان أن يكون على درجة عالية من الحذر، عندما ينظر إلى السمكة هكذا، وأن لا يكون خائفاً منها، بل عليه أن يحدق بها بوجه جريء ومظهر مرعب، لأن السمكة إذا ما رأت الانسان خائفاً فإنها لن تفارق، بل تقوم بعض السفينة وتمزيقها بقدر ما تستطيع، وعلى كل حال، إذا ما نظر الانسان بجراًة، وبتوحش نحو السمكة مع ملامح وجه غاضب، فإن السمكة تشعر بالرعب وتتغادر وتبتعد عن السفينة، ولقد حدثني بحار متميز جداً، أنه عندما كان شاباً، واجه الرعب مع هذه السمكة في مركب صغير، وكان معه في السفينة شاب اعتقد بنفسه أنه فائق الشجاعة وحاد، وبناء عليه عندما قابل السمكة لم يعطها خبزاً، بسبب الشجاعة التي اعتقد أنه يمتلكها، وأنزل نفسه بوساطة حبل من السفينة إلى الماء، ليحدق بالسمكة بوجه غاضب، كما هي العادة، غير أنه عندما رأى السمكة ارتعب على الفور وصرخ لرفاقه ليسحبوه ويرفعوه بوساطة الحبل، ولدى رؤية السمكة الرجل الخائف، قفزت من الماء وهو يسحب نحو الأعلى، وبعضة واحدة التهمت نصف الرجل من أمعائه نحو الأسفل، ومن ثم ابتعدت عن السفينة، ومع هذا قد قيل بأن هذه

السمكة ليست طويلة بقدر ما يستطيع أن يرمي إنسان حجرة، كما أنها ليست عريضة لكن رأسها ضخم جداً وعريض، وكل الأذى الذي تلحقه بالسفن تلحقه بعضها ويتمزيقها.

وسمعت أيضاً من بحار آخر صادق جداً، كان يعرف جميع ممرات البحر تقريباً، وهو أيضاً كان قد تعرض إلى عدد لا يحصى من المخاوف المرعبة، من مختلف الأنواع في البحر، وقد أخبرني هذا الرجل نفسه أنه قد أرغم بوساطة ريح معاكسة، على الابحار في أماكن كان الابحار فيها مرعب جداً، وذلك بسبب الصخور، وقرب قاع الأرض التي كانت بالكاد مغطاة بالماء، وعندما لم يكن بعيداً عن مثل هذه الأماكن، لم يكن قادراً على إيجاد قعر عميق على بعد عشرة آلاف ذراع، وعندما كانت السفينة مبحرة في هذه الأماكن مع أعظم قدر ممكن من الخوف والخطر، حدث أن السفينة مرت على سمكة اسمها عند الفرنسيين Melar، كانت مختبئة بين الصخور هناك، وعندما شعرت السمكة أن السفينة مقبلة نحوها، تصورت أنها وحش عظيم من الممكن ابتلاعه، وفتحت فمها، وأعطت السفينة عضّة كبيرة جداً، ومع أن السفينة كانت محملة كثيراً، فقد دفعت إلى الخلف مسافة كبيرة. واستفاق الناس، الذين كانوا على ظهرها بسبب تلك العضّة والصدمة، وعندما أدرك البحار أن السفينة اصطدمت بعقبة لا يمكن تجاوزها، صرخ إلى الناس الذين كانوا في السفينة ليصلوا إلى الرب من أجل أرواحهم، وكان قد اعتقد بأنه لم يكن هناك أمل ببقائهم أحياء، حيث كان موقناً بأن السفينة لا بد أنها اصطدمت بصخرة عظيمة، وعلى الفور نزل البحارة والخدم التابعين للسفينة إلى قبوها، راغبين في أن يروا المكان الذي خرقت فيه السفينة، فوجدوا أن سن سمكة سميك عريض مثل جذع شجرة، وطوله ثلاثة أذرع قد خرق السفينة، وقد حاولوا أن ينتزعوا ذلك الجزء من السن بأدوات معدنية، فلم يستطيعوا، فقاموا بقطعه بالمنشار على سوية طرف

السفينة، وليس هنالك من شك أن السفينة كانت ستتخطم لولا أن هذا السن كان حاداً إلى درجة مكنته من خرقها بذلك الشكل المدهش، وفي الوقت الذي أتأمل فيه حول طول وعرض مثل هذه السمكة، أخبرني البحار نفسه بأن لا أندھش، لأن في البحر سمكة طولها ميل، وعرضها أربعة آلاف وستمائة ميل (ذراع؟) وذلك في أضيق مكان فيها، وهناك أيضاً في بركة صغيرة لا يتجاوز عرضها رمية سهم توجد سمكة طولها ذراع، وهي غالباً ما تصاد، ولقد رأيت ثلاث سمكات من هذا النوع خارج سردينيا، وكانوا يندفعون خارج الماء أثناء تنفسهم إلى مسافة بعيدة، أكثر مما يستطيع قوس أن يرمي نشابته، وكانوا يصدرون صراخاً مثل الرعد، فضلاً عن هذا، في أيامي، عندما كنت قريباً من جزيرة طرطوس، كانت هناك سمكة، حينما أخذت بالاصطدام بسمكات أصغر رمت بنفسها على اليابسة، وسأقت أمامها موجة عظيمة من الماء، وعندما عادت المياه إلى البحر، بقيت السمكة على اليابسة، وأطعمت جميع السكان هناك في تلك المناطق بلحمها ودهنها، لكن ليس بعد أمد طويل، عندما ازدادت درجة حرارة الشمس، تسممت المنطقة كلها بتتن السمكة عندما تعفنت، ولمدة طويلة كان من الممكن رؤية الهيكل العظمي للسمكة عن بعد، مثل بيت كبير، وأطراف منه تحركها الرياح، وبعد بعض الوقت تحطم هذا الهيكل ونقلته العواصف والزوابع نحو الأسفل ولقد سمعت من كثير من الناس من أهل المعرفة أنه يوجد في البحر حوت طويل جداً.

١١ - أنواع الأسماك

ومثل هذا يوجد في البحر كثير من أنواع السمك، من مختلف الأشكال، من الكبير والصغير، بعضها لها ألوان واحدة، ومظهر، وشكل، وترتيب، وبعضها بأجنحة، وبعضها بلا أجنحة، ولا يمكن فهم طبيعة هؤلاء جميعاً من قبل العقل البشري، وبين هذه الأنواع جميعاً

هناك أنواع بالفعل مذهشة جداً، يرفعن أنفسهن مسافة طويلة جداً خارج الماء، ويمكن لبعضهن أن يجرين طائرات على مستوى وجه الماء لمسافات طويلة مثل الخفاشات، لكنني لست متأكداً كم يستطعن أن يطرن، وإلى أية مسافة.

ولقد سألت بإلحاح البحارة العارفين: من أين تأتي هذه الأسماك؟ وقد أجابوني أنه ينمو على شاطئ البحر في إنكلترا وإيرلندا أشجار جميلة جداً تحمل فاكهة تشبه التفاح، ويعيش في هذه التفاحات حشرات، وعندما تنضج التفاحات، يسقطن على الأرض، فيتحطمن بعملية السقوط هذه، وتطير من داخلها حشرات، لأن لها أجنحة مثل النحل، والحشرات اللائي يلمسن الأرض أولاً يغدون مخلوقات هوائية، ويطرن هنا وهناك مع الطيور السماوية الأخرى، لكن ما أن تلمس هذه المخلوقات الماء حتى يتحولن إلى مخلوقات مائية ويسبحن مثل الأسماك، غير أنهن يجلن في أماكن أخرى ويدربن أنفسهن على الطيران، لكن يبقى هل يخلقن هكذا على الأشجار، إنني لأعرف أكثر مما سمعته في هذه الحكاية، إنما هن يؤكلن مثل الأسماك، ويرون وهن طائرات من قبل الناس الذين يرتحلون في البحر.

١٢ — هجرة الطيور

وعليك أن تعرف أنه في موسم محدد، تقوم أعداد عظيمة من الطيور من جميع الأنواع، من كبير وصغير، بالارتحال عبر البحر من الغرب إلى الشرق، وتعود ثانية، وبشكل خاص طيور: السنونو، والسلوى والغرنوق، وأعداد لا تحصى من الطيور من جميع الأنواع والألوان، سواء ما كان منها كبيراً أو صغيراً، الله وحده يعرف أسماءها وأعدادها، وهم يطرون على طريقهم من جزيرة إلى جزيرة، ويصبحوا ليسوا أكثر من عظم وريش، ويبلغ بهم حد الانهاك إلى عدم الاهتمام بالحجارة والنشاب، وقد أمسكت بعضاً من طيور السنونو ... على ظهر السفينة،

لكن سرعان ما ماتوا، ومع هذا إنني لم أر مطلقاً في جميع المناطق التي كنت فيها فيما وراء البحار طائر اللقلق، لكن رأيت مرة في دير للموارنة لقلقاً، عدده مدهشاً في حجمه، ولقد سُئلت دوماً عما إذا كانت طيور السنونو تقضي الشتاء في بلادي، فأجبت: لا، إنما بالنسبة لبلادي، تأتي هذه الطيور إليها في آذار، إنما وهذه الطيور هناك ما من أحد يعرف من أين جاءت، وقد حدث في مرة من المرات، أنه في واحد من قصور أحد السادة الكبار، كان الحاجب نائماً فوق منضدة عندما جاء اثنان من طيور السنونو، وهما يتخاصمان حول عش، ووصلا في التخاصم إلى حد أنهما أخذتا بعض بعضهما بعضاً، وهكذا سقط كلاهما على وجهه وهو نائم، فأمسك بهما بشدة، ثم وضع حول كل واحد منهما طوقاً، وقد كانا يأتيان في كل سنة ويعودان إلى عشهما مع هذين الطوقين نفسيهما، وبإمكاني أن أروي حكايات طويلة جداً حول أنواع أخرى من الطيور، من الصغير والكبير، ممن يقوم بعبور البحر في أوقاتهم الخاصة، إنما لا بد لي من العودة إلى موضوعي، وأن لا أكتب المزيد حول مثل هذه المسائل.

١٣ — الرحلة عبر البحر — طروادة والجزر

وعلى هذا كل من يود زيارة الأرض المقدسة، أو أي مكان من بلاد ما وراء البحار، لا بد له من السفر إلى هناك بسفينة أو بغليون، وإذا ما سافر في سفينة، فإنه وقتها يجوز مباشرة عبر البحر، دون أن يتوقف في أي ميناء مالم يكن مرغماً على فعل ذلك، بسبب رياح مضادة، أو طلباً للأطعمة، أو وجود قضية ضرورية جداً، وهكذا فإنه يخلف بلاد الجزائر على يمينه باتجاه الجنوب، ويترك بلاد الاغريق على يساره باتجاه الشمال، ويحصل على مشهد عن بعد لكثير من الجزر الشهيرة من ذلك: كورسيكا، وسردينيا، وصقلية، ومالطة، وغوي Goy ، وسكارب Scarpe، وكريت ورودس، وجزر أخرى كثيرة، صغيرة وكبيرة، لكنه إذا ما أراد العبور في غليون، عليك أن تعرف أن الغليون هو نوع

من المراكب المستطيلة، التي ترتحل من شاطئ إلى آخر، وتبقى مبحرة على مقربة من الشاطئ، وتتوقف في مرسى على الشاطئ في الليل، ولها ستين مقعداً على كل جانب، ولكل مقعد ثلاثة من البحارة معهم ثلاثة مجاذيف، ورامي قوس واحد، وعلى ظهر الغليون يجري دوماً أكل أطعمة جديدة، وهذا أمر لا يمكن القيام به على ظهر السفينة، وعندما يكون الغليون على هذه الصورة على محاذاة الشاطئ، يمكن للانسان أن يرى ما لا يحصى من الأماكن الفاتحة الجمال، والمدن، والبلدات، والقلاع، وخاصة تلك الأماكن كلها التي يمكن رؤيتها من السفينة عن بعد، فهي الآن تشاهد من خلال الغليون عن قرب، وهي تمر أمام العين دقيقة دقيقة، وعلى هذا، من الممكن القول تقريباً، أنه في الغليون من الممكن رؤية شواطئ ما حول الجزء الشمالي من العالم، وذلك كما سئرى فيما بعد، وأما والانسان مسافر هكذا في غليون من مكان إلى مكان آخر، ومن ميناء إلى ميناء آخر، يمكنه الوصول الى القسطنطينية التي كنت قد حدثتكم عنها، وبعد مغادرة تلك المدينة، يصل الانسان وهو نازل على محاذاة ساحل آسيا الصغرى إلى المكان الذي قامت فيه فيما مضى مدينة طروادة الجليلة جداً، والتي لم يبق منها أثر يمكن رؤيته، اللهم إلا باستثناء بعض الأساسات تحت ماء البحر، وكذلك في بعض الأماكن بعض الحجارة القليلة وبعض الأعمدة الرخامية المدفونة في الأرض، التي عندما يعثر عليها يجري نقلها وأخذها إلى أماكن أخرى، وفي هذا المقام عليك أن تعرف، أنه لا يوجد في البندقية عمود حجري أو أي حجرة جيدة القطع والصنعة لم تكن قد جلبت إليها من طروادة، هذا وقد بني إلى جانب المكان الذي قامت فيه طروادة فيما مضى مدينة صغيرة، اسمها أيوس ياموس Ayos Yamos، وذلك باللغة الاغريقية، وكانت مدينة طروادة قائمة على شاطئ البحر في منطقة اسمها فريجييا، وهي ليست بعيدة عن خلقدونية، لكن كما يبدو لم تملك ميناء جيداً، وعندما يسافر الانسان في غليون من طروادة يرى شواطئ

لومبارديا، وشمبانيا، وكليرا، وأبوليا، ويصل الانسان إلى جزيرة اسمها كورسيكا، وحدث أنه قرب هذه الجزيرة جرى اغراق سفينة القديس بولس الرسول، وذلك بعدما قدم التماساً إلى قيصر، بعد ما جرى اعتقاله في اليهودية، وهناك أيضاً، حدث في المساء، عندما كان جالساً أمام النار في النزل جرى قرصه من قبل أفعى خبيثة، ونجا دون أن يصاب بأذى، وذلك كما نقرأ في أعمال الرسل، ومازال يسكن في تلك الجزيرة أناس يتفاخرون بأنهم من أسرة صاحب النزل، الذي نزل في نزله ما نزل من هذه الأشياء بالقديس بولس، وهؤلاء الناس قد منحوا القدرة على الشفاء ببصاقهم أي واحد جرى قرصه من قبل أفعى أو صلل، وعندما يريدون ممارسة هذه القدرة مع أي انسان، يأخذون أولاً كاساً مليئاً من الخمرة، ويشربون منها أولاً ثم يضعون فيها كمية من البصاق، وإذا ما كان الذي أعطيت الكأس له قد رفضتها نفسه وأصيب بالغثيان، يمزجون تربة مع الخمرة، ويعطونها إلى المحتاج إليها، حيث يتلقى هذه القدرة، أو النعمة وهو يقول: «خذ يا هذا القدرة والنعمة التي أضفيت علينا من قبل الرب وعلى أولادنا، تشريفاً لبولس الرسول، الأمر الذي نمنحك إياه ونضيفه عليك باسمه، حتى يكون بمقدورك إذا ما قرصت من قبل أفعى أو صلل، أو من قبل أي من الهوام السامة والمؤذية، أن تشفي نفسك ببصاقتك، وتعالجها، إنما دون أن تعالج شخصاً آخر، ونقوم بمنحك هذا من دون أخذ أية مكافأة مقابل ذلك، ونحن نعطيك ذلك من أجل الرب، باسم الآب والابن وروح القدس، آمين»، وإذا ما قام أي انسان بمعالجة انسان آخر إلى جانب نفسه يفقد على الفور قدرته، إنما في الوقت نفسه تفيد الذي تولى معالجته، ويبحر الانسان من جزيرة كورسيكا هذه إلى سردينية، وهي جزيرة جلييلة جداً، ذات تربة جيدة وخصبة، مليئة بالقطعان، والسائمة، لكنها من دون خمرة، حيث تجلب إليها من أماكن أخرى، ومن المقرر أن جسد القديس اوغسطين يرقد في هذه الجزيرة، لكن (لوتبراند Luitprand) نقله

(في سنة ٧٢٥) إلى بافيا Pavia ، وقد ولد في هذه الجزيرة أيضاً القديس مكاريوس الذي كان بارزاً جداً بين النساك، وكانت هذه الجزيرة تابعة للبيازنة، لكن ملك أراغون انتزعها منهم بالقوة، وهي لا تحتوي على كثير من المدن، بل فيها مدينة واحدة اسمها قلعة دي كال Cal، وإلى جانب هذه المدينة قلعة اسمها بوناير Bonayr، وكنا في يوم الصعود من سنة ١٣٤١، قد دفعنا بقوة نحو هذه الجزيرة، وذلك من قبل ربح عاصفة شديدة وقاسية ثارت بشكل مفاجيء، وكنا وقتها في سفينة كبيرة جداً، وإثر هذا اقتضى منا الأمر خمسة عشر يوماً حتى عوضنا المسافة التي كنا قد سرناها قبل العاصفة منذ الساعة السادسة حتى وقت العشاء، ولايتذكر الشيوخ في أيامنا هذه عاصفة مثل هذه العاصفة العظيمة في البحر، وفي الليلة التي دفعنا فيها إلى هناك، وجد ثلاث وأربعون سفينة أخرى كبيرة قد تجمعت هناك، وكانت مثلنا أنفسنا، قد دفعت إلى هناك من مختلف أطراف البحر، وذلك مع عدد لا يحصى من المراكب الأخرى، من الأحجام الصغيرة والكبيرة، وبعضها كان قد رمى بحمولته، وبعضها الآخر كان قد تحطم، وبين تلك السفن جميعاً جاءت أعظم سفينة في العالم من نابل، وكانت محملة بألف برميل من الخمر، وذلك من ذوات الحجم الأكبر من نوعه، مع أكثر من ستمائة رجل ومختلف أنواع التجارات، وكانت آخذة طريقها إلى القسطنطينية، غير أنها صدت بقوة العاصفة وعنفها، وجزيرة سردينيا هذه مجاورة لجزيرة أخرى صغيرة اسمها سوبر Sauper ، أي أن تقول جزيرة القديس بطرس، حيث يوجد عليها خيول وحشية، وهي صغيرة جداً، وعظيمة الجمال، ولسرعتهم من غير الممكن امساكهم، إلا من قبل اللصوص الذين يطلقون السهام عليهم ويأكلونهم من أجل التمتع بلحم الطرائد، والبحر بين هذه الجزيرة وبروفانس خطير جداً، ويطلق البحارة على هذه المنطقة اسم خليج ليون، ومعنى ذلك «غضب الأسد»، لأنه إذا كان من الممكن أن تستطيع سفينة ما الابحار بسلام

على ظهر بقية البحر، إنها لن تتمكن من عبور هذا المضيق البحري من دون مواجهة عواصف عظيمة، ومخاطر، ورعب، ولهذا السبب أطلق على هذا المكان نفسه اسم خليج ليون، ومن جزيرة سردينية هذه يستطيع الناس الإبحار إلى جزيرة صقلية، وهي بلاد جلييلة جداً، مساحتها حوالي الثمانين ميلاً، وهذه مملكة عظيمة جداً، وهذه الجزيرة أعظم خصباً من جميع البلاد المجاورة، لأنه عندما يكون هناك انحباس للمطر، وجفاف وقحط في جميع بلدان وأقطار ما وراء البحر، نجد هذه المناطق يجري اطعامها ومساعدتها من قبل صقلية لوحدها.

١٤ — جزيرة صقلية

وفي مملكة صقلية سبع أسقفيات ومطرانية واحدة، مطرانها رئيس أساقفة مونريال، الذي هو في أيامي راهب ماروني، فضلاً عن هذا تمتلك صقلية عدداً كبيراً من المدن الحصينة جداً والجليلة، والمواقع الحصينة والبلدات، ولا سيما المدن الأكثر جمالاً والأعظم حصانة الموجودة على شاطئ البحر، فكل واحدة من هذه المدن لها ميناء، ومن هذه المدن: مسينا، وبلرم، وطبرمين، والقنطرة، ويسكن في القنطرة رهبان دومينكان، لديهم صورة للعدراء مريم المباركة في أيام البشارة، وهذه الصورة ييجلها أهل المدينة كثيراً، ومثلهم يفعل الذين يبحرون على ظهر البحر، لأن ما من سفينة تعبر من هناك إلا وتقف على مسافة محددة لتقدم التبجيل لهذه الصورة ولزيارتها، ويخبرون الانسان— ويعتقدون بشكل حازم— أن أية سفينة ستعبر دون تحية هذه الصورة أو زيارتها، سوف لن تصل إلى وطنها، من دون أن تواجه عاصفة، وواجهت القديسة أغاثا في مدينة القنطرة الشهادة، وجسدها كله راقد هناك، وهي محترمة كثيراً، وتحرس بعناية كبيرة، لأنه بفضل محاسنها يصنع الرب يومياً كثيراً من المعجزات في جميع أرجاء صقلية، وعلى مقربة من مدينة القنطرة هذه يقوم جبل منفرد عالي الارتفاع كثيراً،

ويطلق عليه الذين يسكنون هناك اسم جبل بيل Bel، أي أن تقول الجبل الجميل، ولا يتوقف هذا الجبل عن اصدار اللهب والدخان وكأنه فرن ناري، ويقذف صخوراً محترقة بحجم بيت صغير، ويطلق عليها سكان تلك المناطق اسم أحجار الخفاف، وبها يجري صقل الرق للكتابة، وهذه مع المقدوفات الأخرى التي يرمي بها الجبل تتجمع وتتكوم بوساطة الريح، حتى تشكل ما يمكن دعوته جبلاً عظيمة وطويلة، ومن هذا الجبل تدفق نهر النار الذي قرأنا عنه في آلام القديسة أغاثا، حيث قالوا: «وقد أقاموا ظلة حاجزة لإبقاء النار بعيداً»، ومن الممكن رؤية مجرى هذا النهر بوضوح في هذه الأيام، وعلى كل حال لقد تدفق نهر من النار مشابه مراراً منذ أيام القديسة أغاثا، وإلى هذه الأيام نجده يتدفق أحياناً، وفي الحقيقة جرى دمار جزء كبير من صقلية بأنهار النار هذه، وبأحجار الخفاف، التي قذفت من الجبل، لأنه عندما يبرد النهر، تصبح هذه الأحجار قاسية، من غير الممكن تكسيرها بأدوات حديدية أو أية أدوات مهما كان نوعها، ولقد قيل يوجد في هذا الجبل فم الجحيم، وما من شك يوجد بعض الحقيقة في هذه الحكاية، فلقد تبرهن وتقرر بوساطة عدد من الأصوات، والمعجزات، والأمثلة في اليوم الحاضر، وفي التواريخ القديمة للمملكة، أنه في أي وقت وجدت فيه أية معارك كبيرة، في أي مكان، يرسل الجبل نفسه اللهب عالياً حتى عنان السماء نفسها، وبناء عليه فإن الذين يسكنون صقلية يعرفون أن هناك معارك حقيقية يجري القتال فيها في بعض أقطار العالم.

ولقد أخبرني راهب ماروني، قد سكن لوقت طويل في جزيرة صقلية، أن فيما لديه من معلومات حدث أنه عندما كان الامبراطور هنري [السابع]، صاحب الذكرى الطيبة والبيازنة يقاتلان ضد الملك روبرت في جبل كاشيم Cachym [سنة ١٣١٥]، وهي الحرب التي قتل فيها أخو الملك روبرت، وهو مدفون حتى هذا اليوم في بيزا تحت

ضريح الامبراطور المتقدم الذكر، ففي تلك الليلة التهب هذا الجبل، وكان مضيئاً طوال ليلة المعركة إلى حد أن رهبان مسينا، الواقعة على مسافة عشرين ميلاً عن هذا الجبل، قد قرأوا نصوص قداسات المساء لديهم على ضوء ذلك اللهب.

وقد أعلن أن الشيء نفسه قد وقع بالذات عندما كانت هناك حرب بين الفلورنسيين والبيازنة في جبال الألب، وقد حدثني هذا الراهب بكثير من الحكايات المدهشة حول هذا الجبل، تحتاج إلى وقت طويل لحكايتها، ولهذا السبب هناك مثل سائر في صقلية يقول: «إنني أفضل أن أكون في جبل بيل مع الملوك والأمراء على أن أكون في السماء مع المعاقين والعميان»، والمعنى هنا واضح، لأن الرجال هنا أشرار بالمرّة، لكن النساء جميلات جداً، وموضع اعجاب عظيم، ويارسون في صقلية ثلاثة أنواع من العبادات مختلفة: ففي القسم الأول يارسون الطقوس اللاتينية، وفي القسم الثاني يارسون طقوس الاغريق، وفي الثالث يارسون شعائر المسلمين، ومع أنهم جميعاً مسيحيين، هم على كل حال مختلفون وغير متفقين في عقائدهم وعماراتهم، وإنه لأمر مدهش كثيراً أن تكون صقلية إلى هذه الدرجة بلاداً خصبة وجذابة، مع أنها تعاني دوماً من مثل هذا الدمار المرعب من هذا الجبل، لأنه يحدث أن يقذف كميات هائلة من الرماد في يوم أو يومين، فلا تستطيع السائمة لمدة طويلة أن تجد أي مرعى، وزيادة على هذا، يحدث في بعض الأحيان أن تندفق عدة أنهار من النار واللهب، وكذلك من الأشياء الأخرى المرعبة، وتنحدر من الجبل، ولهذا يقوم الذين يسكنون هناك بالصوم وتقديم النذور، متوقعين أنهم سوف يؤخذون سريعاً إلى الجحيم، وتجري هذه الأنهار منحدره من الجبل مثل نحاس ذائب يغلي، وتتولى النار استهلاك كل شيء تجده على طريقها، سواء أكان حجراً أم خشباً، وذلك مثلما تتولى المياه الحارة تذويب الثلج وإزالته، وتدمر البلاد في

بعض الأماكن لمسافة ميلين، وذلك حسب طبيعة الأرض منخفضة كانت أو مرتفعة، وتجعلها صحراء، لا يمكن سكناها إلى الأبد، وعلى هذا إن صقلية بلاداً فائقة الجودة، ومع هذا هي مرعبة أن تسكن فيها.

١٥ - جبل البركان

ومثل هذا يوجد على مقربة من صقلية جزيرة أخرى صغيرة، فيها جبل واحد فقط، وعند سفح هذا الجبل هناك حديقة هي الأكثر جمالاً وبهاءً، واسم هذا الجبل لدى السكان المحليين جبل البركان، وهو يقوم فجأة مثل فرن بصب اللهب المحرق، بشكل أكثر إرعاباً من جبل بيل، وقد قرأنا بأن هذا الجبل كان يقوم فيما مضى في صقلية، غير أنه بفضل الرسول القديس برثلميو رمى نفسه في البحر، ونقل نفسه من الياسة، ولهبه مرعب إلى أقصى الحدود والعنف، وهو يقذف بصخور الخفاف التي من حجم بيوت صغيرة في الهواء، مثلما يفعل المنجنيق، وذلك بقوة هائلة إلى حد أنهم يتفجرون بالهواء مثل التفاح، وتسقط بعض القطع في البحر على بعد حوالي النصف ميل عن هناك، فتقذفها الأمواج على الشاطئ، وتتجمع هناك، وحجارة الخفاف هذه هي التي يستخدمها الكتاب في صقل الرق للكتابة، والذي يذكره بعضهم أنه يتشكل من زبد البحر، هو غير صحيح، حسبما جرى إخبارك، وحدث مرة قبل أن أذهب إلى صقلية، أن النار تفجرت في الحديقة عند سفح جبل البركان، وكان مقدار اتساعها رمية حجر، ولمدة أربعة أيام وأربع ليال ظل اللهب يتصاعد إلى السماء، من الطول ومن العرض، وذلك بشكل مرعب إلى حد أن جميع الناس خيل اليهم أن السماء حقاً والأرض كانتا تشتعلان، وأنه جاء ميعاد اليوم الذي سيفارقون به الحياة، وعندما توقف اللهب، استمر الرماد يتساقط لمدة أربعة أيام وأربع ليال أخرى، إلى حد أن كثيراً من الأماكن والبلدات والمدن هجرها الناس، وغادروها مع كل ما يملكون، وهربوا إلى الجبال ليخبتوا أنفسهم وليحموها من

الرماد حسب أفضل ما هو بإمكاناتهم، ولقد هلك جميع القطعان وأعداد كبيرة جداً من الناس في السهول بفعل الرماد، وغدت مدن كثيرة، لا يمكن رؤيتها البتة، لأنها غطيت بكثافة بالرماد، وجف كثير من الانهار بفعل الرماد، وكان لذلك حزن وأسى في صقلية كلها في ذلك الحين، بشكل لا يمكن لانسان أن يتذكر مثله، أو تحدث التاريخ القديم عن مثله، ولهذا قام الصقليون فعقدوا النذور للرب، وأعلنوا الصيام، وأسلموا أنفسهم إلى أعمال التوبة، وصلوا إلى الرب حتى يزيل عنهم غضبه، وأن يقوم من أجل فضائل القديسة أغاثا بتحريرهم من هذا الغضب العظيم، وبناء عليه انتهى الرعب والاضطراب على الفور، ولم يشعروا بعد ذلك بأي من هذا النوع، وقاموا بعد ذلك بتحريم صنع عدد كبير من الأعمال الشريرة التي كان مسموحاً بها حتى ذلك الحين تحت تهديد إنزال أقسى العقوبات.

١٦ — مدينة سرقوسة

ويوجد في صقلية مدينة أخرى، اسمها سرقوسة، فيها واجهت القديسة لوسيا Lucia الشهادة، وفيها يرقد جسدها كله، هذا ويوجد هناك أيضاً عدد لا يحصى من آثار القديسين المبجلين، ولسوف أحتاج إلى وقت طويل جداً لأحدثكم عن المزيد من عجائب صقلية، وعن أمجاد وقصور الامبراطور فردريك، وعن اصطياد السمك الذي اسمه الطون، وعن المصادر الأخرى لثرواتها وازدهارها.

وعلى مقربة من صقلية هناك جزائر أخرى كثيرة، كبيرة وصغيرة، مسكونة من قبل المسلمين، ويوجد على مقربة منها هناك جزيرة أخرى اسمها مالطة، وفيها أسقفية واحدة، وقد زرتها مراراً أثناء العبور، وعلى مقربة منها هناك جزيرة أخرى اسمها كولمات Colmat، فيها حفر كثيرة للأرناب، إلى حد أنه لم يبق للسكان ما يكفيهم من أرض للعيش عليها، وعلى مقربة منها هناك أيضاً جزيرة أخرى صغيرة اسمها سكولا

Scola وما من أحد يزور هاتين الجزيرتين الصغيرتين إلا الذي يقوم برحلة خاصة إليهما، وإلى جانب هاتين الجزيرتين، هناك أيضاً جزيرة أخرى اسمها غوي Goy (غوزو Gozo) يوجد فيها كثير من القطعان، ومنتجات الحليب، وقد أبحرت مرة بين هذه الجزيرة والجزيرة الأخرى في حالة رعب كبيرة، وكنت في سفينة كبيرة، في أثناء أكثر العواصف عنفاً، وما من أحد يتذكر أن سفينة بمثل هذا الحجم الكبير قد سارت قط خلال ذلك الطريق.

١٧ - آخيا

ولدى متابعة السفر من صقلية، يعبر الانسان خليج البندقية، الذي يفصل البندقية عن اليونان، ولدى ابحار الانسان على محاذة شواطئ بلاد اليونان وملتفاً حولها، يصل إلى آخيا ومقدونية، ومناطق أخرى من بلاد الاغريق، يطلق عليها اسم رومانيا، وعليك أن تعرف أن البلاد التي كانت تعرف باسم آخيا اسمها الآن المورة، وقد استولى القبطالونيون على هذه البلاد بالقوة، وفصلوها عن بلاد الاغريق، ويوجد هناك مدينة جميلة اسمها بتراس Patras فيها واجه القديس أندرو الشهادة، فضلاً عن هذا فإن القديس انطوني وعدد كبير آخر من القديسين قد سكنوا فيها مضى هناك، أو ولدوا في تلك البلاد، وليس بعيداً عن بتراس توجد أثينا، التي ازدهرت فيها مضى مدارس الاغريق، ولقد كانت هذه في الأيام الخوالي مدينة جليلة جداً، لكنها الآن تكاد أن تكون مهجورة، هذا ومن النادر أن تجد في أي مكان في جنوا عموداً رخامياً أو قطعة جيدة من الحجر المنحوت، هي لم تجلب إلى هناك من أثينا، فالمدينة كلها قد بنيت من أحجار أثينا، مثلما بنيت البندقية من حجارة طروادة، ويوجد في أراضي آخيا هذه نفسها مدينة كورنثا الفاتكة الجمال والحصانة، وهي قائمة على ذروة جبل، ومثل هذه المدينة بحصانتها وقوتها نادراً ما سمع بشيئه لها، لأنه لو قام العالم كله

بحصارها، لن تشعر مطلقاً بالحاجة إلى القمح، والخمر، والزيت والماء، وإلى هذه المدينة كان القديس بولس قد كتب عدداً من الرسائل، وليس بعيداً عن كورنثا تقوم مدينة غلاطية التي إليها كتب القديس بولس رسائله، و«غلا» بالاغريقية تعني ما تعنيه كلمة لاك Lac (حليب) باللاتينية، ذلك أن الذين يسكنون هناك هم أكثر بياضاً من الأناس الآخرين من حولهم، وذلك من طبيعة المكان، هذا وإن هذه المدينة التي عرفت فيما مضى باسم غلاطية، تعرف الآن باسم بيرا Pera، فضلاً عن هذا يسكن في آخيا— أو المورة— رهبان من طائفة التيوتون، وهم يمتلكون هناك قلاعاً في غاية الحصانة، وهم دوماً على خلاف مع دوق أثينا والاغريق، وعندما يتابع الانسان ترحاله من آخيا، أو المورة، يمر بعدد من الجزر الاغريقية، وذلك لدى ابحاره على طول ساحل آسيا الصغرى، ويصل الانسان إلى جزيرة اسمها كيوس، التي هي جزيرة متميزة بشكل خاص، فهناك ينمو المسطكى، ولا ينمو في مكان آخر في العالم، حيث صحيح أن أشجارها تنمو بما فيه الكفاية في أماكن أخرى، لكن لا يوجد عليها ثمار، وينمو المسطكى مثل الصمغ، ويتساقط من الأشجار، ومن هناك يرسل إلى جميع أنحاء العالم، ولهذه الجزيرة أسقف، كان في أيامي من طائفة الدومينيكان، وقد انتزعت هذه الجزيرة بالقوة من امبراطور القسطنطينية من قبل أخوين جنوبيين، وفيما بعد وقع خصام بين هذين الأخوين، فتخلى واحد منهما سراً عن حصته وأعادها إلى الامبراطور، واعتقل أخاه، وأبقاه لمدة طويلة في السجن، فانتزع الامبراطور الجزيرة منهما معاً، لكنه في أيامي أدخل الأخ السجين في حظوته، وجعله قائداً لجيشه، وأعطاه بعض القلاع، ومن كيوس يبحر الانسان إلى جزيرة بطمس Patmos، التي إليها جرى نفي القديس يوحنا الانجيلي من قبل دوميشيان، وهناك رأى السموات مفتوحة فكتب سفر الرؤيا، ويمكنك الابحار من بطمس على محاذة ساحل آسيا الصغرى، والوصول إلى إفسوس إذا كنت ترغب بذلك، وهذه البلاد

التي كانت تعرف من قبل باسم آسيا الصغرى، تعرف الآن باسم تركيا، لأن الأتراك انتزعوها من الاغريق، وعليك أن تعرف أن الأتراك رجال سود طوال، وهم مسلمون متحمسون، مع انهم ليسوا من أصل عربي، وهم بالحري مسيحيون مرتدون، وهم يشبهون من جميع الجوانب الفريزيين، ويسكنون إلى جانب شواطئ بحر الشمال (كذا) في قلاع حصينة جداً، انتزعوها من الاغريق، وليس لديهم سلاح سوى القوس والنشاب، ويعيشون على الحليب وما شابهه، ويتجولون هنا وهناك مع قطعانهم، وفي كل اتجاه، وهم لهم عادات الفريزيين نفسها.

١٨ - مدينة إفسوس

عليك أن تعرف أن مدينة إفسوس الحقيقية تبعد أربعة أميال قصيرة عن البحر، ويوجد في هذه المدينة كنيسة جميلة بنيت على شكل صليب، وهي مسقوفة بالرصاص، وهي مزينة بشكل بهي بأعمال الفسيفساء والرخام، وهي موجودة حتى هذا اليوم، وهنا حدث أن ذلك الرسول المحبوب عندما تخبأ لعيد من الأعياد، دخل إلى ضريح، كان الظلام مخيماً عليه، ولم ير بعد ذلك مطلقاً، وهذا الضريح على مقربة من مذبح مرتفع، والمكان الذي حفر فيه الصخر ونحت ظاهر مرئي للذين يريدون الدخول إليه شرط أن يدفعوا أولاً فلساً إلى الأتراك، ويبيع الأتراك الآن في الكنيسة الحرير، والصوف، والقمح وماشابه ذلك من البضائع، وكانت مدينة إفسوس تقوم فيما مضى وفق شكل غريب، وذلك بين جبلين، وعلى هذا فإن طرفيها كانا على جبلين ووسطهما وادي، والكنيسة التي فيها ضريح القديس يوحنا، كانت على بعد رمية سهم عن هذه المدينة وكانت قائمة على رأس جبل، وبما أن البقعة القريبة من الكنيسة هي أكثر حصانة، فقد جرى نقل مدينة إفسوس من قبل الأتراك خوفاً من المسيحيين، والمدينة القديمة هي مهجورة الآن، وفي أيامي كان يسكن هناك سيدة نبيلة كان زوجها يمتلك المدينة كلها،

وكان هناك رجلاً اسمه زلابين Zalabin ، وهو تركي، انتزع المدينة منهما، وبموافقة منه سكنت السيدة النبيلة تحت قلعة إفسوس، وقد حصلت على إجازة منه لبيع الخمر إلى التجار، وبحزن وأسى عظيم أباحت لنا عن أحزان قلبها لفقدانها زوجها ومدينتها، وعلى مقربة من مدينة إفسوس هناك نبع صغير مستدير، فيه أسماك رائعة بأعداد كبيرة، ويندفع الماء من هذا النبع بكميات كبيرة كافية لسقاية جميع المروج والحدائق والأراضي التي هي هناك، وعليك أن تعرف أن المدينة التي عرفت فيما مضى باسم مدينة إفسوس، أطلق عليها من قبل الاغريق اسم ثيولوجوس Theologos (آيا سلوق)، وهي تعرف الآن باسم ألتيلوت Altelot ، أي المكان المرتفع (Altus - Locus) ، لأن المدينة — كما أخبرتكم قد نقلت إلى مكان مرتفع حول الكنيسة، وعلى بعد حوالي أربعة أميال من هذه المدينة القديمة، أعني مدينة إفسوس، قد جرى بناء مدينة جديدة، وذلك على شاطئ البحر، حيث يوجد الميناء، وقد سكنت من قبل مسيحيين، كانوا قد طردوا من لومبارديا أثناء نزاع، ولدى هؤلاء الناس كنائس، ورهبان فرنسيسكان، ويعيشون مثل المسيحيين، وعلى كل حال كانوا قد أنزلوا فيما مضى من أيام بالمسيحيين أضراراً كبيرة بالتعاون مع الأتراك، وعلى مقربة من مدينة إفسوس الجديدة هناك نهر مثله بالاتساع مثل نهر الراين، وهو يجري خلال بلاد تركيا قادمًا من بلاد التتر، وتنحدر على هذا النهر ونقل كثيراً من التجارات من مختلف الأنواع، وذلك مثلما يفعل على ظهر الراين في هذه المناطق، وفي هذا النهر اعتاد الأتراك، والذين يدعون زيفاً باسم المسيحيين، على جمع سفنهم، وأسلحتهم، وعتادهم، عندما يقررون القتال ضد المسيحيين، وعلى هذا النهر وعبره يلحق بالمسيحيين كثير من الأذى والضرر.

١٩ — جزر متنوعة في البحر وأولها جزيرة رودس

من إفسوس يمكن للإنسان أن يستأنف إبحاره إلى عدد كبير من الجزر الأخرى المختلفة، وعليك أن تعرف أنه يوجد في تلك المنطقة من البحر أكثر من سبعمائة جزيرة صغيرة وكبيرة، مسكونة ومهجورة، لبعضها فضائل خاصة، وبعضها مليء بجميع أشكال الأشياء الجيدة، بينما بعضها مليء بينابيع سامة، ومخلوقات ضارة جداً، وبين هذه الجزر هناك جزيرة صغيرة فيها نبع مياه حارة جداً، وهي تغلي مثل مياه في قدر، وهي سامة إلى حد لو أن طائراً طار فقط فوقها لمات، وإلى جانب هذه الجزيرة هناك جزيرة أخرى، لا يتجاوز قياس محيطها المليون، تقوم عليها كنيسة صغيرة، وعلى هذه الجزيرة وعول وحيوانات برية أخرى، وهم من الكثافة بمكان إلى حد أنه لا يخلو مكان في الجزيرة منهم، ونزل رفاقي في إحدى المرات في هذه الجزيرة، فوجدوا في الكنيسة رماحاً وترسة، وقسيّاً عقارة مع كثير من السلاح، ومخزوناً كبيراً من اللحوم المجففة، كانت قد جلبت إلى هناك من قبل قرصان البحر واللصوص فيه، ولعل ذلك كان بعد الاستيلاء عليها مرة إثر أخرى، فقد خزنوها هناك، وقد انتظر رفاقي هناك طوال اليوم متوقعين قدوم اللصوص، وذهبوا إلى الصيد، لكنهم لم يمسكوا أي شيء، ولكن صدف عند حلول المساء، أن واحداً منهم كان جالساً بين صخرتين، فجاء وعمل ليمر من فوقه، فقطع رجله اليمنى وجرح اليسرى بضربة من سيفه، وهكذا حصلوا على الوعل وغادروا، ويوجد إلى جانب هذه الجزيرة جزيرة أخرى، لا يوجد فيها أية حيوانات باستثناء بعض الحمير الوحشية، وهي تعطي فرصة جيدة لرياضة صيدها، لكن ليس لديها لحوم جيدة للأكل مثل لحوم الطرائد الأخرى، وليس بعيداً عن هذه الجزيرة هناك جزيرة أخرى اسمها بيرا Peyra ، وهي جزيرة جيدة، يوجد فيها ثلاثة أشكال من الحجارة اسمها Alun ، بكميات كبيرة جداً، ولهذا تصدر

هذه الحجارة من هناك إلى جميع أنحاء العالم، ومنذ وقت غير طويل استولى الجنويون على هذه الجزيرة وانتزعوها من الأتراك بالقوة، وفعلوا خيراً بإعادتها إلى أسقفيتها وإلى أحوالها الأصيلة، وهذه الجزيرة على مقربة من تركيا، وبينها وبين تركيا جسر، لو استطاع الأتراك لما سمحوا لأحد بعبوره، سواء أكان الحال فيما بينهم حالة حرب أو سلم، وتجدهم عدوانيين كثيراً لدى خسارتهم للجزيرة، ويحتاج الأمر إلى وقت طويل لإخباركم حول الجزر الأخرى، وإذا ما ترك الإنسان هذه الجزر، يبحر ثانية عائداً إلى شواطئ آسيا الصغرى أو تركيا، ويصل إلى باترا Pa-tara، التي كانت فيما مضى مدينة جليلة، وفائقة الجمال، وقد جرى تدميرها الآن من قبل الأتراك، وولد في هذه الجزيرة البابا التقي نيقولا، ويبحر الإنسان من باترا ليصل إلى مدينة أخرى كانت جليلة جداً أيضاً، غير أنها مدمرة الآن، اسمها ميرا Mirrhea، فيها جرى انتخاب البابا نيقولا المجيد بشكل رائع أسقفاً، وهو الذي أثار تلك البلاد كلها بمعجزاته الكثيرة وبمحاسنه وفضائله، ومن ميرا — إذا ما اخترت — يمكنك متابعة الأبحار، ولسوف تصل إلى جزيرة جيدة جداً ومشهورة اسمها كريت، وهي التي كانت فيما مضى مملكة قائمة بنفسها، غير أنها لا تحتوي على كثير من المدن المحصنة، واسم أعظم مدنها الخندق ويحرق في الجزء الأعظم من هذه الجزيرة القصعين من أجل استخدامات نار الخطب، وقد استولى البنادقة على هذه الجزيرة بالقوة، وانتزعوها من الاغريق، ومن كريت يبحر الإنسان إلى جزيرة أخرى جميلة جداً ومتميزة، وصحية ولطيفة، وقد كان اسمها فيما مضى كولوس Co-los، ولها حاضرة اسمها كولوسينسيس Colossensis، ولهذه الجزيرة كان القديس بولس قد كتب رسالته (إلى أهل كولوسي)، وتعرف هذه الجزيرة باسم رودوس، بسبب إقليم المناخ السابع للعالم، الذي تقف هذه الجزيرة لوحدها فيه، وهي تفصل بين أقاليم المناخات وتميزها.

ومن هذه الجزيرة كان قد جاء الدمار أولاً إلى مدينة طروادة النيلة، لأنهم قالوا عاش هناك الكبش مع الخاروف الذهبي، الذي قرأنا عنهما مطولاً في تواريخ طروادة، وجزيرة رودس هذه جزيرة ثمينة جداً، ذلك أنها جبلية، وقائمة وسط رياح صحية جداً، وهي مليئة بحيوانات برية اسم واحد الأيل الأسمر، فضلاً عن هذا، إنك من أي مكان من البحر أبحرت لابد من أن تمر برودس أو بالقرب منها، وفي هذه الجزيرة هناك مدينة اسمها رودس، وهي فائقة الجمال وحصينة، ولها أسوار عالية وأبراج منيعة بنيت من أحجار كبيرة جداً، تبعث على العجب كيف استطاعت اليد البشرية وضعها في أماكنها، ولدى فقدان عكا، قام مقدم فرسان الاستتارية القدس مع رهبانه بالاستيلاء على هذه الجزيرة بالقوة، وانتزعوها من الاغريق، وقد حاصروها لمدة سنة، وما كان بإمكانهم الاستيلاء على المدينة، لولا أنهم كسبوا سكانها إلى جانبهم عن طريق الرشوة، وهكذا سلموا الجزيرة برضاهم، ولهذا قام رهبان الطائفة باتخاذها مقراً قيادياً لهم، وفيها سكنوا وما زالوا حتى هذا اليوم، وهناك ثلاثمائة وخمسين راهباً مع مقدم الطائفة، الذي كان في أيامي ايلينوس (دي فيلانوفي ١٣٢٧ - ١٣٤٦)، وهو رجل متقدم بالسن كثيراً، وبالغ الشح، وقد جمع ثروة لا تحصى، وبنى كثيراً في رودس، وحرر الطائفة من جميع ديونها الواسعة، وتقوم هذه الجزيرة على مسافة عن تركيا تساوي قدر ما يبلغه صوت إنسان، فهي مفصولة عن تركيا بوساطة مضيق بحري وتجيبي الجزية من كل المناطق المحيطة بها، ومن تركيا ثلث منتجات تلك البلاد، ولها في تركيا قلعة صغيرة، لكن حصينة جداً، وبين هؤلاء الرهبان وبقية تركيا هدنة على اليابسة، ولكن ليس في البحر، ولا في الأماكن التي يؤذون فيها المسيحيين، ويمتلك رهبان فرسان الاستتارية هؤلاء أنفسهم جزيرة أخرى حصينة اسمها لانغو Lango ، مليئة بالقمح، والخمرة، والزيت مع كثير من الثمار ويسكن فيها خمسين من فرسان الاستتارية، من رودس، ويمتلك

الفرسان جزيرة ثالثة كذلك صغيرة، وخصبة اسمها قلعة روسو Ros-so ، التي تولى الأتراك نهبا في إحدى المرات، غير أنها مسكونة الآن بشكل جيد من قبل الفرسان ومرزقتهم، ويوجد فيها قلعة حصينة جداً وعالية، منها يمكن رؤية كل سفينة تبحر إلى أية جهة من جهات البحر لمسافة خمسين ميلاً تقريباً، ووقتها يرسلون الشارات إلى الفرسان في رودس ولانغو، وإلى المسيحيين الآخرين في ذلك المحيط، وذلك باستخدام الدخان بالنهار، واللهب في الليل، ويخبرونهم بعدد السفن الموجودة في البحر، وبناء عليه يقوم الفرسان والمسيحيون باتخاذ اجراءات الاستعداد للقتال والدفاع وفقاً لعدد السفن التي تلقوا شارات عنها، وهذه الجزيرة نافعة جداً بالنسبة للمسيحيين، فمنذ أن امتلك الاستبارية الجزيرة والقلعة، لم يقم الأتراك بإلحاق الأذى بالمسيحيين بسفنهم، فضلاً عن هذا اعتادت جزيرة رودس مع جزيرة لانغو، وجميع الجزر، والبلاد المسيحية هناك على دفع الجزية إلى الأتراك قبل أيام الاستبارية في رودس، لكن الآن بفضل نعمة الرب عكس الاستبارية الوضع تماماً، وكان الأتراك عندما سمعوا بأن جزيرة رودس جرى الاستيلاء عليها من قبل فرسان القديس يوحنا، حشدوا جيشاً كبيراً، وأرسلوا أولاً سفارة مهيبية تطالب في البداية بشكل لطيف وبعرض سلمي بدفع الجزية المستحقة لهم على الاستبارية، مع الاعلان أنهم سيقومون عن طواعية بإبرام سلام وعقد معاهدة مع الاستبارية، وفي جميع الأحوال عليهم دفع الجزية لهم، ولم يكن للطائفة في ذلك الوقت مقدم لأن الراهب فولك دي فيلارت Villaret ، الذي كان مقدم الطائفة، كان قد جرى خلعه من قبل الفرسان إثر خلاف ونزاع، غير أن واحداً من الرهبان من بازل Basle وكان شجاعاً جداً، وفارساً أميناً، كان وقتذاك الوصي على الطائفة، عمل الجواب وتقدم به إلى الأتراك، راجياً منحه فرصة ثلاثة أيام من أجل التفكير والتقدير، وأن تكون هذه الأيام بمثابة هدنة، الأمر الذي رحب به الأتراك

ومنحوه إياه، وأمروا جيشهم بأن يكون على أهبة الاستعداد، وفي الوقت نفسه تابع هذا الوصي ذاته الاحتفال يومياً مع الأتراك، ووجد ببراعة كل ما كان بحاجة إليه حول جيشهم، وأحواله ووضع، وما الذي ينوي فعله، وحشد في الوقت نفسه أكبر عدد من السفن والرجال أمكنه توفيرهم، وتظاهر في اليوم الثالث أنه على وشك مغادرة رودس للقتال ضد الاغريق، وسأل الرسل الأتراك بالدخول إلى بيته خشية أن يلحقهم بعض الأذى على أيدي المسيحيين، والبقاء هناك حتى عودته، وفعل الرسل ما طلب منهم، وقام إثر ذلك هذا الفارس، الذي هو الوصي على الطائفة بوضع حرس حول الرسل بشكل سري من ثقاته، وأقلع إثر هذا مع جيشه وبات في وسط البحر، وانقض في فجر اليوم التالي على جيش الأتراك، وفتك به وقتل أفراد من دون تمييز بين رجل وامرأة، وشاب وشيخ، لأن من عادة الأتراك والتتار اصطحاب أزواجهم وأولادهم الصغار وجميع مقتنياتهم معهم في الجيش، إلى حيثما توجهوا وقصدوا، وهكذا بعدما قتلوا جميع الناس وحصلوا على جميع مقتنياتهم وقطاعانهم، عاد هؤلاء الفرسان إلى رودس في اليوم الثالث وسط بهجة عارمة.

ولقد سمعت من بعض الذين كانوا حضوراً، أنهم حصلوا على كثير من الأسلاب، حتى أنهم حزموا هذه الأسلاب وجروها في البحر بواسطة حبال، شدوها إلى السفن، وعندما كمل هذا كله، استدعى الوصي على الطائفة الرسل الأتراك، وأخبرهم بأن الاستبارية على استعداد لإقامة هدنة ولعقد معاهدة مع الأتراك، ثم تركهم يغادرون على الفور، فقاموا باليوم نفسه، وسط بهجة عظيمة، بالرسو بالمكان الذي تركوا فيه جيشهم، غير أنهم وجدوا أن جيشهم قد قتل كله حديثاً، وأجساد أفراده معراة ومسلوبة، وأن جميع الممتلكات قد أخذت بعدما سلبت، وعندما رأوا هذا كله، ذهبوا إلى موطنهم حزنين بقدر ما

كانوا مسرورين، ونقلوا ما لديهم من أخبار إلى بقية الأتراك، ومنذ ذلك الحين لم يطلب الأتراك الجزية من التتار من فرسان القديس يوحنا أو من المسيحيين في رودس حتى هذا اليوم.

وفي رودس هناك الكثير من الآثار المبجلة، من بينها الصليب النحاسي، المعتقد أنه صنع من الجرن الذي غسل فيه المسيح أقدام حواربيه، هذا وللقوالب الشمعية المصنوعة بوساطة هذا الصليب قوة هائلة في تهدئة العواصف في البحر، وكان هذا الصليب مع آثار أخرى مبجلة، هي الآن لدى فرسان الاستبارية، كانت ملكاً فيما مضى لفرسان الداوية، ذلك أن جميع مقتنياتهم وقلاعهم هي الآن ملكاً للفرسان المتقدم ذكرهم، ويحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن بقية أمجاد رودس الأخرى، وكذلك عن جميع الانتصارات المتنوعة للفرسان المتقدمي الذكر، ويبحر الانسان من رودس إلى قبرص.

٢٠ - قبرص

قبرص جزيرة جليلة جداً، وشهيرة، وفي غاية الثراء، إلى درجة لا يمكن مقارنتها مع جميع جزائر البحر الأخرى، وهي خصبة بجميع الأشياء الجيدة، ومتفوقة على سواها، وقد قرأنا بأنها سكنت أولاً من قبل يافث بن نوح، وبالنسبة إلى حجمها، هي متفوقة على جميع البلدان الأخرى، والمدن الساحلية في الجوار، ذلك أنها محاطة بما يشبه الطوق ببلاد مصر، وسورية وأرمينية، وبلاد الاغريق، والمسافة من قبرص إلى جميع هذه البلاد ليست أكثر من سفر نصف يوم بالبحر، وذلك كما سأذكر فيمايلي.

وكانت هذه الجزيرة المجيدة فيما مضى ملكاً للداوية، الذين باعوها إلى ملك القدس، ثم إنه عندما فقدت عكا مع الأرض المقدسة، وجرى تدميرها، انتقل ملك القدس، والأمراء، والنبلاء وبارونات مملكة القدس

إلى قبرص وسكنوا هناك، وهم يسكنون هناك حتى هذا اليوم، وهكذا غدت قبرص مملكة، وفي قبرص ثلاثة أسقفيات هي أسقفيات: بافوس، ولياسول، وفيماغوستا، وفيها مطرانية واحدة، رئيسها أسقف نيقوسيا، الذي هو في أيامي راهب ماروني اسمه الياس، وقد صار كاردينالاً من قبل البابا كليمنت السادس (١٣٤٢ — ١٣٥٣)، وأقدم مدينة في قبرص هي مدينة بافوس، التي كانت فيما مضى مدينة جليلة جداً، ومكاناً عظيماً، وهي قائمة على شاطئ البحر مباشرة في مواجهة الاسكندرية، وقد تولى بولس وبرنابا هداية هذه المدينة إلى الايمان بالمسيح، ومنها اهتدت الأرض كلها وتحولت إلى العقيدة، وذلك حسبما جاء في أعمال الرسل (٣٩/١٥)، وقام فيما مضى على مقربة من بافوس قلعة فينوس، حيث اعتادوا على عبادة صنم فينوس، وكانوا يرتحلون من بلدان نائية لزيارة أبوابها، وهناك كان يجتمع نبلاء السادة والسيدات، والشابات مع بعضهم في تلك القلعة، وفي هذا المعبد اتخذت الخطوة الأولى نحو تدمير طروادة، لأن هيلين قد أسرت عندما كانت في طريقها إلى هذا الهيكل، فضلاً عن هذا اعتادت جميع الشابات والفتيات على قطع العهود في هذا المعبد بالنسبة للزواج وللأزواج، ولهذا السبب فإن الرجال في قبرص جنسيين بالطبيعة أكثر من سواهم في البلدان الأخرى، لأنه إذا ما وضع تراب من قبرص، وبشكل خاص من الموضع الذي كانت قلعة فينوس قائمة فيه، تحت رأس إنسان لدى نومه، فإن ذلك سوف يدفعه إلى ممارسة الجنس طوال الليل، وعلى مقربة من بافوس يوجد المكان الذي اعتاد القديس هيلاري Hilary أن يسكن فيه، وهناك صنع كثيراً من المعجزات، وهناك أماكن أخرى كثيرة اعتاد قديسون آخرون على السكنى فيها، وبشكل خاص القديس زيزونيموس Zyzonimus، والقديس ماما Mamma، الذي ولد في ألمانيا، وإليه اعتاد الاغريق على الصلاة بتقوى عظيمة من أجل التخلص من الدمل.

٢١ - كرم عين الجدي

ويوجد في أسقفية بافوس هذه نفسها كرم عين الجدي، الذي لا نظير له في العالم، وهذا الكرم قائم فوق جبل عظيم الارتفاع، وطوله ميلان، وهناك شعاب شاهقة تحيط به من كل جانب مثل سور، وله مدخل واحد ضيق، وهو منبسط تماماً على الذروة تماماً، وينمو في هذا الكرم كثير من العنب، وهناك دوالي من مختلف الأنواع، وبعضها ينتج عنباً الحبة الواحدة كبيرة بحجم حبة الكمثرى الكبيرة، وينتج بعضها الآخر عنباً الحبة منه صغيرة مثل حبة الكمثرى الصغيرة، وتنتج بعض الدوالي عناقيد عنب واحد كبير مثل عدة جرار، وبعضها الآخر عناقيد صغيرة جداً، وتعطي بعض الدوالي عنباً أبيض، وبعضها الآخر عنباً أسود، وبعضها عنباً أحمر، وتعطي بعض الدوالي عنباً من دون بذور، وبعضها الآخر أعناباً مستطيلة، شكلها مثل شكل جوزة البلوط، وبعضها شفافاً، كما هناك أنواع أخرى لا تخص من الدوالي والأعناب من الممكن رؤيتها في هذا الكرم، وكان هذا الكرم فيما مضى ملكاً لفرسان الداوية، لكنه الآن ملكاً لفرسان القديس يوحنا في رودس، وكان هناك في أيام الداوية دوماً مائة من الرقيق - أعني من أسرى المسلمين - موجودين بشكل دائم، ليس لهم من واجبات أو عمل مفروض عليهم، غير العناية بهذا الكرم ورعايته، ولقد سمعت من عدد كبير من الرجال ذوي الخبرة العظيمة، أنه لا يوجد تحت الشمس أكثر جمالاً من هذه الجوهرة، وأعظم جلالاً، أو روعة، وقد خلقها الله من أجل فائدة الانسان، وذلك مثلما نقرأ عن الشيء نفسه في نشيد إنشاد سليمان قوله: «حبيبي بالنسبة لي مثل عنقود كافور في كروم عين جدي» (١٤/١).

وليس بعيداً عن بافوس تقوم ليماسول، التي كانت فيما مضى مدينة جميلة، غير أنها الآن مدمرة كثيراً بسبب الزلازل، وتدفق المياه بشكل

مفاجيء من الجبال، وهذه المدينة قائمة على الساحل، وهي تقابل بشكل مباشر، صور، وصيدا، وبירות، وعندما فقدت عكا سكن هذه المدينة فرسان مشفى القديس يوحنا، وفرسان الداوية، والنبلاء الآخرون، ومن الممكن رؤية قصورهم الكثيرة وقلاعهم حتى هذا اليوم، وعلى مقربة من لياسول هناك كرم آخر اسمه كرم عين الجدي الصغير، وفيه ينمو كثير من الدوالي، لا يمكن للإنسان أن يقيسها بذراعيه، غير أنها ليست طويلة جداً، ولا تعطي كثيراً من الثمار، وفي موضع من هذه الأسقفية اسمه برافيانانت Pravimunt (بنينانت Peninunt) يسكن رهبان من فرسان طائفة التوتون، وكذلك بعض الانكليز من طائفة القديس توماس أوف كانتربري، ويوجد في هذه الأسقفية أيضاً جبل عظيم الارتفاع، قائم منفرد بذاته، يشبه كثيراً جبل الطور، ويقوم على ذروته دير جميل، فيه رهبان من طائفة القديس بندكت، وفي هذا الدير الصليب الكامل الذي صلب عليه اللص على يمين المسيح، وقد أحضر إلى هنا من قبل القديسة هيلانة، وهي أيضاً تولت بناء هذا الدير مع تكريسه، وتجري تحية هذا الصليب والسلام عليه بكل تقوى من قبل جميع البحارة وهم في البحر، وذلك عندما يقتربون من هذا الجبل، وقد صنع الرب كثيراً من المعجزات على الجبل، بسبب فضائل الصليب المذكور، ومن الممكن رؤية جبل لبنان بوضوح من هذا الجبل.

٢٢ — مدينة فيياغوستا

واسم المدينة الثالثة في قبرص هو فيياغوستا، وهي قائمة على شاطئ البحر، وفيها الآن ميناء لجميع البحر، وللمملكة كلها، وهناك لابد من تجمع التجار والحجاج، وتقوم هذه المدينة مباشرة في مواجهة أرمينيا وتركيا، وعكا، وهذه أغنى جميع المدن في قبرص، وسكانها أثرياء إلى أبعد الحدود، وفي إحدى المرات كان واحداً من أهالي فيياغوستا يزوج ابنته، وقد قال الفرسان الفرنسيون الذين كانوا يبحرون معنا بأن

الجواهر التي وضعتهم فوق رأسها كانوا أفضل من جميع جواهر فرنسا، وكان في هذه المدينة تاجراً باع إلى السلطان كرة سلطانية ذهبية بمبلغ ستين ألف فلورين، وتحتوي هذه الكرة على أربعة أحجار كريمة فقط هي من: العقيق الأحمر، والياقوت الأزرق، واللؤلؤ، والزمرد، ومع هذا ذهب إليه فيما بعد والتمس أن يسمح له بشراء تلك الكرة ثانية مقابل مائة ألف فلورين، لكن التماسه رفض، فضلاً عن هذا كان لدى قسطلان القدس أربع لآلىء، كانت زوجته ترتديهم على شكل «بروش»، كان بإمكانه متى أراد، وحيثما رغب، أن يرهنهم مقابل ثلاثمائة ألف فلورين، وكان في مخزن هذه المدينة أكثر من حمولة خمس عربات من خشب الصبر، ولن أقول شيئاً عن التوابل، لكثرة تداولها وانتشارها، فهي مثل الخبز هنا، وهي تمزج بشكل عادي وتباع، وكذلك لن أجرؤ على أن أقول شيئاً أكثر حول الأحجار الكريمة، والثياب المذهبة، وأنواع الثروات الأخرى، لأنه يوجد في تلك المناطق مخازن منهم لم يسمع بمثلها، ولا يمكن تصديقها، ويسكن في هذه المدينة عدد كبير من المومسات الثريات جداً بشكل لا يحصى، ذلك أن بعضهن يملكن أكثر من مائة ألف فلورين، وعن ثروتهن لا أتجرأ على قول المزيد.

٢٣ — سلامينا ونيقوسيا

وعلى مقربة من فيماغوستا هناك مدينة ساحلية أخرى اسمها كونستانتيا، أو سلامينا، وهذه كانت فيما مضى مدينة جلييلة، وشهيرة، وجميلة، فعلى ذلك تدلّ خرائبها، وقد عاش في هذه المدينة رجل رائع في قداسته، اسمه القديس ايبيفانيوس Epiphanius، وقد انتخب أسقفاً بشكل إعجازي ودفن هناك، وولدت في المدينة نفسها العذراء القديسة كاترين، وتقوم بيعتها حتى هذا اليوم فوق موضع ولادتها، وواجه في هذه المدينة القديس برنابا الرسول الشهادة، وعلى مقربة منها جرى إحراق جسده ودفنه، وقد مجد القديس ايبيفانيوس هذه المدينة

وجميع المنطقة من حولها بكثير من المعجزات، غير أن هذه المدينة مدمرة الآن بشكل كلي.

ويوجد في قبرص مدينة أخرى عظيمة جداً اسمها نيقوسيا، وهذه المدينة هي حاضرة قبرص، وهي قائمة وسط سهل هناك عند سفح الجبال، وفي وسط هواء صحي جداً، ويسكن في هذه المدينة ملك قبرص والأساقفة ورجال الكنيسة الآخرون، الذين هم من أهل المملكة، وذلك بسبب هوائها الصحي، ويعيش أيضاً هناك القسم الأكبر من الأمراء الآخرين، والكونتات، والبارونات، والفرسان، ويمتعون أنفسهم كل يوم بالمباريات والمنازلات، وبالصيد بشكل خاص، ويوجد في قبرص كباش برية، ليست موجودة في مكان آخر في العالم، ومن الممكن اصطيداهم بوساطة الفهود، ومن غير الممكن اصطيداهم بأية وسيلة أخرى.

والأمراء والنبلاء، والبارونات، والشعب في قبرص هم الأغنى في العالم، لأن الانسان الذي يمتلك فيها مورداً قدره ثلاثة آلاف فلورين، ينظر إليه أقل من الانسان الذي دخله في هذه المناطق أقل من ثلاثة ماركات، غير أنهم ينفقون ثرواتهم على الصيد، فأنا أعرف واحداً من كونتات يافا لديه أكثر من خمسمائة كلب صيد، وكل زوج من هذه الكلاب له خادم خاص بهما، — كما جرت العادة في هذه البلاد — ويحافظ الخادم عليهما نظيفين، ويحمهما، ويدهنهما، فهذا ما يحتاج للقيام به بالنسبة لكلاب الصيد في هذه البلاد، وكان أيضاً أحد النبلاء لديه على الأقل عشرة صقور، أو اثني عشر صقراً، وقد رصد لهم ميزانية خاصة بهم للانفاق عليهم، وأنا أعرف عدداً كبيراً من النبلاء الفرسان في قبرص بإمكان كل واحد منهم تجنيد أكثر من مائتين من الرجال المسلحين والانفاق عليهم مبلغاً أقل من المبلغ الذي ينفقه على كلاب صيده أو صقوره، لأنهم عندما يخرجون إلى الصيد يبقون أحياناً لمدة

شهر في الغابات وفي الجبال، يتجولون مع خيامهم من مكان إلى مكان آخر، يتمتعون ويتسلون بالصيد مع كلابهم وصقورهم، وينامون في الغابات والحقول في خيمهم، ويحملون معهم كل ما يحتاجون إليه من مؤن وعتاد على ظهور الجمال مع حيوانات التحميل.

وعليك أن تعرف أن جميع الأمراء، والنبلاء، والبارونات، والفرسان، وأفراد الشعب في قبرص، هم الأفضل والأغنى في العالم، وهم يسكنون الآن هناك مع أولادهم، وكانوا قد اعتادوا من قبل على السكنى في أراضي سورية ومدنها، وفي اليهودية، وفي مدينة عكا الجليلية، لكن أما الآن قد تمت خسارة الأراضي والمدن السورية وكذلك اليهودية ومدينة عكا الجليلية، فقد هربوا إلى قبرص، وسكنوا هناك وما يزالون يسكنون حتى الآن، ويوجد في قبرص أناس أغنياء جداً، وتجار، ولاعجب في ذلك، لأن قبرص موجودة في أقصى (الشرق) بالنسبة للبلدان المسيحية، ولهذا لا بد لجميع السفن الصغيرة والكبيرة، ولجميع التجارات مهما كان نوعها، ومن أي بلد جاءت، لا بد أنها محتاجة إلى القدوم أولاً وقبل كل شيء إلى قبرص، حيث لا يمكنها بأي شكل من الأشكال تجاوزها، فضلاً عن هذا يحتاج جميع الحجاج القادمين من جميع أنحاء العالم ومن أي بلد كان، عندما يتجهون إلى البلدان القائمة فيما وراء البحار، يحتاجون إلى القدوم إلى قبرص، وفي كل يوم منذ شروق الشمس حتى غيابها يسمع الإنسان ببعض الأقاويل وبعض الأخبار هناك، وفي قبرص من الممكن أيضاً سماع جميع اللغات المحكية في العالم والتحدث بها، وكذلك تعليمها في مدارس خاصة، وتنمو في قبرص كروم رائعة فوق الجبال العالية، قد تعرضت لأشعة الشمس، وتكون خور هذه الأغراب في البداية حمراء، لكن بعد مكوثها في جرار فخارية لمدة أربعة أعوام، أو ستة، أو عشرة، أو عشرين، تغدو بيضاء، ومهما كانت المدة التي مكثت فيها طويلة، لن تفقد قوتها، بل تزداد كل يوم، حتى يبلغ

الأمر أن تسعة عيارات من الماء تضاف بالعادة إلى عيار واحد من الخمر، وإذا ما أقدم إنسان على شرب دن من تلك الخمرة هو لن يسكر فقط بل ستحترق أحشائه في الداخل وتتمزق، ومع ذلك مفيد صحياً أن تتناول بعضاً من هذه الخمرة من دون مزج وتشربها على معدة فارغة، ولا يوجد في أي مكان شارب خمر أفضل أو أكثر تناولاً من الذين في قبرص، وفي قبرص تنمو جميع الأشجار والأعشاب مثلما تنمو في الأرض المقدسة، وكان في قبرص في أيامي عدد كبير من النبلاء والبارونات، والفرسان، الذين تركوا ألمانيا، أذكر من هؤلاء: كونت فياندن Vianden، وكونت سكاورتنبيرغ Schwartzenberg، ولورد أوف سيلد Sleyde، وأمير أوف لختنستين Lichtenstein، وعدد كبير آخر.

يضاف إلى هذا أن جميع الأماكن الساحلية في تركيا والمناطق المحيطة بها تدفع الجزية إلى ملك قبرص، والمقصود بهذا: كانديلور Can-delor، وسكالنون Scalnun، وسيكي Sicki، وأضاليا، والأماكن الأخرى والأحواز القريبة منهم، ويوجد في مدينة أضاليا هذه ثلاثة شعوب من الهراطقة، والمدينة مقسمة بأسوار وخنادق إلى ثلاثة أقسام، ويسكن في القسم الأول منها الاغريق، الذين يحافظون على يوم الرب المقدس (الأحد)، ويسكن في القسم الثاني اليهود الذين يحافظون على يوم السبت المقدس، وفي القسم الثالث الأتراك، الذين يحافظون على يوم الجمعة، ويرونه مقدساً، ويوجد في القسم الاغريقي صورة العذراء مريم المباركة، مرسومة على رقيم، ويوجد في العالم ثلاثة رقم من الشيء نفسه هي: الأول في روما، والثاني في القسطنطينية، والثالث في أضاليا، وهم جميعاً بالحجم نفسه، والشكل، والمظهر، ومن المعتقد أن القديس لوقا قد رسم هذه الصور الثلاث مباشرة عن شخص مريم المباركة، وصدوراً عن الاحترام لهذه الصور، صنع الرب كثيراً من

المعجزات هناك، ويحتاج إلى زمن طويل جداً للحديث عن بقية ثراء وجلالة قبرص.

٢٤ — المدن القائمة على شاطئ البحر

وفي عودة إلى موضوعي، يبحر الانسان من قبرص، إلى واحدة من المدن القائمة على شاطئ البحر، وذلك إما إلى مصر أو إلى سورية، وهذه المدن هي كمالبي: الاسكندرية، طرابلس، بيروت، جبيل، يافا، صيدا، صور، وعكا، وقبل المضي أكثر سوف أتحدث بعض الشيء حول هذه المدن، حتى يمكنك أن تتعرف إليهم، وهم جميعاً أعطوا أسماء مختلفة عن الأسماء التي حملوها في الماضي، وذلك بعدما فقدت الأرض المقدسة واستردت كثيراً من المرات، ولذلك سوف أتحدث قليلاً عنهم حتى تعرف بحصة من وقعت هذه المدن عندما استولى عليها الصليبيون.

وعليك أن تعرف أن ما من واحدة من هذه المدن تبعد أكثر من سفيريوم واحد عن قبرص، واعلم أولاً أن الاسكندرية هي المدينة البحرية الأولى لمصر، وواحدة من أحسن مدن السلطان، وهي قائمة من الجانب الأول على نهر النيل، الذي هو نهر الفردوس، والذي يصب في البحر بجوارها، ويقع جانبها الآخر على شاطئ البحر، وهذه المدينة فائقة الجمال وحصينة، ومحاطة بأبراج عالية وبأسوار تبدو أنها لا ترام، وقد سكنت فيما مضى من قبل المسيحيين، وأما الآن فهي مسكونة من قبل المسلمين، وهي في الداخل في غاية النظافة، فهي كلها مغسولة ناصعة، ويوجد في قرنة كل شارع نبع ماء يجري خلال أنابيب، وجرت المحافظة على نظافة المدينة بكل عناية من قبل مراقبين، الذين واجبهم هو منع رمي أية أوساخ في الشوارع أو بالينابيع من قبل أي إنسان، ويبقى السلطان في هذه المدينة على جنود مرتزقة مع حرسه الشخصي، حيث يتولون حراسة المدينة مع الميناء، وكان القديس مرقس الانجيلي

بطريكاً في هذه المدينة، وقد استشهد هناك، وخلافة له مايزال هناك بطريك مسيحي فيها، وفي هذه المدينة مايزال قائماً حتى هذا اليوم كثيراً من الكنائس الأخرى، فيهم ترقد أجساد كثير من القديسين، ويوجد هناك كثيراً من المسيحيين والتجار يعيشون فيها، وتبدو هذه المدينة بالنسبة للعين البشرية أنها لاترام، ومع ذلك من السهل الاستيلاء عليها، وأنا لا أجرؤ على قول المزيد حول هذه المسألة.

ومدينة الاسكندرية هذه، التي عرفت بالقديم باسم الاسكندرية، تدعى الآن باسم اسكندرية، من قبل سكانها، وعلى مقربة من الاسكندرية يوجد الموضع الذي قطع فيه رأس القديسة كاترين، ومن هناك حملتها الملائكة إلى جبل سيناء، على بعد سفر حوالي ثمانية أيام، ويوجد في هذه المدينة كثرة كثيرة من الأماكن المقدسة وأماكن العبادة في تلك المدينة.

وليس بعيداً عن الاسكندرية هناك قرية سكانها جميعاً من المسلمين الحرفيين، الذي يتولون نسج البسط الرائعة بأشكال مختلفة، وبراعة مدهشة غريبة، ويقوم في هذا المكان أو القرية كنيسة صغيرة جميلة، فيها قبو صغير، ومن المعتقد أنه في هذا القبو جرى قطع رأس القديس يوحنا المعمدان، ومن المعتقد أن هذا القبو كان سجنًا، وهو معروف بسبب وضع المكان، حيث أنه قائم على حدود مصر والعربية، ويتولى هؤلاء الحرفيون المسلمون أنفسهم حراسة القبو بعناية فائقة وباحترام كبير، ويقومون بإضاءته بمصابيح وشموع، ويدفع كل واحد منهم حسب قدراته ووسائله بعضاً من دخله الخاص إلى الكنيسة وإلى القبو، لأنهم يعتقدون بكل تأكيد، وأنه قد تبرهن بالتجربة، أنهم إذا لم يحافظوا على الكنيسة بمثل هذا الاحترام، وإذا ما تركوها غير مضاءة لليلة واحدة، سوف تخرج الجرذان من الأرض وستمزق إلى قطع وتتلف جميع البسط المعمولة من قبلهم، ويقولون إنه كلما أظهر أي إنسان المزيد من الاحترام

للكنيسة والقبو المتقدمي الذكر، كلما نجح أكثر في عمله، وكان هذا المكان الذي تقوم فيه الكنيسة الآن يدعى قديماً بالعربية باسم النصرانية(?) Metharonta .

وأقرب مدينة إلى مصر اسمها طرابلس، وهي قائمة على شاطئ البحر، عند سفح جبل لبنان، وهي منطقة، أعطيت إلى كونت طولوز، بعد استرداد الأرض المقدسة من قبل الصليبيين، وهذه المنطقة أو الكونتية خصبة، ومشهورة بسبب مزرعاتها، ومروجها، ومراعيها، وأعشابها وأشجارها وفواكهها، وهي بذلك أكثر شهرة من جميع البلدان من حولها، وأعظم جمالاً، ولهذا تدعى دون سواها من البلدان باسم الجنة الثانية، وفيها ما هو محبوب وجميل فوق تصور البشر وفهمهم، وجرى تدمير هذه البلاد أو الكونتية المكونة من الحدائق بوساطة سيل تدفق من ذرى الجبال العالية للبنان، وذلك باندفاع خفيف، حتى أن صوته كان يمكن سماعه عن بعد أكثر من ميل، والذي كان واقفاً إلى جانبه صار أطرشاً لمدة تزيد على ثلاثة أيام، ومثل هذا هناك بئر ماء يجري خلال هذه المنطقة أو الكونتية، كما وينبع هناك نبع يتدفق دوماً من الأرض المنبسطة، ولم يتناقص قط بكمياته أو شكله، وهو في جميع الجوانب مثله مثل النبع الموجود في مدينة بادربورن، والذي يدعى باسم بادر Padere، وبمياه هذين الجدولين، أي النبع والبئر تتم سقاية جميع الأرض، وهذين هما الجدولين اللذين نقرأ عنهما في [نشيد الانشاد: ١٥ / ٤]: «ينبوع جنات بئر مياه حية وسيول من لبنان».

وعليك أن تعرف أن جبل لبنان جبل طويل جداً، وهو في بعض الأماكن مرتفع كثيراً، وباعتقادي هو يشبه من جميع الجوانب الجبل الموجود في هذه المناطق واسمه اوسنغ Osning ، ويمتد جبل لبنان من بداية أرض الميعاد بعيداً حتى كليكياء، وهو جبل مليء بأجمل الأشجار، وأطيب الفواكه، والحشائش ومما يمكن لقلب الإنسان أن

يتصوره، والجبل كذلك مليء بما لا يحصى من البلدات والقرى، فيها جميعاً يسكن مسيحيون، يسرون وفق الطقوس اللاتينية، وهم يتطلعون شوقاً يومياً لقدم المسيحين (بحملة صليبية)، ولقد رأيت عدداً كبيراً من أساقفتهم يسرون وفق الطقوس اللاتينية.

وعليك أن تعلم أن البلاد التي يصل إليها هذا الجبل، قد عرفت فيما مضى باسم كليكياء، لكنها تعرف الآن باسم أرمينيا الصغرى، لأن الأرمن استولوا على تلك الأرض وانتزعوها من المسلمين بالقوة، وتحاربوا معهم وتخاصموا لمدة خمسمائة سنة بدون انقطاع، وفي هذه المنطقة تقوم مدينة طرسوس الجبلية، التي كان القديس بولس الرسول قد ولد فيها.

وفي عودة إلى موضوعي: هناك مدينة بحرية أخرى اسمها بيروت، وهي مدينة جميلة وكثيرة السكان، وكانت عندما استولى الصليبيون على الأرض المقدسة صارت من نصيب لورد أوف ستاركبيرغ - Star-kenberg، وقد ورد ذكر هذه المدينة لدى الامبراطور جستنيان في مقدمة مختصر مدونته القانونية، ذلك أن دراسة القانون قد ازدهرت فيها فيما مضى، ويقوم في هذه الكنيسة كنيسة جميلة مكرسة للقديس نيقولا، وهي كنيسة تحظى باحترام خاص لدى المسيحيين، وكان القديس جورج قد حول هذه الجزيرة إلى عقيدة المسيح، وقتل التين الذي كانت تعاني منه، وأنقذ ابنة ملك المدينة من التين، ومجد البلاد بكثير من المعجزات، وبثر التين مايزال من الممكن رؤيته بوضوح، ويلتقي جميع الحجاج المتوجهون إلى القدس مع بعضهم في هذه المدينة، ويمرون من خلالها.

وليس بعيداً عن هذه المدينة، هناك مدينة أخرى جيدة التحصين وقوية اسمها جبيل، التي آلت بعد الاستيلاء على الأرض المقدسة إلى

فرسان الداوية، ويقرأ الانسان عن هذه المدينة في سفر الملوك (الأول: ١٨/٥) قوله: «والجلبليون وهياوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت»، وكانت هذه المدينة تعرف وقتذاك باسم بيلوس، واسمها الآن جبيل.

وليس بعيداً عن هذه المدينة، تقوم مدينة أخرى على شاطئ البحر اسمها يافا، التي ماتزال مسكونة بشكل جيد، وكان طريق الحجاج فيما مضى يمر عبر هذه المدينة، لكن قبل أيامي بوقت قصير قام السلطان بتخريب مرسى هذه المدينة، خشية من ملك فرنسا.

ويوجد على مقربة من هذه المدينة مدينتان أخريتان جمليتان هما: الرملة، التي ولد فيها النبي صموئيل وعسقلان، وتبعد يافا سفر ثلاثة أيام عن القدس، أو مايقارب ذلك، وهي كونتية، وكونت يافا أيضاً مارشال مملكة القدس، وصاحب الرملة وعسقلان، وهكذا يذكر نفسه ومرتبته، وفي أيامي تزوج كونت يافا وهنري دوق برنزوك -Bruns wick من أختين.

وليس بعيداً عن يافا توجد مدينة جميلة جداً، قائمة على ساحل البحر، وهي جيدة التحصين بوساطة خمسة أبراج جيدة وبأسوار، لكنها مدمرة تماماً، واسم هذه المدينة صيدا، وإثر الاستيلاء على الأرض المقدسة صارت من حصّة فارس اسمه دي نيولي Neapoli ، وكانت هذه المدينة تعرف فيما مضى باسم صيدون، وتدعى الآن باسم ساغيت Sagette .

وعلى مقربة من هذه المدينة توجد مدينة أخرى فائقة الجمال، وهي بالوقت نفسه جيدة التحصين بوساطة أبراج جيدة وأسوار، وهي قائمة بمفردها فوق جزيرة في البحر، واسم هذه المدينة صور، وهي الآن شبه مهجورة، وكانت عندما جرى الاستيلاء على الأرض المقدسة، قد

صارت من حصّة بلدوين أخو غودفري دي بولليون، وهذه المدينة التي عرفت فيما مضى باسم Tyre ، تدعى هذه الأيام باسم صور.

ويقوم فيما بين صيدا وصور كنيسة جميلة، بنيت فوق المكان الذي دعت فيه المرأة الكنعانية الرب، ويتحدث، الانجيل عن هذا بقوله: «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية» الخ، [متى: ٢١/١٥ — ٢٢].

٢٥ — مدينة عكا المجيدة

وعلى مقربة من صور، وعلى مسافة سفر يوم واحد على طول شاطئ البحر، تقوم مدينة عكا المجيدة، التي كانت فيما مضى محط الحجاج، وجميع المسافرين الآخرين، وهي تبعد مسيرة ثلاثة أيام عن القدس، وقبل المضي إلى أي أمر آخر، لابد من أن أقول شيئاً ما حول مدينة عكا هذه، لكن مع هذا عندما أنظر إلى أوضاعها الحالية أفضل النحيب والبكاء على أي شيء آخر، فأني قلب لن يذوب حزناً، ويستطيع أن يصمد، لدى رؤيته لخراب ولدمار هذه المدينة الجليلة والعظيمة؟ وتقوم مدينة عكا المجيدة هذه — كما قلت — على شاطئ البحر، وقد بنيت بحجارة منحوتة مربعة، حجمها أكبر من المعتاد، مع أبراج عالية وفائقة الحصانة والقوة، ولا يبعد كل برج عن البرج الآخر أكثر من مسافة رمية سهم، وذلك على طول محيط الأسوار كلها، ويقوم كل باب من أبواب المدينة بين برجين، والأسوار هناك عظيمة إلى حد يمكن لعربتين أن تمر إحداهما بالأخرى بسهولة فوق أعلاها، كما هو الحال في هذه الأيام، ومن الجهة الأخرى أيضاً، باتجاه اليابسة، المدينة محاطة بأسوار متميزة، وبخندق عميق جداً، وهو مجهز بشكل موائم بغطاسين وعمال ومدافعين وبوسائط موائمة للحراسة.

والشوارع في المدينة في داخلها مرتبة جداً ومنظمة، حيث أن جدران

البيوت كلها لها ارتفاع واحد، وكلها متشابهة البناء من حجارة منحوتة، مزينة بشكل رائع بنوافذ زجاجية ورسوم، وفي الوقت نفسه لم تبني جميع القصور والبيوت في المدينة لمجرد تلبية حاجيات الذين يسكنون فيها، وإنما لتزودهم بالرفاه الانساني وبالسرور والمتعة، وكل قصر متفوق بقدر الامكان على القصر الآخر بتزجيجه، ورسومه، وبقاعاته، وبوسائل التزيين الأخرى، التي أسس فيها في الداخل، والتي جمل بها في الخارج، وكانت شوارع المدينة مغطاة بأقمشة حريرية، أو بأقمشة ووسائل أخرى جميلة، لئلا تمنع أشعة الشمس وتبقيها نائية، ولقد قام في زاوية كل شارع برج فائق القوة، محاط بباب حديدي وبأسوار حديدية، وسكن جميع النبلاء في قلاع حصينة وفي قصور على طول الطرف الخارجي للمدينة، وذلك تبعاً لحرفتهم ونوع أشغالهم، وعد جميع سكان المدينة، مثل النورمان القدماء، أنفسهم نبلاء، وتصرفوا بذواتهم مثل النبلاء، وذلك مثلما كانوا بالفعل فيما مضى، وأول سكان المدينة هناك ملك القدس وأخوانه مع عدد كبير من نبلاء الأسرة، وأمراء الجليل، وأمراء أنطاكية، والقائد الرئيسي للملك فرنسا، ودوق قيسارية وصاحب صور، وصاحب طبرية، وصاحب صيدا، وكونت طرابلس، وكونت يافا، وصاحب بيروت، وصاحب يبنى، وصاحب بيسان، وصاحب أرسوف، وصاحب فوس Vaus ، ونبلاء تل الصافية.

وكان جميع هؤلاء الأمراء، والدوقات، والكونتات، والنبلاء، والبارونات يسرون في الشوارع ويعرضون أنفسهم بأبهة ملكية، حيث الزينة الذهبية فوق رؤوسهم، وكل واحد منهم كأنه ملك، ومعه فرسانه، وأتباعه، ومرتزقته، وحاشيته، وثيابه وفرسه الحربي وقد تزين بشكل رائع بالذهب والفضة، وكل واحد منهم كان يتبارى مع الآخر بالجمال وبالأبداع والاختراع، وقد اعتنى كل رجل منهم باظهار نفسه وعرضها بعناية فائقة، وكانوا في كل يوم يدرّبون أنفسهم ويشغلونها

بالمبارزات، وبالصيد، وبالمنازلات، وبكل نوع من أنواع العروض العسكرية، ولقد اختص كل واحد منهم أو امتاز بقطعة من الأرض إلى جانب قصره أو قلعته.

وسكن هناك أيضاً من أجل القتال ضد المسلمين، ولصالح الايمان الكاثوليكي مقدم رهبان فرسان الداوية مع فرسان مسلحين، وكذلك مقدم رهبان طائفة القديس يوحنا للقدس، مع فرسان مسلحين، وأيضاً مقدم رهبان بيت طائفة التيوتون مع فرسان مسلحين، ومثل ذلك مقدم رهبان طائفة القديس توماس أوف كانتبري مع فرسان مسلحين، وكذلك مقدم وفرسان طائفة القديس لعازر مع فرسان مسلحين، ولقد سكن هؤلاء جميعاً في عكا، وكانت مقار قيادات طوائفهم هناك، وقد قاتلوا هم وأتباعهم ليل نهار ضد المسلمين.

وسكن أيضاً في عكا هناك أغنى التجار تحت قبة السماء، وقد تجمع هؤلاء واحتشدوا معاً هناك من جميع أمم الأرض، فقد كان هناك بياضة، وجنوبيين، ولومبارد، الذين ضاعت المدينة بسبب خصوماتهم اللعينة، لأنهم عدوا أنفسهم وتصرفوا مثل النبلاء، وقطن هناك أيضاً تجار على درجة عالية من الثراء من الشعوب الأخرى، لأنه من شروق الشمس حتى غيابها كانت تجلب جميع أجزاء الدنيا التجارات إلى ها هنا، وجرت العادة بجلب كل شيء كان موجوداً في العالم ونظر إليه على أنه رائع أو غريب إلى هذه المدينة، وذلك بسبب النبلاء والأمراء الذين سكنوا هناك، وسيحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن الأمجاد الأخرى لعكا مع مفاتها ومحاسنها هناك، ولا يستطيع أي إنسان أن يتحدث بشكل كامل عنهم.

ولقد كانت هذه مدينة عكا الواسعة الشهيرة، التي عرفت فيما مضى باسم بطوليس، التي جرى فيها قتل يهوذا(؟) المكابي بشكل خياني من قبل تريفون، وذلك حسبما جاء في سفر المكابيين، وبالوقت نفسه هذه

كانت مدينة عكا التي كان فيها وثن بعل زبوب، وكان ذلك في الوقت الذي سقط فيه آحاز، ملك إسرائيل من عليته التي في السامرة فمرض، فقال لخدمه: «اذهبوا واسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض؟» وذلك حسبها جاءت الرواية بالتفصيل في سفر الملوك (الثاني: ١/ ٢).

٢٦ — فقدان مدينة عكا وضياعها

وبعدما تحدثت عن مجد عكا وجمالها، سوف أتحدث إليكم الآن بشكل موجز عن سقوطها وخرابها، والسبب في خسارتها، وذلك حسبها الحكاية تحكى من قبل رجال مستقيمين وصادقين، وكانوا يتذكرونها بشكل جيد، ففي الوقت الذي كانت فيه الأعمال الكبيرة ماضية في عكا حسبها تحدثت عنها، تفجر بإثارة من الشيطان خلاف في لومبارديا بين حزبي الغولفين والغيلينين، الأمر الذي جلب جميع الشرور على الصليبيين، فاللومبارد الذين كانوا يسكنون في عكا تحزبوا واتخذوا مواقف في هذا الخلاف هي نفسها، ولاسيما البيازنة والجنوبيين، ذلك أنه لكل واحد من الفريقين كان هناك حزب قوي جداً في عكا.

وعقد هؤلاء الناس معاهدات وهدن مع المسلمين، من أجل أن يتفرغوا بشكل أفضل لقتال بعضهم ضد بعضهم الآخر في داخل المدينة، ولدى سماع البابا أوربان (١) بهذا حزن كثيراً من أجل الصليبيين ومن أجل الأرض المقدسة، وبعث باثني عشر ألفاً من العساكر المرتزقة عبر البحر لمساعدة الأرض المقدسة والمسيحية.

وعندما جاء هؤلاء الرجال عبر البحر إلى عكا، لم يفعلوا شيئاً مفيداً،

١ — حكم أوربان الرابع من ١٢٦١ حتى ١٢٦٤، وعلى هذا لا يمكن لهذه الأحداث أن تكون

قد وقعت في أيامه، والمقصود هنا هو جيروم دي أسكولي الذي حكم باسمه نيولاً الرابع ١٢٨٨

— ١٢٩٢ .

بل أقاموا ليلاً ونهاراً في الحانات وفي الأماكن سيئة السمعة، واعتقلوا التجار ونهبوهم وفعلوا الشيء نفسه مع الحجاج في المناطق العامة، وخرقوا المعاهدة، واقتربوا كثيراً من الشرور.

ولدى سماع الأشرف خليل سلطان القاهرة بهذا، وكان قد عرف بالصراع الكريه بين سكان عكا، وبما أنه كان رجلاً حكيماً جداً، وفي غاية القدرة والقوة العسكرية، وشجاعاً في أعماله، دعا إلى اجتماع عام لمستشاريه، كما عقد مجلساً عاماً للشورى في القاهرة، حيث تشكى بأن الهدنة قد خرقت مراراً وتم تجاهلها، مما ألحق الضرر به وبشعبه، وبعد نقاش عقد حول هذه القضية، حشد جيشاً عملاقاً، ووصل إلى مدينة عكا دون أن يلقي أية مقاومة، وذلك بسبب خصامات الفرنجة مع بعضهم بعضاً، وقام بقطع جميع الكروم وأشجار الفاكهة، وشعث جميع البساتين والحدائق التي كانت جميلة وممتعة هناك، وعندما رأى مقدم الداوية هذا، وكان رجلاً حكيماً جداً، وفارساً شجاعاً خشي من أن سقوط المدينة بات وشيكاً، بسبب النزاعات بين سكانها، فعقد اجتماعاً مع رهبانه حول إيجاد طريقة، يمكن بها إعادة السلام، وخرج من المدينة لمقابلة السلطان، الذي كان صديقاً خاصاً به وقريباً منه كثيراً، ليسأله عما إذا كان من الممكن بأية وسيلة من الوسائل إعادة العمل بالهدنة المخروقة، وقد حصل على هذه المطالب من السلطان، وكان ذلك بسبب حبه للسلطان، والتقدير الذي أبداه السلطان نحوه، وبات من الممكن إعادة العمل بالهدنة المخروقة شريطة أن يدفع كل إنسان في عكا بنساً بندقياً، وعلى هذا كان مقدم الداوية مسروراً، وترك السلطان، ودعا جميع السكان، وألقى فيهم موعظة في كنيسة القديس الصليب، وبين لهم كيف أنه بالتماساته، تمكن من إقناع السلطان، بالموافقة على إعادة العمل بالمعاهدة المخروقة، بأن يدفع كل واحد من الشعب بنساً بندقياً واحداً، فبذلك يمكن تسوية كل شيء وإعادته إلى السكون، ونصحهم بكل

وسيلة بأن يفعلوا ذلك، وأوضح أن الصراعات بين سكان المدينة يمكن أن تجلب أسوأ الشرور على المدينة، لابل أكثر من هذا، وهذا ما وقع بالفعل.

لكن عندما سمع الناس هذا، صرخوا بصوت واحد، بأنه كان خائناً للمدينة، وأنه كان مجرمًا يستحق الموت، وعندما سمع المقدم هذا، غادر الكنيسة، وبصعوبة نجا حياً من أيدي الناس، وحمل جوابهم إلى السلطان، وعندما سمع السلطان هذا — وكان يعلم أنه بسبب النزاعات بين الناس ما من أحد منهم، سوف يقدم أية مقاومة — أمر بنصب خيمة، وأقام ستين آلة، وحفر كثيراً من الانفاق تحت أسوار المدينة، وهاجم المدينة لمدة أربعين يوماً، ليلاً ونهاراً، بدون توقف، بالنار، والحجارة، والسهم، حتى بدا الهواء يابساً من كثرة السهام، ولقد سمعت واحداً من الفرسان الصادقين جداً يقول بأن جميع الحراب التي كانت على وشك الرمي بها من أحد الأبراج بين المسلمين، قد عطلت بوساطة نشاب المسلمين، قبل أن تترك يده، وكان آنذاك في جيش السلطان ستائة ألف رجل مسلح، كانوا مقسمين إلى ثلاث مجموعات، وعلى هذا كان هناك دوماً مائة ألف تولت حصار المدينة، وعندما كان هؤلاء يشعرون بالتعب، كانت مائة ألف جديدة تأخذ مكانهم، وهكذا دواليك، ومثل هذا وقف مائتا ألف أمام أبواب المدينة جاهزين للقتال، وكان واجب المائتي ألف المتبقين تزويدهم بكل شيء كانوا يحتاجون إليه، ولم تكن الأبواب مغلقة ولم تغلق أبداً، ولم تكن هناك ساعة من النهار من دون بعض القتال الحاد، الذي قاتلوا به ضد المسلمين، وذلك من قبل الداوية وفرسان الطوائف الأخرى التي كانت مقيمة هناك، لكن أعداد المسلمين تزايدت بسرعة فائقة، فبعد مقتل مائة ألف منهم حل محلهم مائتي ألف جدد، ومع هذا ما كان الفرنجة ليفقدوا المدينة، أمام هذا الحشد كله، لو أن أحدهم عاون الآخر بإخلاص، ذلك أنهم

عندما كانوا يحاربون خارج المدينة، كانت فئة ما تهرب وتترك الفئة الأخرى لتواجه القتل، أما في داخل المدينة فإن إحدى الفئات كانت تتأبى الدفاع عن قلعة أو قصر يعود إلى فئة أخرى، لابل أكثر من هذا كانت عن قصد تترك قلاع الفئة الأخرى، وقصورها، وحصونها، يجري اقتحامها والاستيلاء عليها من قبل الأعداء، وكان كل واحد منهم أن يعرف أن قلعته، وموضعه قوي حصين، ولا يهمله قلعة أو حصن أي إنسان آخر.

وفي أثناء هذه الفوضى دافع مقدمو الطوائف مع فرسانهم عن أنفسهم، وقاتلوا دونما توقف ضد المسلمين، وذلك حتى قتلوا كلهم تقريباً، وفي الحقيقة سقط مقدم ورهبان طائفة التيوتون مع أتباعهم وأصدقائهم، أمواتاً في وقت واحد، وساعة واحدة كانت هي نفسها.

واستمر هذا، وجرت عدة معارك، ووقع عدة آلاف قتلى على كل طرف من الطرفين، وحل أخيراً وقت الجزاء بالنسبة لذنوبهم، واقترب موعد سقوط المدينة، وحل مع مجيء اليوم الأربعين للحصار، وكان ذلك في سنة ألف ومائتين واثنين وتسعين (الصحيح: إحدى وتسعين) لتجسيد ربنا، وفي اليوم الثاني عشر من شهر أيار، في هذا اليوم جرى الاستيلاء على مدينة عكا، المدينة الأكثر جلالة ومجداً، والتي هي زهرة، ورئيسة، وفخر جميع مدن الشرق، وعندما سمع سكان المدن الأخرى، أي مدن: يافا، وصور، وصيدا، وعسقلان، بهذا تركوا جميع ممتلكاتهم خلفهم، وهربوا إلى قبرص.

وعندما استولى المسلمون على عكا أولاً، دخلوا إليها من خلال ثغرة أحدثوها في السور على مقربة من قلعة ملك القدس، وبعدما صاروا بين الناس في داخل المدينة، ظلت كل فئة تتأبى تقديم المساعدة للفئة الأخرى، بل تابعت كل فئة الدفاع عن قلعتها وقصرها، وواجه المسلمون حصاراً أكثر طولاً، وتوجب عليهم القتال بتقدم أقل، وهم في

داخل المدينة، من تقدمهم عندما كانوا في خارجها، لأنها كانت محصنة بشكل مدهش.

وفي الحقيقة جاء في أخبار سقوط عكا، أنه بسبب ذنوب الناس، قاتلت العناصر الأربعة، إلى جانب المسلمين، فأول كل شيء صار الهواء كثيفاً إلى درجة الظلام، وصار الجو متلبداً مغياً، إلى حد أنه أثناء اقتحام إحدى القلاع، أو أحد القصور، أو الحصون، أو إحراقه كان من الصعب على الناس الآخرين رؤية القلاع الأخرى والقصور، حتى يجري مهاجمة قلاعهم وقصورهم، وللوهلة الأولى كان بإمكانهم الدفاع عن أنفسهم بشكل جيد، لو أنهم استطاعوا أن يتوحدوا، وقاتلت النار ضد المدينة لأنها ابتلعتها، وقاتلت الأرض ضد المدينة لأنها شربت دماء أهلها، وقاتلت المياه ضد المدينة، لأن الشهر كان شهر أيار، ففي هذا الشهر اعتاد البحر على أن يكون هادئاً جداً.

وعندما رأى أهل عكا بوضوح أنه بسبب ذنوبهم، وظلام الهواء، لم يعد بإمكانهم رؤية أعدائهم، هربوا إلى البحر، راغبين بالابحار إلى قبرص، وفي البداية لم يكن هنالك ريح مطلقاً في البحر، لكن ما لبث أن ثارت عاصفة كبيرة، حالت دون أية سفينة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة من الاقتراب من الشاطئ، وكثير ممن كانوا قد شرعوا بالسباحة نحو السفن قد غرقوا، ومهما يكن من أمر، لقد نجا إلى قبرص أكثر من مائة إنسان.

ولقد سمعت من سيد صادق جداً، ومن رجال آخرين موثوق بهم، كانوا آنذاك حضوراً، أن أكثر من خمسمائة من أكثر السيدات نبلاً، ومن الفتيات، ومن بنات الملوك والأمراء، انحدرن نحو شاطئ البحر، عندما كانت المدينة على وشك السقوط، وكن قد حملن معهن على صدورهن أدوات زينتهن من الذهب والحجارة الكريمة التي لا يمكن تقدير ثمن لها، وصرخن، ونادين، وسألن هل هناك أي بحار يتولى أخذ

جواهرهن جميعها، واختيار أية واحدة منهن أن تكون زوجة له، شرط أن يأخذهن، ويحملهن، ولوعاريات إلى أي بلد أمين أو جزيرة، واستقبلهن جميعاً أحد البحارة في سفينته، وأخذهن وعبر بهن إلى قبرص، مع جميع أمتعتهن مقابل لاشيء، وذهب بحال سبيله، لكن من كان هو، ومن أين جاء، وإلى أين ذهب، ما من إنسان يعرف حتى هذا اليوم، هذا وتعرض عدد كبير جداً من سيدات نبيلات آخر وفتيات إلى الغرق أو القتل، ويحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن الحزن الكبير والآلام التي كانت هناك.

وعندما كان المسلمون في داخل المدينة — إنما قبل استيلائهم الكامل عليها — استمر القتال من قلعة إلى قلعة، ومن مكان إلى مكان حصين آخر، وبذلك هلكت أعداد كبيرة من الناس على كلا الجانبين، حتى أنهم مشوا فوق جثثهم، وكأنهم يسيرون فوق أحد الجسور، وبعدما جرى فقدان جميع المدينة الداخلية، هرب الذين بقيوا أحياء إلى قلعة الداوية التي كانت حصينة جداً، وقد جرى حصارها على الفور من جميع الجهات من قبل المسلمين، ومع ذلك دافع الصليبيون عنها بشجاعة لمدة شهرين، وسقط أمامها جميع أعيان وقادة جيش السلطان قتل، لأنه بعدما جرى إحراق المدينة القائمة بين الأسوار كلها، بقيت أبراج المدينة وقلعة الداوية، التي كانت في داخل المدينة، ولذلك تمكن أهل المدينة من إبقاء المسلمين داخل المدينة، ومنعواهم من الخروج منها، مثلما فعلوا من قبل حين حالوا دون دخولهم إليها، وظل الحال هكذا حتى لم يبق أحد من المسلمين الذين دخلوا إلى المدينة أحياء، ذلك أنهم جميعاً سقطوا بالنار أو بفعل السيف، وعندما رأى أعيان المسلمين أن بقيتهم تمددوا أمواتاً، وأنهم هم أنفسهم غير قادرين على النجاة من المدينة، هربوا لاتخاذ ملاجئ لأنفسهم في الأنفاق التي كانوا قد حفروها تحت البرج الكبير، أمالاً منهم بأنهم سوف يجدون طريقاً للنجاة إلى الخارج من

خلال السور، لكن الداوية والذين كانوا في القلعة، عندما رأوا أنهم غير قادرين على إيذاء المسلمين بالحجارة وماشابه ذلك بسبب الأنفاق التي كانوا فيها، لغموا ما تحت البرج الكبير العائد للقلعة، وتركوه ينهار فوق الأنفاق وفوق المسلمين هناك في الداخل، وهكذا هلكوا جميعاً سواء، وعندما رأى المسلمون الآخرون الذين كانوا خارج المدينة جميع ما حدث، أسقط بأيديهم تماماً، وعقدوا بشكل خياني هدنة مع الداوية والصليبيين، على شرط أن يتخلوا عن القلعة، مقابل السماح لهم بأخذ جميع مقتنياتهم معهم، وأنه ينبغي تدميرها، وأن يعيدوا بناء المدينة وفق شروط محددة، وأن يعودوا إلى السكن فيها بسلام كما كان الحال من قبل، وصدق الداوية والصليبيون الآخرون هذا ووثقوا به، وسلموا القلعة وخرجوا منها، ونزلوا من أبراج المدينة، وعندما استحوذ المسلمون بهذه الوسيلة على كل من القلعة وأبراج المدينة، قتلوا جميع الصليبيين سواء، واقتادوا الأسرى إلى القاهرة، وبذلك بقيت عكا فارغة ومهجورة حتى هذا اليوم.

وفي عكا والأماكن الأخرى تم فقدان ما يقارب مائة ألف وستة آلاف رجل قتلاً أو أسراً، ونجا من هناك أكثر من مائتي ألف، أما بالنسبة للمسلمين، فقد قتل أكثر من ثلاثمائة ألف، كما هو تماماً معروف حتى هذا اليوم وأمضى المسلمون أربعين يوماً أولاً في حصار المدينة من الخارج، وخمسين يوماً في المدينة في داخلها، قبل الاستيلاء عليها، وشهرين في حصار الداوية.

وعندما سقطت مدينة عكا المجيدة على هذه الصورة، أنشد جميع شعب الشرق لسقوطها أناشيد البكاء والرثاء، مثلما اعتادوا أن ينشدوا على قبور أمواتهم، وبكوا على جمال عكا، وعظمتها، وعلى مجدها، ومازالوا يفعلون ذلك حتى هذا اليوم، ومنذ ذلك اليوم ترتدي النساء المسيحيات — سواء أكن من السادة أو من العاديين البسطاء — من

يسكن على الشاطئ الشرقي (للبحر المتوسط) ثياب السواد حزناً، وحداداً، وتفجعاً على فقدان مدينة عكا العظيمة، ومازلن يفعلن ذلك حتى هذا اليوم.

وعمل المسلمون بعد هذا، لعدد كبير من السنين، وبذلوا كل جهد ممكن، لاجتثاث ولتدمير جميع الأسوار تماماً حتى الأساسات، وفعلوا الشيء نفسه بالنسبة للأبراج والقلاع والقصور، خشية من أن يعاود الصليبيون عمارتهم، لكن كان من المستحيل بالنسبة إليهم تمكنهم من تدمير كل شيء واجتثائه حتى آخر رجل، وهكذا بقيت جميع الكنائس، والأسوار، والأبراج، وعدد كبير جداً من القلاع والقصور، سليمة إلى أبعد الحدود، وإذا ماسمح الرب، من الممكن — بعناية كبيرة — استردادها وترميمها، وإعادةها إلى أوضاعها الماضية.

ويسكن الآن في هذه الأيام حوالي الستين في المرتزة المسلمين في عكا، بمثابة حامية للمدينة وللميناء، ويؤمن الانفاق على عيشهم من خلال الحرير والطيور، لأنه يوجد في عكا كثير من الدجاج والحمام، إلى حد أن جميع الطيور التي يمكن رؤيتها في المنطقة لا يمكن مقارنتها بهم، وهؤلاء المرتزة لديهم شغف بالألمان، فعندما يلاحظون وجودهم من خلال مظهرهم، يسرون إليهم مباشرة، ويشربون الخمر معهم بعمق، على الرغم من أنها محرمة بشريعتهم.

وبهذا أكون قد حدثتكم كيف تم فقدان مدينة عكا المجيدة بسبب الخصام، ومنذ ذلك الحين فصاعداً، انتقلت جميع أمجاد الأرض المقدسة، وأمجاد ملوكها، وأمجاد أمرائها، وبقية أعيانها، إلى قبرص، وذلك حسبما سمعتم من قبل.

٢٧ — حول غزة وأشدود

ولأعد الآن إلى موضوعي: يذهب الانسان من عكا إلى غزة، التي

كانت فيما مضى مدينة جميلة جداً، تابعة للفلسطينيين، وهي الآن مهجورة تقريباً، وهي المدينة التي حطم شمشوم أبوابها الحديدية، وحملها معه إلى الجبل، والمسافة من عكا إلى غزة ثلاثة وعشرين ميلاً، ويرى الانسان على الطريق الأماكن التالية، لكن قبل المضي بعيداً، أقترح أن أحدثكم ببعض الشيء حول مدن الفلسطينيين، فحول غزة تقوم بلاد فلسطين، حيث نرى فيها أربع مدن عظيمة جداً، قد وجدت فيما مضى، وقد آل الآن مآلها كلها إلى قرى صغيرة، وذلك باستثناء مدينتان هما: أشدود وغات، وعليك أن تعرف أن البلاد التي عرفت من قبل باسم فلسطين، تعرف الآن باسم فلسطين، وأن المدينة التي كانت تعرف فيما مضى باسم أشدود اسمها الآن أرسوف، التي غالباً مارأيت صاحبها النبيل (بالين دي ايلن في سنة ١٣٦٨)، والمدينة التي عرفت فيما مضى باسم غاث اسمها الآن اسكندرون (جنوب غربي صور)، وقد منحها الاسم الجديد بلدوين ملك القدس، عندما كان بينها، ففي هذه المدينة كان جالوت قد ولد، وهو الذي قتله داود، ومن الممكن قراءة الكثير من العجائب حول هذه المدينة.

ومن هذه المدينة وبجميع الاتجاهات، نجد أن جميع المدن، والقرى، والقلاع، والأماكن القائمة على ساحل البحر المذكور، وذلك لعمق أربعة أميال في داخل اليابسة، هي جميعاً مشعثة ومدمرة وبقايتها هكذا حتى هذه الأيام، لأنه بعدما جرى فقدان الأرض المقدسة، وسورية وعكا، ارتأى المسلمون بأن عليهم الحفاظ عليهم وتملكهم بسلام، وأعني بذلك جميع الأماكن المتقدم ذكرها، والمدن، والقرى، والقلاع، القائمة على شاطئ البحر، إنما في ذلك الوقت كان شعب غاث أو اسكندرون قوياً جداً، ورجالها شجعاناً بارعين باستخدام السلاح، وفي الحقيقة لقد قيل بأنه في مثل ذلك المكان الذي امتلك مثل هذه الطبيعة، يلد الرجال أكثر حدة وعنفاً من سواهم من الرجال الآخرين، وأهل

غاث هؤلاء أنفسهم مع أن تعدادهم قليل، حيث هو أقل من ألف انسان، هم نبلاء وشجعان، ويعرفون جميع الطرقات في البلاد مع دروبها، لأنهم اعتادوا على التجول هنا وهناك، والسلاح بأيديهم، ويعملون بالأجرة، ويعرفون طبائع وعادات المسلمين، والداخل إلى هناك، والخارج من البلاد، وهم لا يعرفون الراحة، بل يغدون ذهاباً وإياباً، بشكل مستمر، في البر والبحر، وفي الليل والنهار، ويلبسون ثياب المسلمين، ويخفون الأسلحة تحتها، وعندما يكونون بين المسلمين يتصرفون بمثابة تجار مسلمين، ويدخلون معهم إلى مدنهم وقراهم، يأكلون ويشربون مع بعضهم بعضاً، وعندما يجدون أنهم يمتلكون فرصة جيدة مواتية، يأخذونها ويحرقون البلدة والقرية، التي صدف وكانوا بها، ويقتلون المسلمين أو يبيعونهم رقيقاً، وعندما وجد المسلمون أنفسهم غير قادرين على الوقوف ضد هؤلاء القوم، هجروا مدنهم، وقراهم، وذهبوا بعيداً، لكن نادراً ما نجوا، وهكذا فإن جميع الأماكن القائمة على طول ساحل البحر، والمدن، والقرى، والأماكن الأخرى حتى عمق أربعة أميال في داخل اليابسة، قد غدت معزولة تماماً ومهجورة حتى هذا اليوم.

ولقد سمعت من رجال صادقين، كانوا موجودين عندما كانت هذه الأمور تحدث، وسمعت أيضاً ما يروج بين الناس والحكايات حولهم التي مازال باقية، أن خوفاً عظيماً حل بساح المسلمين، بسبب رجال غاث هؤلاء الذين تقدم ذكرهم، إلى حد أنه حتى مسافة سفر ستة أيام بعيداً عنهم، اعتادت الأمهات على تهدئة أولادهم الباكين بكلمة «اسكندرون» فضلاً عن هذا ما من رجل يتجرأ على مقابلة آخر على الطريق، لأن شعب اسكندرون، لا يجعلون انساناً أميناً على نفسه من دون تيقظ وحذر.

وفي عودة إلى موضوعي أقول: على مقربة من عكا هناك نهر ليس

كبير الحجم اسمه نهر النعامين Belen (نهر بعل) ويجرف هذا النهر نوعاً من الرمل الزجاجي، يحمل من هناك إلى بلدان نائية، وهناك نهر آخر، على أحد طرفي عكا، لا يمكن لأفعى أو لأي من الهوام العيش فيه، مع أن بإمكانهم العيش والازدهار على الطرف الآخر، وقد تبرهن أنه إذا ما جرى رمي أفعى عبر هذا النهر تموت مباشرة.

٢٨ — جبل الكرمل

وعلى مقربة من عكا أيضاً، على الطرف الأيمن، وعلى بعد ثلاثة أميال، وليس بعيداً عن البحر، يقوم جبل الكرمل، الذي هو أملس وعريض، وعلى غاية من الجمال في الذروة، المزينة بكثير من النباتات والأماكن البهية، وقد سكن هذا الجبل النبي إيليا، وصنع كثيراً من المعجزات وعلى هذا الجبل، حدث أيضاً، حسبما تحدث إيليا، ابتلعت نار من السماء قائد الخمسين، التابع لآحاز ملك إسرائيل، وصلى على الجبل إيليا ودعا أن لا تسقط الأمطار على الأرض، وبالفعل لم تسقط لمدة ثلاثة أعوام وستة أشهر، وذلك حسبما نقرأ في سفر الملوك، وعلى هذا الجبل من الممكن أن نرى أنه قد قام فيما مضى دير جميل جداً، بني وكرس على اسم القديسة مريم، ويعرف الرهبان الذين جاءت أصولهم من هناك باسم الكرملين حتى هذا اليوم، وهم رهبان متسولون، ويمكن للانسان أن يرى أنهم امتلكوا فيما مضى خمسين ديراً في الأرض المقدسة.

ويوجد على أول أطراف الجبل نبع نقي تجري مياهه إلى البحر، ومن مياه هذا النبع اعتاد النبي إيليا على الشرب، ولهذا يعرف باسم نبع إيليا حتى هذا اليوم، وفي مكان آخر عند سفح الجبل يمكن للانسان أن يرى أن مدينة قد قامت هناك، كانت ملكاً للداوية، هي الآن مهذمة تماماً، واسمها حيفا، وليس بعيداً عن هذه المدينة هناك نبع صغير، هو الآن واحد من مصادر نهر الأردن، وعند نهاية جبل الكرمل كان هناك فيما مضى مدينة جميلة هي الآن مهذمة، اسمها زرعين، فهنا أقدمت إيزابل

على انتزاع كرم نابوت ولهذا رميت في المكان نفسه، حسبما نقرأ في سفر الملوك (الأول: ٢١)، وعلى مقربة من هذه المدينة سهل مجيدو، حيث قُتل يوشع ملك يهوذا، وليس بعيداً عن جبل الكرمل، وعلى طرف جهة اليسار، قامت فييا مضى مدينة جميلة، هي الآن مهدامة، اسمها الصفورية، وكانت قائمة على رابية، ففيها ولدت القديسة حنة، أم مريم المباركة.

وبعد العبور فوق جبل الكرمل، يقوم الانسان بعبور نهر، كان واحداً من روافد الأردن، ويصل إلى قيسارية فلسطين، التي كان اسمها فييا مضى دور، واسمها الآن قيسارية فلسطين، غير أنها مدمرة كلياً، وقد كان في هذه المدينة كنيسة جميلة، بنيت من خلال بيت كورنيلوس، الذي حوله بطرس إلى الايمان الصحيح، وكانت هذه المدينة نفسها، قد آلت، بعد الاستيلاء على الأرض المقدسة، إلى ملكية فارس من هذه المناطق [بلاد المؤلف] اسمه دي هورن Horne ، وكانت أرملة ختنه حية حتى أيامي، لأنني غالباً ما تحدثت معها حول هذا الموضوع.

وإذا ما سافر الانسان من قيسارية، يصل أولاً إلى ما كان فييا مضى مدينة جميلة، لكنها الآن مهجورة، واسمها قلعة الحجاج (عثليت)، وكانت هذه تعرف بالقديم باسم أرسوف (كذا)، وكانت هذه المدينة قد أعطيت إلى الداوية من قبل غودفري دي بولليون، الذي كان أول ملك صليبي للقدس، وذلك حفظاً لذكراه نفسه.

وإذا ما سافر الانسان من أرسوف، أو قلعة الحجاج، يصل إلى مدينة جميلة جداً، وهي مليئة بالسكان حتى هذا اليوم، اسمها عسقلان، ويذهب الانسان من عسقلان ليأتي إلى يافا التي هي مدينة قديمة جداً، وجميلة، وهي قائمة على شاطئ البحر، وإلى مرسى هذه المدينة دخل النبي يونه، عندما حاول أن يهرب من وجه الرب، وهي على بعد سفر حوالي اليومين من القدس، لكن الحجاج لا يستطيعون النزول في الميناء،

وعلى اليابسة، ليس بعيداً عن يافا، تقوم مدينة جميلة، عرفت فيما مضى باسم الرملة، لكن اسمها الآن بعل Bael، وهي قائمة فوق موقع جميل جداً، وبهيج، وممتع، وهي مسكونة من قبل المسيحيين وحدهم، ومن المعتقد أن ما من يهودي أو مسلم يستطيع أن يعيش فيها أو يسكن لمدة تزيد على السنة، وجميع الخمر الذي يشرب من قبل المسيحيين في القدس والأماكن الأخرى يجلب من هناك، وعلى الجانب الأيسر من مدينة الرملة هذه، أو بعل، تقوم مدينة جميلة، حسنة الاسكان، اسمها ديوسبولس ولها اسم آخر هو اللد، وفي هذه المدينة واجه الشهيد المجيد، القديس جرجس الشهادة، وقطع رأسه، وهناك كنيسة فائقة الجمال، حسنة التزيين بأعمال الفسيفساء والرخام، وفي داخلها، في السدة، يوجد المكان الذي جرى إعدامه صبراً فيه، وهو معروض للناس عموماً.

وبعد رؤية هذه الأشياء جميعاً، يصل الانسان أولاً إلى غزة، التي تحدثت عنها بعض الشيء، لأنني تحدثت إليكم بعض الشيء أيضاً عن المدن الأخرى في فلسطين، والمسافة بين عكا وغزة هي سفر أربعة أيام، ويزور الانسان خلال السفر جميع الأماكن المتقدمة الذكر، وبعد سفر الانسان من غزة يصل إلى قلعة اسمها بالعربية دار، وهي آخر مكان في سورية لدى النزول إلى مصر، وإذا ما ذهب الانسان بهذا الاتجاه يخلف القدس على جهة يساره، وذلك على بعد عشرين ميلاً أو قرابة ذلك، وهذه الطرق ليست طرقاً عامة للحجاج، غير أنها طرق جيدة لرؤية أوائل العربية ومصر، وكل ما هو موجود هناك، ويذهب الانسان من قلعة دار إلى مصر عبر صحراء رملية، وذلك خلال سبعة أيام، وفي هذه الصحراء ليس هناك نقص بأي شيء محتاج، باستثناء الماء، الذي من الممكن حمله في أوعية جلدية على ظهور الجمال، وهناك في نهاية سفر كل يوم يمكن العثور على نزل إسلامية جيدة، حيث يجد فيها الانسان

كل ما يحتاجه، باستثناء الخمر.

٢٩ — حول مصر

وبعد عبور هذه الصحراء يدخل الانسان إلى مصر، ولدى دخوله إليها يجد فيها أماكن على درجة عظيمة من الجمال والبهجة، مليئة بجميع الأشياء الجيدة، التي يمكن لقلب الانسان أن يتصورها، وهي مليئة بكل شيء يحتاجه الانسان إلا الخمر، ولدى متابعة السفر نحو باب اليون (بابل الجديدة — الفسطاط) يصل الانسان إلى قرية جميلة جداً وممتعة اسمها بليس، وبذلك يخلف الاسكندرية ودمياط على ساحل البحر، وإذا فعل ذلك يذهب الانسان على طول الطريق السلطاني العام، فيصل إلى القاهرة وباب اليون، التي تضم الآن مدينتين عظيمتين جداً، ليستا بعيدتان عن بعضهما، وتقومان على طرف النيل، نهر الفردوس، والمدينة التي كان اسمها فيما مضى قاهرة، تدعى الآن القاهرة، وسكن في هذه المدينة في القديم فرعون، عندما تولى تعذيب العبرانيين، وهنا أيضاً آيات ومعجزات، صنعت من قبل موسى وهرون، حسبما جاء بالتوراة، وعلى مقربة من القاهرة، فوق الجبل، الذي هو ليس عالياً، لكن صخري، يقوم قصر السلطان، ويوجد هناك أشياء كثيرة جداً غريبة وعجيبة، وأهم شيء يراه الانسان في هاتين المدينتين، هو الفيلة، وحيوانات الغرiffin Gryphons وعليك أن تعرف أن القاهرة أكبر من باب اليون (الفسطاط) وتبعد أكثر من رميتي سهم عنها، ذلك أن باب اليون قائمة على ضفة النيل، لكن القاهرة، قائمة على مسافة لا بأس بها عن النيل، والقاهرة الآن أكبر من باب اليون، لأنني سمعت من تجار قدروا أن القاهرة أكبر من باريس بسبع مرات، وفي القاهرة أبنية منخفضة مثل الأفران، ويوجد فيهم مدافئ، ويوضع في الداخل بيض فوق روث، وبوساطة هذه الحرارة تفقس الفراخ، وتخرج من البيض، ووقتها يأخذ المعلم هذه الفراخ، ويعطيها إلى امرأة عجوز، تتولى

العناية بهم وإطعامهم، وتضعهم في صدرها، مثلما تضع الدجاجة الفراخ تحت جناحيها، ويوجد في هذه المناطق أعداد لا تحصى من العجائز ليس لديهن أسباب ووسائل للعيش سوى تربية الفراخ والعناية بهم، ولهذا السبب تجد الطيور هناك كثيرة مثل عدد رمال البحر، وغالباً ما يقوم أحد الفلاحين بسوق خمسة آلاف طير إلى السوق مرة كل أسبوع، مثلما يفعل الراعي حين يسوق أغنامه، ويأخذ معه جملاً أو دابة أخرى مع سلال، يتولى ملأها بالبيض الذي تبيضه الطيور وهي على الطريق، وعندما يأتي إلى السوق المخصص للطيور، لا يفقد ولا طيراً واحداً، كما لا تمتزج طيور إنسان مع طيور إنسان آخر، وهذا أمر بالحقيقة مدهش، وخاصة عندما تلتقي آلاف كثيرة من الطيور في مكان واحد، فضلاً عن هذا يوجد على مقربة من باب اليون مكان خصب جداً، فيه مراعي غنية جداً، واسم هذا المكان غوشن Goshen، فهناك سكن البطيرك يعقوب، بناء على توجيه من يوسف، وكان ذلك في أيام فرعون، فهذا ما رواه الكتاب المقدس لنا.

٣٠ - حول بستان البلسم

فضلاً عما تقدم، يوجد على مقربة من القاهرة، باتجاه الصحراء السورية، بستان البلسم، الذي هو من حيث المساحة نصف رمية حجر، وليس مسوراً بشكل جيد، أو كله مسيج، ويوجد في هذا البستان خمسة آبار، تتولى سقاية شجيرات وفروع البلسم، ولكل شجرة أو شجيرة حارس خاص، يتولى تنظيفها، والعناية بها وغسلها، بعناية تامة مثلما يتولى غسل جسده، ولا تنمو شجيرات أو فروع البلسم كثيراً، حيث لا يتجاوز طولها الذراعين، ولها أوراق مضاعفة ثلاث مرات، ولدى بداية آذار، عندما يحل وقت النضوج ويصبح قريباً جداً، تصبح العناية بها أكثر، وعندما تصبح ناضجة، يجري قطع الأغصان والفروع وجرحها، وذلك مثل عملية تقليم الدوالي، ويجري ربط الجروح أو

الأماكن المقطوعة بقطع من الموصلين، ومن أماكن الجروح والقطع يبدأ البلسم بالتقاطر، مثلما يسيل الماء من الدوالي، ويطرسب في قطع الموصلين المربوطة حول الجروح، ويجري تعليق كأس من الفضة تحت كل غصن مجروح، حيث فيه تتقاطر أفضل أنواع البلسم.

وعلى هذا تقطع الأشجار عندما يسيل البلسم، وفي ذلك الوقت يكون سلطان القاهرة مشغولاً جداً، حيث يكون شخصياً حاضراً في البستان، ويتولى حراسته بدقة، حتى لا يتمكن إنسان، إلا هو، من الحصول على نقطة من البلسم بأية وسيلة من الوسائل، وعندما يقدم نواب البابا، وسفراء بعض الملوك والأمراء من مناطق أجنبية، يعطي كل واحد منهم قارورة صغيرة من الزجاج، صنعت خصيصاً لهذه الغاية، ويكون في داخل هذه القارورة بعض البلسم، ولدى تقديم هذه الهدية، كان يعتقد أنه يعطي أثمن هدية يمكن أن تعطى.

وبعدما يتم ترسيب جميع البلسم الجيد والحقيقي بهذه الطريقة، يقوم الأوصياء على الأغصان بقطعها حتى نهاية كل واحد منها، ويأخذ كل واحد حصته، ويتولى غليهم بالماء، ووقتها نجد كل الذي بقي من بلسم في نهايات الأغصان يذوب مثل الدهن، ويطوف على وجه الماء مثل الزيت، ومن هناك يجري جمع هذا البلسم بملعقة، ووضعه في وعاء، ثم تركه حتى يتماسك، وذلك لبعض الوقت، ويلاحظ أنه حتى هذا البلسم له ثمن مرتفع جداً، ولأن هذا البلسم قد تعرض للغلي، يغدو لونه أحمر مع بعض المزيج من الأسود، غير أن البلسم الطبيعي الذي يتقاطر بشكل طبيعي، له لون النبيذ، وعليك أن تعرف أن البلسم الطبيعي هو أغلى جوهرة في العالم، ولهذا السبب نجد البطارقة المقدسين، كانوا قد اعتادوا على مزجه بزيت مقدس من أجل المسح، وأي جسد لامس بلسماً طبيعياً، لن يتعفن ولن يفسد مطلقاً، وفي أثناء تقاطره طازجاً من الشجرة، إذا وقعت نقطة بيد إنسان، فهي سوف تسيل من خلال

الطرف الآخر، وتمر عبر يده، فضلاً عن هذا، إذا ما جرى وضع أربع نقاط أو خمس من البلسم الطبيعي في عين إنسان، على وشك أن تصبح عمياء، من انعدام الرطوبة، أو تقدم السن، أو أي ضعف آخر، ستبقى هذه العين على الفور، وإلى الأبد، تماماً مثلما كانت لحظة صب البلسم فيها، ولن تتحسن أوضاعها ولن تتدهور، وعلى هذا إنها لمغامرة خطيرة أن يحاول الإنسان مثل هذا، ما لم يكن الإنسان يائساً كلياً من بصره، وهذه الحقيقة واضحة مرئية في عدد كبير من أجساد رجال عظماء من العصور القديمة، التي تم العثور عليها سالمة تماماً غير فاسدة، لأنهم جرى دهنهم بالبلسم، ومثل هذا إذا كانت ندبة جرح جديد، عندما يكون قد بدأ ليشفى، إذا مسحت في أحد الأيام بنصف نقطة بلسم، وضع على ريشة، يعود على الفور جلد الجرح كما كان من قبل، ولا يترك أثراً، وما من إنسان يستطيع أن يرى أنه قد كانت هناك آثار ندبة على الإطلاق في ذلك المكان.

وزيادة على ما تقدم، إن البلسم المغلي هذا، هو عقار ممتاز جداً، وهو مفيد جداً من أجل نذب الجروح كما تقدم القول، وهو مفيد جداً بشكل خاص، عندما يسقط إنسان من مكان مرتفع، لأنه إذا ما تناول بعضاً منه، فإن جسده، الذي كان محطماً في الداخل، سوف يعود سالماً ثانية، وللبلسم المغلي أيضاً قدرة عظيمة جداً على العيون، وهو مفيد بدهن اللحوم حتى لا تفسد، ولكنه في جميع الأحوال وبالإجمال أقل قوة من البلسم الطبيعي، لأنه استخرج بالقوة بوساطة الغلي، في حين ترسب البلسم الطبيعي بشكل عادي.

وعليك أن تعرف أن الرجال المسيحيين فقط وحدهم قادرون على العناية ببستان البلسم ورعايتها، لأنه إذا ما حاول رجال آخرون العناية بها ورعايتها، فإنها تذبل على الفور وتموت، كما حدث مراراً وتبرهن على صحته، وسكنت مريم العذراء المباركة مع الطفل عيسى في

الموضع الذي تقوم فيه بستان البلسم الآن، وذلك عندما هربت إلى مصر من أمام هيرودس، وغسلت بشكل مستمر أغطيتهما وملابس يسوع في الآبار التي تسقي البستان، ولهذا السبب من المعتقد بشكل صحيح أن البلسم ينمو هناك، لأنه بقدر مانعلم لا يوجد البلسم في أي مكان آخر في العالم.

وسوف يقتضي الحال وقتاً طويلاً للحديث حول فضائل البلسم الأخرى وأمجاده، يضاف إلى هذا أنني لا أستطيع أن أتذكرهم جميعاً، وكان في أيامي بين المشرفين المسيحيين أربعة من الألمان، كان أحدهم من شوارتزنبورغ Schwartzenburg ، وكان فيما مضى مرتداً عن المسيحية وكان آخر بعين واحدة اسمه نيقولا، وكان رجلاً جيداً جداً، فهذا ما أكدده الأسرى المسيحيون، وكان قد أخذ أسيراً في عكا، لكن السلطان أطلق سراحه بسبب جودته، وجعله حارساً لسلام قاعة نومه.

٣١ — المسيحيون والقبور القديمة

وعليك أن تعرف أنه كان في أيامي في القاهرة والفسطاط حوالي أربعة آلاف أسير مسيحي، وذلك دون أن نذكر عدد الأطفال، وكان لهؤلاء الرجال ثلاثة بطاركة هناك ، ورجال دين، وكنائس، وآثار مبعجلة كثيرة للقديسين، وكان على رأس ذلك، الجسد الكامل للقديسة بربارة، وهي العذراء التي يتوسل إليها في أيامي عدد كبير من الملوك والأمراء، وتقديراً من السلطان لراحة الأسرى المسيحيين لم يقبل السلطان بقطع واحدة من أعضاء جسدها، ويحتفل الأسرى المسيحيون هناك بعيد أمسية القديسة بربارة، مثلما يحافظ الناس في هذه الأماكن على عيد القديس مارتن حيث يرسلون إلى بعضهم بعضاً بذور مختلف النباتات.

ويقوم على مقربة من الفسطاط، على الطرف الآخر من النيل، وذلك باتجاه الصحراء المصرية، كثير من القبور ذات أحجام مدهشة، من بينها

واحد فائق الجمال بني بحجارة كبيرة مربعة، ويبن هذه القبور اثنين، هما
ضريحان مربعان كبيران جداً، وقد كانا فيما مضى على درجة فائقة من
الجمال، ويوجد على جدار أول واحد منهما كثير من النقوش المحفورة
باللاتينية، وبالاغريقية على الآخر، وبالعبرية على الثالث، وبالكلدانية،
وبكثير من اللغات غير المعروفة على الرابع، ونقش على الجدار الأول
باللاتينية الأبيات الشعرية التالية، وهي محفورة، وليس من السهل
قراءتها بسبب قدمها:

Vidi Pyramidas sinete, dulcissime Frater,
Et Tibiquod potui Lacrimas hic moesta profudi.
Et nostri memorem luctus hanc sculpo Querelam -
S(C) it nomen Decimi Pyramidis altra,
Pontics, Comitisque tuis, Trajane, Triumphis,
Lustra Sex intra censoris consulis esse

«وحيداً، يا للأسف، أرى الأهرامات
ولا يمكنني غير البكاء، يا أخي العزيز، من أجلك.
ولقد حفرت على الحجر، وأنا حزين، اسمك
ويعرف الأهرام العظيم الآن شهرة
أننيوس دوسيموس، الذي قاتل من أجل روما
مع تراجان، وعاد إلى الوطن منتصراً،
وهو الذي قضى حتى قبل ميلاده الثلاثين
وكان أخيراً، كاهناً أعظم، وقنصلاً، ومراقباً للأخلاق أيضاً».

وأدع تفسير هذه الآيات إلى فهم القارىء وحكمه، ويطلق السكان المحليون على هذه القبور اسم أهراءات فرعون، وهناك عجائب كثيرة جداً من الممكن رؤيتها على مقربة من الفسطاط، وحسبما سمعت من كثير من الرجال الصادقين والتجار، كانت بابل القديمة، حيث كان يوجد برج بابل، تبعد مسافة سفر ثلاثين يوماً، عن باب اليون هذه، وذلك باتجاه الشمال — الشرقي، وهي في بلاد الكلدان على مقربة من بغداد، وعليك أن تعلم أنني قمت خلال مدة خمس سنوات بالتحدث ليلاً ونهاراً مع كل الناس الذين بإمكانهم التحدث بأي لسان بشري، وبعد البحث يومياً بين مختلف الشعوب، كان الذي حصلته هو بعض المعلومات، وهذه المعلومات لم أستطع تحصيل سواها من أي واحد من المخلوقات حول بابل القديمة، حيث كان برج بابل، ومعلوماتي لا تتجاوز مايلي:

٣٢ — بابل القديمة، أو بغداد.

يوجد في بلاد الكلدان الشرقية، مدينة فائقة الجمال، وجيلية، وقوية بلا حدود، وهي في هذه الأيام أفضل المدن في الشرق، اسمها بغداد، وهي قائمة على ضفتي نهر الفرات (كذا) الذي هو واحد من أنهار الجنة، ويقول الذين يسكنون هناك ويعتقدون، أنه على نصف ميل منها، أو ما يقارب ذلك، تقوم بغداد القديمة، وقد تبرهن هذا أيضاً بوجود الخرائب الكثيرة، والأكوام الهائلة من الأبنية من مختلف الأنواع، وكذلك من الحجارة، التي لها مشاهد غريبة عن بعد، لاسيما في الموضع الذي قام فيه برج بابل، حيث اختلفت الألسنة وتبلبلت، وهناك برهان آخر على هذا وجود طريق لا يمكن قطعه بين الخرائب، وبين بغداد، وأيضاً بسبب وجود مخلوقات سامية، مع وجود كثير من العلامات التي تظهر بأن بابل القديمة قد قامت هناك، وبسبب ما يعتقد السكان المحليون بشكل ثابت تماماً، فهم يؤمنون أنه بسبب وجود هذه

المخلوقات السامة، انتقلت بابل القديمة، وأطلق عليها اسم جديد، هو بغداد، ولا أستطيع أن أحكي شيئاً آخر صادقاً حول بابل القديمة، كما أنني لم أعلم أي شيء زيادة، من أي إنسان في هذه المناطق.

ويوجد في مدينة بغداد الحالية الآن أغنى التجار وأحسنهم تحت قبة السماء، ولا يوجد في أي مكان من الشرق مثل هذه التجارات بكثرتها وتنوعها مما هو موجود هناك، واعتاد أن يسكن في هذه المدينة الخليفة، أي خليفة محمد (ﷺ)، الذي يقدم المسلمون إليه الطاعة في جميع الأمور، مثلما يفعل المسيحيون بالنسبة للبابا، خليفة القديس بطرس.

وسوف أحدثكم ببعض الأخبار حول خسارة مدينة بغداد هذه، وذلك حسبما قرأت حول الموضوع في مصنفات وتواريخ ملوك أرمينيا، وكما سمعت أيضاً من فارس مستقيم صادق كان هناك في ذلك الوقت.

وفي سنة ألف ومائتين وثمان وستين لتجسيد ربنا (كذا)، وبعدما استولى التتار على ممالك الشرق، كان آنذاك هيتوم Ayco ملكاً على أرمينيا، وقد قام بدافع ذاتي بالسفر إلى الخان العظيم، أي امبراطور التتار، من أجل زيارته، واستقبل هيتوم من قبله بلطف، ولأنه أبدى نحوه احتراماً ذاتياً وتشريفاً عظيماً، وذلك من أجل جعل الملوك الآخرين يقدمون بدافع ذاتي لزيارته ولقابلته، ولهذا كان مسروراً جداً، وشرف الملك بإعطائه كثيراً من الهدايا، وفي تلك الأثناء، وعندما كان ملك أرمينيا على وشك العودة إلى الوطن، طلب من الامبراطور منحه خمسة مطالب، كان أولها، وجوب أن يغدو الامبراطور وشعبه كله مسيحيين، وثانيها أن يكون هناك سلام دائم بين التتار والأرمن، وثالثها أن يقوم بتدمير جميع مساجد محمد (ﷺ)، وأن يكرسهم على شرف الرب، ورابعها أن يساعده على استرداد الأرض وإعادتها إلى المسيحيين، وخامسها أن يقوم بحصار بغداد، وتهديمها، وأن يزيل الخليفة من الوجود، وأعني بذلك خليفة محمد (ﷺ)، وأن يمحو اسمه، واستجاب

الامبراطور إلى هذه المطالب جميعاً عن رغبة وطواعية، وأكدها، وكذلك نفذها في كل مجال من المجالات، وذلك باستثناء المطلب الرابع الذي أعيق بسبب موته.

أما فيما يتعلق بالمطلب الخامس، الذي هو وجوب تهديم بغداد، وإزالة الخليفة، فقد كلف أخاه هولاًون (هولاكو)، الذي كان آنذاك قد استولى على بلاد فارس، وأمره أنه ما أن يفرغ من إقرار أمور مملكة فارس، ويؤمن مسألة حمايتها، عليه الالتحاق بملك أرمينيا في حصار بغداد، وقد استجاب لهذا بكل رغبة، وبسرعة ما إن فرغ من إقرار أمور بلاد فارس، حتى نقل نفسه إلى مدينة نينوى العظيمة (الموصل)، واستراح هناك خلال الشتاء، وعندما جاء شهر آذار، ذهب مع ملك أرمينيا إلى بغداد، وحاصر الخليفة، وكلف قاداته الأربعة الرئيسيين، الذين كان تحت إمرة كل واحد منهم ثلاثين ألفاً من التتار، بالقيام بحصار بغداد، بدون توقف حتى يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة، وهذا ما تم وجرى تنفيذه، ذلك أنهم استولوا على المدينة في اليوم الثلاثين، وقتلوا جميع السكان من رجل صغير وكبير سواء، وربحوا كثيراً من الأسلاب، من ذهب وفضة، وأحجار كريمة، وأنواع أخرى من الثروات، بشكل ومقدار لم يسمع بأن واحداً حصل على مثله من أية مدينة مهما كانت، وفي الحقيقة صارت بلاد التتار كلها غنية حتى هذا اليوم من هذه الأسلاب، ولا يوجد الآن في بلاد التتار كأس واحد من الذهب أو الفضة، إلاّ وجلب إليها من بغداد.

وبعدما جرى قتل جميع السكان أو أسروا، اعتقلوا الخليفة حياً، وقدموه إلى هولاكو، مع جميع كنوزه، التي كانت من الكثرة بمكان، أن هولاكو خشي من النظر إليها والتحديق بها، وقال وهو مندهش مخاطباً الخليفة: «كيف حدث أيها الرجل التعيس، أن امتلكت مثل هذه الكنوز العظيمة التي خشيت حتى من النظر إليها؟ فبها كان بإمكانك أن تقهر

العالم كله، وتضعه تحت نيرك، فلماذا لم تجند ما يكفي من العساكر
المأجورة للدفاع عن مدينتك؟» وأجابه الخليفة قائلاً: «المشورة الفاسدة
هي التي جلبت الدمار عليّ، لأنهم قالوا لي : حتى النساء يمكنهن
الدفاع عن المدينة ضد التتار»، وعندها قال هولاءكو: «إعلم أنك خليفة
محمد (ﷺ) والمسؤول عن شريعته، وأنا لأجرؤ على إلحاق أي أذى بك،
كما أنه من غير اللائق أن تعيش أنت وأن تأكل مثل بقية الناس
الآخرين، لأنه من فمك تصدر تعاليم شريعة محمد (ﷺ) وعقيدته»،
وقد أمر به فوضع في قصر جميل، وصب أمامه الذهب والفضة
والحجارة الكريمة، واللاّلى وقال له: «من فمك تصدر تعاليم شريعة
عظيمة وعقيدة، ولذلك اللاّلى بك أن تأكل من طعام ثمين مثل هذا»،
وهكذا سجن الخليفة في القصر، وبعد مضي اثني عشر يوماً وجد ميتاً
من الجوع، ولم يقم من بعده خليفة لمحمد (ﷺ) في بغداد حتى هذا
اليوم.

ويحكم في هذه الأيام امبراطور التتار بغداد، لكن سكانها بشكل
رئيسي من المسلمين، وهم يعيشون تحت جزية ثقيلة جداً، وسمعت في
هذه المناطق وقرأت كثيراً من الحكايات الحمقاء حول بغداد، وخلاصة
ذلك، هو ما حصلت عليه كتابة، من أن ملك بغداد بعث برسائل إلى
ملوك هذه البلدان، ودعاهم إلى إجراء منازلات ومبارزات هي زائفة
كلها، لأنه ليس هناك من إنسان بإمكانه أن يتذكر منازلات أو مبارزات
قد عقدت قط في بغداد، لأن الناس هناك يشغلون أنفسهم بأشياء
أخرى.

وعلى مقربة من بغداد وعلى بعد سفر أربعة أيام، توجد مدينة أخرى،
كان اسمها سوسة، فيها ازدهر أحاسوروس Ahasuerus ، وهذه
المدينة التي كان اسمها فيما مضى سوسة تدعى الآن باسم طوروس
Thaurus ، ويوجد في هذه المدينة شجرة جافة، يقال بأنه قد كتب

لامبراطور الرومان أن يعلق ترسه عليها، ويقول سكان هذه المدينة بأن ما من يهودي يمكنه أن يعيش فيها وأن يقيم، وعلى مقربة من طوروس هناك مدينة أخرى اسمها Cambeleth ، هي أيضاً من أملاك امبراطور التتار، ولقد قيل بأن هذه المدينة أغنى وأفضل من جميع مملكة السلطان.

٣٣ - نهر النيل

وفي عودة إلى موضوعي: النيل واحد من أنهار الجنة، يجري خلال مصر، ويمر قرب القسطنطينية ودمياط، ويصب في البحر المتوسط على مقربة من الاسكندرية، وهو بحر أكبر وأعرض من نهر الراين، وموحد كثيراً، بسبب أنه يجري أحياناً في قلب الأرض، وأحياناً في الجبال، ولا يرى مجدداً، لمسافة ميلين أو ثلاثة أميال، ثم يخرج من الأرض ثانية، ويدخلها مجدداً، حتى يصل إلى مصر، حيث يجري بشكل مستقيم، وهو يحتوي على أسماك ممتازة وسمينة، ومياهه مفيدة وصحية تماماً، وعندما تنضج هذه المياه أولاً، تجدها فاترة، ولكن عندما توضع في جرة في الشمس تغدو باردة، وتساعد كثيراً على الهضم، ولم تكتشف ينابيع هذا النهر قط، وذلك باستثناء ما ذكرته الكتابات المقدسة حول هذا الموضوع، مع أن محاولات قد جرت مراراً لاكتشافهم، وفي أيامي أبقى السلطان سباحين كانوا قادرين على الحفاظ على أنفسهم في الماء بشكل طبيعي مثل الأسماك، ووعد السلطان هؤلاء الرجال بجوائز كبيرة، إذا ما اكتشفوا نبع النهر، و جلبوا له غصناً أخضر من شجر الصبر - Al-ols كعلامة، ومضى هؤلاء السباحون في وقت واحد، ولم يعودوا لمدة ثلاثة أعوام أو أربع سنوات، ومات بعضهم على الطريق، وقال الذين عادوا أن الذي تبين أخيراً أن النهر ينحدر من الجبال بقوة هائلة لم يكن بمقدورهم فعل شيء تجاهها وضدها مطلقاً.

ويوجد في هذا النهر وحش شرير يدعى التمساح، وهو قوي جداً،

وحاد وسريع، ويسبب كثيراً من الأذى للذين يسكنون على مقربة منه، وكذلك لحيواناتهم، ونظراً للخوف منه، إنه لأمر خطير الإبحار على ظهر نهر النيل، وهذا الوحش كبير جداً، ولقد رأيت جلد تمساح، يمكن لشور أن يمر من خلاله بسهولة، ولقد أخبرني واحد من فرسان الداوية أنه حدث في إحدى المرات أن أمسك الداوية تمساحاً صغيراً، واقتلعوا أسنانه، وأنهم ربطوا إلى ذيله صخرة لا يستطيع عشرة رجال تحريكها، وقد قام بجرحها لوحده إلى مبنى كان قيد الاعمار، ومع هذا تراه يُقتل من قبل حيوان صغير، يكرهه بشكل طبيعي، ويتبعه حيثما ذهب، ويقوم التمساح بابتلاعه مع الأطعمة الأخرى، وعندها يقوم هذا الحيوان بخرق قلب التمساح ويقتله، وهناك أيضاً حيوانات شريرة أخرى كثيرة في النيل.

٣٤ — حول بلاد مصر وأرضها

وأرض مصر غنية، ولطيفة، ومبهجة، وملئية أكثر من البلدان الأخرى في العالم بالأشجار، والفواكه، والأعشاب، والمروج والمراعي، وطولها يساوي سفر خمسة عشر يوماً، وسفر ثلاثة أيام بالعرض، وهي — كما أخبرت — مثل جزيرة، محاطة بالصحراء من ثلاثة جوانب، ويحدها البحر الاغريقي من الجانب الرابع، وعرض الصحراء سفر سبعة أيام في أضيق الأماكن، ومصر بلاد حارة جداً، إلى حد أن الشتاء هناك نادراً ما يمكن تمييزه عن الصيف، والورود والأزهار الأخرى، لا تتوقف عن التفتح، أو نادراً ما تفعل ذلك، مع أنها لا تمطر هناك أبداً، ولدى سكانها عمودين من البرونز عليهما علامات، وقد وضعوا العمود الأول (المقس) بينهما، وأقاموه في وسط النيل، على مقربة من الفسطاط، ونصبوا الآخر في النيل على مقربة من الاسكندرية، وعندما ترتفع مياه النهر إلى مستوى تلمس فيه العلامات على العمودين، سوف لن يكون هناك خوف لمدة عامين مقبلين، ويقوم المصريون هناك بسوق مياه النيل

في ترع وأقنية وممرات، ويدفعون المياه للجري حول أرضهم، وحقولهم، وغاباتهم، وبساتينهم، وحدائقهم، التي تزدهر وتحصل على الري في كل جوانبها، وعندما تتم سقاية الأرض على هذه الصورة خلال الليل، فإن القمح والأعشاب سوف تنمو أكثر من عرض كف عند الصباح، ويبقى المصريون في ذلك الوقت يراقبون المياه طوال الليل، ولا يغادرون حتى تتم سقاية الأرض.

ويبدأ هذا النهر كل سنة بالازدياد على هذه الصورة في شهر آب، ويزداد كل يوم حتى يوم عيد القديس ميخائيل، وبذلك يجعل من الأرض الأكثر قحطاً، أرضاً مليئة بالبهجة والخصب، وفي أثناء ازدياد مياه النيل يمسك الناس جميع أنواع الأشجار، والأعشاب، ويلتقطون الطيور الصغيرة في النهر، بوساطة شباك، وأكثر ما يجمعونه بشكل خاص خشب الصبر، وطيوراً صغيرة اسمها البط Ponoquets ، لكن من أين تأتي هذه الأخشاب، ما من إنسان عرف بشكل مطلق، ويبدو أن هذه أشجار قديمة قد ييست بسبب السن، وهي تسقط في الماء من الجبال، ويجمعون في ذلك الوقت من النيل خشب السنت أيضاً، الذي يمكن تقطيعه بسهولة مثل الأخشاب الأخرى، لكن لا يمكن حرقه، ويجري إمساك طيور البط الخضراء الصغيرة، مع الأغصان والأشجار التي تعيش عليها، وذلك حسبما قيل، ويقول بعضهم أنهم يلدون في جبال جلبوع، وهذا أمر غير صحيح، ويقولون أيضاً أنهم لا يتحملون الماء، وهذا أيضاً غير صحيح، لأنهم ينشأون فوق الجزر وفوق المياه، ولقد رأيتهم يسبحون فوق البحر، غير أنهم لا يستطيعون تحمل البرد، ولا الطيران أو السباحة لمدة طويلة، ويمتلك نهر النيل هذا جزراً غنية فيه، مليئة بأنواع المزروعات والأشياء الجيدة الأخرى، وفي مصر أيضاً أعداد لا تحصى من الطيور، كما سمعتم من قبل، وهي التي تفقس في الأفران أو تحت أشعة الشمس، ومثل هذا يوجد في مصر

أعداد لا تخصى من الحجل، وذلك أكثر من جميع الطيور في هذه البلاد، لأنه يجلب في بعض الأحيان فلاح أكثر من عشرة آلاف طائر حجل معه إلى السوق، كلهم يطرون، وعندما يجلس الفلاح يتوقفون جميعاً معه، وعندما يقوم ويصفق بيديه يطرون جميعاً معه ثانية، وإذا ما أضع طائراً منهم في بعض الطرقات يصفر في مزماره، فيعود إليه على الفور، وعندما يأتي إلى سوق الدجاج في المدينة، يبيع منهم بقدر ما يستطيع، ويعيد الذين لم يستطع بيعهم معه إلى مقر سكنه، وهناك أعداد لا تخصى هائلة من الحمام التي يمكن أيضاً رؤيتها في مصر، ولا أعتقد أنه يوجد في أي مكان في العالم مثل ما هو موجود من الحمام بمصر وبقدرة، ومن المحظور كلياً إمساك الطيور لأن السلطان مع الأمراء الآخرين يرسلون رسائلهم بوساطة الحمام الزاجل، فبذلك يتعرفون في وقت قصير على الأخبار والأسرار للبلدان البعيدة.

ويوجد في مصر أعداد لا تخصى من الغزلان، ومن الماعز، حتى إنه من الممكن رؤيتهم على الطرقات وفي الحدائق مثل الأغنام الأهلية، ومن الممكن إمساكهم وبيعهم من قبل من يمر بهم.

وفي مصر أيضاً، حتى هذه الأيام، كثير من البيع، والديرة، والكنائس، وصوامع النساك، وهي قائمة على حالها، غير أنها مهجورة، ومرسومة بشكل رائع، لكن رسومها قد شوهت بطرق كثيرة من قبل المسلمين، ومثل هذا ما يزال يقوم في الصحراء المصرية حتى هذه الأيام كثير من القلايات وصوامع النساك التي تعود إلى الآباء المقدسين، حيث تتوفر في بعض المناطق بكثرة إلى حد أنه انتشر في مساحة ميلين أو ثلاثة أميال (ألمانية) قلايات وصوامع نساك بين الواحدة والأخرى رمية سهم، وفي هذه الأيام كثير منها مسكون من قبل هنود، ونوبيين وسريان، يعيشون في ظل قانون القديس أنطوني مع القديس مكاريوس، وقد صنع الرب في هذه الصحارى عدداً كبيراً من المعجزات على أيدي الآباء

المقدسین، ولاسیما فی مکان کان اسمہ أخیم، وبشکل خاص علی أيدي القديس أنطوني مع القديس مكارىوس، وذلك حسبما جاء الخبر في «حياة الآباء»، ويوجد في هذه الصحراء مكان تحت صخرة طويلة جداً وضيقة، ففي هذا المكان اعتاد القديس أنطوني على السكنى، وينبع من تلك الصخرة هناك وتتدفق مياه جدول صغير لمسافة نصف رمية حجر، حيث تضيع المياه في الرمال، وحالها مثل مياه جارية في الثلج، ولا تشاهد بعد ذلك، ويزار هذا المكان من قبل كثيرين من أجل العبادة والمتعة، ثم إنه بفضل نعمة الرب وتشفياً للقديس أنطوني يتم شفاء كثير من المرضى حيث يتخلصون من أمراضهم بمياه هذا النبع، ومن المعتقد أن هذه المياه تدفقت من الصخرة استجابة لصلواته، وهذا أمر حقاً صحيح، لأنه من الواضح أنها لا تتدفق أكثر مما فيه كفاية لإعطاء الماء لقلائته الصغيرة، وحديثه المتواضعة، وسوف يحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن بقية أجداد مصر، وخصبها وجمالها، ويمكنني أن أضيف أن جميع الأغنام والماعز، وما شابه ذلك من الحيوانات يحملن في العام الواحد مرتين، ويلدن في غالب الأحيان توائم لدى كل ولادة.

ويوجد في مصر ثلاث مدن عظيمة جداً، قائمة على جانب النيل، الذي هو نهر الجنة، وهذه المدن هي: الفسطاط، والاسكندرية، ودمياط، ودمياط هذه هي المدينة التي كانت تعرف فيما مضى باسم راغس (وهم وتداخل) وفيما بعد باسم إديسا، والآن دمياط، وإلى هذه المدينة بعث توبيت أوف يور Tobit of Yore ابنه إلى جباعيل [الصحيح بعثه إلى الري قرب طهران]، ورقد في هذه المدينة فيما مضى القديس توما، ومن خلاله صنع الرب كثيراً من المعجزات في المكان نفسه، وكان في هذه المدينة الرسالة التي بعث بها يسوع إلى أبجر، ملك هذه المدينة، ولهذا السبب ما من مهرطق أو كافر استطاع أن يبقى طويلاً فيها، لكن فيما بعد، وبسبب ذنوب الناس، تدنست المدينة، وهكذا آلت في هذه

الأيام إلى لاشيء.

ونقلت المدينة في هذه الأيام بعيداً إلى داخل اليايسة وابتعدت عن النيل، ذلك أنه غالباً ما جرى انتزاعها من أيدي المسلمين، من قبل القديس لويس، ملك فرنسا، ومن قبل صليبيين آخرين، لكن القديس لويس أخذ أسيراً هناك، ولهذا السبب أعيدت المدينة إلى المسلمين، والآن عندما سمع المسلمون أن ما أحد يمكنه العيش في المدينة إلا المسيحيين، قاموا بنقل المدينة إلى مكان آخر، صدوراً عن كراهيتهم لهم، والمدينة في هذه الأيام مسكونة بشكل رئيسي من قبل صيادين، ويقدم عدد كبير من التجار إليها مع بضائعهم، ومع سفنهم، ويشترى كميات كبيرة من السمك، بأسعار زهيدة جداً، ويتولون شحن الأسماك إلى جميع أجزاء الدنيا، وهناك عجائب كثيرة أخرى حول هذه المدينة يمكن أن نقرأ عنها.

٣٥ - حول الصحراء وجبل سيناء

وفي عودة إلى موضوعي: إنه إذا ما سافر الانسان من القاهرة والفسطاط، يصل إلى سيناء في اثني عشر يوماً، ففي ستة أيام منها يعبر الانسان على طول الطريق الذي حدثتكم للتو عنه، والذي هو مليء بالناس، وحيث أن هناك أشياء كثيرة للمشاهدة، ثم يعبر الانسان خلال ستة أيام فوق الصحراء، وعليه أن يحمل معه جميع الأشياء التي إليها حاجة على الجمال وعلى حيوانات التحميل، والمراد بذلك: الخبز، والخمر، والماء، واللحم، والبقساط، والعنب، والزبيب، والتين، وماشابه ذلك، وفوق ذلك كله فراش للنوم عليه أثناء الليل.

وعليك أن تعرف أن الجمال، التي تعبر هذا الطريق في كل يوم، تعرف تماماً طول سفر اليوم، والمحطات والأماكن المناسبة للراحة، وعندما يصلون إلى هذه الأماكن في المساء يتمددون على الأرض

لا جترار الطعام ومضغه، ولا يسيرون مسافة أكثر، وبذلك كأنهم يقولون: هذا يوم حقيقي، وهذا مكان للتوقف، وبعد هذا يجري اطعامهم الخبز والأشواك، ومن السهل إطعام الجمل، ونادراً ما يشرب مرة واحدة كل ثلاثة أيام، لأنه إذا ما كان الماء متناسباً مع حجمهم، ما من انسان يستطيع أن يعبر الصحراء معهم.

وبعد عبورك للصحراء تأتي إلى البحر الأحمر، وعليك أن تعرف أن الصحراء ليست سوى ملح وأرض رملية، احترقت وجفت إلى أقصى غاية ممكنة بوساطة حرارة الشمس، ومن النادر أن تجد شيئاً أخضر فيها، وعلى كل حال ليست الصحراء كلها جرداء في جميع الأماكن سواء، وإنه لأمر مدهش وعجيب أنك تجد صخورها وجبالها مالحة جداً، ومع ذلك هناك ينابيع متفجرة فيها مياهها عذبة جداً، وهي ممتازة جداً للشرب، ويوجد الى جانب هذه الينابيع حشائش وأعشاب، وأشياء خضراء مماثلة، ويجد الانسان على مقربة منهم آثار أسود، وتينينات، وحيوانات مفترسة خطيرة أخرى، وهناك بشكل خاص أرانب برية، وعندما يعبر الانسان هذه الصحراء في ستة أيام، ويشاهد ما فيها من عجائب، يصل إلى البحر الأحمر، كما تقدم بنا القول، وذلك إذا كان قادماً من الفسطاط.

وفي البحر الأحمر أسماك رائعة بكميات كبيرة، ومياهه ليست حمراء بل الأرض، مع قعره هناك لها لون أحمر، وتبدو المياه للناظر إليها حمراء، أي للمحذق نحو الأسفل، وذلك بسبب احمرار القعر، لكنها عن بعد لها اللون نفسه مثل المياه الأخرى، ومياهه نقية جداً وصافية، ولذلك من الممكن رؤية بنس مرمي على قعره من مسافة عشرين غلوة، هذا وإنه بسبب احمرار قعره وصفاء مائه، يبدو مثل أصفى نبيذ أحمر، ويجد الانسان فيه كثيراً من المرجان، وأيضاً كثيراً من الأحجار الكريمة والأشياء الأخرى، مرمية على شواطئه.

والبحر الأحمر قائم في العربية، وجميع أراضي العربية حمراء، ولهذا السبب فإن الأشياء الحمراء مهما كان نوعها تنشأ هناك فيها وكذلك تلد، وكل شيء هناك أحمر باستثناء الرجال فقط، ولهذا السبب فإن الذهب الخالص يعثر عليه هناك مثل جذور اسطوانية، فضلاً عن هذا يوجد في البحر الأحمر كثيراً من الجزر، فيها تنمو أشجار حمراء من مختلف الأنواع، وبشكل خاص، بين ما يعرف لدينا باسم الشجر البرازيلي Brazil.

والبحر الأحمر ليس بحراً كبيراً جداً، كما أنه ليس طويلاً ولا عريضاً، ولا يتجاوز عرضه في المكان الذي عبر منه بنو إسرائيل أربعة أميال أو خمسة، وفي البحر الأحمر هناك قلعة يمتلكها السلطان، فيها مسجون نبلاء أسرى الصليبيين، فضلاً عن هذا تتولى هذه القلعة الحراسة وتبقى متيقظة، خشية أن يحاول انسان لاتيني، أو رجل من هذه الجهة من البحر، أو واحد ولد في هذه البلدان، العبور بوساطة البحر الأحمر إلى الهند، وذلك خوفاً من أن يجلبوا إلى الوطن أية أخبار عن قوة وأوضاع الشعب في مناطق ما وراء البحر، أو أخباراً عن برسترجون والهنود، أو حمل رسائل منهم، ذلك أنه سوف يكون سهلاً للابحار إلى المحيط والهند من خلال البحر الأحمر، لو أن هذه القلعة لاتقف في الطريق، لكن يمكن للتجار الهنود والتجار المشاركة عبور ذلك الطريق، كلما أرادوا، كما يفعلون غالباً، وعلى كل حال إنني أعرف أساقفة ونبلاء اعتادوا على الدوام على ارسال تقارير عن هذه المنطقة من الشرق، مع جميع أنواع الأخبار، عبر البحر الأحمر إلى برسترجون، ولقد اعتاد رجال هذه القلعة على صنع شباك من أوتار الجلود ورميها في البحر، ثم يدعون المرجان الذي ينمو في البحر، مثل النبات، يتعشش بين الأوتار، ويسحبونها كل نصف سنة وهي مليئة بما لا يحصى عدده من أفضل أنواع المرجان، وبذلك يحصلون على مرابح عظيمة، مقابل لاشيء

مطلقاً، فمن خلال هذا البحر الأحمر، تأتي تجارات ثمينة جداً، من الهند، وتنقل هذه التجارات من خلال فرع البحر، الذي ينطلق من البحر الأحمر، وينزل من خلال النيل إلى جميع أنحاء العالم.

وكما قلت من قبل، بالتجول حول شاطئ البحر الأحمر، يصل الانسان إلى المكان الذي عبر منه بنو اسرائيل البحر، وكان ذلك لدى مطاردة المصريين لهم، وفي أثناء هذه الرحلة يجد الانسان أشياء نادرة من مختلف الأنواع على الشاطئ، وهكذا بعد ترك عدد من الجبال في الخلف، يصل الانسان إلى بئرماره [الخروج: ٢٣/١٥] حيث كان الماء مالحاً، وكان ذلك عندما عبر بنو اسرائيل بذلك الطريق، وعندما ألقوا في ذلك الماء غصن شجرة، غدا بأمر من الله عذبا، وبعد مغادرة ماره، والمرور بمناطق مختلفة، وبعد رؤية كثير من الجبال وتوديعها، يصل الانسان إلى إيليم [الخروج: ٢٧/١٥]، فهناك عندما عبر بنو اسرائيل ذلك الطريق وجدوا هناك سبعين نخلة، واثنى عشر بئراً، وهذا المكان خصب جداً، وفائق الجمال، ويجد الانسان هناك كثيراً من قلايات الآباء المقدسين وصوامع النساك التي كانت فيها مضى قائمة على مقربة من ذلك الموضع، وبعد مغادرة إيليم يصل الانسان إلى قفارسين، وإلى جبل سيناء، وقد بني عند سفح هذا الجبل دير واسع جداً وجميل، وكان ذلك في المكان الذي رأى موسى فيه الشجرة المحترقة (العليقة)، التي لم تستهلكها النار، وقد تكلم الرب إليه من خلال العليقة، والدير مسقوف بالرصاص، ومسيج بأبواب حديدية، ومحصن بشكل جيد من كل جانب، وفيه أكثر من أربعمائة راهب: إغريقي، وجورجي، وعربي، من كل من رجال الكهنوت والعلمانيين، وهم لا يقيمون بشكل دائم في الدير، بل تراهم منتشرين في الخارج هنا وهناك، يعملون في مصالح الدير، وبالتعب الكبير، يحصلون على ما هو محتاج لأنفسهم وللحجاج، حيث يقومون بشكل مستقيم وتقوى بتوزيع الشيء نفسه على الحجاج،

وهم يعيشون بتقوى عظيمة، وبانتظام شديد، مع حياة متقشفة، ويقدمون الطاعة بتواضع إلى أسقفهم وكهنتهم، ويعيشون بقداسة وتواضع في كل شيء، وهم نادراً ما يشربون الخمرة، إلا في أيام أعياد خاصة، ولا يأكلون اللحوم أبداً، بل يعيشون على «السلطة»، والخضروات، والحبوب، والتمور، وماشابه ذلك، مع الماء، والخل، والملح، ويأكلون من مائدة واحدة، من دون منضدة وأثاث، ويحتفلون بالقداسات الإلهية بكل تقوى، صباحاً ومساءً، وذلك تبعاً لطقوسهم، وهم يتبعون في كل شيء قانون القديس أنطوني، ويعمل الرهبان العلمانيون بنشاط عظيم، حيث يحرقون الحطب لتحضير الفحم على رؤوس الجبال، ويحلبون التمور بكميات كبيرة من إيليم، ويحملونها على ظهور الجمال وحيوانات التحميل إلى الفسطاط، حيث يتولون بيعها، ويحصلون من هناك على مساعدات كبيرة وهدايا حضرت من أجلهم، من قبل المسيحيين والتجار الذين يسكنون هناك، وبدون هذا لا يستطيع كثير من الناس العيش في مكان صحراوي، ولا يستطيعون الانفاق على الضيافة المكلفة التي يقدمونها بدون مقابل وبكرم عظيم وبلطف ويعطونها إلى الحجاج، وهم يحلبون التمور من إيليم والفحم من الجبال، أي من مسافة تزيد على سفر أكثر من اثني عشر يوماً، ويتولون بيع ذلك كما أخبرتكم.

ويقوم في هذا الدير كنيسة فائقة الجمال، يحافظون عليها ويقيمونها نظيفة من الداخل، وهي تضاء بمصابيح وبوسائل إضاءة متنوعة، ويقدمون تبجيلاً خاصاً للمكان حيث يقوم المذبح العالي، وهم يخلعون أحذيتهم قبل دخولهم إلى هذا المكان، ويجعلون كل واحد من الحجاج الذين يرغبون بالدخول إليها يخلع حذاءه مثلما يفعلون، لأن المكان الذي يقوم فيه المذبح العالي الآن، قامت عليه فيما مضى العليقة، التي كلم الرب من خلالها موسى وقال له: «اخلع حذاءك من رجلك. لأن

الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة» [الخروج: ٣ / ٥].

وفي هذه الكنيسة، وعلى جهة اليمين للمذبح العالي، إنما في أعلى مكان، يقوم نوع من أنواع الصناديق من الرخام الأبيض، موضوع فيه، ومغلق على رأس وعظام العذراء المجيدة كاترين التي هي مختلطة فيما بينها بشكل فوضوي، وكانت هذه العظام قد نقلت من قمة جبل سيناء، ويجري عرض هذا الرأس والعظام بشكل مهيب جداً من قبل رئيس أساقفة الدير وكهنته، مع مباخر، وشموع، ومساعدى كهنة، وفي هذه الأوقات يطلب الأدلاء المسلمون، وسائقو الجمال، وساسة الخيول الذين يأتون مع الحجاج، ويلتمسون باخلاص أن يسمح لهم أيضاً برؤية هذه العظام المقدسة العجيبة، ويركعون بتقوى عظيمة جداً إلى جانب المسيحيين، ولدى عرض هذه العظام على الحجاج، إذا كان هناك أسقف أو كاهن كبير بين الحجاج، عندما يقوم رئيس الأساقفة أو رئيس الكهنة في الدير، بتناول واحداً من العظام المقدسة بيده، يحكها بشدة بوساطة أداة فضية شكلها مثل شكل عصا، حيث يتدفق بسبب ذلك زيت من المسام مثل العطر، وقد اتخذ في إحدى زوايا الصندوق التي حفظت فيه العظام فجوة فيها يتجمع جميع الزيت الذي يسيل من هذه العظام ويتدفق، ليجمع هناك، وهناك في هذه الفجوة ملعقة فضية، يأخذها بيده الكاهن الذي يتولى عرض العظام، ويملاً قارورة زجاجية صغيرة بالزيت، ويعطي كل واحد من الحجاج قارورة صغيرة فيها زيت.

فضلاً عن هذا، في هذا الدير، هناك آثار مقدسة أخرى كثيرة، ومع ذلك فإن رهبان الدير لا يمكنهم الإقامة هناك، إلا بنعمة خاصة من الرب، وغيابهم هو لأسباب كثيرة غير ناشئة عن إثارة الشيطان، ولهذا السبب لا توجد غيرة أو فوضى بينهم، بل تجدهم يؤثرون كل من يراهم، وعلاقاتهم جيدة معهم، وكذلك علاقاتهم مع المسلمين، فهمي لا تختلف عن علاقاتهم مع المسيحيين، وبشكل خاص مع السلطان،

الذي يمنحهم كثيراً من الصدقات والمساعدات، وعلى هذا لم يتعرضوا أثناء عملهم أو تجوالهم في الصحراء للأذى من قبل أية مخاطر، أو حيوانات مفترسة، كما أنهم لا ينزعجون ولا يمرضون لا في الصيف ولا في الشتاء، من قبل المناخ غير المتوقع، أو بحرارة الشمس المرتفعة جداً، وأعتقد أنهم حصلوا أيضاً على نعمة خاصة من الرب، بوساطتها لم تدخل المخلوقات القذرة قط داخل جدران الدير، وأعني بهذه الحيوانات أمثال: الذباب، والزناير، والدبابير، والقمل، وماشابه ذلك، فهذه لا يمكنها العيش هناك.

وأخبرني راهب من ذلك الدير، كان ذا تعليم نادر، أنه حدث في يوم من الأيام، بإثارة من الشيطان، وبإذن سماوي، أن هذه المخلوقات أذتهم كثيراً، ويقدر ما تستطيع، وعانوا كثيراً جداً من العذاب المصني والأذى الصادر عن هذه المخلوقات غير النظيفة من هذه الأنواع، إلى حد أنهم فكروا بترك المكان، إنما تشجعوا برأي مقدس لواحد من الرهبان، وصلوا إلى الرب أن يقوم برحمته بطرد وإزالة جميع أمثال هذه المخلوقات وابعادها عنهم، وتمت الاستجابة مباشرة لهذه الصلوات، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، لم يلاحظوا وجود مثل هذه المخلوقات أو أي منها مهما كان داخل أسوار الدير، هذا وفي الوقت نفسه تراهم خارج الأسوار يسببون أذى عظيماً لكل من البشر والحيوانات، فضلاً عن هذا لقد تبرهن مراراً، أن مثل هذه المخلوقات غير النظيفة عندما تحمل حية إلى داخل الأسوار تموت فوراً.

وحصل الرهبان على هذه الامتيازات جميعاً بوساطة حياتهم المقدسة والمستقيمة، لأنهم لا يخدمون الحجاج من أجل المال أو طمعاً في شيء، بل إنهم يقدمون الخدمات لكل من يأتي إلى هناك، طوال المدة التي يقيمها مهما كانت، وسواء أكان الزوار أغنياء أم فقراء، عاين أو منخفضين، يعطيهم الرهبان جميعاً كل ما يملكونه أنفسهم، بكل بساطة ولطف،

وذلك باسم الرب، وإذا ما حاول أحد الناس منحهم أو إعطاءهم، أو أي واحد منهم، أية هدية، يرفضون جميعاً، ويردونها، وإذا ما أخذها أي واحد منهم، سوف يتعرض إلى عقوبة شديدة، ومثل هذا أيضاً عندما يأخذ الحجاج بمغادرتهم، يقدمون لكل واحد منهم، بكل لطف ومن دون أي مقابل، أرغفة من الخبز، وبعض الحبوب، وما شابه ذلك، وفقاً لأفضل ما يقدر، ويكون ذلك بقدر ما يكفي أحدهم كل يوم من أيام سفره، وذلك حتى يصل إلى الأماكن المأهولة بالناس، ويقدمون هذا لكل الناس سواء إلى الغني وإلى الفقير، وإلى العالي والوضيع.

ويحتفل هؤلاء الرهبان بعيد البابا القديس غريغوري، ويولونه عناية فائقة خاصة، ويهتمون به أكثر من الأعياد الأخرى، لأنه في الوقت الذي كان فيه رأساً للكنيسة دعمهم بالهبات من خزانة الكنيسة، وشجعهم على السكنى هناك، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، بقيوا وعددهم أربعائة، علماً أنهم كانوا قبل ذلك قليلاً عددهم.

ويطل فوق هذا الدير، ويشرف عليه جبل سيناء، الذي يصعد الانسان إلى قمته بوساطة عدد كبير من الدرجات، وبعد تعب شديد لا يمكن للكلمات أن تعبر عنه، وتقوم فوق قمة هذا الجبل كنيسة، فوق البقعة، التي قال فيها الرب لإيليا النبي: «لماذا أنت هنا يا إيليا؟» وذلك حسباً قرأنا في سفر الملوك، وعلى مقربة من هذه الكنيسة، هناك بيعة صغيرة، في المكان الذي أعطى الرب فيه الشريعة إلى موسى، وتجلّى مجد الرب عليه، وما يزال يشاهد في هذا المكان فجوة في الصخرة الصماء، فيها محفور صورة موسى كختم، ففي هذه الفجوة مدّ الرب يده اليمنى فوق موسى عندما مرّ من أمام جلالته، وجعل موسى يرى أطرافه المعاقة، لأن موسى لم يكن بإمكانه تحمل رؤية وجهه السامي.

وحدث أنه إلى قمة جبل آخر أعلى من هذا الجبل، إلى جانب وادٍ عميق، في المكان نفسه، تمّ حمل جسد العذراء الرائعة كاترين من قبل

الملائكة من الاسكندرية، ويشكل إعجازي جرى اكتشافه من قبل النساك الذين سكنوا هناك، وهذا الجبل من أكثر الجبال اتعاباً في تسلقه، هذا ولا يوجد على قمته بيعة، أو صومعة، أو مكان استقرار، وأعتقد أن سبب هذا أن تسلقه مرهق إلى حد أنه ما من أيدي بشرية يمكنها أن تبني أي شيء هناك، لكن من الممكن رؤية المكان الذي عثر فيه على جسد القديسة كاترين، حيث هناك علامات كتفي إنسان فوق الصخرة، وهذا المكان معلم بوساطة حجارة، وصنع الرب فوق هذا الجبل كثيراً من المعجزات، يحتاج الحديث عنها جميعاً إلى وقت طويل.

وعليك أن تعلم أن جبل سيناء متفوق في ارتفاعه على جميع الجبال في تلك المناطق، وكما قلت يتسلقه الانسان بعد جهد كبير جداً، أكثر من أن يستطيع أي لسان أن يصفه، ذلك أن على المتسلق له صعود عدد كبير من الدرجات الضيقة جداً والمحفورة في الصخر، وهذا الجبل يفقد اسم سيناء باتجاه مصر، ويصبح اسمه حوريب، ومن قمة هذا الجبل، من الممكن رؤية جميع المناطق من حوله، ويمكن بسهولة مشاهدتها، وفي هذا الارتفاع الشديد يتأثر الانسان كثيراً بالهواء، ومن هناك يمكن للانسان أن يتفحص بدقة البحر الأحمر، وإيليم، وهو المكان الذي أمطرت السماء فيه مناً على بني إسرائيل، كما يمكنه مشاهدة جميع المناطق الأخرى في الجوار، ويوجد عند سفح الجبل سهل جميل، فوقه اعتاد موسى على رعاية قطيع ختنه يثرو Jethro (شعيب) وهناك رأى العليقة، وحدث فوق هذا السهل أن قاتل أيضاً إسرائيل ضد عماليق (الخروج: ١٧) في حين كان موسى يدعو بذراعين مرفوعين، ويشوع (هرون) وحور، قد وقفا ممسكين ليديه حتى تبقياً مرتفعتين، ومثل هذا حدث فوق هذا السهل أن صنع بنو إسرائيل لأنفسهم عجلاً مصهوراً، عنه حدثنا الكتاب المقدس، وفوق هذا السهل أيضاً أكلت النار ناداب، وأبيهو (لاويون: ١٠ / ١)، وكذلك من الممكن رؤية أماكن

أخرى كثيرة، ورد ذكرها في الكتابات المقدسة.

٣٦ — حول فيافي سيناء

ويسافر الانسان من جبل سيناء نحو سورية، عبر الفيافي، خلال ثلاثة عشر يوماً، حيث يأخذ معه بعض الميرة الخاصة به، وذلك مع ما يعطى له من الدير، وهذه الفيافي سيئة جداً وخطيرة، وهي قائمة في العربية، وتدعى هذه البلاد سواء أكانت مسكونة أو مهجورة باسم العربية، وفي هذه الفيافي هناك ندرة عظيمة وشح بالمياه، ويقطن هناك أعداد لا تحصى من الناس هم مثل الحيوانات المتوحشة، وهم يعرفون باسم البدو، ويتجولون هناك على شكل جماعات مكونة من مئات أو آلاف مع بعضهم، وهم يسكنون في خيام مصنوعة من اللباد أو الجلود، وهم يتجولون هنا وهناك إلى الأمام وإلى الخلف حول القفار مع قطعانهم وحيوانات التحميل، حيث ترعى مواشيتهم في أية أماكن يمكنهم أن يجدوا فيها ماء، مع أنها مياه قليلة في آبار وفي مجاري، وهم يعيشون على حليب نوقهم ومواشيتهم، وهم لا يأكلون الخبز، ما لم يصدف ويعطيهم بعض الحجاج بعضاً منه، أو ما لم يجلب إليهم من سفر أكثر من اثني عشر يوماً، ذلك أنهم لا يبيذرون ولا يجمعون، بل يعيشون مثل الحيوانات غير الأليفة، وجوههم مرعبة أن تنظر إليها، حيث هي سوداء وملتحية، وهم شجعان جداً وسريعون، ويمكنهم أن يذهبوا على ظهور جمالهم (وحيدة السنام) إلى أي مكان بعيد يرغبون بالوصول إليه في يوم واحد، حيث ينشدون الأماكن التي من الممكن توفر المياه فيها، وهم يلفون قطعة طويلة جداً من القماش حول رؤوسهم، وذلك بسبب حرارة الشمس التي لا تحتمل، وهم يستخدمون القسي والنشاب، وفي هذه القفار من النادر وجود المياه خلال رحلة يومين أو ثلاثة كاملة، وقد يعثر عليها في مكان في اليوم الأول غير أنها ستجف في اليوم الثاني، فضلاً عن هذا، في هذه القفار، تجد لساعة من

الزمان أماكن كلها منبسطة، وفي ساعة ثانية، تجد أكواماً من الرمل مرعبة قد تجمعت، أولاً في مكان، ثم في مكان آخر، ولا تستمر بالاستقرار في مكان واحد، وبناء عليه فإن الطريق عبر القفار لا يمكن مطلقاً معرفته، إلاً بوساطة الجبال، ومن قبل البداية، الذين يعرفون ويفهمون الطرقات في القفار مثلما يعرف الناس الطريق حول بيوتهم.

ولا يهتم هؤلاء مطلقاً بالسلطان، ولا يقدمون إليه أية طاعة مهما كان نوعها، لكن السلطان يحاول إغراءهم واسكاتهم بالهدايا حتى وإن كانوا يسكنون بعيداً عنه، ذلك أنهم لو اختاروا لأمكنهم بسهولة عظيمة جداً أن يستولوا على مملكة السلطان ويخربونها.

وعبرت العذراء مريم هذه الفيافي مع الطفل يسوع عندما هربت من اليهودية من وجه هيرود، وينمو على طول الطريق المعتقد أنها مرت به ورود جافة، يطلق عليها في هذه المناطق اسم ورود أريحا، ويجمع البدو هذه الورود من القفار، ويبيعونها إلى الحجاج مقابل الخبز، فضلاً عن هذا، النساء المسلمات يكن مسرورات كثيراً، بأن تكون هذه الورود إلى جانبهن، وذلك عندما يكن في أوقات الولادة، فوقتها يشربن من الماء الذي جرى صبه فوق الورود، وقد أعلن أن ذلك مفيد جداً، وثمان أثناء الحمل.

وفي هذه القفار هناك مخاوف أخرى كثيرة، سوف تحتاج وقتاً طويلاً لحكايتها، وهي صادرة عن الرياح، والرمال، والرجال المتوحشين، والأفاعي، والأسود، والثعالب، والهوام السامة الأخرى والحيوانات المفترسة.

وبعدما يعبر الإنسان هذه القفار، الممتدة نحو الجنوب، يصل إلى بداية أرض الميعاد وذلك إلى مدينة كانت فيما مضى جميلة لكنها الآن مهجورة، اسمها بير السبع، ويبدو أن هذه المدينة كانت فيما مضى مزينة

بكثير من الكنائس الجميلة، حيث ماتزال بقايا بعضها قائمة حتى هذا اليوم.

٣٧ — حبرون — وادي ممرا — وبيت لحم

وإذا ما انطلق الانسان من بير السبع في منتصف النهار، يصل إلى مدينة جميلة وقديمة، ماتزال مأهولة بشكل لا بأس به، اسمها حبرون، وتقوم على جانب رابية قريبة من هذه المدينة، كنيسة جميلة، يوجد في داخلها الكهف المزدوج، حيث دفن فيه البطاركة الثلاثة: إبراهيم، واسحق ويعقوب، مع زوجاتهم، وهذه الكنيسة تعد مقدسة بشكل خاص لدى المسلمين، وهم لا يسمحون لأي مسيحي بالدخول إليها، إنما يجعلونهم يصلون عند الباب، ويسمحون لليهود بالدخول حيث كانوا يدفعون في أيامي المال ليفعلوا ذلك، وعلى كل حال من الممكن رؤية هذه الكنيسة من قبل المسيحيين من كل من الداخل والخارج، وهي من داخلها مدهونة بالأبيض، ومزينة بشكل جيد بالحجارة، وينزل الانسان نحو الأسفل وكأنه في قبو، إلى الكهف، حيث قد جرى دفن البطاركة وزوجاتهم.

وعلى مقربة من حبرون يوجد الحقل، الذي صنع آدم من ترابه، وكلما ازداد حفر هذه الأرض ونقل التربة منها، كلما امتلأ مجدداً من قبل نفسه، وتحمل التربة إلى بلدان نائية، ويقول بعضهم إنها تباع، غير أنني لأعرف شيئاً مؤكداً حول هذا الموضوع.

وعلى مقربة من حبرون أيضاً، يوجد وادي ممرا، حيث جلس إبراهيم عند باب خيمته ورأى ثلاثة، وعبد واحداً.

وكان في حبرون ثلاثة مرتدين من أسقفية Minden حسبما قيل، وكان اثنان منهم من السادة وكان الثالث خادماً، ويحمل أولهما الماء على كتفيه ويبيعه في الشارع كما هي العادة في تلك المناطق، ويعمل الثاني

بيديه ليحصل على عيشه حسب أفضل ما يستطيع، وأما الثالث، الذي كان خادمهما فصار جندياً، لأنه اعتقد أنه أفضل مظهراً للانسان من كل الجوانب أن يكون تابعاً لواحد من ضباط السلطان، وعندما سئلوا لماذا تخلوا عن إيمانهم، أجابوا بأنهم أملوا بأن يحصل سيدهم على الثروة والمكانة، لكنه خيب ظنهم، وأعلنوا، وهم يتنهدون حزناً، بأنهم يودون لو يخطفون من هذه البلاد إذا كان ذلك ممكناً، لأنهم كانوا يعيشون حياة بائسة جداً، ولم يمتلكوا الجرأة على الاخبار والكشف من هم كانوا من قبل، وكان هؤلاء الرجال الثلاثة أصدقاء مقربين كثيراً من فارس من هذه المناطق (بلاد المؤلف) اسمه وليم بولنرسيل Bolensele (كذا) كان مقيماً في بلاد ماوراء البحر قبل أيامي، وكان محترماً بشكل كبير هناك من قبل السلطان، وقد سمعت بأنه مات في كولون Coolgne (١).

وإذا ما سافر الانسان من حبرون، يمكنه أن يصل بسهولة خلال يوم واحد إلى بيت لحم، وقام فيما مضى على طريق سفر اليوم الواحد هذا دير الراعي القديس كريوث Karioth الذي عندما حلت ساعة وفاته، ورأى رهبانه أنه في آلام الموت قالوا: «بعد وفاة راعينا القديس كريوث، لن نعيش أبداً على هذه الأرض»، وفي تلك اللحظة بالذات دخلوا جميعاً في تباريح آلام ساعة الموت الأخيرة وماتوا، وبقيوا لوقت طويل دون أن تفسد أجسادهم وظلوا واقفين وكأنهم في ساعة آلام لفظ أنفاسهم، هذا ولم يستطع المسلمون تدميرهم، ولقد حاولوا ذلك مراراً، لكن الدير زال، ولم يبق أدنى أثر منهم.

وبيت لحم جميلة جداً، وهي قرية ممتعة، وهي ليست طويلة، قائمة

١- كان وليم لون بولنرسيل Boldinsel قد نزل في صور سنة ١٣٣٢، وكان في القلنس في الخامس من أيار سنة ١٣٣٣، وقد كتب

كتابه في ربيع سنة ١٣٣٦، وهناك رسالة كتبها في أفيون يوم عيد القديس ميكايل سنة ١٣٣٧، وقد تحدث في هذه الرسالة عن نيته بالقدوم إلى

كولون.

فوق شعب جبلي، ومسكونة من قبل المسيحيين فقط تقريباً، وهي مسيجة: بمراعي، ومزروعات وأعشاب، وهي بالحري مسيجة بشكل جيد بوديان من حولها، وهناك اعتاد ملوك القدس والصليبيون على حشد جيوشهم مع بعضها، ولدى سكانها كميات وافرة من الخمرة والأشياء الأخرى الجيدة، ويقوم في بيت لحم كنيسة عظيمة وجميلة جداً، ومحصنة بشكل رائع بكثير من الأبراج، وأعمال خارجية، حتى كأنها قلعة، وهي مسقوفة بالرصاص، ومزينة بأعمال الفسيفساء، وأحجار الشب، والرخام، والذهب، وكما أعتقد هي متفوقة بزيتها على كل كنيسة موجودة تحت الشمس، فهي قد بنيت من كل جانب بشكل ثري، وجليل، وملكلي، وذلك حسبما تستحق، وهي تمتلك حوالى سبعين عموداً من الرخام النفيس، وهي ليست مقنطرة، بل مسقوفة تحت الرصاص، بأفضل أنواع الخشب، وجذوع وعوارض من خشب الأرز، وجدران الكنيسة مذهبة تحت الزجاج، وقد عملت بشكل رائع بزجاج مرسوم.

وأراد المسلمون قبل أيامي أخذ بعض الأعمدة، لكنهم ارتعبوا كثيراً، برؤيا، جعلتهم يتوقفون ولم يحاولوا قط منذ ذلك الحين أخذهم، وأمام السدة في هذه الكنيسة ينزل الانسان بضع درجات إلى كهف حجري، ليس مبنياً بل هو طبيعي، حيث فيه تحت المذبح العالي، يوجد المكان الذي صنع فيه الرب من أجلنا إنساناً، من أم عذراء، ويقوم فوق الموضع نفسه هناك مذبح، وليس بعيداً عن المذبح يقوم المعلق، الذي مددت فيه مريم العذراء المباركة الطفل يسوع، وهو ملفوف بأثمال بالية، وكان المشهد أن الرب نفسه وإنسان، يبيكان بحكم الضعف الإنساني، مثلما اعتاد الأطفال على البكاء، وإلى جانب المعلق مازال من الممكن رؤية قطع حديدية مثبتة في الرخام بواسطة الرصاص، حيث كان فيها حلقات حديدية، بها اعتاد رجال الريف على ربط حيوانات التحميل

العائدة إليهم مع المواشي، عندما يقدمون إلى السوق.

والمعلف مصنوع من الحجارة، وطوله حوالي أربعة أشبار، وفي ليلة الميلاد تجتمع هناك جميع الأمم الموجودة تحت قبة السماء، كما ينبغي بشكل صحيح جداً، ولكل أمة مكان محدد في هذه الكنيسة معزول لها ومخصص بشكل دائم، لتقيم فيه قداساتها، وفقاً لطقوسها الخاصة بها، ويمتلك اللاتين الآن الموضع الذي عمل فيه الرب إنساناً، ومثل هذا لكل أمة قائمة بذاتها، مكان قائم بذاته لها، وفي أيامي لم يكن النوبيون قد امتلكوا مكاناً خاصاً بهم، ويقوم قبل هذه الكنيسة الدير الذي سكن فيه القديس جيروم، والقديسة باولا، والقديس يوستوخيوم -Eus-tochium، وكثير من القديسين الآخرين، وبفضل نعمة الرب صنعت هناك الكثير من المعجزات.

ويسكن الآن مسلم فوق ذلك الموضع، ويتلقى بنساً بندقياً واحداً من أي واحد يريد أن يدخل إلى الكنيسة.

ويوجد أيضاً في بيت لحم بيعة تحت الصخرة، من الواضح أنها تمتلك بايين، ولهذا يستطيع الانسان أن يعبر مباشرة إليها، لكن الآن جرى إغلاق أحد الأبواب وسدّ بالبناء، ففي هذا الموضع والحفرة، التي هي الآن بيعة، اختبأت العذراء المباركة لمدة ثلاثة أيام خوفاً من هيرود، وأبقت الطفل يسوع مخفياً هناك، وحدث أنها أثناء خوفها أن تقاطر بعض الحليب منها على الصخرة في ذلك المكان، وهذا الحليب ما يزال موجوداً هناك حتى هذا اليوم، وقد ترشح الحليب من خارج الحجر مثل شيء رطب، فاللون حليبي مع شيء من اللون الأحمر، وكلما مسح المزيد من الحليب وأزيل، كلما عاد بالكمية نفسها، وليس أكثر، وهذا هو الحليب الذي من الممكن رؤيته، وهو معروض للمشاهدة في كثير من الكنائس المختلفة، لأنه يحمل إلى هنا وهناك من قبل الحجاج.

ويوجد أيضاً على مقربة من بيت لحم كهف كبير في الصخر، فيه جرى إلقاء عدد كبير من أجساد الأبرياء، وقد جرى حمل هذه الصخرة كلها تقريباً، ونقلها من قبل الحجاج، فضلاً عن هذا على بعد ميل واحد من بيت لحم، يوجد المكان الذي اعتاد القديس جيروم بشكل خاص على السكنى فيه، وهناك قام بترجمة عدد كبير من الكتب من العبرية، والكلدانية، واللاغريقية إلى اللاتينية، وعلى مقربة من بيت لحم أيضاً، أي على بعد نصف ميل باتجاه سدوم وعموره، يوجد الموضع الذي بشر فيه الملائكة الرعيان بأن الرب قد ولد على شكل إنسان، وقد جرى في هذا المكان بناء كنيسة مزدوجة وفائقة الجمال، اسمها «المجد في الأعالي»، وهو ما أنشده الملائكة هناك، ولهذا السبب تبدأ أيضاً جميع ساعات قداساتها اليومية بـ «المجد في الأعالي»، تماماً مثلما نفعل بقولنا «المجد للرب في الأعالي»، وهم يفتتحون جميع القداسات، حتى القداسات من أجل أرواح الموتى بـ «المجد للرب في الأعالي»، وذلك بطريقة خاصة، حسبما رأيت مراراً في كتاب قداساتهم.

وهذه هي مدينة بيت لحم، المدينة الأسمى عند الرب، حيث ولد فيها داوود، وهي أيضاً كما قال عنها النبي ميخا: «وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا» [ميخا: ٥/٢] - متى: ٢/٦، لأن بيت لحم قائمة في وسط يهوذا، ولهذا السبب أطلق على جميع تلك المنطقة اسم اليهودية، ذلك أن البلاد التي عرفت من قبل باسم اليهودية اسمها الآن سورية، واسم سكانها السريان.

ويذهب الانسان من بيت لحم إلى القدس بوساطة طريق، يوجد على يساره قبر راحيل زوجة يعقوب، وهو المكان الذي حملت فيه بابنها بنيامين، وقد توفيت أثناء الولادة، وعلى مقربة من هذا الطريق الكنيسة المشار إليها من قبل، أي كنيسة «المجد في الأعالي»، وكان أيضاً إلى جانب هذا الطريق، وما يزال موجوداً، عدد كبير جداً من من صوامع

القديسين، والكنائس والكهوف، والديرة، والقبور، العائدة للمسيحيين، وصنع الرب هنا كثيراً من المعجزات من خلال هؤلاء القديسين، وما يزال هناك حتى هذا اليوم عدداً كبيراً جداً من أجساد القديسين غير البالية، الرب وحده يعرف أسماءهم، وهم موجودون في أماكن متنوعة في الكهوف والأقبية.

وأيضاً على مقربة من هذا الطريق يوجد المكان الذي كان فيه البئر الذي ألقى فيه يوسف من قبل أخوته، ومن ثم بيع إلى الاسماعيليين، وبعد رؤية هذه المشاهد الكثيرة كلها مع المشاهد الأخرى، يصل الانسان إلى القدس، والمسافة فيما بين المكانين هي فقط ثلاثة أميال قصيرة من أميال تلك البلاد.

٣٨ — مدينة القدس المقدسة

القدس، المدينة المقدسة، التي فيها جرى صنع خلاصنا، وهي قائمة على جبل في وسط هواء صحي، وهي محصنة بشكل جيد، من جهة الشمال: بوساطة أسوار، وأبراج وتحصينات خارجية أخرى، ومن جهة الشرق بوساطة وادي شعفاط، ومن جهة الجنوب والغرب بوساطة وديان أخرى عميقة، وهي تفتقر إلى الماء في داخل أسوارها، وبركها مملوءة بالماء المجلوب من حبرون بوساطة مجاري تسير من تحت الأرض مع أقية، من الممكن رؤيتها على طرف ذلك الطريق، عندما يسافر الانسان عليه، وهذه المدينة المجيدة ليست فائقة الطول ولا فائقة العرض، وهي ليست كبيرة جداً، كما أنها ليست صغيرة جداً، وهي مبنية بشكل مناسب إلى حد ما، وقد انتقلت بعض الشيء إلى شرق ما كانت قائمة عليه أيام صلب المسيح، وقد أعيدت عمارتها من قبل أليوس هدريانوس، وذلك بعدما هدمت من قبل تيتوس وفاسبسيان وتمت إعادة العمارة لإظهار التشريف لموضع الجمجمة.

ويقوم في القدس هيكل الرب، وهيكل سليمان، ويحتل هذان الهيكلان شطراً كبيراً من المدينة، ولا يسمح المسلمون للمسيحيين بالدخول إلى هذا الهيكل، وإذا ما دخلوا عليهم إما مواجهة الموت، أو التخلي عن عقيدتهم، وحدث هذا في أيامي، لأن بعض الاغريق دخلوا إليه، وداسوا على كتب المسلمين، وبما أنهم رفضوا التخلي عن عقيدتهم شطروا إلى قسمين.

وهيكل الرب مستدير، وقد بني وفق النمط الاغريقي، فهو مرتفع جداً، وواسع ومسقوف بالرصاص، ومعمول من حجارة كبيرة منحوتة ومصقولة، ووضع المسلمون فوق ذروته — وفقاً لطرائقهم — هلال قمري، ولهذا الهيكل أربع ساحات كبيرة، هي ليست مسقوفة، لكنها مبلطة بشكل جيد، ومزينة برخام أبيض.

وعلى مقربة من هذا الهيكل، من جهة اليمين، هناك كنيسة مستطيلة، ذات سقف رصاصي، اسمها رواق سليمان، ويقدم المسلمون احتراماً عظيماً لهيكل الرب، ويحفظونه نظيفاً جداً في الداخل والخارج، وهم جميعاً عندما يدخلونه يخلعون أحذيتهم، ويسمونه الصخرة المقدسة، ولا يسمونه الهيكل، ولهذا يقول أحدهم للآخر: «دعونا نذهب إلى الصخرة المقدسة»، ولا يقولون: «دعونا نذهب إلى الهيكل»، ويسمون الهيكل: «الصخرة المقدسة» بسبب وجود صخرة صغيرة في وسط الهيكل، وهي مطوقة بحاجز حديدي، ولقد سمعت أنه قد قيل صدقاً من قبل مرتدين مسلمين أنه ليس من المفترض بأن يلمس أي مسلم الصخرة، وأن المسلمين يرتحلون من بلدان نائية لزيارة الصخرة بكل تقوى، وفي الحقيقة تطف الرب بإظهار الاحترام لهذه الصخرة بمختلف السبل، وصنع كثيراً من المعجزات هناك فوقها، وهذا ما يشهد عليه الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وأول جميع الأمور، وقبل كل شيء، قدم مليكصادق على هذه الصخرة قرباناً من الخبز والنبذ،

وكان مليكصادق هو أول الكهنة، وفوق هذه الصخرة نام يعقوب، ورأى مجد الرب، وسلمياً واقفاً فوق هذه الصخرة، حيث وصل رأسه إلى السماء، وكان ملائكة الرب يصعدون عليه وينزلون سواء، وفوق هذه الصخرة أيضاً رأى داوود الملاك واقفاً، وسيف يقطر دماً بيده، وكان مرتاحاً من قتل الناس، ومن المعتقد أنه في داخل هذه الصخرة اعتاد الكهنة على رمي قرابين الحرق، التي غالباً ما أكلتها نار من السماء، ومن المعتقد أنه في داخل هذه الصخرة أخفى النبي إرميا بشكل إعجازي في قلبها خيمة العهد، عندما جرى نقل الناس إلى بابل، وفعل ذلك وهو يقول: «بالنسبة لذلك المكان سيظل غير معروف حتى يحين الوقت الذي يجمع فيه الرب شعبه مع بعضهم بعضاً ثانية، ويتلقاهم في الرحمة»، ومن المعتقد أنها ماتزال موجودة هناك حتى هذا اليوم.

وعلى هذه الصخرة جرى تقديم المسيح عندما كان طفلاً، ووضع بين ذراعي سمعان العدل، وجرى تقديمه من قبله، وفوق هذه الصخرة تجادل المسيح مع اليهود عندما كان صبياً في الثانية عشرة من العمر، وضيعة أبواه، ومن فوق هذه الصخرة غالباً ما تولى وعظ الناس.

وقد قرأنا بأن الهيكل قد بني من قبل سليمان فوق أرض بيدر أرنان، وقد تعرض على كل حال للتهديم على أيدي كثيرين، ومع هذا أعيدت عمارته دوماً فوق البقعة نفسها، بالشكل نفسه، وبالحجارة نفسها، زيادة على ما تقدم شرف الرب هذا الهيكل كثيراً ومجده، وأحبه كثيراً.

وفي هذا الهيكل رأى سليمان دخاناً صاعداً نحو الأعلى، ومجد الرب مقيماً دوماً فوقه، وفي هذا الهيكل أوردت عصا هرون، وفي هذا الهيكل جرى تقديم مريم العذراء المباركة، وقدمت قربانها بعد خطبتها، وفي هذا الهيكل جرى تقديم المسيح، وجلس فوق منارته العليا، وأغوي من قبل روح (الشيطان)، وإلى خارج هذا الهيكل أيضاً قذف المسيح بالذين كانوا يبيعون ويشترون، وغالباً ماتولى التعليم هناك والمناقشة، وصنع

كثيراً من المعجزات، وذلك حسبما جاء في الانجيل، وكرس المسيح أيضاً هذا الهيكل بحضوره المجيد، وعانى فيه، وهو على شكلنا الضعيف كثيراً من الالهانات ومن سوء المعاملة على أيدي اليهود، ومن أعلى هذا الهيكل جرى رمي القديس جيمس الأصغر — أخي ربنا — نحو الأسفل حيث استشهد.

وعلى مقربة من هذا الهيكل، على جهة اليسار هناك، يوجد الباب الذهبي، الذي من خلاله دخل يسوع يوم أحد السعف، وهو راكب على ظهر أتان، وإلى هذا الباب يقوم المسيحيون كل يوم أحد سعف بمسيرة مهيبـة قبل شروق الشمس، ويغني الأطفال عبر هذا الباب «المجد لابن داوود» النخ، ثم يدخل رئيس أساقفة الأرمن من الباب على ظهر أتان، ويرحب به من قبل الأطفال والناس، وكأن المسيح كان موجوداً هناك، ويرحب به من قبل اليهود.

وعلى مسافة قصيرة إلى الشمال من هذا الهيكل هناك كنيسة بنيت فوق البقعة التي ولدت فيها مريم العذراء المباركة، وفوق هذه البقعة نفسها ترقد القديسة حنة مدفونة هي وزوجها يواكيم في كهف تحت الأرض.

وأمام هذه الكنيسة تقوم بركة الضأن، التي لها خمس قناطر من حولها، وهناك اعتاد المرضى على نيل الشفاء عندما يجري تحريك الماء من قبل أحد الملائكة، وذلك حسبما تحدث الانجيل وأكد ذلك، وفي هذه الأيام هناك كهف، فيه تتجمع — عندما تمطر — كل مياه أمطار المدينة مع بعضها.

وخارج كنيسة القديسة مريم هذه، بنى المسلمون الآن مسجداً خاصاً بهم، ومع ذلك ما تزال قصة حنة ويواكيم وميلاد مريم المباركة، باقية حتى هذا اليوم مرسومة بجلال بشكل كامل على واجهة الكنيسة، وفي أيامي اعتادت امرأة مسلمة عجوز اسمها ياقوتة على شرحها بتقوى

وتدبّن إلى المسيحيين، وكانت تسكن في مقابل الكنيسة، وأعلنت أن صورة يواكيم هي صورة لمحمد (ﷺ) وتمثل صورة الأشجار الجنة، حيث قبل فيها محمد (ﷺ) فتيات، وأشارت إلى الصورة كلها أن المراد بها محمد (ﷺ)، ولهذا هي باقية إلى الأبد. وتراها تتحدث بأخبار أخرى كثيرة، مع المزيد من قصص إعجازية حول محمد (ﷺ) تحكيها والدموع في عينيها.

وليس بعيداً عن هيكل الرب، وعلى الجانب الجنوبي، تحت المدينة، توجد رابية صهيون، التي هي أعلى بقليل من بقية الأرض التي تقوم المدينة عليها، وعلى هذا الجبل قامت في القديم مدينة داوود، التي تشير إليها الكتابات المقدسة.

وعلى جبل صهيون هذا، أو في مدينة داوود، بُني في القديم دير فائق الجمال اسمه دير القديسة مريم على جبل صهيون، حيث عاش فيه رهبان نظاميون، وكان في داخل هذا الدير جميع الأماكن المقدسة التالية وأول كل شيء: في هذا المكان تعشى المسيح مع حواريه، واحتفل بأول فصيح، وعمل عهده، وكشف خائنه، بينما تمدد حواريوه فوق صدره وشربوا في أسرار السماء، وفي هذا المكان أيضاً غسل المسيح بتواضع أقدام حواريه، وجففهم بمنديل، ومع أنه كان مولاهم ومعلمهم، فقد أعطاهم مثلاً بالتواضع، وأيضاً زار المسيح مراراً هذا المكان عندما كان مايزال في الجسد، وظهر في هذا المكان بعد موته وقيامته، لحواريه، وكانوا جالسين وراء أبواب مغلقة، ثم شوهد هناك ثانية، وهناك أدخل توما الشاك إصبعه في جنبه، وهناك أيضاً كانت مريم المباركة جالسة مع الحواريين، والأبواب موصدة، خوفاً من اليهود، وذلك في الوقت الذي تلقوا فيه المواساة من الروح القدس، وهنا أيضاً غالباً ما سكنت مريم المباركة بعد آلام الرب، وفي هذا المكان سلمت روحها إلى ابنها، واجتمع هنا الحواريون جميعاً بشكل إعجازي، وفي هذا المكان

أيضاً جرى بشكل عجائبي اختيار القديس متى رسولاً، وهنا أيضاً غالباً ما أقام الحواريون المحبوبون قداسات مع مريم المباركة، وسكنوا هنا مع القديسة مريم والقديس لوقا، حتى وفاة مريم المباركة.

وفي هذا المكان أيضاً جرى دفن القديس ستيفن بين نيقوديموس وأبيوس، وأيضاً جرى في هذا المكان دفن داوود وسليمان وملوك يهوذا الآخرين، ومن الممكن رؤية قبورهم حتى هذا اليوم، ويسكن في هذا الدير الآن رهبان منوارنة، وهو مزود في أيامي بشكل وافر بجميع الضروريات، من قبل ملكة سانيسا Sancea، زوجة الملك روبرت (١)، ويقومون هناك بإقامة القداسات بشكل علني وتقوي، باستثناء أنه غير مسموح لهم بالتبشير بشكل علني إلى المسلمين، ويتولون دفن موتاهم من دون معرفة حكام المدينة، وكان هؤلاء الرهبان في أيامي رجالاً مزدهرين كثيراً، وقد تولى التجار الأجانب، لابل حتى المسلمون، مدحهم كثيراً، لأنهم يقدمون خدمات جيدة إلى جميع الناس.

ويقوم هناك عند سفح هذا الجبل قلعة فائقة الحصانة، اسمها قلعة داوود، حيث من المعتقد أنها ما تزال باقية منذ أيام داوود، لأنه عندما جرى هدم هذه المدينة من قبل تيتوس وفسبسيان كان جبل صهيون وهذه القلعة قائمان خارج المدينة، وكانت هذه القلعة مملوكة فيما مضى من قبل بطريك القدس، لكنها الآن مسكونة من قبل واحد من قادة السلطان، وهي محروسة بكل عناية من قبله ومن قبل مرتزقته.

وعند سفح هذا الجبل هناك أيضاً كنيسة، اسمها كنيسة القديس

١ — يقول بعضهم بأن هذا الملك، لاند أنه كان إما شارل روبرت صاحب أبحو، وملك هنغاريا، أو روبرت بروس ملك سكوتلندا،

والأرجح — بعد قراءة رواية فابري، حول الدير الماروني فوق جبل صهيون — أن يكون لودولف اراد روبرت Rupert ملك أبوليا،

وكليبرا، وصقلية، والقدس.

المخلص، وفيها توجد الصخرة التي دحرجها الملاك، وأزاحها من على الضريح، وهي هناك معروضة للمشاهدة بشكل عام، وعلى مقربة من هذا الجبل أيضاً جرى إعدام القديس جيمس الكبير صبراً، وقد بني فوق تلك البقعة كنيسة، فيها الآن رئيس أساقفة الأرمن، ورهبان نظاميون تحت الطاعة للكنيسة الرومانية، ويوجد كذلك في القدس كنية أخرى اسمها كنيسة القديسة مريم للاتين. فضلاً عن هذا يوجد في القدس كثيراً من الكنائس تابعة للمنشقين والهرطقة، وأماكن أخرى كثيرة مقدسة، ومواضع ظهرت فيها نعمة الوحي.

وفوق جبل أكر، وضريح المسيح، توجد كنيسة جميلة وعظيمة، قد بنيت هناك، وزينت بالرخام، وبأعمال الفسيفساء، والرسوم، وتزيينات أخرى، ولها أبراج أمام السدة، وفوقها وهي مفتوحة من الأعلى، فوق موضع ضريح المسيح، ويشبه داخل هذه الكنيسة كثيراً كاتدرائية مونستر Munster في وستفاليا Westphalia، وبشكل خاص بالسدة، وفي هذه الكنيسة، على مقربة من السدة، يقوم على الجانب الجنوبي جبل الجمجمة (أكرا) حيث جرى صلب يسوع المسيح، ويصعد الانسان في هذه الأيام إلى هذا الجبل بوساطة بعض السلام في داخل الكنيسة، وكان من المعتاد فيما مضى على الصعود إلى هناك بوساطة سلام كانت خارج الكنيسة، غير أن هذا الباب مغلق ومسدود من الخارج.

وهذا الجبل مشكل من صخرة قاسية جداً، وفي أسفل هذا الجبل توجد بيعة النوبيين، قد نجرت من الصخر الأصم، ويوجد على قمة جبل أكر هناك أيضاً بيعة، يصعد الانسان إليها من داخل الكنيسة، وهناك في المكان الذي جرى صلب المسيح فيه، شق فيه وضع الصليب، ومن الممكن حتى في هذا اليوم رؤية التحول الذي ألم بالصخر الأصم أثناء آلام المسيح، بكل وضوح، وفي هذه البيعة نفسها جرى دفن

الأمراء الممجدين: غودفري، دوق أوف بولليون، وبلدوين أخيه، الذي كان أول ملك صليبي للقدس، والذي نال الأرض المقدسة واستولى عليها بجهد كبير جداً، وبقوة استرد هذه الأرض واحتفظ بها، وألحق بالمسلمين أذى لا يقدر بحجمه، ومنح المسيحية وأضفى عليها أعظم الأعطيات، وإنه لأمر مدهش حقاً أن تمكن المسلمون من الاستيلاء على قبور الصليبيين والأجساد التي وضعت فيها لترتاح دونها إزعاج، ومع أنهم رأوا كم قد ألحقوا بهم من أضرار، وكيف أنهم انتزعوا منهم حتى الأرض المقدسة كلها، تجدد في لومبارديا عندما يتشاجر المسيحيون فيما بينهم، يلقي أحدهم أجساد خصومه المتعفنة إلى الكلاب.

وكان الأمراء الفرنجة الذين تقدم ذكرهم قد اتخذوا قراراً بوجوب عدم لبس تاج ذهبي، بل أن يلبسوا تاجاً من الشوك، وقد حافظ خلفاؤهم على هذا القرار حتى هذا اليوم، ويجري كل يوم على جبل الجمجمة — عندما يكون أي مسيحي ساكن هناك — قراءة قصة آلام المسيح، وذلك حسبما قرأت بكتاب قداساتهم، وعلى مقربة من جبل الجمجمة، حيث يوجد الآن خزانة، هناك الموضع الذي وقفت فيه أمه وحواريوه والنساء الأخريات، وهناك عهد يسوع بأمه لعناية حوارييه، وهو يقول: «انتهي يا امرأة لابنك»، ويوجد أمام باب السدة، من جهة اليمين، صخرة سوداء، فهناك الموضع الذي مددوا عليه جسد يسوع عندما أنزلوه من على الصليب، ولفوه بأقمشة كتانية، وتقوم أمام السدة، من جهة الغرب، بيعة صغيرة مزدوجة، لها ثلاثة أبواب، وفي داخلها ثلاثة مذابح قائمة هناك، ويدخل الانسان من البيعة الأولى إلى البيعة الثانية، حيث يوجد ضريح المسيح، ويأتي دخوله من خلال باب منخفض وصغير ومقنطر على شكل نصف دائري، وقد عمل على هذا الشكل حتى يرغب الانسان على الدخول وهو منحني الظهر، وطول هذه البيعة مع الضريح حوالي تسعة أشبار، وعرض البيعة حوالي سبعة

أشبار، وارتفاعها حوالي اثني عشر شبراً، وضريح المسيح منجور من صخر أصم، وخشية من تدنيسه، أو سرقة من قبل الحجاج، هو مغطى بحجارة أخرى ورخام، وتحتوي الحجرة التي تغطيه من الواجهة على ثلاث فتحات، حيث جرى خرقها، ويستطيع الانسان من خلال هذه الفتحات أن يقبل الضريح الحقيقي والحجر الصحيح هناك، وصنعت الحجارة التي تغلف الضريح ولصقت ببراعة فوق الضريح، جعلتها تبدو لمن لا يعرف وكأنها كلها حجرة واحدة، ولهذا السبب، كما أعتقد أنه لا يوجد في أي كنيسة قطعة من الحجر الحقيقي لضريح المسيح، لأنه باستثناء الأماكن المفتوحة التي سمعتم للتو عنها، إنه قد حفظ، ومحفوظ بعناية عظيمة ومحروس، وفي الحقيقة لو كان من الممكن حمل ضريح المسيح على شكل حبات الرمل، لثم الفراغ من نقله منذ زمن طويل، حتى لو أنه كان كبيراً مثل جبل عظيم، ولما كانت قد بقيت هناك حبة رمل واحدة في تلك البقعة.

أما فيما يتعلق بالمصابيح والشمعدانات التي قيل هي موجودة حول الضريح المقدس، أعلن أنه لا يوجد أبداً أي مصباح أو شمعدان مهما كان نوعه حول الضريح، لكن يسكن هناك في كنيسة الضريح المقدس بعض الشيوخ الجورجيين المتقدمين بالسن، لديهم مفتاح بيعة الضريح المقدس، وطعام، وصدقات، وشموع، وزيت للمصابيح حتى تشتعل وتضاء حول الضريح المقدس، وقد أعطي ذلك لهم من قبل الحجاج من خلال نافذة صغيرة في الباب الجنوبي للكنيسة، وإذا ما توقف هذا وانقطع، سوف يبقى بدون ضوء مهما كان نوعه، وبذلك يكون بدون تشريف أو احترام، لأن لدى المسلمين من الاحترام للضريح المقدس للمسيح، بقدر مالدى المسيحيين نحو كنيس يهودي.

ويوجد في هذه الكنيسة أيضاً، في مقابل السدة، مع مسافة ضئيلة نحو الجنوب، هناك الموضع الذي وقفت فيه المريات الثلاث، وقالت

إحداهن للأخرى: «من سيدحرج هذه الصخرة لنا ويزيحها عن فم الضريح»؟.

وفي هذه الكنيسة نفسها أيضاً يقوم شطر من العمود الذي ربط المسيح إليه وجلد، والشرط الآخر موجود في القسطنطينية.

وينزل الانسان في هذه الكنيسة أربعين درجة إلى المكان الذي عثر فيه على الصليبان الثلاثة، ويوجد في هذا الجزء المنخفض، في داخل بيعة هناك، الكرسي الأسقفى لجيمس الأصغر، الذي اعتاد أن يجلس عليه عندما كان أسقفاً للقدس.

وفي هذه الكنيسة أيضاً توجد الأعمدة التي كانت موجودة في بيت بيلاطس، أيام آلام المسيح، وهذه الأعمدة لم تتوقف منذ ذلك الحين حتى الوقت الحالي عن رشح ماء عذب، فضلاً عن هذا يوجد في هذه الكنيسة الموضع الذي مدد فيه الرجل الميت فوق صليب المسيح، فنهض عائداً إلى الحياة.

وفي هذه الكنيسة يوجد أيضاً المكان الذي ظهر فيه يسوع إلى مريم المجدلية على شكل حدائق، وجميع هذه الأماكن مسيجة في داخل هذه الكنيسة، وتبدو هذه الكنيسة كأنها قصر مستعد لتلبية احتياجات الحجاج، مع الذين يعيشون محبوسين في داخلها، لأن الحجاج الذين يزورونها يجلسون هناك في داخلها من الساعة الأولى لليوم الأول، حتى الساعة نفسها من اليوم التالي، ويمكنهم توقع وجود كل شيء فيه رضى لنفوسهم، فلمرتين في العام — أي أن تقول من الجمعة الحزينة حتى اليوم التالي للعيد — يترك المسيحيون، الذين يسكنون هناك، أنفسهم ويجلسونها في الكنيسة، بدون شيء، ويغلقون على أنفسهم، ووقتها يجد الانسان حوانيت في الكنيسة، حيث توجد مختلف الأشياء، وحيث تباع الأطعمة، مثلما تجري عمليات البيع في هذه البلاد في الأسواق

والمعارض، ووقتها يستمع الانسان إلى أحاديث وأغان بمختلف اللغات، وتقوم كل عدة أمم باحتجاز مكان خاص بها لإقامة قداساتها وفقاً لطقوسها الخاصة، ومن بين هذه الأمم يحتجز اللاتين لأنفسهم المكان الذي ظهر فيه المسيح لمريم المجدلية على شكل حدائق.

وعلى مقربة من كنيسة الضريح المقدس، سكن فيما مضى فرسان القديس يوحنا للقدس، وقصرهم الآن مشفى عام للحجاج، وهذا المشفى كبير في حجمه إلى حد أنه يستطيع ألف إنسان أن يعيشوا فيه بكل سهولة، وأن يحصلوا على كل شيء يريدونه بالدفع مقابلته، وجرت العادة في هذا القصر أو المشفى، أنه يجب على كل حاج أن يدفع بنسيتين بندقين، وذلك مقابل استخدام المشفى، وهذا المبلغ لا يتغير سواء أأقام لمدة سنة، فهو لن يدفع المزيد، أو أقام لمجرد يوم واحد فهو لن يدفع أقل، وفي أيامي كان يسكن هناك في هذا القصر، أو المشفى عقيلة اسمها مرغريت الصقلية، وكان أخوها هو الكاهن المسؤول عن الضريح المقدس واسمه نيقولا، وكانت مرغريت هذه مفيدة جداً وخدمته هناك، ولمعلوماتي المؤكدة أنها عانت من شقاء عظيم ومتاعب جمّة في سبيل محبة المسيحيين، ولاقت دوماً تقديراً خاصاً من السلطان وعناية بسبب فائدتها، وعليك أن تعرف أن الكهنة المسؤولين عن الضريح المقدس يمتلكون امتيازات عظيمة وحقوقاً كبيرة، وذلك حسبما قرأت في كتاب قداساتهم، ويبدأون (القداسات) لكل ساعة من ساعات النهار بعبارة «المجد»، وذلك مثلما نفعل عندما نقول *In adjutorium* الخ، علماً بأنهم كرجال، العالم كله يشهد لهم من أقصاه، وهم يقرأون جميع القضايا الرئيسية الموجودة في الانجيل مع حركات جسدية وإيماءات، وعلى سبيل المثال يقرأ الشاس في يوم عيد الفصح الانجيل كمايلي: «وجلبت في ذلك الوقت مريم المجدلية، ومريم أم جيمس، وسالومي، بعض الحنوط، حتى يمكنهن الوصول إلى هناك ومن ثم

دهن يسوع»، وعندما يصلون إلى كلمات: «هو ليس هنا، هو قد قام»، وقتها يشير الشماس بإصبعه إلى ضريح المسيح، ويفعل الشيء نفسه في القضايا الأخرى، وفي مقابل الكنيسة، على الجانب الغربي، هناك الصخرة، التي استراح عليها يسوع لبعض الوقت، عندما كان حاملاً لصليبه، وذلك عندما خانت قواه بسبب عذابه ووزن الصليب وثقله، وهناك أرغم اليهود سمعان القرني، الذي كان قادماً من قريته، أجبروه على حمل الصليب، وقرب الكنيسة، وعلى مسافة ضئيلة نحو الجنوب، توجد الصخرة التي وقف يسوع عليها عندما قال: «يا بنات القدس لا تبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكن» الخ، ومن الممكن رؤية بلاط منزل بيلاطس في القدس حتى هذا اليوم، لكن هذا المنزل كان آنذاك خارج المدينة، ومثله بيت كيفاس، حيث اجتمعوا فيه يتشاورون، وقد تنبأ قائلاً: «إنه لمن الموائم أن يموت رجل واحد من أجل الشعب»، وهذا البيت يبعد عن القدس مسافة ثلاثة أميال من أميال تلك البلاد، فضلاً عن هذا، يمكن للانسان أن يشاهد كثيراً من الأماكن العجيبة والمقدسة، يحتاج الحديث عن كل واحد منها إليكم إلى وقت طويل.

ولدى المضي من القدس، يصل الانسان إلى مدينة كانت فيما مضى جميلة، لكنها الآن مهجورة، وهي قائمة في المنطقة التالية لليهودية، واسمها زكريا، وهي تبعد مسافة خمسة أميال عن القدس، وفي هذه المدينة عاش زكريا وإيزابل، والدا يوحنا المعمدان، وإليها جاءت مريم المباركة من الناصرة، وكان ذلك بعدما تلقت كلمة البشارة من جبرائيل، وعندما قابلتها إيزابل قفز الولد في رحمها، وقالت مريم المباركة «إن روحي تمجد الرب» الخ.

وقد بني فوق المكان الذي التقيتا فيه وعانقت إحداهن الأخرى، كنيسة فائقة الجمال اسمها «المجددة» حتى هذا اليوم، ويبعد هذا المكان عن الناصرة سفر ثلاثة أيام ونصف اليوم، بالسفر المستعجل، وهو ما

قامت به وقتها أم ربنا، وذلك حسب رواية الانجيل (لوقا: ١/ ٣٩) حيث جاء قوله: «فقامت مريم وذهبت بسرعة إلى الجبال في منطقة اليهودية»، وفي هذه المدينة جرى أيضاً الحمل بالقديس يوحنا المعمدان، كما تمت ولادته، وفي أثناء عودة الانسان من مدينة زكريا هذه يرى المكان المعتقد أن شجرة صليب المسيح قد نمت فيه، فضلاً عن هذا يرى الانسان على جانب الطريق كثيراً من قبور القديسين، والنساك، والكهوف، والأقبية، حيث يتم العثور هناك حتى هذا اليوم على عدد كبير من أجساد القديسين كاملة غير فاسدة، الذين يعرف الرب وحده أسماءهم.

وفي عودة الانسان إلى القدس عبر هذا الطريق، هناك موجود خارج الباب الشمالي المكان الذي جرى فيه رجم أول الشهداء، القديس ستيفن، ويبدو أنه كان هنا كنيسة جميلة غير أنها الآن مهدمة، وهي قائمة فوق وادي شعفاط، وفي وادي شعفاط هناك كنيسة مقدسة، لكنها ليست جميلة جداً، قد بنيت على شرف مريم المباركة، فمنها ينزل الانسان ستين درجة فيصل إلى ضريح مريم المباركة، الذي هو مزين بمصاييح وشمعدانات أجمل وأكثر عدداً مما هو موجود عند ضريح المسيح.

والمكان الذي يقوم فيه الضريح ليس أوسع مما يستطيع ثمانية رجال أن يقفوا فيه بشكل موائم، وشكل ضريح المسيح وضريح مريم المباركة هو هذا نفسه، والمكان الذي تقوم فيه هذه الكنيسة قد كان في أيام آلام المسيح بيت عناس، الكاهن الرئيسي، وهناك حدث أن أنكر بطرس المسيح، ويقوم فوق البقعة التي أنكره عليها عمود رخامي، ليكون بمثابة ذكرى أبدية، ومن المعتقد أن المسيح سوف يأتي إلى هذا الوادي في يوم القيامة، فيكون حكماً عادلاً، يجازي كل إنسان تبعاً لأعماله.

ويجري خلال هذا الوادي نفسه، وادي قدرون، الذي تتجمع فيه

جميع المياه التي ترشح من المدينة ومياه الأمطار التي تأتي من الهضاب على كلا الجانبين هناك، وعلى مقربة من هذا الوادي، عند سفح جبل الزيتون، توجد الحديقة التي ألقى فيها القبض على يسوع، وذلك حيث تمت خيانتته من قبل يهوذا بقبلة، وغالباً ما زار الرب عندما كان بالجسد هذه الحديقة مع حواريه، وتقوم كنيسة جميلة في المكان الذي ألقى القبض فيه على المسيح، لكن المسلمين يربطون الآن فيها قطعانهم وحيواناتهم ويطعمونها.

وعلى مسافة صغيرة من الحديقة، نحو اليسار، وتحت صخرة هناك، يوجد المكان الذي صلى فيه المسيح إلى الأب قائلاً: «أياها الأب، إذا كان من الممكن، دع هذا الكاس يتجاوزني»، وفي أثناء خوفه وضعفه الانساني تعرق دماً.

وعند سفح الجبل المقابل، حيث بنيت القدس، توجد بركة سلوان للاستحمام، والذي هو موجود الآن فيها مجرد مجموعة من المياه الآسنة، وعبر بركة الاستحمام وفي قبالتها يقوم تمثال أبسالوم، وهو مصنوع ببراعة، وله حجم رائع.

وفوق وادي شعفاط، نحو الجنوب، يوجد حقل الفاخوري، أو حق الدم، ويسمى أيضاً حقل الدم، ذلك أنه شري بثمن الدم، من أجل دفن الغرباء فيه، غير أن واحداً من التواريخ الشرقية قد أوضح أن الذي شري منه هو ماتساوي قيمته خمسة عشر بنساً فقط، وهذا بالفعل أمر يمكن تصديقه، لأنه لا يستوعب ثلث الحقل.

٣٩ — حول الثلاثين قطعة من الفضة

نحن نقرأ في تاريخ ملوك الشرق الذين قدموا أعطيات إلى ربنا، أن تيراح والد ابراهيم كسب مالاً، أو بنسات، وذلك بناء على طلب ملك لبلاد الرافدين اسمه نينوس، وأنه قد تسلم ثلاثين قطعة من الفضة

ايجاراً له، وقد أعطى قطع الفضة هذه إلى ابراهيم، الذي أنفقهم خلال أسفاره في المنفى، وجرى تداول هذه القطع الفضية بين مختلف الأيدي، حتى وصلن إلى أيدي الاسماعيليين، وبهن جرى شراء يوسف من أخوته، وفيما بعد عندما صار يوسف حاكماً في مصر، رجعت قطع الفضة هذه إلى أيدي يوسف، وحصلن له من أخوته كثرمن للقمح، ولدى اعادتهن إلى أخوته، أعطاهن أخوة يوسف إلى حاجبه، الذي بعث بهن إلى سبأ لشراء بضائع من أجل فرعون، وفي أيام سليمان، عندما جاءت ملكة سبأ من الشرق للاستماع إلى حكمته، قدمت هذه الثلاثين قطعة فضية إلى الهيكل، وفي أيام رحبعام، عندما قام نبوخذ نصر بنهب الهيكل والاستيلاء على كنوزه، أعطى الثلاثين قطعة من الفضة والكنوز الأخرى إلى ملك جودوليا Godolia الذي كان معه في جيشه، وهكذا بقيت هذه القطع مع بقية الكنوز في خزانة ملوك جودوليا حتى وقت ميلاد المسيح.

وانتقلت في ذلك الوقت مملكة جودوليا إلى النوبة، وحدث عندما ولد ربنا، أن رأى ملكيور، ملك النوبة في النجوم أن المسيح قد ولد من عذراء، وبناء عليه أخذ الثلاثين قطعة، لأنه لم يجد ما هو أفضل أو أقدم بين ذهب خزانته، وبإرادة من الرب منحهم إلى المسيح، وفيما بعد عندما هربت مريم العذراء المباركة إلى مصر لخوفها من هيرود، فقدت الثلاثين قطعة مع بقية هدايا الحكماء، في مكان هو حيث قامت حديقة البلسم الآن، وقد عثر راعي عليهم واحتفظ بهم لمدة ثلاثين عاماً، ثم كان أن انتشر صيت المسيح في الخارج، وقدم هذا الراعي نفسه إلى القدس، حيث تولى المسيح شفاء مرضه، وعندما كان المسيح يعظ في الهيكل ويعلم، منحه هذا الراعي الثلاثين قطعة مع بقايا هدايا الحكماء، لكن المسيح رفض أخذهم، وطلب منه منح القطع الفضية للهيكل، ووضع الهدايا الأخرى فوق المذبح، ونفذ الراعي هذا، وألقى اليهود الثلاثين

قطعة في قربان، وأعطوهم فيما بعد إلى يهوذا من أجل خيانة يسوع، ثم لما أعادهم يهوذا ثانية، اشترى حقل الفاخوري بخمس عشرة قطعة، وأعطوا الخمس عشرة قطعة المتبقية إلى العساكر الذين تولوا حراسة ضريح المسيح، وبعدما صنع بهذه القطع مارسم لهم بالقدر وتقرر، جرى إثر ذلك اقتسامهم ومن ثم تفرقهن هنا وهناك، لكن حتى صنع ذلك الذي تقرر وجوب صنعة بهن، جرى الاحتفاظ بهن معاً كما سمعت، وتطلق الكتابات المقدسة عليهن اسم بنسات فضية، لأنه في القديم أطلقوا على جميع المعادن اسم الفضة، إنما لما لاشك فيه كن من الذهب.

وحقل الدم ليس حقلاً واسعاً حسبما أخبرتك، لكنه يحتوي على حفرة عميقة جداً قد حفرت فيه، ولهذه الحفرة سقف مقنطر فوقها، وهذا السقف مخروق بوساطة فتحات، ومن خلال هذه الفتحات يجري إلقاء أجساد الموتى إلى داخلها، وبعد ثلاثة أيام لا يبقى شيئاً سليماً من هذه الأجساد غير العظام، ذلك أن مكاناً ضيقاً بهذا القدر، لا يمكنه أن يستوعب مثل هذا العدد الكبير جداً من الأجساد.

وعلى مقربة من هذا الحقل هناك مكان فائق الجمال، وفيه أشجار جميلة جداً، كان الرهبان الدومينيكان يحاولون شراءه، عندما كنت على وشك المغادرة، ولأعرف إن كانوا قد حصلوا عليه أم لا، وعلى مقربة منه هناك كثيراً من قلاليات القديسين وصوامع النساك التي كانت تفيض بالنعمة، لكنها الآن مهجورة، ومثل ذلك على مقربة من هذا الكهف يوجد الكهف الذي أخفى بطرس نفسه فيه بعدما أنكر المسيح، ومن ثم بكى بحرقة، وليس بعيداً عن هذا الكهف يوجد المكان الذي شق يهوذا فيه نفسه وهو في حالة يأس.

٤٠ - جبل الزيتون

وعلى مقربة من القدس، باتجاه الشرق، يقوم جبل الزيتون، الذي يعرف الآن باسم جبل الضياء، وهو مكان جميل جداً، مع وجود وادي شعفاط فقط بينه وبين القدس، وجبل الزيتون أعلى بكثير من المدينة، إلى حد أن كل شيء في المدينة يمكن رؤيته من قمته، وأطلق عليه اسم جبل الزيتون لأن كثيراً من أشجار الزيتون قد نمت هناك، وكما قلنا يعرف أيضاً باسم جبل الضياء، لأنه في أثناء الليل تشع أضواء الهيكل من فوق في مقابله، والبابان الشرقيان للقدس اللذان يقودان إلى الجبل مغلقان بشكل دائم، لأن وادي شعفاط بين المدينة والجبل منحدر إلى درجة يصعب فيها على الإنسان التسلق والصعود إلى الأعلى، والنزول نحو الأسفل على يديه، وعلى قدميه، والذي هناك الآن باب واحد فقط اسمه الباب الذهبي، وتقوم على جبل الزيتون كنيسة جميلة اسمها كنيسة القديس المخلص، وذلك فوق المكان، الذي صعد منه المسيح بتواضع إلى أبيه بعد مضي أربعين يوماً على آلامه، وحيث قالت الملائكة إنه سوف تتوجب عودته ثانية كحكم عادل، ومن الممكن رؤية علامات قدم المسيح على بلاط تلك الكنيسة حتى هذا اليوم، ولقد قرأنا بأن المسيحيين عندما كانوا قد شرعوا ببناء تلك الكنيسة وتبليطها، كانوا كلما جاءوا إلى المكان الذي كانت فيه طبعات قدم المسيح ووضعوا حجارة فوقها، كانت الحجارة تنبعث عالية مجدداً، وكأن إنساناً يريد أن يخطو، وهكذا بقيت طبعات القدم حتى اليوم الحالي، والكنيسة مفتوحة، لأنه من غير الممكن صنع سقف مقنطر بأي وسيلة من الوسائل فوق المكان الذي عبر المسيح من خلاله إلى عليين، ويوجد على جبل الزيتون أيضاً، وتقوم كنيسة صغيرة أخرى فوق المكان الذي تلا فيه المسيح صلاة الرب، وعلمها لحوارييه، وماتزال الكنيسة تدعى باسم «الصلاة الربانية»، وقد قام فيها مضي أيضاً فوق هذا الجبل بيعة أخرى، وهي

الآن مهدمة، وقد قامت فوق المكان الذي رأى المسيح منه المدينة وبكى عليها، وتوجد على هذا الجبل نفسه قرية صغيرة اسمها الجليلية، وهي غالباً ماورد ذكرها في الكتابات المقدسة، وذلك حيث سكن الحواريون مع بعضهم، وهذه الجليلية هي التي نقرأ حولها: «أذهب إلى الجليلية، وهناك سوف تراه، كما قال لك»، كما نقرأ: «إنني سوف أذهب قبلك إلى الجليلية»، هذا وهناك جليل أخرى التي هي بلاد كبيرة، وتبعد سفر ثلاثة أيام، وذلك حسبنا سأحدثكم فيما بعد، وفوق هذا الجبل، هناك أيضاً أماكن سكنى قديسين، وسواح وصوامع نساك بهية.

وعلى مقربة من جبل الزيتون تقوم بيت فاجي، حيث ركب المسيح في يوم أحد السعف الأتان للذهاب إلى القدس، ولا بد أنه كان راكباً جيداً، وإلا لا يستطيع إنسان أن يخبر مطلقاً أن إنساناً يمكنه وهو راكب على ظهر أتان، أن ينزل على مثل ذلك الطريق، لأن هذا الطريق منحدر جداً، وضيق من جبل الزيتون، وعلى بعد نصف ميل قصير من بيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، التي كانت فيما مضى قلعة جميلة جداً، قائمة على طرف الراية، وفيها ثلاث كنائس، تقوم أولاهن فوق المكان الذي أقيم اللعازر فيه من الموت، وضريحه ما يزال يشاهد هناك، هذا وإن قبور: المسيح، ومريم المبارك واللعازر هي ذات شكل متشابه، وتقوم الكنيسة الثانية في المكان الذي كان فيما مضى بيت سمعان المجدوم، وذلك حيث دعي المسيح إلى غداء، وجاءت مريم المجدلية المباركة، ودهنت شعر المسيح يسوع مع قدميه، ثم غسلتهم بدموعها، وجففتهم بشعرها، فهذا ما تتحدث الكتابات المقدسة عنه وتوثقه، واتخذت الكنيسة الثالثة من قصر مرثا، حيث جرى بالغالب استقبال ربنا وهو في هيئة ضعفنا البشري، وهو جائع، وعطشان، وعريان، ومنهك، فقد استقبل بمثابة ضيف، وجرى تقديم ما احتاج إليه وتمت مواساته عندما كان بلا بيت.

ويربط المسلمون الذين يسكنون الآن هناك ثيرانهم وحيوانات التحميل لديهم، في هذه الكنائس، وفي هذا المكان نصب سليمان صنم مردوخ العائد إليه.

٤١ - أريحا - الصحراء - سدوم وعمورة

ويصل الانسان من بيت عنيا إلى الأردن في يوم واحد، وذلك بعد عبوره لبرية صغيرة اسمها مونتوست Montost ، وقام في هذه البرية القديس يوحنا المعمدان بالتعليم، وأكل الجراد والعسل البري في المكان نفسه، وحدث في هذه البرية أيضاً أن سقط إنسان بأيدي اللصوص، وكان ذلك أثناء نزوله من القدس إلى أريحا، وذلك حسبما حدثتنا الكتابات المقدسة، ويوجد في نهاية هذه البرية الجبل الذي اسمه جبل القرنطل، فهناك فوقه صام يسوع لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة، فكان جائعاً، وهناك أغواه الشيطان ليعمل خبزاً من الحجارة، وفي منتصف الطريق في أعلى الجبل هناك صومعة جميلة قد نحتت في الصخر، فيها صام المسيح، وفيها يعيش الآن رهبان جورجيون، وتسبب في أيامي ملك جزره Gazara بتدمير الطريق، حتى لا يتمكن الرهبان من النزول، والحجاج من الصعود إلى هناك، لكن عندما سمع بالسلطان بهذا، تدبر إعادة ترميم الطريق، وسمح للرهبان بالإقامة هناك بشكل أبدي.

وعلى قمة هذا الجبل تقوم كنيسة جميلة، في المكان الذي أغوي فيه المسيح من قبل الشيطان، وعن هذه البرية ذاتها نقراً: «ثم أضع يسوع إلى البرية من الروح ليغوى من إبليس» [متى: ١/٤].

وعلى مقربة من هذا الجبل، وباتجاه سهل الأردن، هناك نبع، وحديقة فائقة الجمال، فهناك سكن إبراهيم عندما جاء من بلاد الكلدان، وبنى مذبحاً هناك، ودعا باسم الرب، واسم هذا المكان بستان إبراهيم حتى

هذا اليوم.

وبعدما يعبر الانسان هذه الأماكن يصل إلى أريحا، التي كانت فيما مضى مدينة ملكية ومشهورة، وقد تراجعت الآن إلى قرية صغيرة، غير أنها قائمة في بقعة فائقة الجمال وخصبة جداً، في وادي الأردن، وهذه هي أريحا التي هدم الرب أسوارها بمعجزة، وأعطاهما إلى يوشع، مع إلقاء اللعنة على من سوف يحاول عمارتها.

وإلى أريحا هذه انتمت راحاب العاهرة، وزكّا الذي كانت قامته قصيرة، وكان من أريحا هذه الطفل الذي سخر من النبي إيليا بقوله له: «إذهب يا أقرع الرأس، امض أنت يا أقرع الرأس»، وقد التهم من قبل دين انتقاماً له، وهذه أمور تتحدث عنها الكتابات المقدسة وتشهد على صحتها.

وعلى مقربة من أريحا يوجد المكان الذي أعاد يسوع فيه النور إلى عيني الأعمى، وهو عابر من هناك، وعلى مقربة من أريحا أيضاً هناك يجري الجدول الذي جعل النبي إيليا مياهه عذبة، حيث كانت من قبل مرة، وعلى مسافة ثلاثة أميال قصيرة من أريحا يوجد البحر الميت، الذي طوله في هذه اللاد حوالي الثمانين ميلاً، وهناك قامت فيها مضى مدن: سدوم، وعاموره، ودومه، وساعور العظيمة، وقد قام الرب بالخسف بهم وبجميع الأماكن التي كانت بهم، وبما كان بقربهم مع جميع المدن هناك والقرى والقلاع والحصون، وكان ذلك بسبب أثامهم المموجة.

وما من إنسان يمكنه استخدام مياه هذا البحر من أجل أي غرض مهما كان نوعه، لأن لها رائحة قذرة لا يمكن تحملها أبداً وشريرة، ولهذا عندما تهب الرياح تسمم هذه المياه جميع المنطقة من حولها هناك، وفي أوقات العواصف يقذف هذا البحر كثيراً من الحصى الجميل، لكن إذا

ما التقطهم أي إنسان، سوف تبقى رائحة يده قدرة جداً لمدة ثلاثة أيام، إلى حد أنه لن يتمكن من تحمل نفسه، ويقول بعضهم أن ما من إنسان يمكنه أن يغطس هناك فيه ويغرق، وعن هذا أنا لأعرف شيئاً غير الذي قيل لي، وللصدفة ما من أحد حاول ذلك، غير أنني سمعت من بعض الناس من هذه البلدان، أنه في بعض الأماكن من هذا البحر من الممكن رؤية قعره، وفي بعضها لا يمكن، أما بالنسبة للأبنية التي كانت قائمة هناك قبل الدمار العظيم، ما من أثر منهم يمكن رؤيته، وفي الحقيقة نادراً ما يقترب إنسان منه بسبب رائحته النتنة التي لا يمكن تحملها، ومع ذلك فإن جميع المنطقة من حوله مليئة بالأشجار وبشمار عظيمة، وفائقة الجمال أن تنظر إليها، لكن عندما يجري قطف هذه الشار وفتحها أو تكسيرها، يجدها الانسان مليئة بالغبار والرماد في داخلها، إلى حد أن يد الانسان الذي يقطفها لا يمكنها التخلص من رائحة النتن المقيتة لمدة ثلاثة أيام، لأنه حتى المنطقة حول هذا البحر مليئة بلعنة الرب.

وفي هذه المنطقة الأفعى التي اسمها تيروس Tyrus موجودة ويمكن إمساكها، ومنها الذي يدعى باسم ترياق قد نال اسمه، لأنه يصنع منها بشكل رئيسي، وهذه الأفعى ليست أطول من نصف شبر، وغلظها مثل إصبع إنسان، ولونا أصفر مزيج بلون أحمر، وهي عمياء وليس هناك دواء معروف لسمها، إلا بقطع الطرف المعضوض، وعندما تكون غاضبة تضع فمها مثل لهيب نار، ويخيل للانسان وقتها أنه نار حقيقية، سوى أنها نار لا تحرق المخلوق، ووقتها يقف شعرها فوق وجهها وكأنها خنزير وحشي غاضب، وفي تلك الأوقات يصبح رأسها أضخم، ولولا أنها عمياء أعتقد أن ما من إنسان يمكنه أن ينجو منها، ولقد سمعت من الذين صنعتهم إمساك هذه الأفاعي، أنها إذا عضت حصان إنسان، سيقتلون الممتطي له.

وعلى مقربة من البحر الميت، وعلى جهة اليمين باتجاه سبط إسرائيل، وفوق رابية صغيرة، تقف زوجة لوط، وقد تحولت إلى عمود من ملح، وكان في هذه الأماكن في أيامي بعض فرسان الداوية، الذين أخذوا أسرى لدى سقوط عكا، يقومون هناك بقطع الأخشاب هنا وهناك في الجبال في خدمة السلطان، وهم لا يعرفون بأن طائفة الداوية قد جرى قمعها وإزالتها، لأنهم يعملون هنا وهناك في الجبال، ولم يروا إنساناً من هذا الجانب من البحر منذ أن أخذوا أسرى، وجعلنا هؤلاء الرجال نقلع بقوة عن متابعة الترحال على طول ساحل البحر الميت، وذلك إذا كنا نرغب في أن لانفقد حياتنا من خلال نتنه، هذا وقد مكنونا من رؤية تمثال زوجة لوط، الذي كنا قادرين على رؤيته بوضوح عن بعد من هناك.

وفي تلك السنة أطلق السلطان سراحهم مع زوجاتهم وأولادهم، استجابة لتدخل أحد الوسطاء، وقد قدموا إلى بلاط مولانا (البابا)، ومن هناك جرى إرسالهم مشرفين إلى أوطانهم، وقد كان واحداً منهم برغندياً، وكان آخر من طولوز.

وليس بعيداً عن تمثال زوجة لوط تقوم مدينة ساعور، التي بفضل دعاء لوط أنقذت من الدمار.

وفيما وراء البحر الميت، باتجاه الشرق، توجد أحصن قلعة في العالم، وهي التي اسمها باللغة العربية «عربة»، وفي الكلدانية «شوبك»، وفي اللاتينية «مونتريال»، ولقد قيل إنه لا يوجد قلعة في العالم يمكن مقارنتها بها، ذلك أنها محاطة بثلاثة أسوار، ففي داخل السور الأول هناك صخرة مرتفعة جداً، فيها ثلاثة ينابيع تتدفق المياه منها، ومياه هذه الينابيع تسقي جميع المنطقة في تلك الأحواز، وفي داخل السور الثاني ينمو ما يكفي من القمح بسهولة للناس الذين يعيشون في القلعة من سنة إلى سنة أخرى، وكان من المعتاد أن ينمو في داخل السور الثالث كثير من الكروم، لكن

هذه الدوالي اقتلعت، وليس بإمكان العالم كله أن يحرم القلعة من هذه الأشياء، باستثناء الأشجار والدوالي، وكانت هذه القلعة فيما مضى ملكاً للصليبيين، لكن ذنوبهم جعلتهم يفقدونها بدناءة كبيرة وبسبب خيانتهم الذاتية، ويحتفظ السلطان الآن دائماً بذخائره في هذه القلعة، وبابنه ووريثه، وإلى هذه القلعة يهرب دوماً حيث يجد الملجأ وقت الحاجة، وعند سفح هذه القلعة توجد قرية اسمها الریض، يسكن فيها أكثر من ستة آلاف مسيحي يتطلعون بشوق إلى إنقاذ الأرض المقدسة.

٤٢ — حول نهر الأردن

ويصل الانسان من البحر الميت إلى نهر الأردن الذي هو نهر لا يتجاوز عرضه عشر خطوات، ومع أن الأردن نهر صغير، هو عميق جداً وموحل، وهو يفيض أو يتراجع وفقاً للموسم، ففي بعض الأحيان يفيض بمياه الأمطار إلى حد أنه يمكن إبحار سفن محملة عليه، ولهذا النهر قعر موحل جداً، ومياهه عذبة، وفيه سمك رائع، وهو ينبع من حوالي سفر أربعة أيام إلى الشمال من البحر الملعون، وذلك عند سفح جبل لبنان، ويأتي ذلك من جدولين هما «أر» و«دان»، ويمر خلال الجليل، ويأخذ اسمي هذين النهرين، فيصبح اسمه «الأردن»، وهناك عند سفح جبل الكرمل جدول يتدفق من هناك فيصب في «الأر»، وعلى مقربة من البحر الميت، وعلى بعد ميلين قصيرين، وعلى نهر الأردن يوجد المكان الذي جرى تعميد المسيح فيه من قبل يوحنا، ويطلق على هذا المكان اسم مخاضة الأردن، وهنا عبر يوشع مع بني إسرائيل فوق أرض جافة، وهنا أيضاً انقسمت مياه الأردن بناء على أوامر النبي إيليا، وهنا أيضاً انقسمت المياه ثانية عندما ضربها الإشع بعباءة إيليا.

وعلى مقربة من هذا المكان، وليس بعيداً عن ضفة الأردن، جرى بناء دير جميل على شرف يوحنا المعمدان، وهو مسكون من قبل رهبان

إغريق، الذين أعلنوا أنهم يمتلكون ذراع القديس يوحنا، وقد نقل هذا الدير، وابتعد قليلاً عن ضفة النهر، بسبب أن المياه تفيض في بعض الأحيان، ويجتمع مسيحيو البلاد وجميع الحجاج من البلدان النائية مع بعضهم في هذا المكان في يوم عيد الغطاس، ويقرأون هناك من الانجيل باللاتينية: «عندما ولد يسوع في بيت لحم» الخ، ويباركون الماء، ويعمدون الصليب، ويقوم جميع الذين هم وقتها مرضى أو فيهم علة ماء، بالقفز إلى الماء، فيبرأ كلهم من عللهم وأمراضهم على مشهد من جميع الناس.

ويوجد في وادي الأردن كومة من الغرلات، حيث مكان الختان، ومكان البكاء والنحيب، وموضع الاثنتي عشر صخرة، التي حملها بنو إسرائيل من أرض النهر، لتكون ذكرى وشهادة، وعن هذه الصخور تحدث يوحنا المعمدان عندما قال: «إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» [متى: ٣/٩]، ويدعى هذا الوادي باسم وادي عكان، بسبب أنه جرى هناك رجم عكان، لأنه استولى على ذهب الملك، ومن هذا الوادي جرى أيضاً حمل إيليا ورفعته إلى السماء في عربة من نار.

وليس أبعد من ميلين قصيرين من المكان الذي جرى تعميد يسوع فيه، يدخل الأردن البحر الميت، أو البحر الملعون، ولا يرى بعد ذلك، وهناك سؤال في المشرق: لماذا يتوجب على مثل هذا الماء المبارك، دخول مثل هذا المكان الملعون؟ ويقول بعضهم إن لعنة أولهما يمكن أن تزول بمباركة الآخر، ويقول آخرون: إنه يجري ابتلاعه بمجرد دخوله، ومن الممكن تصديق الأمرين، والذي يبدو أكثر احتمالاً بالنسبة لي هو أنه يجري شربه وابتلاعه من قبل الأرض، لأن مياه الأمطار التي تتدفق من جميع التلال المنتشرة هناك تجعل نهر الأردن عظيماً إلى حد أنه يكون من غير الممكن لمثل هذه الكميات الضخمة من المياه أن تصب في البحر من

دون أن تجعله يفيض، ويغمر جميع المنطقة من حوله.

وطول نهر الأردن من نبعه حتى نهايته، هو حوالي خمسة وعشرين ميلاً من أميال هذه البلاد، وإلى جانب نهر الأردن هناك كثيراً جداً من الديرة، والقلايات والصوامع مليئة بالنعمة، ويمكن للإنسان أن يرى كل أمسية على ضفاف هذا النهر نفسه وأعداداً لا تحصى من الحيوانات الكبيرة والصغيرة تشرب منه، وخاصة الأسود، والثعالب والظباء، والوعول، والأرانب، والخنازير البرية، وما شابه ذلك، وهي تسير بين الناس، وكأنها حيوانات مدجنة، واعتاد في أيامي أن يكون هناك أسد يقف بشكل دائم في مكان محدد، وذلك على الضفة القصوى من الأردن، وكان يتولى مراقبة الناس وهم يعبرون، حيث كان يحرك ذيله مثل كلب، ولا يهرب أو يبتعد، ولا يؤذي أحداً سواء في النهار أو في الليل، ورغب واحد من رماتنا أن يخيف الأسد وأن يغضبه، فأطلق نشابة نحوه، ولم يتحرك الأسد بل بدا وكأنه يحدق وينظر نحو السهم، لكن عندما رماه الرجل بسهم آخر، زار الأسد وصاح بالسهم، وكأنه يريد أن يمسكه بفمه ومخالبه، وبعد هذا لم يعد هذا الأسد يرى في هذا المكان، وأخذ يسبب أذى عظيماً لكل من الناس والحيوانات التحميل.

وبشأن الحيوانات البرية هناك كثير جداً منها في تلك المنطقة إلى حد أن الناس يسوقونهم إلى السوق مثل الأغنام.

وليس بعيداً عن هناك يوجد المكان الذي اسمه تلال الأردن، حيث بنى أبناء رأوبين، وأبناء جاد ونصف سبط منشا مذبحاً كبيراً ليروه، عندما تدخل هذه التلال بين أملاكهم.

٤٣ — حول رامة — شيلوه — عمواس — شيكار —
السامرة والجليل.

ومن الأردن يصل الإنسان في ثلاثة أيام إلى الجليل، واليهودية،

والسامرة، وبعد رؤيته لعدد كبير من المشاهد، يخلف القدس على اليسار، ويصل إلى مدينة رامة (صموئيل الأول: ٢٥ / ١) القائمة فوق جبل إفرائيم، ويسكن في هذه المدينة في هذه الأيام القاضي — أي أسقف المسلمين — وقد واجهنا هناك مرة كثيراً من المتاعب حول بعض المسيحيين الذين اعتقلوا هناك من خلال حماقتهم، وذلك قبل أن نطلق سراحهم.

وكان النبي صموئيل قد ولد في هذه المدينة، وفيها دفن، وعلى مقربة من هذه المدينة حدث أن كان النبي حبقوق حاملاً إلى الحصادين غداءهم، عندما أمسكه أحد الملائكة وحمله إلى دانيال الذي كان في عرين الأسود في بابل، وليس بعيداً عن رامة التي كانت فيما مضى جميلة، لكنها الآن مهجورة، توجد مدينة اسمها الرامة، وهي مسقط رأس يوسف الذي دفن المسيح.

وعلى مقربة من هذا المكان، وعلى بعد ثلاثة أميال عنه، قامت فيما مضى مدينة شهيرة، هي الآن قرية صغيرة، اسمها شيلوه، وفيها توقف تابوت العهد، واجتمع العبرانيون مع بعضهم هناك للصلاة.

وليس بعيداً عن شيلوه توجد عمواس، التي كانت فيما مضى مدينة جميلة، لكنها الآن مهجورة، وفيها ظهر المسيح إلى حواريه بعد قيامته، واسم هذه المدينة الآن نيكوبولس (كذا — خطأ)، وعلى مقربة من نيكوبولس، على جهة اليمين، كانت تقوم فيما مضى مدن مشهورة جداً، غير أنها الآن مهجورة، نذكر منها: جبعون، وعجلون، وذلك حيث قاتل يشوع ضد خمسة ملوك، وبناء على طلبه أطالت الشمس بقاءها ولم تغب، حتى هزم أعداء بني إسرائيل.

فضلاً عن هذا، قام — ليس بعيداً عن شيلوه، في منطقة السامرة — فيما مضى مدينة جميلة في وادي، وكان اسم هذه المدينة شيكار، ولكن

اسمها الآن نابلس، وهي في هذه الأيام كلها مهجورة، وهناك جرى اغتصاب دينة ابنة يعقوب، وقد انتقم لها أولاده.

وعلى مقربة من هذا الطريق قام فيما مضى كنيسة صغيرة جميلة، هي الآن مهدامة إلى حد كبير، يوجد فيها جب يعقوب، وإلى جواره عندما كان المسيح جالساً منهكاً بسبب سفره في هيئة ضعفاً بشري، وقتها سأل امرأة سامرية اعطاه الماء ليجدد نشاطه، وقال لها حسبها جاء في الكتابات المقدسة: «لقد امتلكت خمسة أزواج».

وعلى مقربة من هذا الجب، قام يربعام، ملك إسرائيل، بصنع عجل ذهبي، قام بنو إسرائيل بعبادته، وأيضاً في حقل قريب من هذا المكان قتل داوود جالوت، هذا وهناك أماكن أخرى كثيرة مشهورة من الممكن مشاهدتها على طول هذا الطريق، سيقضي الحال وقتاً طويلاً للحديث عنها.

وإذا ما غادر الإنسان نابلس، يصل إلى السامرة، التي كانت فيما مضى عاصمة البلاد كلها، ولهذا السبب تعرف البلاد كلها باسم السامرة، وقد كانت هذه فيما مضى مدينة فائقة الجمال، ومشهورة، وملكية، ومدينة عظيمة جداً، وذلك حسبها تدلّك خرائطها على ذلك، وهي في وضعها تشبه من جميع الجوانب مدينة القدس، وقد سكن ملوك إسرائيل فيما مضى في هذه المدينة، وفي هذه المدينة أيضاً جرى دفن القديس يوحنا المعمدان بين النبيين إيليا وعوبيديا.

وعرفت هذه المدينة بالقديم باسم السامرة، وبعد ذلك باسم سبسطية، واسمها الآن إيبيلين (يبني)، ومنها تعرف حتى الآن القبيلة المسيحية الرئيسية في تلك البلاد باسم «الاييلينية» (كذا)، وكان هؤلاء في البداية فرسان فرنسيين، ولدى استرداد الأرض المقدسة وقعت هذه المدينة في حصتهم.

وبعدما يكون الانسان قد فرغ من رؤية المشاهد المتقدمة الذكر في السامرة، يمضي إلى سهول الجليل، مخلفاً الجبال خلفه، والجليل مقاطعة من مقاطعات الأرض المقدسة، وهي مقاطعة جليلة، فيها سهول غنية، وروابي، ومراعي، وأعشاب، وأشياء أخرى جيدة، مع وديان مثمرة جداً وجميلة، ويقوم فوق سهولها، وعلى سفوح روابيها المدن التالية: نين، وكفرناحوم، وبيت صيدا، وقانا الجليل، لكن هذه المدن جميعاً الآن مهجورة، أو شبه مهجورة، ولا يعطين انطباع أنهم كن قط لمن أي شأن، والأشياء التي صنعها الرب فيهن عندما كان بالجسد مثلنا، قد ورد ذكرها بتوسع في الانجيل، وبناء عليه لست مهتماً بتكرار ذلك.

وعلى مقربة من نين توجد عين دور، التي عند سفحها يجري جدول قيسون، ولقد تمجدت أرض الجليل هذه وأشرقتم بمعجزات المسيح الكثيرة فيها، وعند حدود الجليل تقوم جبال جلبوع، التي هي تلال منخفضة، مليئة بكثافة بالأعشاب الخضراء، والمزروعات، والمراعي، وعلى هذه التلال سقط شاؤول، ويوناثان، وبنو إسرائيل، وعندهم قال داوود: «يا جبال جلبوع لا يكن ظل ولا مطر عليكم» [صموئيل الثاني: ٢١/١]، ويقول بعضهم أنه لا يسقط عليهم لاندى ولا مطر، وهذا أمر غير صحيح، لأن الانسان يمكنه أن يرى أنه قد قام فوقهم عدد كبير جداً من الديرة الجميلة، وكان ذلك فيما مضى، وتظهر الرسوم أنهم كانوا ملكاً لطائفة السسترشيان، ولطائفة القديس بندكت.

وفي أحواز جبال جلبوع تقوم مدينة بيت أوليا، التي سكنت فيها يودث، التي قطعت رأس هولوفرنس بصعوبة، غير أن المدينة مهدمة الآن.

وبعدما يرى الانسان كل واحد من هذه الأشياء، يغادر سهل الجليل، ويأتي إلى الناصرة، التي كانت فيما مضى مدينة شهيرة، وهي جميلة جداً حتى هذه الأيام، قائمة في وادي مزهر وجميل، وهي محاطة من كل

جانب بالجبال، وهي ليست مسورة، لكن بيوتها قائمة بشكل أحدها بعيد عن الآخر، ومع ذلك هي مليئة بالسكان، وتلطف الرب في هذه المدينة بالاعلان من خلال جبريل إلى العذراء المباركة مريم بأنه قد صار رجلاً.

وقد بني في هذه المدينة كنيسة عظيمة جداً وجميلة، ويوجد في داخلها، وعلى مقربة من السدة هناك بيعة جميلة، قائمة فوق البقعة التي أعلن الرب فيها بأنه قد صار إنساناً من أجلنا، ويوجد في هذه البيعة عمود صغير، وقف في مقابله جبرائيل عندما أعلن عن المسيح، وماتزال صورته مطبوعة على العمود، مثل صورة ختم على الشمع، وهي موجودة حتى هذا اليوم.

ويوجد خلف الكنيسة نبع ماء، منه اعتادت مريم المباركة دوماً على نضح الماء، وعلى مقربة منه غالباً ما تحدث إليها الملائكة وواسوها، وفي أيامي حاول المسلمون كثيراً سدّ هذا النبع مراغمة للمسيحيين والحجاج، لكنهم لم يستطيعوا مطلقاً إيقاف الماء ومنعه من التدفق، ودنس المسلمون أيضاً هذه الكنيسة المقدسة والمجيدة بطرق متنوعة، ذلك أنهم يسلخون الحيوانات الميتة فيها من أمثال: الحمير، والجمال، والكلاب، والثيران، ويرمون ما في أجوافها في داخلها، ولهذا سيتعذر على الانسان زيارة هذه الأماكن العالية القداسة بسبب الروائح النتنة.

ويسكن هناك في الناصرة أكثر المسلمين شروراً، وسوءاً، وأعيان يعرفون باسم دهيس Dehes، حيث نادراً ما يعبأون بالسلطان، لكن حتى يدخل الانسان إلى المدينة يحتاج إلى جواز منهم وأمان، وذلك قبل كل شيء.

وعلى مسافة ميل من الناصرة، هناك صخرة فوق جبل، يطلق عليها اسم «قفزة الرب»، وهي حيث مرّ يسوع من بين وسط اليهود، ومضى

في طريقه، وكان ذلك عندما أرادوا رميه من أعلاها، وذلك حسبما تحدثنا الكتابات المقدسة، وما تزال صورة يسوع مطبوعة حتى هذا اليوم على الصخرة التي عبرها، ومن الممكن مشاهدة ذلك، وكأنها قد طبعت فوق شمع طري.

وإذا ما سافر الانسان من هذا المكان، يصل في منتصف النهار إلى جبل الطور، الذي هو جبل منفرد قائم بنفسه فوق سهل، وهو عالي جداً، لكنه ليس واسعاً، وهو من جميع الجوانب يشبه هضبة اسمها ديزنبرغ Dezenberg ، في أسقفية بادربورن.

وفوق قمة هذا الجبل تغيرت هيئة يسوع المسيح، وأشع وجهه مثل الشمس، وكان ذلك بحضور: بطرس، ويوحنا، وجيمس، وهنا ظهر كل من موسى وإلياس، وهما يتحدثان إليه، وقد بني فيما مضى فوق البقعة التي تغيرت هيئته عليها دير جليل وملكبي، تابع لطائفة القديس بندكت، وكان راعيه يستخدم على مراسيمه ختماً على الرصاص مثل البابا، ولقد رأيت كثيراً من هذه الأختام على مراسيم، وعليك أن تعرف أن عيد تغيير الرب لهيئته محافظ عليه بوقار في بلاد ماوراء البحار، وهو يحل في يوم عيد القديسين فيلكس وأغابيتوس Agapetus [٦] — أب، ووقتها يحتفل به بنبذ جديد، وفي ذلك اليوم يلتقي جميع النبلاء وسكان المدينة مع بعضهم في الكنيسة، ويضعون أعلاماً على كنائسهم ويسهرون ويبتهجون طوال الليل، والذي تجري قراءته في القداس هو: *Dies sanctificatus Domnus dixit ad me filius illuxit* ، الخ ومن الانجيل: *Assumyist Jesus Petram et johannem* ، الخ، وقد قام المسلمون باحتلال قمة هذا الجبل مع الدير، لأنه كان فيما مضى محاطاً بشكل جيد بأسوار وأبراج، وكل شيء فوق القمة الآن مدمر ومهجور، لكن الأسوار والأبراج باقية في معظم الأجزاء، ويقرأ الانسان حول هذا الجبل أشياء أخرى كثيرة، تحدثت

عنها الكتابات المقدسة وأتت على ذكرها.

ويوجد عند سفح جبل الطور قلعة حصينة جداً وعظيمة اسمها قلعة تل الصافية، وهي قد بنيت من قبل الصليبيين، للدفاع عن الطريق الذي يقود إلى الجبل، لأن الجبل ظل دوماً مملوكاً من قبل المسلمين، ويوجد في هذه المناطق قبيلة كبيرة وجيلية من المسيحيين، اسمها عشيرة تل الصافية، لأن هذه القلعة كانت قلعته، إنما أين ولد آبائهم قبل الاستيلاء على الأرض المقدسة، ما من أحد يعرف، وغالباً ما سئلت من قبلهم فيما إذا كان في بلادي أي قوم يقولون إن لهم أقرباء في هذه المناطق، أو يحملون رنوكهم فوق ترستهم.

ويذهب الانسان من جبل الطور إلى جبل حرمون، الذي هو جبل جميل وممتع، ويصل إلى سهول واسعة من سهول الجليل، وذلك حيث سقط سيسرا مع جيشه، ثم يصل الانسان إلى شواطئ بحر الجليل، ومدينة سينارت، التي حملت فيما بعد اسم طبرية، واسمها الآن طبريا، وهي قائمة على شاطئ البحر، وهي مكان بائس، ولم يكن قط أكثر بؤساً، لكن فيما مضى كان لها أسقفاً، لأن صاحبها امتلك الجزء الأعظم من بحر الجليل، وعلى مقربة من هذه المدينة هناك حمامات طبيعية حارة، مثل حمامات آخن في هذه البلاد، ويبدو أنه كان يقوم على شواطئ بحر الجليل كثير من المدن الأخرى والقرى، مع أنه لا يوجد عن أي منها روايات كثيرة، وفيها سكن حواريو المسيح، وآخرون من الناس الفقراء وصيادو الأسماك، وهم ما برحوا يسكنون هناك.

وطول محيط بحر الجليل أو بحيرة طبرية عشرين ميلاً من أميال هذه البلاد، وفيها مياه عذبة كثيرة، وأسماك كثيرة، ومياهها فائقة العذوبة، ويصب نهر «الأر» في هذا البحر من جانب، ونهر «دان» من الجانب الآخر، ومن الممكن رؤيتهما وهما يعبران خلال البحر، ويخرجان منه على شكل نهر واحد، عندها يطلق عليه اسم الأردن، وفوق هذا البحر

وبجواره صنع الرب — وهو على هيئة إنسان — كثيراً من المعجزات، فمن هذا البحر دعا يسوع بطرس وأندرو، وجعلهما حواريين له، وفوق مياه هذا البحر مشى المسيح حافي القدمين، وأمسك ببطرس عندما بدأ يغرق، وعلى ظهر هذا البحر نام يسوع في السفينة، وأوقف الريح وسكنه عندما ثارت العاصفة، وأبحر يسوع فوق هذا البحر مراراً عندما كان في هيئة ضعفاً بشري، ومجده بكثير من المعجزات.

وإلى جانب هذا البحر ظهر يسوع لحوارييه بعد قيامته، وأكل سمكاً مشوياً، وقرصاً من عسل النحل، وفي هذا المكان قامت فيها مضي كنيسة جميلة، هي الآن مهدامة، وإلى جانب هذا البحر هناك جبل، أطعم الرب عند سفحه خمسة آلاف إنسان، بخمسة أرغفة وسمكتين، وذلك حسبما تحدث الانجيل عن ذلك.

ويوجد على قمة هذا الجبل، في الجهة الشمالية، قلعة مرتفعة وحصينة جداً، وهي تعرف مع قريتها باسم صفد، وفيها في أيامي يسكن يهودي من وستفاليا مع زوجته، وليس بعيداً عن هذه القلعة قامت فيها مضي مدينة جميلة اسمها دان، غير أنها الآن شبه مهجورة، وهذه هي النهاية الأخرى لأرض الميعاد، لأن أرض الميعاد تمتد من دان إلى بير السبع، أي من الشمال إلى الجنوب، وطولها حوالي خمسة وعشرين ميلاً، وعرضها من أريحا إلى يافا، وذلك من الشرق إلى الغرب، ومقدار ذلك حوالي أحد عشر ميلاً بأميال هذه البلاد، وذلك حسبما سمعت من بعض رسل السلطان، ومن قوم موثوقين جداً من أهل البلاد، هم أيضاً قاموا بوصف البلاد.

وليس بعيداً عن دان، باتجاه الشمال، توجد المدينة التي كانت فيها مضي جميلة، أي مدينة بانياس، التي اسمها الآن قيسارية فيليب، وهي قائمة بشكل بهي عند سفح جبل لبنان، لكن سكانها عددهم قليل، وعلى مقربة منها حدث أن سأل يسوع حواريه: «من يقول الناس إنني أنا

ابن الانسان] متى: ١٦/ ١٣]، فهذا ما ذكره الانجيل.

وعلى مقربة من هذه المدينة هناك نبع قريب من الجبل، هو الذي يفصل فينيقيا عن أدوم، ويعرف هذا النبع بشكل عام باسم السبت، لأنه يتدفق في يوم السبت، وبعد مشاهدتك لجميع هذه المشاهد، تقوم بعبور الأردن عند المكان الذي يغادر فيه الجليل أولاً، وفي بلاد ماوراء الأردن تلقى سبطان ونصف سبط ميراثهما، وهنا أيضاً يفصل الأردن الجليل عن أدوم، ويتابع الانسان سفره فيرى كثيراً من القرى وأماكن لم يرد ذكرها في الكتابات المقدسة، ويصل — إذا ما اختار — إلى قرية دفن فيها أيوب، وحدث على مقربة من هذه القرية، أن وقع القديس بولص مصعوقاً وتحول (إلى المسيحية) وهي قائمة على بعد سفر يوم من دمشق.

٤٤ — مدينة دمشق

وإذا ما سافر الانسان من هذه القرية، فإنه يصل إلى دمشق، ودمشق مدينة فائقة القدم، أسسها دمشق، خادم إبراهيم، وهي قائمة فوق المكان الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وهي مدينة فائقة الجلالة، ومجيدة جداً، وعظيمة الجمال، وغنية بجميع أنواع البضائع، وهي بهيجة في كل مكان، غير أن حلاوتها مصطنعة أكثر منها طبيعية، وفيها وفرة عظيمة من الأطعمة، والتوابل، والأحجار الكريمة، والحرير، واللآلئ، والأقمشة المذهبة، والعطور من الهند، ومن بلاد التتار، ومن مصر، ومن سورية، ومن أماكن من جانبنا من البحر المتوسط، وفيها جميع الأشياء الثمينة التي يشتهيها قلب الانسان أو يتصورها، وهي محاطة ببساتين وحدائق، تجري سقايتها بالماء من الداخل ومن الخارج، وبوساطة الأنهار، والجداول، والينابيع، وقد نظمت ببراعة، من أجل تأمين رفاه الانسان، وهي مكتظة السكان، وذلك فوق حد التصور، وهي مسكونة بمختلف الصناعات والتجار، ومن الأكثر براعة من الحرفيين وأعظمهم

جلالة، وفيها صناع وتجار هم الأكثر نبلاً، وهي مزينة من الداخل، بحمامات عددها فوق حد التصور، وبطيور تغني طوال السنة، وبجميع أنواع المسرات، ووسائل الراحة، وألوان التسلية.

وكل حرفة وتجارة مقيمة بشكل مستقل في شارع خاص، ويقوم كل حرفي — تبعاً لحرفته ولبراعته — بتقديم عرض رائع لأعماله أمام واجهة بيته، ويظهر براعته، وأفضل ما يمكن أن يعمل في ميدان حرفته، ويحاول التفوق على جيرانه إذا كان ذلك ممكناً، ولهذا يزين بيته ويجمله ويجعله فخماً أكثر من التصور، ومما يمكنني إخباركم.

ويعمل التجار مثلهم بتجاراتهم، أما الحرفيون فيعملون هناك بشكل رائع، وببراعة فائقة جداً، غير أنهم يبيعون كل شيء بأثمان عالية جداً، ويمتلك الأغنياء من سكان المدينة جميع أنواع الطيور التي تغني، وأقفاص طيور يعلقونها أمام بيوتهم فيها من الطيور أمثال: العنديل، والسلوى، والقنبرة، والدراج، وما شابه ذلك، فكلهم يغنون بشكل رائع، ومتساوي تماماً طوال السنة كلها، وهم أفضل في أيام الشتاء، منهم في أيام حرارة الصيف، ويمكنك أن تسمع جميع الأنواع الأخرى من الطيور من أمثال: الغربان، والهدهد، والطيور السوداء، وما شابه ذلك، ممن يمكن تعليمهم محاكاة كلام الانسان، وبذلك تجدهم يتكلمون مثل البشر بمختلف الألسنة.

ومع أن المدينة مكتظة بالسكان كثيراً، وكذلك مع أن البضائع تترك تقريباً بلا حراسة، فإنه لا يوجد إنسان متقدم السن كثيراً يتذكر أن أي إنسان قد قتل هناك، ونادراً جداً أن جرت سرقة أية بضائع معروضة للبيع هناك، هذا ولكل بضاعة ولكل نوع من الأشياء سوق خاص به لبيعه.

وفي السوق الذي تباع فيه الأطعمة، من الممكن هناك رؤية أعظم

حشد من الناس يمكن رؤيته، اجتمع في مكان واحد، ويكون ذلك كل يوم، حيث تتوفر جميع أنواع الأطعمة التي يمكنك أن تتصور وجودها، وكثير منها قد جرى طبخه بشكل فاخر، وهم يعتنون عناية كبيرة بهذه الأشياء، ويبيعون كل شيء بالوزن والميزان، كما وتباع هناك أنواع عديدة من الخبز.

ويوجد في دمشق قلعة حصينة جداً، هي بحوذة السلطان، وفيها يسكن ملك دمشق، وفي سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعين لتجسيد ربنا، حدثت في عشية يوم عيد القديس جرجس مذبحة وملاحقة وتعذيب للمسيحيين من قبل ملك دمشق والرعا فيها، مثلما حدثت في زمن متأخر مذبحة لليهود في هذه البلاد[بلاد المؤلف]، غير أن أعمال التعذيب لم تستمر بفضل الرب لمدة تزيد على الشهر، وكله جرى قمعه والانتقام له من قبل السلطان، كما ستسمع بشكل جيد فيما بعد.

ويوجد في دمشق أعداد كبيرة جداً من الكنائس لكل من الكاثوليك والهراطقة، كما هناك أديرة مليئة بالنعمة، ومن هذه الكنائس أخذ المسلمون واحدة من الكنائس الجميلة، واتخذوها كنيسة لأنفسهم، وهي التي يرقد فيها جسد ذلك الحكيم العالم، والمرجع الموثوق الهام، وأعني به القديس يوحنا الدمشقي، ويوجد على واجهة هذه الكنيسة صورة جلالة الرب مرسومة بشكل فخم.

فضلاً عن هذا، أمكن بشكل فني جعل نهر فرفر يجري خلال دمشق، حيث يدير ببراعة وإبداع كثيراً من الطواحين، ويوجد من حول دمشق حدائق وبساتين لانهية لها، فيها تنمو النباتات والأعشاب، والفواكه، والورود، والزهور، على مدار السنة، وهي ساحرة بسبب غناء جميع أنواع الحمام والطيور، التي تغرد في أيام الشتاء، أكثر مما تغرد في أيام حرارة الصيف.

وتحيط هذه البساتين والحدائق بالمدينة إلى مسافة تقارب الميلىن، وجميع البلاد حتى إلى مناطق نائية فيها وفرة عظيمة من الفواكه الطازجة، طوال أيام السنة، وبناء عليه يرددون في الشرق ويقولون بإجماع: «دمشق هي رأس سورية»، والاغريق صدوراً بشكل دائم عن حبهم لها واحترامهم يطلقون دوماً على أكبر أبنائهم اسم بولي داماس Polydamas ، أي مدينة دمشق، وسيقتضي الحال وقتاً طويلاً للحديث عن عجائب دمشق الأخرى، وعن جمالها.

والمسافة من دمشق إلى الجبل الذي أراه الرب إلى إبراهيم، أقل من مسافة نصف يوم وهو الجبل الذي توجب أن يضحى عليه بابنه اسحق، واسم هذا الجبل، جبل سكير أو جبل سارديني Sardenay (صيدنايا)، ويعبر الانسان أولاً نهري دمشق: أبانا وفرفر، فيجد على جبل سكير الوعر هذا، أو سارديني [صيدنايا] ديراً جميلاً، وهو محاط من كل جانب بأسوار فائقة القوة، مثله في ذلك مثل قلعة، وهو مسكون من قبل رهبان إغريق (أرثوذكس) وراهبات، وفي هذا الدير، وفوق البقعة التي كان إبراهيم سيضحى فيها بابنه اسحق، تقوم كنيسة جميلة، يوجد في داخلها، خلف المذبح، في قوس نصف دائري، في الجدار، تمثال لمريم المباركة، وهي ترضع ابنها، وهو مدهون مرسوم من عند الوسط نحو الأعلى فوق منضدة خشبية، ومسيجة بحواجز حديدية، غير أن هذه الصورة صارت سوداء داكنة بسبب الزمن والتقييل، لذلك بات من الصعب تمييز الانسان للصورة، إلا قليلاً من اللون الأحمر يمكن رؤيته على الملابس، ومع ذلك عمل الرب من خلال هذه الصورة كثيراً من المباركات والعجائب وأعمال النعمة.

وقد قرأنا أنه في الأيام التي كان الصليبيون يحتلون فيها الأرض المقدسة ويمتلكونها، رغبت امرأة أرملة، واختارت أن تخدم الرب، بأن تتخذ صومعة على هذا الجبل، ورغبت في أن لا يعلم إنسان بذلك، حتى

لا يعاق تكريسها لنفسها وعبادتها بأي عمل دنيوي، وعلى كل حال اتخذت لنفسها عقيلة بشكل سري، كانت تزورها من وقت إلى وقت، وتجلب لها الأشياء الضرورية، وتقوم بخدمتها وصنع القداسات لها، وحدث مرة أن هذه العقيلة التي وثقت بها، كانت على نية القيام بزيارة القدس والأماكن المقدسة الأخرى، فرجتها الأرملة الناسكة بتواضع وتقوى أن تجلب لها صورة لمريم المباركة مرسومة على رقيم، لأنها من صميم قلبها متشوقة لامتلاك مثل هذه الصورة، ووعدتها العقيلة بأن تفعل ذلك، وودعت الأرملة الناسكة، وذهبت إلى مدينة القدس المقدسة، وبعدما زارت الأماكن المقدسة حصلت على لوحة عليها صورة القديسة مريم، وارتحلت عائدة تريد جبل سعيير هذا، أو «صيدنايا»، وعندما كانت على مقربة من نهر الأردن هاجمها أسد مخيف، ولم يكن بإمكانها الفرار، بل دافعت عن نفسها بيديها ضد وثبة الأسد عليها، حيث رفعت لوح الصورة وكأنه ترس، وما أن لمس الأسد اللوح حتى تمزق إلى أشلاء، وتابعت العقيلة رحلتها من دون انقطاع، ووصلت إلى الجبل، غير أنها أخفت ما حدث لها، ونزل بها عن الأرملة الناسكة، وقد حدثتها عن أشياء كثيرة حول الأماكن المقدسة، وبعدما أخبرتها بكل شيء سألت الأرملة العقيلة عما إذا كانت جلبت اللوحة التي قد رسم عليها الصورة المطلوبة، وأجابتها العقيلة التي اعتقدت أن اللوحة سوف تمتلك دوماً الفضائل نفسها التي امتلكتها من قبل، وقالت لها بأنها لم تجلبها بل نسيته، ولدى سماع الأرملة بذلك حزنت كثيراً، وتأسفت، وتحسرت بعمق، حتى أنها لم تستطع منع نفسها من الانفجار بالبكاء، وعندما أصرت العقيلة على موقفها، انغلقت جميع أبواب الصومعة والبيعة، وحبستها بشدة في داخلها، ولدى رؤيتها بأن هذا قد تم بإرادة الرب، قامت هذه العقيلة على الفور بالاعتراف إلى الأرملة، حيث أخبرتها بأنها حصلت على اللوحة، وأخبرتها بتفاصيل ما حدث لها أثناء رحلتها فيها يتعلق بالأسد وبأمور أخرى، وعندما

سمعت الأرملة بهذا قدمت الشكر مراراً إلى الرب وتسلمت اللوحة ببهجة، واحترام، وتقوى، ووضعتها في مكان هو الذي تقوم الآن فيه، وبدموع وصلوات قدمت التشریف للمسيح من أجل الصورة، وبعد أمد شرعت هذه الصورة ترشح بشكل واضح بزيت له رائحة طيبة، ويجري الزيت ليصب في حفرة عملت أمام الصورة، وما برح هذا الزيت يجري حتى هذا اليوم، غير أنه بسبب أعداد الحجاج، يقوم الرهبان في هذه الكنيسة بمزج هذا الزيت بزيت آخر، ويعطونه إلى الحجاج، لكن ما من شك بأن الصورة ترشح بزيت طيب الرائحة، ويتغير هذا الزيت خلال سنة إلى حليب، ثم يتغير الحليب فيما بعد إلى دم، وهو ما رأيته مراراً بعيني، فلقد رأيت في أوقات متنوعة هذا الزيت وقد تغير على هذه الصورة، ومراراً كثيراً امتلكت بعض الزيت الذي تغير هكذا بشكل إعجازي، ولهذا الزيت فضائل عظيمة ضد العواصف في البحر، وذلك عندما يجري تعليقه داخل زجاجة في مؤخرة السفينة، فوقتها تهدأ أشد العواصف وأعنفها على الفور، وهذا ما رأيته مراراً بوضوح.

ومن جهات عدة من الواضح أن لدى الرب محبة خاصة لهذا المكان، أو الجبل، بدليل أنه أظهر لآبراهيم أن بإمكانه التضحية بابنه فوقه، لأنه عمل عدداً كبيراً من المعجزات تشریفاً لأمه مريم، التي رسمت صورتها هناك، ولأنه على الرغم من كثير من الاضطرابات والغزوات التي شهدتها البلاد وحدثت فيها، فهذه البلاد قد فقدت بشكل غريب وربحت من قبل شعوب مختلفة، ومع هذا فإن رهبان وراهبات هذا المكان بقيوا دوماً من دون أذى.

ولقد قرأنا — والمسألة ماتزال حاضرة في ذاكرة الناس — أنه بعدما استولى هولاءكو على بغداد، الأمر الذي أتيت على ذكره — قام بنهب مصر، وجميع سورية، والمنطقة بأسرها، فخاف رهبان وراهبات هذا

المكان، وفكروا بمغادرته، وهنا ظهر الرب لهم وكذلك العذراء المباركة، بشكل مرئي، وواسوهم، ولذلك لم يبق لديهم خوف مطلقاً، ولم يغادروا المكان، ولأنهم رغبوا بالبقاء على مقربة من الرب والعذراء، اللذان شجعانهم بشكل مرئي، لم يتعرضوا بعد ذلك لأي أذى، أو ضرر من إنسان أو حيوان، أو وحش، بل كانوا في أيامي بنعمة خاصة وحظوة مع السلطان، الذي صنع لهم كثيراً من الأعمال المفيدة، وحماهم من كل جانب مثل أب.

وعند سفح جبل سكير، هناك قرية عظيمة جداً وجميلة، يسكن فيها إغريق (أرثوذكس) وسريان، وهي مليئة بالخمرة الجيدة وبكثير من الأشياء الأخرى الجيدة، وهناك متوفر في كل من الصيف والشتاء، سنة بعد سنة، عناقيد عنب طازج موجودة فوق الدوالي، وهي في الحقيقة محروسة بشكل خاص، ومعزولة لهذا الغرض، وقد صنع الرب فوق هذا الجبل كثيراً من العجائب الأخرى والمعجزات، وهذا كله صادر عن رعاية خاصة به وعاطفة نحوه، وذلك بفضائل تلك الصورة، التي تحتاج إلى وقت طويل للحديث عنها.

٤٥ — حول وادي البقاع — ولبنان — وبيروت

ولدى متابعة الانسان السفر من جبل سكير، يمكنه أن يرى أشياء كثيرة لا تحتاج إلى الذكر على الطريق، وإذا ما خلف الانسان مدينتي الرامة وطرابلس على جهة اليمين يصل إلى وادي اسمه البقاع، الذي ما يزال حتى هذا اليوم يطلق عليه اسم سهل نوح، لأن نوحاً قد سكن هناك بعد الطوفان، وهذا السهل فائق الخصوبة والغنى، ومليء بشكل عظيم بالمروج، والمراعي، والأشجار والينابيع، والقطعان، والأسماك، والقمح، وهو محصور بين الجبال، ومسكون من قبل فلاحين مسلمين.

وبعدما تكون قد فرغت من رؤية هذا كله، تصل إلى جبل لبنان،

الذي كنت قد أتيت على ذكره أيضاً، ثم تصل إلى الجبل الأسود، الذي يمتد بعيداً حتى أنطاكية، والذي عليه تنمو الأشجار التي منها يجري تصنيع القسي الزيارة، وتحمل هذه الأخشاب من هذه الجبال إلى بلدان نائية ومناطق بعيدة.

ويسكن عند سفح هذا الجبل حشد كبير من المسيحيين المتمسكين بالعقيدة اللاتينية، والمرتبطين بكنيسة روما، وقد رأيت عدداً كبيراً من أساقفتهم الذين جرى رسمهم من قبل رؤساء أساقفة لاتين، والذين هم بغاية الشوق الدائم، والحنين المستمر لقدوم الصليبيين، ولاسترداد الأرض المقدسة.

وبعد رؤية جميع هذه الأماكن، وقرى جميلة، وأماكن، ومزارع يصل الانسان إلى مدينة قائمة على شاطئ البحر اسمها بيروت، وهي مدينة كنت قد أتيت على ذكرها، وهذه المدينة ميناء عام للحجاج، وعلى مقربة منها قتل الشهيد القديس جرجس التين، وحول المدينة والمنطقة كلها إلى الايمان المسيحي.

ومن بيروت يستطيع الانسان أن يعود إلى أي بلد من البلدان، يود الذهاب إليه على هذا الطرف من البحر المتوسط، وهذه مسألة أدع إقرارها إلى اختياره الخاص.

وهذه هي طرق السفريات والرحلات في الأرض المقدسة، وهي طرق موثوقة، مع أنها لا تتماشى مع طرق الحجاج العامة، وعبرها ومن خلالها رأيت كما أريد، جميع الأماكن المقدسة المتقدمة الذكر، والصوامع وذلك بالوضع والشكل الذي ظهروا فيه في السنوات المذكورة من تجسيد ربنا.

والذي أعرفه أن ما من إنسان حي يمكنه أن يطعن بروايتي بأي حال من الأحوال، لأنني أنا الشاهد على كل ما رأيت، أو سمعت من رجال

صادقين، وهذه الرواية صادقة تماماً، كتبتها صدوراً عن التقوى والاحترام للذان أنا مدان بهما إلى الأب الجدير بالاحترام، والمولى في المسيح، السيد بلدوين، أسقف كنيسة بادربورن، وباسم الرب كنت قد بدأت، وباسمه أختتم الشيء نفسه، وله الحمد والمجد إلى الأبد، والأبد، آمين.

المحتوى

الموضوع	الصفحة
بيد المزيف (حجاج مجهولون) أولاً	٥
توطئة	٧
حاج مجهول من القرن الحادي عشر (١)	١١
حاج مجهول من القرن الثاني عشر (٢)	١٤
حاج مجهول من القرن الثاني عشر (٣)	٢١
حاج مجهول من القرن الثاني عشر (٤)	٦٢
حاج مجهول من القرن الثاني عشر (٥-١)	٣١
حاج مجهول من القرن الثاني عشر (٥-٢)	٣٥
بيد المزيف - مجهول من القرن الثاني عشر (٦)	٤٦
المنازل الاثنان والأربعون	٤٨
حاج مجهول - قرن ثاني عشر - وصف الأرض المقدسة	٧٧
حاج مجهول - قرن ثاني عشر - بلاد ما وراء البحر	٨٣
أرنول (١٢٢٠م) ثانيا	٨٧
مدينة القدس	٨٩
جبل صهيون	٨٩
شعفاط	٩٠
الجمجمة	٩٠
الأبواب الأربعة	٩١

الموضوع	الصفحة
شارع داود	٩١
الباب الرئيسي	٩٣
آبدة الضريح المقدس	٩٣
أكرا	٩٤
الكهنة النظاميون	٩٤
شارع العشايين	٩٥
شارع الهيكل	٩٥
الهيكل	٩٦
بيعة القديس جيمس	٩٧
كنيسة المهد	٩٨
الباب الذهبي	٩٨
باب الثالث الخلفي	١٠٠
باب جبل صهيون	١٠١
البركة الألمانية	١٠٢
دير الكرج	١٠٣
عمواس	١٠٤
شارع شعفاط	١٠٥
حارة اليهود	١٠٥

الموضوع	الصفحة
بركة الضأن	١٠٦
دير جبل الزيتون	١٠٧
القسم الثاني — حول الحج في الأرض المقدسة	١٠٩
حول القدس	١١٢
الأماكن القريبة من القدس	١١٦
الحج من عكا	١١٨
الحج إلى الأماكن النائية	١٢١
رواية أرنول عن فلسطين	١٢٣
بوتشارد راهب دير جبل صهيون (ثالثا)	١٣٥
استهلال	١٣٧
تمهيد وصف بوتشارد	١٤١
القسم الأول من الأرض المقدسة	١٤٤
القسم الثاني من الأرض المقدسة	١٥٩
القسم الثالث من الأرض المقدسة	١٦٤
القسم الرابع	١٦٩
القسم الثاني من الربع الشرقي	١٧٥
القسم الثالث من الربع الثالث	١٨١
القدس	٢٠٢

الموضوع	الصفحة
القسم الاول من الربع الجنوبي	٢٣٠
طول الأرض المقدسة وعرضها	٢٣٤
ثمار الأرض المقدسة وحيواناتها	٢٣٦
ديانات الأرض المقدسة	٢٣٩
لودولف فون سوخم (رابعاً)	٢٥١
تمهيد	٢٥٣
وصف الأرض المقدسة	٢٥٥
حول الأرض المقدسة	٢٥٦
القسطنطينية	٢٥٨
الطريق إلى الأرض المقدسة برأ	٢٦٠
بلاد ساحل الجزائر وباجة	٢٦٢
البحر المتوسط	٢٦٣
مخاطر البحر المتنوعة	٢٦٤
الخطر الذي اسمه غولف ثم غروب	٢٦٦
الرعب من الأماكن القليلة العمق	٢٦٧
المخاوف من السمك	٢٦٨
أنواع الأسماك	٢٧٠
هجرة الطيور	٢٧١

الموضوع	الصفحة
الرحلة عبر البحر — طروادة والجزر	٢٧٢
جزيرة صقلية	٢٧٦
جبل البركان	٢٧٩
مدينة سرقوسة	٢٨٠
آخيا	٢٨١
مدينة إفسوس	٢٨٣
رودس وجزر أخرى	٢٨٥
قبرص	٢٩٠
كرم عين الجدي	٢٩٢
مدينة فيماغوستا	٢٩٣
سلامينا ونيقوسيا	٢٩٤
المدن القائمة على شاطئ البحر	٢٩٦
مدينة عكا	٣٠٣
فقدان مدينة عكا	٣٠٦
غزة وأشدود	٣١٣
جبل الكرمل	٣١٦
مصر	٣١٩
بستان البلسم	٣٢٠

الموضوع	الصفحة
المسيحيون والقبور القديمة	٣٢٣
بابل القديمة أو بغداد	٣٢٥
نهر النيل	٣٢٩
مصر وأرضها	٣٣٠
الصحراء وجبل سيناء	٣٣٤
فيافي سيناء	٣٤٣
حبرون — ممرا — بيت لحم	٣٤٥
القدس	٣٥٠
حول الثلاثين قطعة من الفضة	٣٦٣
جبل الزيتون	٣٦٦
أريحا — الصحراء — سدوم وعموره	٣٦٨
حول نهر الأردن	٣٧٢
رامه — شيلوه — عمواس — شيكا — السامرة والجليل	٣٧٤
دمشق	٣٨٢
وادي البقاع — لبنان — بيروت	٣٨٨